



مركز  
للبحوث والتحريات الكمبيوترية

اصبحان

للغافل



عليه  
صباح  
الرمضان

www.

www.

www.

www.

Ghaemiyeh

.com

.org

.net

.ir

# الأمم

في تفسيرين كما جلا الله المنزلة

العلامة الفقيه المفسر

الشيخ كاظم حكايم الشيرازي



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

# الامثل فى تفسير كتاب الله المنزل

كاتب:

آيت الله ناصر مكارم شيرازى

نشرت فى الطباعة:

مدرسه الامام على بن ابي طالب ( عليه السلام )

رقمى الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

## الفهرس

٥	الفهرس
٣٣	الامثل فى تفسير كتاب الله المنزل المجلد ٧
٣٣	اشاره
٣٤	اشاره
٣٨	[اتمه سورة هود]
٣٨	اشاره
٣٨	الآيات [سوره هود (١١): الآيات ٦٩ الى ٧٣]
٣٨	اشاره
٣٨	التفسير
٣٨	اشاره
٣٨	جانب من حياه محطم الأصنام:
٤٤	الآيات [سوره هود (١١): الآيات ٧٤ الى ٧٦]
٤٤	اشاره
٤٤	التفسير
٤٧	الآيات [سوره هود (١١): الآيات ٧٧ الى ٨٠]
٤٧	اشاره
٤٧	التفسير
٤٧	اشاره
٤٧	قوم لوط و حياه الخزى:
٥٠	ملاحظات
٥٤	الآيات [سوره هود (١١): الآيات ٨١ الى ٨٣]
٥٤	اشاره
٥٤	التفسير
٥٤	اشاره

٥٤ ..... عاقبه الجماعه الظالمه:

٥٨ ..... ملاحظات

٥٨ ..... اشاره

٥٨ ..... ١- لم كان العذاب صباحا

٥٨ ..... ٢- لم قلب الله عاليها سافلها

٥٨ ..... ٣- لماذا الوابل من الأحجار

٥٩ ..... ٤- لماذا العلامه المتميزه

٦٠ ..... ٥- تحريم الانحراف الجنسي

٦٠ ..... اشاره

٦١ ..... فلسفه تحريم الميول الجنسيه لامثالها

٦٤ ..... أخلاق قوم لوط:

٦٥ ..... الآيات [سوره هود (١١): الآيات ٨٤ الى ٨٦]

٦٥ ..... اشاره

٦٥ ..... التفسير

٦٥ ..... اشاره

٦٥ ..... مدين بلده شعيب...

٧٠ ..... الآيات [سوره هود (١١): الآيات ٨٧ الى ٩٠]

٧٠ ..... اشاره

٧٠ ..... التفسير

٧٠ ..... اشاره

٧٠ ..... المنطق الواهي:

٧٥ ..... الآيات [سوره هود (١١): الآيات ٩١ الى ٩٣]

٧٥ ..... اشاره

٧٥ ..... التفسير

٧٥ ..... اشاره

٧٥ ..... التهديدات المتبادله بين شعيب و قومه:

الآيات [سوره هود (١١): الآيات ٩٤ الى ٩٥] ----- ٧٨

اشاره ----- ٧٨

التفسير ----- ٧٨

اشاره ----- ٧٨

عاقبه المفسدين فى مدين: ----- ٧٨

دروس تربويه فى قصه شعيب: ----- ٧٩

اشاره ----- ٧٩

١-اهميه المسائل الاقصاديه ----- ٨٠

٢-لا ينبغى التّضحيه بالاصاله من اجل التعصب ----- ٨٠

٣-الصلاه تدعو الى التوحيد و التطهير ----- ٨٠

٤-النظره الذاتيه(الانانيه)رمز للجمود ----- ٨١

٥-تلازم الايمان و العمل ----- ٨١

٦-الملكيه غير المحدوده أساس الفساد ----- ٨٢

٧-هدف الأنبياء هو الإصلاح ----- ٨٣

الآيات [سوره هود (١١): الآيات ٩٦ الى ٩٩] ----- ٨٤

اشاره ----- ٨٤

التفسير ----- ٨٤

اشاره ----- ٨٤

البطل المبارز لفرعون: ----- ٨٤

الآيات [سوره هود (١١): الآيات ١٠٠ الى ١٠٤] ----- ٨٨

اشاره ----- ٨٨

التفسير ----- ٨٨

الآيات [سوره هود (١١): الآيات ١٠٥ الى ١٠٨] ----- ٩٢

اشاره ----- ٩٢

التفسير ----- ٩٢

اشاره ----- ٩٢

- ٩٢ ..... السعاده الشقاوه:-----
- ٩٥ ..... ملاحظات -----
- ٩٥ ..... اشاره -----
- ٩٥ ..... ١-هل ان السعاده و الشقاوه ذاتيان -----
- ٩٧ ..... ٢-واقع الإنسان بين السعاده و الشقاوه -----
- ٩٨ ..... ٣-مسأله الخلود فى القرآن -----
- ٩٨ ..... اشاره -----
- ٩٨ ..... سؤال مهم:-----
- ٩٩ ..... الاجوبه غير المقنعه -----
- ١٠٠ ..... الحل النهائى للإشكال -----
- ١٠٣ ..... ٤-مفهوم الخلود فى هذه الآيات -----
- ١٠٤ ..... ٥-ما معنى الاستثناء فى الآيه -----
- ١٠٦ ..... اسباب السعاده و الشقاء -----
- ١١٠ ..... الآيات [سوره هود (١١): الآيات ١٠٩ الى ١١٢]-----
- ١١٠ ..... اشاره -----
- ١١٠ ..... التفسير -----
- ١١٠ ..... اشاره -----
- ١١٠ ..... الاستقامه و الثبات:-----
- ١١٣ ..... المسؤوليه الكبيره!!-----
- ١١٥ ..... الآيه [سوره هود (١١): آيه ١١٣]-----
- ١١٥ ..... اشاره -----
- ١١٥ ..... التفسير -----
- ١١٥ ..... اشاره -----
- ١١٥ ..... الركون الى الظالمين:-----
- ١١٥ ..... ملاحظات -----
- ١١٥ ..... اشاره -----



١- ما هو مفهوم الزّكون ..... ١١٥

٢- فى اىّ الأمور لا ينبغى الزّكون الى الظالمين ..... ١١٦

٣- فلسفه تحريم الركون الى الظالمين ..... ١١٦

٤- من المقصود ب «لَّذِينَ ظَلَمُوا» ..... ١١٧

٥- اشكال ..... ١١٨

الآياتان [سوره هود (١١): الآيات ١١٤ الى ١١٥] ..... ١٢٠

اشاره ..... ١٢٠

التفسير ..... ١٢٠

اشاره ..... ١٢٠

الصلاه و الصبر: ..... ١٢٠

الاهمّيه القصوى للصلاه: ..... ١٢٢

أرجى آيه فى القرآن: ..... ١٢٤

الآياتان [سوره هود (١١): الآيات ١١٦ الى ١١٧] ..... ١٢٧

اشاره ..... ١٢٧

التفسير ..... ١٢٧

اشاره ..... ١٢٧

عامل الانحراف و الفساد فى المجتمعات: ..... ١٢٧

من هم أولوا بَقِيَّتِهِ ..... ١٢٩

الآياتان [سوره هود (١١): الآيات ١١٨ الى ١١٩] ..... ١٣٢

اشاره ..... ١٣٢

التفسير ..... ١٣٢

ملاحظات ..... ١٣٤

الآيات [سوره هود (١١): الآيات ١٢٠ الى ١٢٣] ..... ١٣٦

اشاره ..... ١٣٦

التفسير ..... ١٣٦

اشاره ..... ١٣٦

١٣٦ ----- اربع معطيات لقصص الماضين:

١٣٩ ----- ملاحظات

١٣٩ ----- اشاره

١٣٩ ----- ١-علم الغيب خاص بالله...

١٤٠ ----- ٢-العباده لله وحده

١٤٢ ----- سورة يوسف

١٤٢ ----- اشاره

١٤٤ ----- بدايه سورة يوسف

١٤٤ ----- اشاره

١٤٤ ----- ٤-قصه يوسف قبل الإسلام و بعده

١٤٧ ----- ٥-لم ذكرت قصه يوسف فى مكان واحد على خلاف قصص سائر الأنبياء

١٤٨ ----- ٦-فضيله سورة يوسف

١٥٠ ----- الآيات [سوره يوسف (١٢): الآيات ١ الى ٣]

١٥٠ ----- اشاره

١٥٠ ----- التفسير

١٥٠ ----- اشاره

١٥٠ ----- احسن القصص بين يديك:

١٥٤ ----- اثر القصة فى حياه الناس

١٥٨ ----- الآيات [سوره يوسف (١٢): الآيات ٤ الى ٦]

١٥٨ ----- اشاره

١٥٨ ----- التفسير

١٥٨ ----- اشاره

١٥٨ ----- بارقه الأمل و بدايه المشاكل:

١٦١ ----- ملاحظات

١٦١ ----- اشاره

١٦١ ----- ١-الرؤيا و الحلم

١٦١ ..... اشارة

١٦٢ ..... ١-التفسير المادى:

١٦٣ ..... ٢-التفسير المعنوى

١٦٩ ..... الآيات [سوره يوسف (١٢): الآيات ٧ الى ١٠]

١٦٩ ..... اشارة

١٦٩ ..... التفسير

١٦٩ ..... اشارة

١٦٩ ..... المؤامره:

١٧٣ ..... ملاحظات

١٧٣ ..... اشارة

١٧٣ ..... ٥-اثر الحسد المدقر فى حياه الناس

١٧٧ ..... الآيات [سوره يوسف (١٢): الآيات ١١ الى ١٤]

١٧٧ ..... اشارة

١٧٧ ..... التفسير

١٧٧ ..... اشارة

١٧٧ ..... المؤامره المشؤومه

١٨٠ ..... بحوث

١٨٠ ..... اشارة

١٨٠ ..... ١-مؤامرات الأعداء فى ثياب الأصدقاء

١٨١ ..... ٢-حاجه الإنسان الفطريه و الطبيعيه الى التنزه و الارتياح

١٨٣ ..... ٣-الولد فى ظلّ الوالد

١٨٥ ..... ٤-لا قصاص و لا اتهام قبل الجنايه

١٨٥ ..... ٥-تلقين العدو

١٨٧ ..... الآيات [سوره يوسف (١٢): الآيات ١٥ الى ١٨]

١٨٧ ..... اشارة

١٨٧ ..... التفسير

١٨٧ ..... اشاره

١٨٧ ..... الكذب المفضوح:

١٩١ ..... ملاحظات

١٩١ ..... اشاره

١٩١ ..... ١-حول الترك «الاولى»

١٩٣ ..... ٢-دعاء يوسف البليغ الجذاب

١٩٤ ..... ٤-تسويل النفس

١٩٥ ..... ٥-الكذاب عديم الحافظه

١٩٥ ..... ٦-ما هو الصبر الجميل

١٩٧ ..... الأيتان [سوره يوسف (١٢): الآيات ١٩ الى ٢٠]

١٩٧ ..... اشاره

١٩٧ ..... التفسير

١٩٧ ..... اشاره

١٩٧ ..... نحو ارض مصر:

٢٠٠ ..... الأيتان [سوره يوسف (١٢): الآيات ٢١ الى ٢٢]

٢٠٠ ..... اشاره

٢٠٠ ..... التفسير

٢٠٠ ..... اشاره

٢٠٠ ..... في قصر عزيز مصر:

٢٠٣ ..... ملاحظات

٢٠٣ ..... اشاره

٢٠٣ ..... ١-ما هو اسم «عزيز» مصر

٢٠٤ ..... ٢-يوسف عليه السلام و تعبير الأحلام

٢٠٥ ..... ٣-المراد من قوله تعالى: **وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ**

٢٠٨ ..... الأيتان [سوره يوسف (١٢): الآيات ٢٣ الى ٢٤]

٢٠٨ ..... اشاره

التفسير ..... ٢٠٨

اشاره ..... ٢٠٨

العشق الملتهب: ..... ٢٠٨

المراد من كلمه «رَبِّي» ..... ٢١٠

ما المراد من برهان ربه ..... ٢١٥

ملاحظات ..... ٢١٦

اشاره ..... ٢١٦

١-جهاد النفس ..... ٢١٦

٢-ثواب الإخلاص ..... ٢١٩

٣-العفة و المتانته فى البيان ..... ٢٢٠

الآيات [سوره يوسف (١٢): الآيات ٢٥ الى ٢٩] ..... ٢٢٣

اشاره ..... ٢٢٣

التفسير ..... ٢٢٣

اشاره ..... ٢٢٣

فضيحه امره العزيز ..... ٢٢٣

ملاحظات ..... ٢٢٦

اشاره ..... ٢٢٦

١-من كان الشاهد ..... ٢٢٦

٢-الموقف الضعيف لعزير مصر ..... ٢٢٨

٣-حمايه الله فى الأزمات ..... ٢٢٨

٤-خطه امره العزيز ..... ٢٢٩

الآيات [سوره يوسف (١٢): الآيات ٣٠ الى ٣٤] ..... ٢٣٠

اشاره ..... ٢٣٠

التفسير ..... ٢٣٠

اشاره ..... ٢٣٠

مؤامره اخرى: ..... ٢٣٠

٢٣٥ ..... ملاحظات

٢٣٨ ..... الآيات [سوره يوسف (١٢): الآيات ٣٥ الى ٣٨]

٢٣٨ ..... اشاره

٢٣٨ ..... التفسير

٢٣٨ ..... اشاره

٢٣٨ ..... الشجن بسبب البراءة:

٢٤٤ ..... الآيات [سوره يوسف (١٢): الآيات ٣٩ الى ٤٢]

٢٤٤ ..... اشاره

٢٤٤ ..... التفسير

٢٤٤ ..... اشاره

٢٤٤ ..... الشجن او مركز التربيّه:

٢٤٨ ..... ملاحظات

٢٤٨ ..... اشاره

٢٤٨ ..... ١- الشجن مركز للإرشاد او يؤره للفساد

٢٤٩ ..... ٢- حين يصلب المصلحون

٢٤٩ ..... ٣- أكبر دروس الحزبه

٢٥٠ ..... ٤- استغلال شعار بناء بشكل سيء

٢٥١ ..... ٥- التوجه لغير الله

٢٥٣ ..... الآيات [سوره يوسف (١٢): الآيات ٤٣ الى ٤٩]

٢٥٣ ..... اشاره

٢٥٤ ..... التفسير

٢٥٤ ..... اشاره

٢٥٤ ..... رؤيا ملك مصر و ما جرى له:

٢٥٧ ..... ملاحظات

٢٦٠ ..... الآيات [سوره يوسف (١٢): الآيات ٥٠ الى ٥٣]

٢٦٠ ..... اشاره

- ٢٦٠ ..... التفسير
- ٢٦٠ ..... اشاره
- ٢٦٠ ..... تبرئه يوسف من كَلِّ آتِهَام -
- ٢٦٤ ..... ملاحظات
- ٢٦٤ ..... اشاره
- ٢٦٤ ..... ١- هذه عاقبه التقوى
- ٢٦٥ ..... ٢- الهزائم التي تكون سببا للتيقظ
- ٢٦٦ ..... ٣- الحفاظ على الشرف خير من الحريه الظاهريه
- ٢٦٦ ..... ٤- النفس الاثمه «المتزده»
- ٢٦٩ ..... الآيات [سوره يوسف (١٢): الآيات ٥٤ الى ٥٧]
- ٢٦٩ ..... اشاره
- ٢٦٩ ..... التفسير
- ٢٦٩ ..... اشاره
- ٢٦٩ ..... يوسف أمينا على خزائن مصر:
- ٢٧٢ ..... بحوث
- ٢٧٢ ..... اشاره
- ٢٧٢ ..... ١- كيف استجاب يوسف لطلب طاغوت زمانه
- ٢٧٤ ..... ٢- اهميته المسائل الاقتصاديه و الاداريه
- ٢٧٦ ..... ٣- الزقابه على الاستهلاك
- ٢٧٨ ..... ٤- مدح النفس
- ٢٧٩ ..... ٥- افضليته الجزاء المعنوى على سواه
- ٢٧٩ ..... ٦- الدفاع عن المسجونين
- ٢٨١ ..... الآيات [سوره يوسف (١٢): الآيات ٥٨ الى ٦٢]
- ٢٨١ ..... اشاره
- ٢٨١ ..... التفسير
- ٢٨١ ..... اشاره

٢٨١ ..... اقتراح جديد من يوسف لإخوته: -

٢٨٥ ..... بحوث

٢٨٥ ..... اشاره

٢٨٥ ..... ١- لماذا لم يظهر يوسف حقيقته لإخوته -

٢٨٥ ..... ٢- لماذا ارجع يوسف الأموال الى اخوته -

٢٨٦ ..... ٣- كيف وهب يوسف الى اخوته اموال بيت المال ..

٢٨٨ ..... الآيات [سوره يوسف (١٢): الآيات ٦٣ الى ٦٦]

٢٨٨ ..... اشاره

٢٨٨ ..... التفسير

٢٨٨ ..... اشاره

٢٨٨ ..... موافقه يعقوب:

٢٩١ ..... بحوث

٢٩٣ ..... الآيات [سوره يوسف (١٢): الآيات ٦٧ الى ٦٨]

٢٩٣ ..... اشاره

٢٩٣ ..... التفسير

٢٩٧ ..... الآيات [سوره يوسف (١٢): الآيات ٦٩ الى ٧٦]

٢٩٧ ..... اشاره

٢٩٧ ..... التفسير

٢٩٧ ..... اشاره

٢٩٧ ..... يوسف يخطط للاحتفاظ بأخيه:

٣٠٢ ..... بحوث

٣٠٢ ..... اشاره

٣٠٢ ..... ١- لماذا لم يعترف يوسف بالحقيقه ..

٣٠٢ ..... ٢- لماذا اتهم يوسف أخاه ..

٣٠٣ ..... ٣- لماذا اتهم الجميع بالسرقة -

٣٠٤ ..... ٤- عقوبه السرقة في تلك الازمنه ..



٣٠٥ ..... ٥-السقاياه او الصواع

٣٠٦ ..... الآيات [سوره يوسف (١٢): الآيات ٧٧ الى ٧٩]

٣٠٦ ..... اشاره

٣٠٦ ..... التفسير

٣٠٦ ..... اشاره

٣٠٦ ..... موقف اخوه يوسف:

٣٠٩ ..... الآيات [سوره يوسف (١٢): الآيات ٨٠ الى ٨٢]

٣٠٩ ..... اشاره

٣٠٩ ..... التفسير

٣٠٩ ..... اشاره

٣٠٩ ..... رجوع الاخوه الى أبيهم خائبين:

٣١٢ ..... بحوث

٣١٢ ..... اشاره

٣١٢ ..... ١-من هو اكبر الاخوه

٣١٢ ..... ٢-الحكم وفق الدلائل الظاهره:

٣١٤ ..... الآيات [سوره يوسف (١٢): الآيات ٨٣ الى ٨٦]

٣١٤ ..... اشاره

٣١٤ ..... التفسير

٣١٤ ..... اشاره

٣١٤ ..... يعقوب و الألفاظ الالهيه:

٣١٨ ..... الآيات [سوره يوسف (١٢): الآيات ٨٧ الى ٩٣]

٣١٨ ..... اشاره

٣١٨ ..... التفسير

٣١٨ ..... اشاره

٣١٨ ..... اليأس علامه الكفر

٣٢٥ ..... بحوث

٣٢٥ ..... اشارة

٣٢٥ ..... ١-من الذى حمل قميص يوسف

٣٢٥ ..... ٢-يوسف و جلاله شأنه:

٣٢٤ ..... ٣-الشكر على الانتصار:

٣٢٨ ..... الآيات [سوره يوسف (١٢): الآيات ٩٤ الى ٩٨]

٣٢٨ ..... اشارة

٣٢٨ ..... التفسير

٣٢٨ ..... اشارة

٣٢٨ ..... و أخيرا شملتهم رعايه الله و لطفه:

٣٣١ ..... ملاحظات

٣٣١ ..... اشارة

٣٣١ ..... ١-كيف احتس يعقوب برائحه قميص يوسف

٣٣٢ ..... ٢-اختلاف حالات الأنبياء:

٣٣٤ ..... ٣-كيف ردّ على يعقوب بصره!؟

٣٣٤ ..... ٤-الوعد بالاستغفار:

٣٣٥ ..... ٥-التوسل جائز:

٣٣٥ ..... ٦-نهايه الليله السوداء

٣٣٤ ..... الآيات [سوره يوسف (١٢): الآيات ٩٩ الى ١٠١]

٣٣٤ ..... اشارة

٣٣٤ ..... التفسير

٣٣٤ ..... اشارة

٣٣٤ ..... عاقبه امر يوسف و أبيه و اخوته:

٣٣٩ ..... بحوث

٣٣٩ ..... اشارة

٣٣٩ ..... ١-هل السجود لغير الله جائز

٣٤١ ..... ٢-وساوس الشيطان:

٣-الأمن نعمه الله الكبرى ..... ٣٤١

٤-اهمّيته مقام العلم: ..... ٣٤٢

٥-حسن العقابه: ..... ٣٤٢

٦-هل جاءت ام يوسف الى مصر - ..... ٣٤٣

٧-عدم ذكر القصه للأب: ..... ٣٤٣

الآيات [سوره يوسف (١٢): الآيات ١٠٢ الى ١٠٧] ..... ٣٤٥

اشاره ..... ٣٤٥

التفسير ..... ٣٤٥

اشاره ..... ٣٤٥

الأدعياء مشركون غالبا ..... ٣٤٥

الآيات [سوره يوسف (١٢): الآيات ١٠٨ الى ١١١] ..... ٣٥٠

اشاره ..... ٣٥٠

التفسير ..... ٣٥٠

اشاره ..... ٣٥٠

اصدق الدروس و العبر: ..... ٣٥٠

سوره الزعد ..... ٣٥٧

اشاره ..... ٣٥٧

محتوى الشوره ..... ٣٥٩

الآيات [سوره الرعد (١٣): الآيات ١ الى ٤] ..... ٣٦١

اشاره ..... ٣٦١

التفسير ..... ٣٦١

اشاره ..... ٣٦١

آيات الله فى السماء و الأرض و عالم النبات: ..... ٣٦١

هناك عدّه نقاط: ..... ٣٦٩

اشاره ..... ٣٦٩

١-ما هى وجه العلاقه بين التوحيد و المعاد ..... ٣٦٩

٣٧٠ ..... ٢-الاعجاز العلمي للقرآن

٣٧٠ ..... ٣-تسخير الشمس و القمر

٣٧٣ ..... الآياتان [سوره الرعد (١٣): الآيات ٥ الى ٦]

٣٧٣ ..... اشاره

٣٧٣ ..... التفسير

٣٧٣ ..... اشاره

٣٧٣ ..... تعجب الكفار من المعاد:

٣٧٥ ..... ملاحظتان

٣٧٥ ..... اشاره

٣٧٥ ..... ١-لماذا التعجب في الخلق الجديد

٣٧٦ ..... ٢-هل ان الله يعفو عن الظالمين

٣٧٧ ..... الآية [سوره الرعد (١٣): آيه ٧]

٣٧٧ ..... اشاره

٣٧٧ ..... التفسير

٣٧٧ ..... اشاره

٣٧٧ ..... ذريعه اخرى

٣٧٨ ..... بحثان

٣٧٨ ..... اشاره

٣٧٨ ..... هنا يرد سؤالان:

٣٧٨ ..... اشاره

٣٧٨ ..... ١-هل الآية «أنت منذر...» جواب للكفار؟

٣٧٩ ..... ٢-ما هو المقصود من جمله لِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ

٣٨١ ..... الآيات [سوره الرعد (١٣): الآيات ٨ الى ١٠]

٣٨١ ..... اشاره

٣٨١ ..... التفسير

٣٨١ ..... اشاره

علم الله المطلق: ..... ٣٨١

في تفسير هذه الجمل الثلاث هناك آراء مختلفه بين المفسرين: ..... ٣٨٢

بحوث ..... ٣٨٣

اشاره ..... ٣٨٣

١- القرآن و علم الاجته ..... ٣٨٣

٢- كل شيء له مقدار ..... ٣٨٤

٣- الغيب و الشهاده سواء عند الله ..... ٣٨٥

٤- الآثار التربويه في إدراكنا لعلم الله ..... ٣٨٦

الآيه [سوره الرعد (١٣): آيه ١١] ..... ٣٨٧

اشاره ..... ٣٨٧

التفسير ..... ٣٨٧

اشاره ..... ٣٨٧

المعقبات الغيبيه ..... ٣٨٧

بحوث ..... ٣٨٨

اشاره ..... ٣٨٨

١- ما هي المعقبات ..... ٣٨٨

٢- التغيير يبدأ من النفس (قانون عام) ..... ٣٨٩

الآيات [سوره الرعد (١٣): الآيات ١٢ الى ١٥] ..... ٣٩٢

اشاره ..... ٣٩٢

التفسير ..... ٣٩٢

اشاره ..... ٣٩٢

قسم آخر من دلائل عظمه الله: ..... ٣٩٢

بركات الرعد و البرق: ..... ٣٩٣

بحوث ..... ٣٩٧

اشاره ..... ٣٩٧

١- ما هو المقصود من سجود الكائنات ..... ٣٩٧

- ٢- ما هو معنى طُوْعاً وَ كَرْهاً ..... ٣٩٨
- ٣- ما هو معنى كلمه الضلال ..... ٣٩٨
- ٤- ما هو معنى كلوه أَصْصَالٍ ؟ ..... ٣٩٩
- الآيه [سوره الرعد (١٣): آيه ١٦] ..... ٤٠٠
- اشاره ..... ٤٠٠
- التفسير ..... ٤٠٠
- اشاره ..... ٤٠٠
- لماذا عباده الأصنام ..... ٤٠٠
- بحوث ..... ٤٠٢
- اشاره ..... ٤٠٢
- ١- الخالقيه و الربوبيه يتطلبان العباده ..... ٤٠٢
- ٢- كيف يسأل و يجيب بنفسه ..... ٤٠٢
- ٣- العين المبصره و نور الشمس شرطان ضروريان ..... ٤٠٣
- ٤- هل انّ خلق الله لكلّ شيء دليل على الجبر ..... ٤٠٣
- الآيه [سوره الرعد (١٣): آيه ١٧] ..... ٤٠٥
- اشاره ..... ٤٠٥
- التفسير ..... ٤٠٥
- اشاره ..... ٤٠٥
- وصف دقيق لمنظر الحقّ و الباطل: ..... ٤٠٥
- بحوث ..... ٤٠٧
- اشاره ..... ٤٠٧
- ١- ما هي علائم معرفه الحقّ و الباطل ..... ٤٠٧
- ٢- ما هو الزّيد ..... ٤٠٨
- ٣- الاستفاده تكون بقدر الاستعداد و اللياقه ..... ٤٠٨
- ٤- الباطل و الأوضاع المضطربه ..... ٤٠٩
- ٥- الباطل يتشكّل بأشكال مختلفه ..... ٤٠٩

- ٤٠٩ .....٦-ارتباط البقاء بالنفع
- ٤١٠ .....٧-كيف يطرد الحقّ الباطل
- ٤١٠ .....٨-الباطل مدين للحقّ ببقائه
- ٤١٠ .....٩-صراع الحقّ و الباطل مستمر
- ٤١١ .....١٠-تزامن الحياه مع السعي و الجهاد
- ٤١٢ .....الأمثال في القرآن:
- ٤١٢ .....اشاره
- ٤١٢ .....١-المثال يجعل المسائل محسوسه:
- ٤١٢ .....٢-المثال يقرب المعنى:
- ٤١٢ .....٣-المثال يعمم المفاهيم
- ٤١٣ .....٤-المثال، يزيد في درجه التصديق:
- ٤١٣ .....٥-المثال يخرس المعاندين:
- ٤١٦ .....الآيه [سوره الرعد (١٣): آيه ١٨]
- ٤١٦ .....اشاره
- ٤١٦ .....التفسير
- ٤١٦ .....اشاره
- ٤١٦ .....الذين استجابوا لدعوه الحقّ:
- ٤١٨ .....بحث
- ٤٢٠ .....الآيات [سوره الرعد (١٣): الآيات ١٩ الى ٢٤]
- ٤٢٠ .....اشاره
- ٤٢٠ .....التفسير
- ٤٢٠ .....اشاره
- ٤٢٠ .....الأبواب الثمانيه للجنّه و صفات اولى الأبواب:
- ٤٢٧ .....بحوث
- ٤٢٧ .....اشاره
- ٤٢٧ .....١-لماذا ذكر الصبر فقط

- ٢- أبواب الجنّة ..... ٤٢٨
- ٣- يلحق بأهل الجنّة اقرباؤهم ..... ٤٢٩
- ٤- ما هي جنّات عدن ..... ٤٢٩
- ٥- التطهير من آثار الذنوب ..... ٤٢٩
- الآيتان [سورة الرعد (١٣): الآيات ٢٥ إلى ٢٦] ..... ٤٣١
- اشاره ..... ٤٣١
- التفسير ..... ٤٣١
- اشاره ..... ٤٣١
- المفسدون في الأرض ..... ٤٣١
- بحثان ..... ٤٣٣
- اشاره ..... ٤٣٣
- ١- من هو المفسد في الأرض ..... ٤٣٣
- ٢- الرزق بيد الله سبحانه وتعالى و لكن... ..... ٤٣٤
- الآيات [سورة الرعد (١٣): الآيات ٢٧ إلى ٢٩] ..... ٤٣٨
- اشاره ..... ٤٣٨
- التفسير ..... ٤٣٨
- اشاره ..... ٤٣٨
- الا بذكر الله تطمئنّ القلوب: ..... ٤٣٨
- بحوث ..... ٤٤٠
- اشاره ..... ٤٤٠
- ١- كيف يطمئن القلب بذكر الله ..... ٤٤٠
- ٢- الطمأنينه و الخوف من الله ..... ٤٤٤
- ٣- ما هو ذكر الله، و كيف يتم ..... ٤٤٤
- الآيات [سورة الرعد (١٣): الآيات ٣٠ إلى ٣٢] ..... ٤٤٤
- اشاره ..... ٤٤٤
- اسباب النزول ..... ٤٤٤



٤٤٨ ..... التفسير

٤٤٨ ..... اشاره

٤٤٨ ..... لا امل فى ايمان اهل العناد:

٤٥٠ ..... بحوث

٤٥٠ ..... اشاره

٤٥٠ ..... ١- لماذا التركيز على كلمه «الرحمان»

٤٥٠ ..... ٢- لماذا لم يستجب التبي لمطالبيهم

٤٥١ ..... ٣- ما هى القارعه

٤٥٣ ..... الأيتان [سوره الرعد (١٣): الآيات ٣٣ الى ٣٤]

٤٥٣ ..... اشاره

٤٥٣ ..... التفسير

٤٥٣ ..... اشاره

٤٥٣ ..... كيف تجعلون الأصنام شركاء مع الله

٤٥٦ ..... الآية [سوره الرعد (١٣): آيه ٣٥]

٤٥٦ ..... اشاره

٤٥٦ ..... التفسير

٤٥٩ ..... الآية [سوره الرعد (١٣): آيه ٣٦]

٤٥٩ ..... اشاره

٤٥٩ ..... التفسير

٤٥٩ ..... اشاره

٤٥٩ ..... المؤمنون و الأحزاب

٤٦١ ..... بحث

٤٦١ ..... اشاره

٤٦١ ..... الايمان و الائتلاف الحزبى:

٤٦٣ ..... الآيات [سوره الرعد (١٣): الآيات ٣٧ الى ٤٠]

٤٦٣ ..... اشاره

التفسير ..... ٤٦٣

اشاره ..... ٤٦٣

الحوادث «الثابتة» و«المتغيره»: ..... ٤٦٣

نقطتان ..... ٤٦٦

اشاره ..... ٤٦٦

١- لوح المحو و الإثبات و أم الكتاب ..... ٤٦٦

٢- ما هو البدء ..... ٤٦٩

الآيات [سوره الرعد (١٣): الآيات ٤١ الى ٤٣] ..... ٤٧٤

اشاره ..... ٤٧٤

التفسير ..... ٤٧٤

اشاره ..... ٤٧٤

البشريه فانيه و وجه الله باقى: ..... ٤٧٤

سوره ابراهيم ..... ٤٧٩

اشاره ..... ٤٧٩

محتوى السوره ..... ٤٨١

فضيله السوره ..... ٤٨٢

الآيات [سوره إبراهيم (١٤): الآيات ١ الى ٣] ..... ٤٨٣

اشاره ..... ٤٨٣

التفسير ..... ٤٨٣

اشاره ..... ٤٨٣

الخروج من الظلمات الى النور ..... ٤٨٣

ملاحظات ..... ٤٨٦

اشاره ..... ٤٨٦

١- مثل الإيمان و طريق الله مثل التور ..... ٤٨٦

الآيات [سوره إبراهيم (١٤): الآيات ٤ الى ٧] ..... ٤٨٨

اشاره ..... ٤٨٨

٤٨٨	التفسير
٤٨٨	اشاره
٤٨٨	الايام الحتاسه فى الحياه:
٤٩٣	بحوث
٤٩٣	اشاره
٤٩٣	١-التذكّر لايام الله
٤٩٤	٢-طريقه الجتارين فى التعامل
٤٩٥	٣-الحريه من أفضل النعم
٤٩٥	٤-الشكر سبب لزياده النعم و الكفر سبب للفناء
٥٠٠	الآيات [سوره إبراهيم (١٤): الآيات ٨ الى ١٠]
٥٠٠	اشاره
٥٠٠	التفسير
٥٠٠	اشاره
٥٠٠	أ فى الله شكّ
٥٠٥	الآيتان [سوره إبراهيم (١٤): الآيات ١١ الى ١٢]
٥٠٥	اشاره
٥٠٥	التفسير
٥٠٥	اشاره
٥٠٥	التوكّل على الله وحده:
٥٠٧	ملاحظات
٥٠٧	اشاره
٥٠٧	١-ما هو معنى التوكّل
٥٠٧	٢-المعاجز بيد الله تعالى
٥٠٧	٣-ما هى حقيقه و فلسفه التوكّل
٥٠٨	فلسفه التوكّل
٥١١	الآيات [سوره إبراهيم (١٤): الآيات ١٣ الى ١٧]

٥١١	.....	اشاره
٥١١	.....	التفسير
٥١١	.....	اشاره
٥١١	.....	خطط الجتارين المعاندين و مصيرهم
٥١٥	.....	بحوث
٥١٥	.....	اشاره
٥١٥	.....	١-ماذا يعنى مقام الرب
٥١٧	.....	الآيه [سوره إبراهيم (١٤): آيه ١٨]
٥١٧	.....	اشاره
٥١٧	.....	التفسير
٥١٧	.....	اشاره
٥١٧	.....	رماد اشتدت به الريح:
٥١٨	.....	بحوث
٥١٨	.....	اشاره
٥١٨	.....	١-لماذا شتهت اعمالهم كرماد اشتدت به الريح؟ الجواب:
٥١٩	.....	٢-لماذا فرغت اعمالهم من المحتوى
٥٢٠	.....	٣-مسأله الإحباط
٥٢١	.....	٤-هل للمخترعين و المكتشفين ثواب الهى
٥٢٥	.....	الآيتان [سوره إبراهيم (١٤): الآيات ١٩ الى ٢٠]
٥٢٥	.....	اشاره
٥٢٥	.....	التفسير
٥٢٥	.....	اشاره
٥٢٥	.....	الخلق على أساس الحق:
٥٢٧	.....	الآيات [سوره إبراهيم (١٤): الآيات ٢١ الى ٢٣]
٥٢٧	.....	اشاره
٥٢٧	.....	التفسير

٥٢٧ ..... اشاره

٥٢٧ ..... المحادثه الصريحه بين الشيطان و اتباعه:

٥٢٨ ..... ملاحظات

٥٢٨ ..... اشاره

٥٢٨ ..... ١- ما هو المراد من وَ بَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا

٥٢٩ ..... ٢- ما هو المقصود من جمله لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهَدَيْنَاكُمْ

٥٢٩ ..... ٣- أوضح بيان في ذم التقليد الأعمى .

٥٣٠ ..... بحوث

٥٣٠ ..... اشاره

٥٣٠ ..... ١- جواب الشيطان الحاسم لاتباعه .

٥٣٣ ..... الآيات [سوره إبراهيم (١٤): الآيات ٢٤ الى ٢٧] .

٥٣٣ ..... اشاره

٥٣٣ ..... التفسير

٥٣٣ ..... اشاره

٥٣٣ ..... الشجره الطيبه و الشجره الخبيثه

٥٣٨ ..... بحوث

٥٣٨ ..... اشاره

٥٣٨ ..... ١- هل القصد من الآخره في الآيه هو القبر

٥٣٩ ..... ٢- دور الثبات و الاستقامه

٥٤٠ ..... ٣- الشجره الطيبه و الخبيثه في الروايات الاسلاميه

٥٤١ ..... الآيات [سوره إبراهيم (١٤): الآيات ٢٨ الى ٣٠] .

٥٤١ ..... اشاره

٥٤١ ..... التفسير

٥٤١ ..... اشاره

٥٤١ ..... نهايه كفران النعم:

٥٤٢ ..... بحوث

الآيات [سوره إبراهيم (١٤): الآيات ٣١ الى ٣٤] ..... ٥٤٥

اشاره ..... ٥٤٥

التفسير ..... ٥٤٥

اشاره ..... ٥٤٥

عظمه الإنسان من وجهه نظر القرآن: ..... ٥٤٥

بحوث ..... ٥٤٧

اشاره ..... ٥٤٧

١- الصله بالخالق و الصله بالخلق ..... ٥٤٧

٢- لماذا السرّ و العلانيه ..... ٥٤٨

٣- يوم لا بيع فيه و لا خلال ..... ٥٤٩

٤- كلّ الموجودات تحت امره الإنسان ..... ٥٤٩

٥- دائبين ..... ٥٥١

٦- هل يعطينا الله كلّ ما نطلب منه ..... ٥٥٢

٧- لماذا لا تحصي نعماءه ..... ٥٥٢

٨- أسفا.. انّ الإنسان ظلوم و كفّار ..... ٥٥٣

الآيات [سوره إبراهيم (١٤): الآيات ٣٥ الى ٤١] ..... ٥٥٤

اشاره ..... ٥٥٤

التفسير ..... ٥٥٥

اشاره ..... ٥٥٥

دعاء ابراهيم عليه السلام: ..... ٥٥٥

بحوث ..... ٥٥٧

اشاره ..... ٥٥٧

١- هل كانت مكّه فى ذلك الوقت مدينه ..... ٥٥٧

٢- أمان ارض مكّه ..... ٥٥٨

٣- دعاء ابراهيم لاجتناب عباده الأصنام ..... ٥٥٨

٤- من هم اتباع ابراهيم ..... ٥٥٩

- ٥- واد غير ذى زرع و الحرم الامن ..... ٥٦٠
- ٦- الدعوات السبعه لإبراهيم ..... ٥٦١
- اشاره ..... ٥٦١
- هل يدعو ابراهيم لأبيه ..... ٥٦٢
- الآيات [سوره إبراهيم (١٤): الآيات ٤٢ الى ٤٥] ..... ٥٦٣
- اشاره ..... ٥٦٣
- التفسير ..... ٥٦٣
- اشاره ..... ٥٦٣
- اليوم الذى تشخص فيه الأبصار ..... ٥٦٣
- بحوث ..... ٥٦٥
- اشاره ..... ٥٦٥
- ١- لماذا وجه الخطاب هنا الى الرسول الأكرم ..... ٥٦٥
- ٢- ما هو المقصود من يَوْمٌ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ ..... ٥٦٦
- ٣- لماذا لا تقبل المهله ..... ٥٦٧
- الآيات [سوره إبراهيم (١٤): الآيات ٤٦ الى ٥٢] ..... ٥٦٩
- اشاره ..... ٥٦٩
- التفسير ..... ٥٦٩
- اشاره ..... ٥٦٩
- لا فائده من مكرهم ..... ٥٦٩
- بحوث ..... ٥٧٤
- اشاره ..... ٥٧٤
- ١- تبديل الأرض غير الأرض و السماوات ..... ٥٧٤
- ٢- بدايه و ختام سوره ابراهيم ..... ٥٧٦
- ٣- التوحيد هو البدايه و النهايه ..... ٥٧٧
- حياه النبى ابراهيم عليه السلام ..... ٥٧٨
- اشاره ..... ٥٧٨

٥٧٨	ولادته و طفولته
٥٧٩	معاربته للمجاميع المختلفه من الوثنيين
٥٧٩	الجهاد المنطقي مع الوثنيين
٥٨٠	الحديث مع أزر
٥٨١	نبؤه ابراهيم عليه السلام
٥٨١	الجهاد العملي مع الوثنيين
٥٨١	الحديث مع الحاكم المنتجبرا!
٥٨٢	هجره ابراهيم
٥٨٢	المرحلة الاخيريه للرساله
٥٨٤	منزلته عليه السلام فى القرآن
٦٠٧	تعريف مركز



سرشناسه: مکارم شیرازی، ناصر، - ۱۳۰۵

عنوان و نام پدیدآور: الامثل فی تفسیر کتاب الله المنزل / تالیف ناصر مکارم شیرازی؛ [با همکاری جمعی از فضلا]

وضعیت ویراست: [ویرایش ۲]

مشخصات نشر: قم: مدرسه الامام علی بن ابی طالب(ع)، ۱۴۲۱ق. = ۱۳۷۹.

مشخصات ظاهری: ج ۲۰

شابک: ۹۶۴-۶۶۳۲-۵۳-X(دوره)؛ ۹۶۴-۶۶۳۲-۴۹-۱(ج.۱)؛ ۹۶۴-۶۶۳۲-۴۳-۲(ج.۲)؛ ۹۶۴-۶۶۳۲-۴۸-۳(ج.۳)؛ ۹۶۴-۶۶۳۲-۴۲-۴(ج.۴)؛ ۹۶۴-۶۶۳۲-۴۷-۵(ج.۵)؛ ۹۶۴-۶۶۳۲-۴۱-۶(ج.۶)؛ ۹۶۴-۶۶۳۲-۴۶-۷(ج.۷)؛ ۹۶۴-۶۶۳۲-۴۰-۸(ج.۸)؛ ۹۶۴-۶۶۳۲-۴۵-۹(ج.۹)؛ ۹۶۴-۶۶۳۲-۴۴-۱۰(ج.۱۰)؛ ۹۶۴-۶۶۳۲-۵۲-۱۱(ج.۱۱)؛ ۹۶۴-۶۶۳۲-۵۷-۱۲(ج.۱۲)؛ ۹۶۴-۶۶۳۲-۵۱-۳(ج.۱۳)؛ ۹۶۴-۶۶۳۲-۵۰-۵(ج.۱۵)

وضعیت فهرست نویسی: فهرست نویسی قبلی

یادداشت: کتاب حاضر ترجمه و تلخیص "تفسیر نمونه" است

یادداشت: کتاب حاضر در سالهای مختلف توسط ناشرین مختلف منتشر گردیده است

یادداشت: کتابنامه

موضوع: تفاسیر شیعه -- قرن ۱۴

شناسه افزوده: مدرسه الامام علی بن ابی طالب(ع)

رده بندی کنگره: BP۹۸/م ۷ ۷۰۴۴۷ ۱۳۷۹

رده بندی دیویی: ۲۹۷/۱۷۹

شماره کتابشناسی ملی: م ۷۹-۱۰۳۹۱









اشاره

الآيات [سوره هود (١١): الآيات ٦٩ الى ٧٣]

اشاره

وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامًا قَالُوا فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيدٍ (٦٩) فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكَرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ (٧٠) وَإِمْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاَهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ (٧١) قَالَتْ يَا وَيْلَتَى أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ (٧٢) قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحِمْتُ اللَّهُ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ (٧٣)

التفسير

اشاره

جانب من حياه محطم الأصنام:

و الآن جاء الدور للحديث عن جانب من حياه «ابراهيم عليه السلام» هذا البطل العظيم الذى حطم الأصنام، و ما جرى له مع قومه. طبعا كل ذلك مذکور بتفصيل اكثر فى سور اخرى من القرآن غير هذه السوره، كسوره البقره، و آل عمران، و النساء، و الانعام، و الأنبياء، و غيرها.

و هنا تذكر الآيات قسما من حياته المرتبطه بقصه «قوم لوط» و عقاب هؤلاء الجماعه الملوّثين بالآثام و العصيان، فتقول فى البدايه:

وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا

و هؤلاء الرسل - كما سيأتي من خلال الآيات التالية - هم الملائكة الذين أمروا بتدمير مدن قوم لوط، ولكنهم قبل ذلك جاؤوا إلى إبراهيم ليسلموه بلاغا يتضمن بشرى ساره.

أما عن ماهية هذه البشرى فهناك احتمالان، و لا مانع من الجمع بينهما.

الاحتمال الأول: البشرى بتولد إسماعيل و إسحاق، لأن إبراهيم عليه السلام لم يرزق ولدا بعد عمر طويل، في حين كان يتمنى ان يرزق ولدا او أولادا يحملون لواء النبوه، فإبلاغهم له بتولد إسماعيل و إسحاق بعد بشاره عظمى.

و الاحتمال الثانى: ان إبراهيم كان مستاء مما وجدته في قوم لوط من الفساد و العصيان، فحين اخبروه بأنهم أمروا بهلاكهم سرّ، و كان هذا الخبر بشرى له.

فحين جاءوا إبراهيم قالوا سلاماً فأجابهم ايضا و قال سلامٌ و رحّب بهم فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلِ حَنِيدٍ .

«العجل» فى اللغة ولد البقر و «الحنيد» معناه المشوى، و احتمال بعضهم ان ليس كل لحم مشوى يطلق عليه أنه حنيد، بل هو اللحم المشوى على الصخور الى جنب النار دون ان تصيبه النار، و هكذا ينضح شيئا فشيئا.

و يستفاد من هذه الجملة ان من آداب الضيافه ان يعجل للضيف بالطعام، خاصه إذا كان الضيف مسافرا، فإنه غالبا ما يكون متعبا و جائعا و بحاجة الى طعام، فينبغى ان يقدم له الطعام عاجلا ليخلد الى الراحة.

و ربّما يقول بعض المنتقدين: أ ليس هذا العجل كثيرا على نفر معدود من الأضياف، و لكن مع ملاحظه ان القرآن لم يذكر عدد هؤلاء الأضياف اولا، و هناك اقوال فى عددهم، فبعض يقول: كانوا ثلاثة، و بعض يقول: اربعة، و بعض يقول:

كانوا تسعه، و بعض قال: احد عشر، و يحتمل ان يكونوا اكثر من ذلك.

و ثانيا: فإن إبراهيم كان له اتباع و عمال و جيران، و هذا الأمر متعارف ان

يصنع مثل هذا عند الضيافه و يكون فوق حاجه الأضياف ليأكل منه الجميع..

و لكن حدث لإبراهيم حادث عجيب مع أضيافه عند تقديم العجل الحنيذ لهم،فقد رأهم لا يمدّون أيديهم الى الطعام،و هذا العمل كان مريباً له و جديداً عليه،فأحسّ بالاستيحاش و استغرب ذلك منهم فلَمَّا رَأَى أَيِّدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكَرَهُمْ وَ أَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً .

و من السنن و العادات القديمه التي لا تزال قائمه بين كثير من الناس الذين لهم التزام بالتقاليد الطيبه للاسلاف.هي انّ الضيف إذا تناول من طعام صاحبه (و بما اصطلح عليه:تناول من ملحّه و خبزّه)فهو لا يكتنّ له قصد سوء،و على هذا فإنّ من له قصد سوء مع احد-واقعا-يحاول ألا يأكل من طعامه«و خبزّه و ملحّه»و من هذا المنطلق شكّ ابراهيم في نيّاتهم،و أساء الظنّ بهم،و احتمل أنّهم يريدون به سوءا.

أما الرسل فإنّهم لَمَّا اطلعوا على ما في نفس ابراهيم،بادروا لرفع ما وقع في نفسه و قالوا لَا تَخَفْ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكَ قَوْمَ لُوطٍ .

و في هذه الحال كانت امرأته«ساره»واقفه هناك فضحكت كما تقول الآيه وَ امْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ .

هذا الضحك من ساره يحتمل ان يكون لأنّها كانت مستاءه من قوم لوط و فجائعهم،و اطلعها على قرب نزول العذاب عليهم كان سبباً لسرورها و ضحكها.

و هناك احتمال آخر و هو انّ الضحك كان نتيجة لتعجبها او حتى لاستيحاشها ايضاً،لانّ الضحك لا يختص بالحوادث السارّه بل يضحك الإنسان -أحياناً-من الاستياء و شدة الاستيحاش،و من أمثال العرب في هذا الصدد«شر الشدائد ما يضحك».

او انّ الضحك كان لانّ الأضياف لم يتناولوا الطعام و لم تصل أيديهم اليه



بالرغم من اعداده و تهيأته لهم.

و يحتمل ايضا أنّ ضحكها لسرورها بالبشاره بالولد. و ان كان ظاهر الآيه ينفي هذا التفسير، لأنّ البشرى بإسحاق كانت بعد ضحكها، إلا ان يقال: أنّهم بشروا ابراهيم أوّلا بالولد، و احتملت ساره ان سيكون الولد منها فتعجبت، و أنّه هل يمكن لامراه عجوز و فى هذه السن ان يكون لها ولد من زوجها؟ لذلك سألتهم بتعجب فأجابوها بالقول: نعم، و هذا الولد سيكون منك. و التأمل فى سورة الذاريات بهذا الشأن يؤكّد ذلك.

و ينبغى الالتفات هنا الى أنّ بعض المفسّرين يصرون على أنّ «ضحكت» مشتقه من «ضحك» بمعنى العاده النسائيه و هى «الحيض» و قالوا: إنّ ساره بعد ان بلغت سنّ اليأس أتها العاده فى هذه اللحظه و حاضت، و العاده الشهرية تدل على إمكان انجاب الولد، و لذلك فحين بشرت بإسحاق أمكنها ان تصدّق ذلك تماما... و هؤلاء المفسّرون استندوا فى قولهم الى لغة العرب، حيث قالوا فى هذا الصدد: ضحكت الأرنب، اى حاضت.

و لكن هذا الاحتمال مستبعد من جهات مختلفه:

أوّلا: لأنّه لم يسمع أنّ هذه «الماده» استعملت فى الإنسان بمعنى الحيض فى اللغة العربيه، و لهذا فإنّ الراغب حين يذكر هذا المعنى فى مفرداته يقول بصراحه:

انّ هذا ليس تفسير جمله فضحكت كما تصوّره بعض المفسّرين، بل معناها هو الضحك المألوف، و لكنّها حاضت و هى فى حال الضحك ايضا، و لذلك وقع الخلط بينهما.

ثانيا: إذا كانت هذه الجملة بمعنى حصول العاده النسائيه فلا ينبغى لساره ان تتعجب من البشرى بالولد «إسحاق» لأنّه -و الحال هذه- لا غرابه فى الانجاب، فى حين نستفيد من الجمل الاخرى أنّها لم تتعجب من الانجاب فحسب، بل صرخت و قالت: يَا وَيْلَتَىٰ أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَ هَذَا بَعْلَىٰ شَيْخًا .

و على كل حال فإنّ هذا الاحتمال فى الآيه يبدو بعيدا جدا.

ثمّ تضيف الآيه أنّ إسحاق سيعقبه ولد من صلبه اسمه يعقوب: فَبَشِّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ .

الواقع أنّ الملائكه بشروها بالولد و بالحفيد، فالاول إسحاق و الثانى يعقوب، و كلاهما من أنبياء الله.

و مع التفات «ساره» امراه ابراهيم الى كبر سنّها و سن زوجها فإنّها كانت آيسه من الولد بشده، فاستنكرت بصوت عال متعجبه من هذا الأمر و قالت يَا وَيْلَتَىٰ أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَ هَذَا بَعْلَىٰ شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ .

و كان الحق معها، لأنّه طبقا للآيه (٢٩) من سوره الذاريات، فإنّها كانت فى شبابها عاقرا، و حين بشرت بالولد كان عمرها - كما يقول المفسرون و تذكره التوراه فى سفر التكوين - تسعين عاما او اكثر، اما زوجها ابراهيم عليه السلام فكان عمره مائه عام او اكثر.

و هنا ينقدح سؤال و هو: لم استدلت ساره على عدم الانجاب بكبر سنّها و كبر سن زوجها، فى حين اننا نعلم أنّ النساء عاده يصبحن آيسات بعد الخمسين لانقطاع «الحيض» او «العاده» و احتمال الانجاب فى هذه المرحله بالنسبه لهنّ ضعيف، اما الرجال فقد أثبتت التجارب الطبيعه أنّهم قادرون على الانجاب لسنين أطول...؟! و الجواب على هذا السؤال واضح: فإنّ الرجال و ان كانوا قادرين على الانجاب، و لكن يضعف احتمالاه كلما طعنوا فى السنّ و لذا طبقا للآيه (٥٤) من سوره الحجر نجد ابراهيم نفسه متعجبا من هذه البشرى لكبر سنّه، أضف الى ذلك فإنّ ساره من الناحيه النفسيه لعلها لم تكن فى الانفراد بهذه المشكله (العقم) و أرادت اقحام زوجها معها.

و على كل حال فإنّ رسل الله أزالوا التعجب عنها فورا و ذكروها بنعم الله «الخارقه للعاده» عليها و على أسرتها و نجاتهم من الحوادث الجمه، فالتفتوا إليها

وَقَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحِمْتُ اللَّهُ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ (١) ... .

ذلك الربّ الذى نجى ابراهيم من مخالِب نمرود الظالم، و لم يصبه سوء و هم فى قلب النار، هو ذلك الربّ الذى نصر ابراهيم محطّم الأصنام- و هو وحيد- على جميع الطواغيت، و ألهمه القدره و الاستقامه البصيره.

و هذه الرحمه الالهيه لم تكن خاصّه بذلك اليوم فحسب، بل هى مستمره فى اهل هذا البيت، و اى بركه أعظم من وجود رسول الله محمّد صلّى الله عليه و آله و سلّم و الائمه الطاهرين عليهم السّلام فى هذه الاسره و فى هذا البيت بالذات.

و استدل بعض المفسّرين بهذه الآيه على أنّ الزوجه تعدّ من «أهل البيت» ايضا، و لا يختص هذا العنوان بالولد و الأب و الام. و هذا الاستدلال صحيح طبعا، و حتى مع غضّ النظر عن الآيه هذه، فإنّ كلمه «اهل» من حيث المحتوى تصحّ بهذا المعنى، و لكن لا مانع ابدا ان يخرج جماعه من اهل بيت النبوه من الناحيه المعنويه بسبب انحرافهم من اهل البيت «و سيأتى فريد من الإيضاح و الشرح فى هذا الصدد ان شاء الله ذيل الآيه ٣٣ من سوره الأحزاب».

و قال ملائكه الله لمزيد التأكيد على بشارتهم و كلامهم فى شأن الله إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ .

الواقع أنّ ذكر هاتين الصفتين لله تعالى على الجملة السابقه، لأنّ كلمه «حميد» تعنى من له اعمال ممدوحه و تستوجب الثناء و الحمد، و قد جاء صفه لله ليشير الى نعمه الكثيره على عباده ليحمد عليها، و اما كلمه «مجيد» فتطلق على من يهب النعم حتى قبل استحقاقها.

ترى هل من العجيب على ربّ له هذه الصفات ان يعطى مثل هذه النعمه العظيمه... اى الأبناء الصالحين لنبيه الكريم!؟

ص: ١٠

---

١-١) - أنّ جملة «رَحِمْتُ اللَّهُ وَ بَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ» يمكن ان تكون خبريه، و هى حال، كما يمكن ان تكون بمعنى الدعاء ايضا، و لكن الاحتمال الاوّل اقرب.

إشارة

فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ (٧٤) إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ (٧٥) يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرٌ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ (٧٦)

التفسير

رأينا فى الآيات السابقة ان ابراهيم عرف فورا ان أضيافه الجدد لم يكونوا افرادا خطرين او يخشى منهم، بل كانوا رسل الله على حد تعبيرهم، ليؤدوا وظيفتهم التى أمروا بها فى قوم لوط.

ولما ذهب الهلع و الخوف عن ابراهيم من أولئك الأضياف، و من ناحيه اخرى فقد بشروه بالوليد السعيد، شرع فورا بالتفكير فى قوم لوط الذين أرسل إليهم هؤلاء الرسل «الملائكة» فأخذ يجادلهم و يتحدث معهم فى أمرهم فلما ذهب عن إبراهيم الروع و جاءته البشرى يجادلنا فى قوم لوط (١).

ص: ١١

---

١ - ١) - كلمه «روع» على وزن «نوع» معناها «الخوف و الوحشه» و كلمه «روع» على وزن «نوح» معناها «الروح» او قسم منها الذى هو محل الخوف و مركزه، لمزيد الايضاح تراجع المعاجم اللغويه.

و هنا يمكن ان ينقدح هذا السؤال، و هو: لم تباحث ابراهيم عليه السّلام مع رسل الله و جادلهم فى قوم آثمين ظالمين- كقوم لوط- و قد أمروا بتدميرهم، فى حين أنّ هذا العمل لا يتناسب مع نبىّ- خاصّه إذا كان ابراهيم عليه السّلام فى عظمتة و شأنه؟ لهذا فإنّ القرآن يعقّب مباشرة فى الآيه عن شفقه ابراهيم و توكله على الله فيقول **إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ (١)**.

فى الواقع هذه الكلمات الثلاث المجمله جواب على السؤال المشار اليه آنفا. و توضيح ذلك: أنّ هذه الصفات المذكوره لإبراهيم تشير الى أنّ مجادلته كانت ممدوحه، و ذلك لأنّ ابراهيم لم يتّضح له أنّ امر العذاب صادر من قبل الله بصوره قطعيه، بل كان يحتمل أنّه لا- يزال لهم حظ فى النجاه، و يحتمل أنّهم سيرتدون عن غيرهم و يتّظنون، و من هنا فما زال هناك مجال للشفاعه لهم... فكان راغبا فى تأخير العذاب و العقاب عنهم، لأنّه كان حلّيما، و مشفقا و أوّاه و منيبا الى الله.

فما ذكره البعض من أنّ مجادله ابراهيم إذا كانت مع الله فلا معنى لها، و إذا كانت مع رسله فهم ايضا لا يستطيعون ان يفعلوا شيئا من أنفسهم، فعلى كل حال فالمجادله هذه غير صحيحه-مجانبا للصواب.

و الجواب: أنّه لا- كلام فى الحكم القطعى، أمّا لو كان الحكم غير قطعى فمع تغيير الظروف و تبدل الأوضاع يمكن تغييره، لا بدّ طريق الرجوع لا زال مفتوحا، و بتعبير آخر: فإنّ الأوامر فى هذه الحاله مشروطه لا مطلقه.

و أمّا من احتتمل أنّ المجادله كانت مع الرسل فى شأن نجاه المؤمنين، و استشهدوا على هذا القول بالآيتين (٣١) و (٣٢) من سوره العنكبوت

ص: ١٢

---

١- ١) -«الحليم» مشتق من «الحلم» و هو: الاناه و الصبر فى سبيل الوصول الى هدف مقدس، و الأوّاه فى الأصل: كثير التحسر و الآه سواء من الخوف من المسؤوليه التى يحملها او من المصائب، و المنيب من الانابه اى الرجوع.

وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ، قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا لَنَنْجِيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ .

فهذا الاحتمال غير صحيح ايضا، ولا ينسجم مع الآية التي تأتي بعدها و هي محل و تقول الآية التاليه: انّ الرسل قالوا لإبراهيم- مباشرة- ان اعرض عن اقتراحك لأن امر ربك قد تحقق و العذاب نازل لا محاله.

يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ

و التعبير «ربك» لا يدل على انّ هذا العذاب خلو من الطابع الانتقامي فحسب، بل يدل ايضا على انه علامه لتربيته العباد و إصلاح المجتمع الانساني.

و ما نقرؤه في بعض الروايات انّ ابراهيم عليه السلام قال لرسول الله: إذا كان بين هؤلاء القوم مائه مؤمن فهل يعذب المؤمنون؟ قالوا: لا. فقال: إذا كان بينهم خمسون مؤمنا؟ فقالوا: لا ايضا. قال: فإذا كان بينهم ثلاثون مؤمنا؟ قالوا: لا. قال:

فإذا كان بينهم عشرة؟ قالوا: لا. قال: فإذا كان بينهم خمسة؟ قالوا: لا. قال: فإذا كان بينهم مؤمن واحد؟ قالوا: لا. قال: فإن فيها لوطا. قالوا: نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا لَنَنْجِيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ (١) ... إلخ.

فمثل هذه الروايه لا تدل بوجه مطلق على انّ المجادله اقتصررت على هذا الكلام، بل كان ذلك منه بالنسبه الى المؤمنين، و هو شيء آخر غير مجادلته عن الكفار. و من هنا يتّضح انّ الآيات التي وردت في سوره العنكبوت لا تنافي هذا التفسير ايضا «فتدبر».

ص: ١٣

اشاره

وَ لَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سَيِّئًا بِهِمْ وَ ضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَ قَالَ هَذَا يَوْمُ عَصَائِبٍ (٧٧) وَ جَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَ مِنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَا قَوْمِ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَ لَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ (٧٨) قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتُمْ لَنَا فِي بَنَاتِكِ مِنْ حَقٍّ وَ إِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ (٧٩) قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ (٨٠)

التفسير

اشاره

قوم لوط و حياه الخزي:

مرّت في آيات من سوره الأعراف اشاره الى شىء من مصير قوم لوط، و فسّرنا ذلك في محله، و هنا يتناول القرآن الكريم -و بمناسبه ما ذكره من قصص الأنبياء و اقوامهم و بما ورد في الآيات المتقدمه عن قصه لوط و قومه- قسما آخر من حياه هؤلاء القوم المنحرفين الضالين ليتابع بيان الهدف الاصلى الا و هو سعادته المجتمع الانسانى و نجاته بأسره.

يبين القرآن الكريم في هذا الصدد أولاً... أنه لما جاءت رسلنا لوطا طار هلعاً و ضاق بهم ذرعا و أحاط به الهم من كل جانب و  
لما جاءت رسلنا لوطاً سيء بهم و ضاق بهم ذرعاً .

و قد ورد في الروايات الاسلاميه ان لوطا كان في مزرعته حيث فوجئ بعدد من الشباب الوسيمين الصباح الوجوه قادمون نحوه و  
راغبون في النزول عنده و لرغبته باستضافتهم من جهه، و لعلمه بالواقع المرير الذي سيشهده في مدينته الملوثة بالانحراف الجنسي  
من جهه أخرى، كل ذلك أوجب له الهم...

و مرت هذه المسائل على شكل أفكار و صور مرهقه في فكره، و تحدث مع نفسه و قال هذا يوم عصيب .

لاحتمال الفضيحة و التورط في مشاكل عويصه كلمه (سيئ) مشتقه من ساء، و معناها عدم الارتياح و سوء  
الحال، و «الذرع» تعني «القلب» على قول، و قال آخرون: معناها «الخلق» فعلى هذا يكون معنى ضاق بهم ذرعاً ان قلبه أصيب بتأثر  
شديد لهؤلاء الأضياف غير المدعويين في مثل هذه الظروف الصعبه.

و لكن بحسب ما ينقله «الفخر الرازي» في تفسيره عن «الازهرى» ان الذرع في هذه الموارد يعنى «الطاقه» و فى الأصل معناها الفاصله  
بين اذرع البعير أثناء سيره.

و طبيعى حين يحمل البعير اكثر من طاقته فإنه يضطر الى تقريب خطواته و تقليل الفاصله بين خطواته، و بهذه المناسبه و بالتدرج  
استعمل هذا المعنى فى عدم الارتياح و الاستثقال من الحوادث.

و يستفاد من بعض كتب اللغه ككتاب (القاموس) ان هذا التعبير أنما يستعمل فى شدة الحادته بحيث يجد الإنسان جميع الطرق  
بوجهه موصله.

و كلمه «عصيب» مشتقه من «العصب» على زنه «الكلب» و معناها ربط الشئ بالآخر و شدة شداً محكما، و حيث ان الحوادث الصعبه  
تشد الإنسان



و كأنها تسلبه راحته فيظل مبلبل الأفكار سميت «عصبيه» و تطلق العرب على الايام شديده الحر أنها عصبيه ايضا.

و على كل حال، فإن لوطا لم يجد بدا من ان يأتي بضيوفه الى البيت و يقوم بواجب الضيافه و لكنّه حدّثهم في الطريق -عده مرّات- أنّ اهل هذه المدينه منحرفون و اشرار ليكونوا على حذر منهم.

و نقرا في احدى الروايات أنّ الله سبحانه امر ملائكته ان لا يعذبوا قوم لوط حتى يعترف لوط عليهم ثلاث مرّات، و معنى ذلك أنّه حتى في تنفيذ حكم الله بالنسبه لقوم الظالمين لا بدّ من تحقيق موازين عادله في المحاكمه، و قد سمع رسل الله شهاده لوط في قومه ثلاث مرّات أثناء الطريق (١).

و ورد في بعض الروايات أنّ لوطا آخر ضيوفه كثيرا حتى حلول الليل، فلعله يستطيع ان يحفظ ماء وجهه من شرور قومه، و يقوم بواجب الضيافه دون ان يساء الى أضيافه. و لكن ما عسى ان يفعل الإنسان إذا كان عدوه داخل بيته، و كانت امره لوط امراه كافره و تساعد قومه الظالمين، و قد اطلعت على ورود هؤلاء الأضياف الى بيتها، فصعدت الى أعلى السطح و صفقت بيديها أولا، ثمّ ياشعال النار و تصاعد الدخان أعلمت جماعه من هؤلاء القوم بأنّ طعمه دسمه قد وقعت في «الشباك» (٢).

يقول القرآن الكريم في هذا الصدد وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ (٣) و كانت حياه هؤلاء القوم مسودّه و ملطخه بالعار و مِنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ فكان من حق لوط ان يضيق ذرعا يصرخ ممّا يرى من شدّه استيائه و قَالَ يَا قَوْمِ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَأَنَا مُسْتَعِدٌّ أَنْ أَرْجُوهُنَّ أَيَّاكُمْ

ص: ١٦

١-١) -مجمع البيان، في شرح الآيه آنفه الذكر.

٢-٢) -الميزان، ج ١٠، ص ٣٦٢.

٣-٣) -«يهرعون» مشتقه من الاهرع و معناها السياقه الشديده، فكأنما تسوق غريزه هؤلاء إياهم بشده الى أضيافه.

فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ

يصدقكم عن هذه الأعمال المخزیه و ينصحكم بالإقلاع عنها.

و لكن هؤلاء القوم المفسدين أجابوا لوطا بكل وقاحه و عدم حياء و قالوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَ إِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ .

و هنا وجد لوط هذا النبى العظيم نفسه محاصرا فى هذه الحادثه الميره فنادى و قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً او سند من العشيره و الاتباع و المعاهدين الأقوياء حتى أتغلب عليكم أو آوى إليّ رُكْنٍ شَدِيدٍ .

### ملاحظات

١- العبارة التى قالها لوط عند هجوم القوم على داره و أضيافه- هؤلاء بناتى هُنَّ أَطَهَرُ لَكُمْ فتزوجوهنَّ انَّ شتمت فهنَّ حلال لكم و لا تتركبوا الإثم و الذنب و قد-أثارت هذه العبارة بين المفسرين عدّه اسئله:

أولاً-هل المراد من هؤلاء بناتى بنات لوط على وجه الحقيقه و النسب؟! فى حين انَّ عدددهن-و طبقا لما ينقل التاريخ-ثلاث او اثنتان فحسب، فكيف يعرض تزويجهن على هذه الجماعه الكثيره؟! ام انَّ المراد من قوله هؤلاء بناتى بنات «القبيله» و المدينه، و عاده ينسب كبير القوم و رئيسهم بنات القبيله اليه و يطلق عليهنَّ «بناتى».

الاحتمال الثانى يبدو ضعيفا لانه خلاف الظاهر.

و الصحيح هو الاحتمال الاول، لانّ الذين هجموا على داره و أضيافه كانوا ثلّه من اهل القريه لا جميعهم فاقترح عليهم لوط ذلك الاقتراح، أضف الى ذلك انّ لوطا كان يريد ان يبدى منتهى إيثاره و توضحيته لحفظ ماء وجهه و ليقول لهم:

انى مستعد لتزويجكم من بناتى لتقلعوا عن آثامكم و تتركوا اضيافى فلعل هذا

الإيثار المنقطع النظير يردعهم و يوقظ ضمائرهم الذى غطته السيئات.

ثانيا: هل يجوز تزويج البنات المؤمنات أمثال بنات لوط من الكفار حتى يقترح عليهم لوط ذلك؟! وقد أجيب على هذا السؤال من طريقتين.

الأول: إن مثل هذا الزواج فى مذهب لوط- كما كان فى بدايه الإسلام- لم يكن محرما، و لذلك فإنّ النبى صلّى الله عليه و آله و سلّم زوّج ابنته زينب من أبى العاص قبل ان يسلم، و لكن هذا الحكم نسخ بعدئذ (١).

الثانى: إنّ المراد من قول لوط عليه السّلام كان زواجا مشروطا بالايمان، اى هؤلاء بناتى فتعالوا و آمنوا لازوجهن اياكم.

و يتّضح أنّ الاشكال على النبى لوط- من أنّه كيف يزوج بناته المطهرات من جماعه أو باش- غير صحيح، لأنّ عرضه عليهم ذلك الزواج كان مشروطا بالايمان و ليثبت منتهى علاقته بهدايتهم.

٢- ينبغى الالتفات الى أنّ كلمه «اطهر» لا- تعنى بمفهومها أنّ عملهم المخزى و السىء كان «طاهرا» و لكن الزواج من البنات «اطهر»، بل هو تعبير شائع فى لسان العرب- و لغات اخرى- فى المفاضله و المقايسه بين أمرين، مثلا يقال لمن يسوق بسرعه رعناء «الوصول المتأخّر خير من عدم الوصول ابدأ» او «الاعراض من الطعام المشكوك أفضل من إلقاء الإنسان بيده الى التهلكه» و نقرا فى بعض الرّوايات مثلا أنّ الامام الصادق عليه السّلام حين يشعر بالخطر الشديد و «التقيّه» من خلفاء بنى العباس

يقول «و الله لئن أفطر يوما من شهر رمضان احبّ الّى من أن تضرب عنقى» (٢).

مع أنّه لا القتل محبوب و لا هو امر حسن بنفسه، و لا عدم الوصول ابدأ، و لا

ص: ١٨

١- ١) انظر الفخر الرازى فى تفسيره الكبير، و تفسير مجمع البيان فى هذا الصدد.

٢- ٢) وسائل الشيعه، الجزء ٧، ص ٩٥، كتاب الصوم باب ٥٧.

٣- تعبير لوط أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ فى آخر كلامه مع قومه المنحرفين يكشف عن هذه الحقيقه، وهى أنّ وجود رجل -و لو رجل واحد رشيد- بين قوم ما وقبيله ما يكفى لردعهم من اعمالهم المخزيه، اى لو كان فيكم رجل عاقل ذو لبّ و رشد لَمَا قصدتم بيتى ابتغاء الاعتداء على ضيفى! هذا التعبير يوضح بجلاء اثر «الرجل الرشيد» فى قياده المجتمعات الانسانيه، و هو الواقع الذى وجدنا نماذج كثيره منه على امتداد التاريخ.

٤- من العجيب أنّ هؤلاء القوم المنحرفين الضالين قالوا للوط: مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ و هذا التعبير كاشف عن غايه الانحراف فى هذه الجماعه، اى أنّ مجتمعا منحرفا ملوثا بلغ حدّا من العمى بحيث يرى الباطل حقّا و الحقّ باطلا!! فالزواج من البنات المؤمنات الطاهرات لا يعدّ حقا عندهم، و على العكس من ذلك يعدّ الانحراف الجنسى عندهم حقّا.

انّ الاعتقاد و التطبع على الإثم و الذنب يكون فى مراحل النهائيه و الخطره عند ما يتصور أنّ اسوا الأعمال و أخزاهها هى «حق عند صاحبها» و أنّ أنقى الاستمتاع الجنسى و اطهره امر غير مشروع.

٥- و

نقرا فى حديث للإمام الصادق عليه السّلام فى تفسير الآيات المتقدمه أنّ المقصود بالقوّه هو القائم من آل محمّد صلّى الله عليه و آله و سلّم و أنّ «الركن الشديدهم أصحابه الذين عددهم (٣١٣) شخصا (١)» .

و قد تبدو هذه الزوايه عجيبه و غريبه إذ كيف يمكن الاعتقاد أنّ لوطا كان يتمنى ظهور مثل هذا الشخص مع أصحابه المشار إليهم آنفا.

و لكن التعرف على الروايات الوارده فى تفسير آيات القرآن حتى الآن يعطينا مثل هذا الدرس، و هو أنّ قانونا كليا يتجلى غالبا فى مصداقه البارز، ففى

ص: ١٩

الواقع أنّ لوطا كان يتمنى ان يجد قوما و رجالا لديهم تلك القدره و القوه الروحيه و الجسميه الكافيه لإقامه حكومه العدل الالهيه... كما هي موجوده فى اصحاب المهدي «عجل الله فرجه الشريف» الذين يشكلون حكومه عالميه حال ظهور الامام المهدي «عجل الله فرجه الشريف» و قيامه، لينهض بهم و يواجه الانحراف و الفساد فيزيله عن بكرة أبيه و يبير هؤلاء القوم الذين لا حياء لهم.

ص: ٢٠

اشاره

قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرَبْنَا بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَلا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا امْرَأَتَكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ  
إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ (٨١) فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ (٨٢)  
مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بَعِيدٍ (٨٣)

التفسير

اشاره

عاقبه الجماعه الظالمه:

و أخيرا حين شاهد الملائكه رسل الله الأضياف ما عليه لوط من العذاب النفس كشفوا «ستارا» عن اسرار عملهم و قالوا يَا لُوطُ إِنَّا  
رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ .

الطريف هنا ان ملائكه الله لم يقولوا: لن يصلنا سوء و ضرر، بل قالوا: لن يصلوا إليك يا لوط فيؤذوك و يسيئوا إليك! و هذا  
التعبير اما لانهم كانوا يحسبون انهم غير منفصلين عن لوط لانهم

أضيافه على كل حال، و هتك حرمتهم هتك لحرمة لوط. او لأنهم أرادوا ان يفهموا لوطا بأنهم رسل الله، و أنّ عدم وصول قومه إليهم بالاساءه امر مسلم به، بل حتى لوط نفسه الذى هو رجل من جنس أولئك لن يصلوا اليه بسوء، و ذلك بلطف الله و فضله.

نقرا فى الآيه (٣٧) من سوره القمر وَ لَقَدْ رَأَوْهُ عَنِ ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ وَ هَذِهِ الْآيَةُ تَدُلُّ عَلَى أَنَّ هَؤُلَاءِ الْجَمَاعَةَ الَّذِينَ أَرَادُوا السُّوءَ بِأَضْيَافِ لُوطٍ، فَقَدُوا بَصَرَهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ، فَلَمْ يَسْتَطِيعُوا الْهَجُومَ عَلَيْهِمْ. وَ نَقَرْنَا فِي بَعْضِ الرِّوَايَاتِ - أَيْضًا - أَنَّ أَحَدَ الْمَلَائِكَةِ غَشَّى وَجُوهَهُمْ بِحَفْنِهِ مِنَ التُّرَابِ فَعَمُوا جَمِيعًا.

و على كل حال، فاطلاع لوط عليه السلام على حال أضيافه و مأموريتهم نزل كالماء البارد على قلبه المحترق و احسّ بلحظه واحده ان ثقلا كبيرا من الغمّ و الحيره قد ازيل عن قلبه، و أشرقت عيناه بالسرور و البهجه، و علم أنّ مرحله الغم و الحيره أشرفت على الانتهاء، و دنا زمن السرور و النجاه من محالِب هؤلاء القوم المنحرفين المتوحشين.

ثمّ امر الأضياف لوطا-مباشره- ان يرحل هو و اهله من هذه البلده و قالوا:

فَأَسْرِبْ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ

(١)

و لكن كونوا على حذر وَ لَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَى الْوَرَاءِ إِلَّا أَمْرًا تَكُنْ إِنَّهُ مُصِيبٌ بِهَا مَا أَصَابَهُمْ لِتَخْلَفُهَا عَنْ أَمْرِ اللَّهِ وَ عَصِيَانَهُمْ مَعَ الْعَصَاةِ الظَّالِمَةِ.

و فى قوله تعالى: لَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ عند المفسرين احتمالات عديده.

الأول: لا ينظر احد الى ورائه مديرا وجهه الى الخلف.

الثانى: لا تفكروا بما تركتم خلفكم من الأموال و وسائل المعاش، أنما عليكم

ص: ٢٢

(١ - ١) «أسر» مشتق من «الاسراء» و هو المسير ليلا، و ذكر الليل فى الآيه من باب توكيد الموضوع، و القطع معناه ظلمه الليل، اشاره الى ان يتحرك و الناس نيام او مشغولون عنه بالشراب و حلك الليل ليخرج وهم فى غفله عنه.

ان تنجوا أنفسكم من الهلاك.

الثالث: لا يتخلف منكم احد عن هذه القافلة الصغيره.

الرابع: ان الأرض ستضطرب حال خروجكم و ستبدأ مقدمات العذاب فاهربوا بسرعه و لا تلتفتوا الى الوراء...

و لكن لا مانع من الجمع بين هذه الاحتمالات كلها فى الآيه (١).

و خلاصه الأمر فإن آخر ما قاله رسل الله-اى الملائكه-للو ط عليه السلام: ان العذاب سينزل قومه صباحا. و مع أول شعاع للشمس سيحين غروب حياه هؤلاء: إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ .

و نقرا فى بعض الروايات ان الملائكه حين وعدوا لوطا بنزول العذاب صباحا، سأل لوط الملائكه لشده ما لقيه من قومه مما ساءه، و جرح قلبه و ملاءه هُما و غمًا ان يعجلوا عليهم بالعذاب فى الحال فإن الأفضل الاسراع، و لكن الملائكه طمأنوه و سرّوا عنه بقولهم: أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ .

و أخيرا دنت لحظه العذاب و تصرّمت ساعات انتظار لوط التّبى عليه السلام، و كما يقول القرآن الكريم فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَ آمَطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مُنْضُودٍ .

و كلمه «سجّيل» فارسيه الأصل، و هى مركبه من «سنگ» و معناها الحجاره و «گل» و معناها الطين، فعلى هذا هى شىء صلبا كالحجاره و لا رخوا كالزهره،

ص: ٢٣

١- ١) فى قوله إِلَّا امْرَأَتَكَ هذا الاستثناء من اى جمله هو؟ للمفسرين احتمالان: «الأول» أنه يعدّ استثناء من لَا يَلْتَفِتُ مِنْكُمْ أَحَدٌ و مفهومها ان لوطا و اهله بما فيهم امرأته تحركوا للخروج من المدينه و لم يلتفت منهم احد كما أمرهم الرسل، الا امراه لوط فإنها بحكم علاقتها بقوم لوط و تأثرها على مصيرهم، وفتت لحظه و نظرت الى الوراء، و طبقا لبعض الروايات أصابها حجر من الأحجار التى كانت تهوى على المدينه فقتلت به. «الثانى» أنه استثناء من جمله فَأَسْرِبَ أَهْلِكَ فيكون معناها ان جميع اهله ذهبوا معه و لكن امرأته بقيت فى المدينه و لم يأخذها لوط معه، و لكن الاحتمال الاوّل انسب.



وَأَمَّا هِيَ بَرِزْخٌ «وَسَطٌ» بَيْنَهُمَا.

و«المنضود» من مادة «نضد» ومعناه كون الشيء مصفوفاً و موضوعاً بشكل متتابع و متراكم، أي أنّ هذا المطر كان متتابعاً سريعاً إلى درجه حتى كأنّ هذه الأحجار تتراكب بعضها فوق بعض فتكون «منضوده».

و لكن هذه الأحجار ليست أحجاراً عاديه، بل هي أحجار فيها علامات عند الله مُسَوِّمَةٌ عِنْدَ رَبِّكَ .

و لا تتصوروا أنّ هذه الأحجار مخصوصه بقوم لوط، بل وَ مَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بَبَعْدٍ .

هؤلاء القوم المنحرفون ظلموا أنفسهم و ظلموا مجتمعهم، لعبوا بمصير أمتهم كما هزئوا بالآيمان و الأخلاق الانسانيه، و كلما نصحهم نبيهم بإخلاص و حرقه قلب لم يسمعوا له و سخروا منه، و بلغت صلافتهم و عدم حيائهم حدّاً أنّهم أرادوا الاعتداء على ضيوف زعيمهم و يهتكوا حرمتهم.

هؤلاء الذين كانوا قد قلبوا كل شيء يجب ان تنقلب مدينتهم عليهم، و لا- يكفي ان يغدو عليها سافلها، بل ليمطروا بوابل من الأحجار تدمر كل شيء من «معالم الحياه» هناك و لا- يبقى منهم سوى صحراء موحشه و قبور مظلمه تحت ركام الأحجار الصغيره.

و هل أنّ الذين ينبغي معاقبتهم هم قوم لوط فحسب؟ قطعاً لا. فكل جماعه منحرفه و امه ظالمه ينتظرها مثل هذا المصير، فتاره تكون تحت وابل الأحجار، و أخرى تحت ضربات القنابل المحرقه، و حيناً تحت ضغط الاختلافات الاجتماعيه القاتله، و أخيراً فإنّ لكل شكلاً من العذاب و صورته معينه.

## ١- لم كان العذاب صباحا

؟ ملاحظه الآيات المتقدمه تثير فى ذهن القارئ هذا السؤال، و هو اى اثر للصبح فى هذا الأمر، و لم لم ينزل العذاب فى قلب الليل البهيم؟! ترى هل كان ذلك لأن الجماعه الذين هجموا على دار لوط فعموا و عادوا الى قومهم و حدثوهم بما جرى لهم، فحينئذ فكر أولئك بما حدث! و أنّ الله امهلهم الى الصباح لعلهم ينتبهون و يتوبون؟ او أنّ الله لم يرد الاغاره عليهم فى الليل، و لذلك فقد امر الملائكه ان ينتظروا حتى يحين الصباح؟! لم يرد فى كتب التفسير شىء من هذا، و لكنّ ما ذكرناه آنفا احتمالات تستحق المطالعه.

## ٢- لم قلب الله عاليها سافلها

؟ قلنا: إنّ العذاب ينبغى ان يتناسب مع الإثم، و حيث أنّ هؤلاء القوم قلبوا كل شىء عن طريق الانحراف الجنسى فإنّ الله جعل مدنهم عاليها سافلها ايضا، و حيث كانوا دائما يتقاذفون بالكلمات البذيئه فيما بينهم، فإنّ الله امطرهم بحجاره لتتهاوى على رؤوسهم ايضا.

## ٣- لماذا الوابل من الأحجار

؟! و هل كان امطارهم بالأحجار الصغيره قبل انقلاب المدن، او كان مقترنا و مترامنا معها، او بعدها؟! هناك اقوال بين المفسرين، و الآيات القرآنيه لم تصرّح بشىء فى هذا الشأن ايضا، لأنّ الجمله عطفت بالواو، و هى لمطلق العطف و لا استفاد منها الترتيب.

و لكن بعض المفسرين-كصاحب المنار-يعتقد أنّ مطر الأحجار اّمّا ان يكون قبل ان يقلب عاليها سافلها، او مقترن مع القلب، و ذلك لينال بعض الافراد الذين التجأوا الى زاويه او معزل و لم يدفنوا تحت الانقراض جزاءهم العادل و لا- تبقى لهم فرصه للهروب.

و الروايه التى تقول: أنّ امراه لوط حين سمعت الصوت و التفتت لترى ما حدث أصابها حجر فى الحال فقتلها، هذه الروايه تدل على أنّ الأمرين «القلب و وابل المطر» حدثا مقترنين.

و لكن لو تجاوزنا عن ذلك فما يمنع ان يكون وابل الأحجار-لتشديد العذاب-بعد قلب المدن عاليها سافلها، لتتوارى أرضهم و تنمحي آثارها تماما.

#### ٤- لماذا العلامه المتميزه

؟! قلنا: أنّ جملة مَسْؤَمَه عِنْدَ رَبِّكَ تفهمنا هذه المسأله الدقيقه، و هى أنّ هذه الأحجار كانت ذوات علائم خاصه و مميزه عند الله سبحانه... و لكن كيف كانت علاماتها؟ هناك اقوال بين المفسرين... فقال بعضهم: كان فى هذه الأحجار علامات تدل على أنّها ليست كسائر الأحجار «العاديه» بل هى خاصه لنزول العذاب الالهى لئلا تختلط مع سقوط الأحجار الاخرى، و لذا قال آخرون: أنّ هذه الأحجار لم يكن لها شبهه مع أحجار الأرض بل تدل مشاهده وضعها على أنّها أحجار سماويه نزلت الى الكره الارضيه من خارجها.

و قال آخرون: هى علامات فى علم الله، أنّ كل حجر منها يصيب شخصا بعلامته او يستهدف نقطه معينه، و هى اشاره الى دقه الحساب فى عقاب الله و جزائه بحيث يعلم اى شخص يصيبه اى حجرا و ليس المسأله اعتباطيه.

يعدّ الميل الجنسي الى المماثل «سواء وقع ذلك بين الرجال او بين النساء» من الذنوب الكبيره فى الإسلام، وقد جعل الإسلام لكل من الحالتين حداً شرعياً.

فالحّدّ الشرعى فى «اللواط» هو القتل فاعلاماً كان الرجل ام مفعولاً. وهناك طرق مبيّنه لهذا القتل فى الفقه الاسلامى، و يجب ان يعوّل على طرق معتبره و قطعيه لاثبات هذا الذنب وردت فى الفقه الاسلامى و روايات المعصومين فى هذا المجال. فلا يكفى لاقامه الحد الشرعى -و هو القتل هنا- حتى اقرار المذنب على نفسه ثلاث مرات، بل يجب ان يقرّ على نفسه اربع مرات على الأقل.

و اما الحدّ على المراه فى عمليه المساحقه فيكون بعد الإقرار بالذنب على نفسها اربع مرات، او شهاده اربعة شهود «و بالشرائط المذكوره فى الفقه» مائه جلده، و قال بعض الفقهاء، إذا كانت المراه التى تقوم بهذا العمل الشنيع ذات بعل فحدّها القتل.

و اقامه هذه الحدود لها شرائط دقيقه ذكرت فى كتب الفقه الاسلامى.

و الروايات التى تدم الميل الجنسي الى المماثل و المنقوله عن قاده الإسلام كثيره و مذهله و المطالع لهذه الروايات يحسّ أنّ قبح هذا الذنب ليس له مثل بين الذنوب.

نقرا مثلاً من هذه الروايات

روايه عن الرسول الأعمم صلّى الله عليه و آله و سلّم أنّه قال: «لَمّا عمل قوم لوط ما عملوا بكت الأرض الى ربّها حتى بلغت دموعها السّماء، و بكت السّماء حتى بلغت دموعها العرش، فأوحى الله الى السّماء ان احصيههم و اوحى الى الأرض ان اخسفى بهم» (١).

و نقرا

فى حديث للإمام الصادق أنّ النّبى صلّى الله عليه و آله و سلّم قال: «من جامع غلاماً جاء

ص: ٢٧

يوم القيامة جنبا لا ينقيه ماء الدنيا، و غضب الله عليه و لعنه و اعدّ له جهنم و ساءت مصيرا. ثم قال: ان الذكر يركب الذكر فيهتز العرش لذلك» (١).

و نقرا

في حديث للإمام الصادق عليه السلام «...و العامل على هذا من الرجال إذا بلغ أربعين سنه لم يتركه، و هم بقيه سدوم. أما اني لست اعنى بهم أنهم بقيتهم أنهم ولداهم، و لكنهم من طينتهم، قال: قلت: سدوم التي قلبت، قال: هي اربع مدائن «سدوم و صريم و الدما و غميرا»... او [ولدنا و عمورا]

إلخ..... (٢).

و نقرا

في روايه اخرى عن الامام امير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «سمعت رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم يقول: لعن الله المتشبهين من الرجال بالنساء و المتشبهات من النساء بالرجال» (٣).

### فلسفه تحريم الميول الجنسيه لامثالها

بالرغم من أن العالم الغربي ملئ بالانحرافات الجنسيه، و أن هذه الأعمال السيئه قد باتت متعارفه بحيث سمع أن بعض الدول كبريطانيا و طبقا لقانون صدر بكل وقاحه من المجلس النيابي «البرلمان» فيها يجوز هذا الموضوع «اللواط او السحاق» و لكن شيوع هذه المنكرات لا يخفف من قبحها و من مفسادها الاخلاقيه و الاجتماعيه و النفسيه.

بعض اتباع المذاهب الماديه الذين تلوثوا بمثل هذه المنكرات يقولون: نحن لا نجد محذورا طبييا في هذا الأمر.

و لكنهم لم يلتفتوا لى أن كل انحراف جنسى له اثره السلبي في روحه الإنسان و بنائه النفسى يفقده توازنه.

ص: ٢٨

١-١) وسائل الشيعة، ج ١٤، ص ٢٤٩.

٢-٢) وسائل الشيعة، ج ١٤، ص ٢٥٣.

٣-٣) وسائل الشيعة، ج ١٤، ص ٢٥٥.

توضيح ذلك، أنّ الإنسان الطبيعي و السليم يميل الى المخالف من جنسه،اي أنّ الرجل يميل الى المراه،و المراه تميل الى الرجل،و هذا الميل من اشدّ الغرائز المتجذره فيه،و الضامن لبقاء نسله،فأى عمل يؤدّى الى تحوير هذا الميل الطبيعي عن مساره فسيوجد نوعا من المرض و الانحراف النفسى فى الإنسان.

فالرجل الذى يميل الى نظيره من جنسه،ليس رجلا كاملا،و قد عدّ هذا الانحراف فى كتب الأمور الجنسيه «هموسكو اليسيم»اي الميل الجنسي للمماثل من أهم الانحرافات.

و الاستمرار على هذا العمل و ادامته يमित فى الفرد الميل الجنسي الى المخالف.و الشخص الذى يسلم نفسه لممارسه هذا العمل معه يشعر شيئا فشيئا «باحساسات المراه»و يورث هذا العمل الطرفين «الفاعل و المفعول»ضعفا مفرطا فى الجنس حتى أنه لا يستطيع بعد مدّه على المعاشره الطبيعیه مع جنسه المخالف.

و مع ملاحظه أنّ الإحساسات الجنسيه [بالنسبه للرجل و المراه]

لها تأثيرها فى أعضاء بدن كل منهما،كما أنّ لها تأثيرها على روحيه كلّ منهما و أخلاقه.

تتضح أنّ فقدان الإحساسات الطبيعیه الى اى درجه سيؤثر على روح الإنسان و جسمه حتى انه من الممكن ان يبتلى الافراد هؤلاء بالضعف الجنسي الذى يؤدّى الى عدم القدره على الانجاب و التوليد.

و هؤلاء الأشخاص -غالبا- ليسوا أصحابا من الناحيه النفسيه،و يحسون فى داخلهم أنّهم غرباء عن أنفسهم و غرباء عن مجتمعهم...و يفقدون بالتدريج القدره على الاراده التى هى أساس لكم نجاح و شرط من شروطه،و يتكرس فى روحهم نوع من الاضطراب و القلق.

و إذا لم يصمموا على إصلاح أنفسهم فورا،و لم يستعينوا عند الضروره و الحاجه بالطبيب النفسى او الطبيب الجسمى فسيغدو هذا العمل عندهم عاده

يصعب تركها، فمن و على كل حال، فإنّ اى وقت لترك هذا العمل القبيح لا يعدّ خارجا عن أوانه، بل لا بدّ من التصميم الجاد.

ولا ريب أنّ الحيره و الاضطراب النفسى قد يجزّ هؤلاء الى استعمال المواد المخدره و المشروبات الكحوليه، كما يجزّهم الى انحرافات أخلاقية اخرى، و هذا بنفسه شقاء عظيم.

الطريف أنّنا نقرا فى الروايات الاسلاميه عباره موجزه و ذات معنى كبير تشير الى هذه المفاسد، و من هذه الروايات ما

نقل عن الامام الصادق عليه السّلام أنّ رجلا سأله: لم حرّم الله اللواط؟ فقال سلام الله عليه: «من اجل أنّه لو كان إتيان الغلام حلالا لاستغنى الرجال عن النساء و كان فيه قطع النسل و تعطيل الفروج و كان فى اجازة ذلك فساد كبير» (١).

و ما يجدر ذكره أنّ احد العقوبات الشرعيه لهذا العمل أنّ الإسلام حرم الزواج من اخت المفعول و امّه و بنته على الفاعل، اى إذا تحقق اللواط قبل الزواج فعندئذ يحرم الزواج منهم حرمة مؤبده.

و آخر ما ينبغى التذكير به هنا من المسائل الدقيقه، ان جرّ الافراد الى مثل هذا الانحراف الجنسى له اسباب و علل مختلفه، حتى من ضمنها أحيانا طريقه التعامل و المعاشرة من قبل الوالدين مع ابنائهما، او الغفله عنهم و عدم مراقبه من معهم من بنى جنسهم، و طريقه معاشرتهم و منامهم معا فى بيت واحد، كل ذلك له اثره الفاعل فى هذا التلوّث و الانحراف.

نحن نقرا فى احوال قوم لوط أنّ سبب انحرافهم و تلوّثهم بهذا الذنب أنّهم كانوا قوما بخلاء، و لمّا كانت مدنهم على قارعه الطريق التى تمرّ بها قوافل الشام و لم يكونوا ليرغبوا فى استضافه العابرين من المسافرين، كانوا يوحون إليهم بدايه الأمر أنّهم يريدون ان يعتدوا عليهم جنسيا ليفرّ منهم الضيوف و المسافرون،

ص: ٣٠

و لكنّ هذا العمل أصبح بالتدريج مألوفاً عندهم و نما عندهم الانحراف الجنسي و بلغ عملهم حدّاً أنّهم تلوّثوا بالآثام من قرنهم الى قدمهم (١).

و ربّما جرّ المزاح غير المناسب بين الذكور او بين الإناث الى هذا الانحراف، فعلى كل حال، ينبغي ملاحظه هذه المسائل بدقه انقاذ المنحرفين و الملوّثين بهذا الذنب بسرعه، و يطلب من الله التوفيق في هذا السبيل.

### أخلاق قوم لوط:

و نقرا في الروايات و التواريخ الاسلاميه اعمالا سيئه كانت عند قوم لوط سوى الانحراف الجنسي المشار اليه، و من هذه الأعمال ما ورد في «سفينه البحار» حيث نقرا ما يلي:

...قبل كانت مجالسهم، تشتمل على انواع المناكير مثل الشتم و السخف و الصفع و القمار و ضرب المخراق و خذف الأحجار على من مرّ بهم، و ضرب المعازف و المزامير و كشف العورات (٢).

و واضح أنّ الانحراف في مثل هذه البيئه و اعمال السوء تأخذ ابعادا جديده كل يوم، و بغض النظر عن قبح الأعمال السيئه- أساسا- تبلغ الحال درجه لا يرى عندها اي عمل في نظر تلك البيئه سيئا او منكرا.

و يوجد في عصر تقدم العلوم من هم أشقى من قوم لوط حيث يسلكون نفس ذلك السبيل و قد تصل اعمال هؤلاء المخزيه الى درجه ننسى عندها اعمال قوم لوط...

ص: ٣١

١-١) البحار، ج ١٢، ص ١٤٧.

٢-٢) سفينه البحار، ص ٥١٧.



اشاره

وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَاكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ (٨٤) وَإِلَىٰ قَوْمٍ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ (٨٥) بَقِيَّتُ اللَّهُ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ (٨٦)

التفسير

اشاره

مدين بلده شعيب...

مع انتهاء قصه قوم لوط تصل النوبه الى قوم شعيب و اهل مدين، أولئك الذين حادوا عن طريق التوحيد و هاموا على وجوههم في شركهم و عباده الأصنام، و لم يعبدوا الأصنام فحسب، بل الدرهم و الدينار و الثروه و المال، و من اجل ذلك فإنهم لوثوا تجارتهم الربحه و كسبهم الوفير بالغش و البخس و الفساد.

في بدايه القصه تقول الآيات وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا و كلمه «أخاهم» كما أشرنا إليها سابقا تستعمل في مثل هذا التعبير لبيان منتهى المحبه من قبل

الأنبياء لقومهم، لا- لأنهم افراد قبيلته و قومه فحسب، بل اضافه الى ذلك فإنه يريد الخير لهم. و يتحرق قلبه عليهم، فمثله مثل الأخ الودود.

و«مدين» على وزن «مريم» اسم لمدينه شعيب و قبيلته، و تقع المدينه شرق خليج العقبه، و أهلها من أبناء إسماعيل، و كانوا يتاجرون مع اهل مصر و لبنان و فلسطين.

و يطلق اليوم على مدينه «مدين» اسم «معان» و لكن بعض الجغرافيين أطلقوا اسم مدين على الساكنين بين خليج العقبه و جبل سيناء. و ورد فى التوراه ايضا اسم «مديان» و لكن تسميه لبعض القبائل، و طبيعى ان اطلاق الاسم على المدينه و أهلها امر رائج (1).

هذا النبى و هذا الأخ الودود المشفق على قومه- كأي نبى فى أسلوبه و طريقته فى بدايه الدعوه- دعاهم أولا الى ما هو الأساس و العماد و المعتقد و هو «التوحيد» و قال: يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ .

لأن الدعوه الى التوحيد دعوه الى هزيمه جميع «الطواغيت» و السنن الجاهليه و لا يتيسر اى إصلاح اجتماعى او اخلاقى بدونه.

ثم أشار الى احد المفاسد الاقتصاديه التى هى من افرازات عباده الأصنام و الشرك، و كانت رائجه عند اهل مدين يومئذ جدًا، و قال: وَلَا تَتَّقُوا الْمَكِّيَالَ اى حال البيع و الشراء.

و«المكيال» و«الميزان» من أدوات الوزن يعرف بهما وزن المبيع و مقداره، و نقصانه يعنى عدم إيفاء حقوق الناس و البخس فى البيع.

و رواج هذين الأمرين بينهم يدل على عدم النظم و الحساب و الميزان فى اعمالهم و نموذجًا للظلم و الجور و الإجحاف فى ذلك المجتمع الثرى.

و يشير هذا النبى العظيم بعد هذا الأمر الى علتين:

ص: ٣٣

العلة الاولى:هى قوله إِنِّي أَرَاكُمْ بِخَيْرٍ .

يقول اولاً:انّ قبول نصحي يكون سبباً لفتح أبواب الخير عليكم و تقديم التجاره و هبوط سطح القيمه و استقرار المجتمع.

و يحتمل ايضا فى تفسير هذه الجملة إِنِّي أَرَاكُمْ بِخَيْرٍ انّ شعيباً يقول لهم:

اننى اراكم منعمين و فى خير كثير،فعلى هذا لا مدعاه لعباده الأصنام و اضاعه حقوق الناس و الكفر بدلا من الشكر على نعم الله سبحانه.

و ثانياً: وَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ بسبب إصراركم على الشرك و التطفيف فى الوزن و كفران النعمه...إلخ.

و كلمه «محيط»جاءت صفه ليوم،اي يوم شامل ذو احاطه،و شمول اليوم يعنى شمول العذاب و العقاب فى ذلك اليوم،و هذا التعبير فيه اشاره الى عذاب الآخره كما يشير الى عقاب الدنيا الشامل.

فعلى هذا لا أنتم بحاجة الى مثل هذه الأعمال،و لا ربّكم غافل عنكم، فينبغى إصلاح أنفسكم عاجلاً.

و الآيه الاخرى تؤكّد على نظامهم الاقتصادى،فإذا كان شعيب قد نهى قومه عن قله البيع و البخس فى المكيال،فهنا يدعوهم الى إيفاء الحقوق و العدل و القسط حيث يقول: وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ .

و يجب ان يحكم هذا الأصل«و هو اقامه القسط و العدل،و إعطاء كل ذى حقّ حقه»على مجتمعكم بأسره.

ثمّ يخطو خطوه أوسع و يقول: وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ و«البخس» و معناه فى اللغه التقليل،و جاء هنا بمعنى الظلم ايضا.و يطلق على الاراضى المزروعه دون سقى«أنها بخس»لأنّ ماءها قليل،حيث تعتمد على ماء المطر فحسب،او انّ هذه الاراضى قليله الانتاج بالنسبه الى الاراضى الزراعيه الاخرى.

و إذا توسعنا فى معنى هذه الكلمه و مفهوم الجمله وجدناها دعوه الى رعايه جميع الحقوق الفرديه و الاجتماعيه و لجميع الممل و النحل، و يظهر «بخس الحق» فى كل محيط و عصر و زمان بشكل معين حتى بالمساعده دون عوض أحيانا، و التعاون و إعطاء قرض معين (كما هى طريقه المستعمرين فى عصرنا).

و نجد فى نهايه الآيه أنّ شعبيا يخطو خطوه اخرى أوسع و يقول لقومه: **وَ لَا تَعْتَوُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ .**

فالفساد يقع عن طريق البيع و يقع عن طريق غضب حقوق الناس و الاعتداء على حقوق الآخرين، و الفساد ايضا يقع فى الإخلال بالموازين و المقاييس الاجتماعيه، و يقع ايضا ببخس الناس أشياءهم و أموالهم، و أخيرا يقع الفساد على الحثيات بالاعتداء على حرمتها و على النواميس و أرواح الناس.

و جملته «لا تعثوا» معناها «لا تفسدوا» بدلاله ذكر مفسدين بعدها لمزيد التوكيد على هذا الموضوع.

انّ الآيتين المتقدمتين تعكسان هذه الواقعيه بجلاء، و هى أنّه بعد الاعتقاد بالتوحيد و النظر الفكرى الصحيح، ينظر الى الاقتصاد السليم بأهميه خاصه، كما تدلّان على أنّ الإخلال بالنظام الاقتصادى سيكون أساسا للفساد الواسع فى المجتمع.

ثمّ يخبرهم أنّ زياده الثروه-التي تصل الى أيديكم عن طريق الظلم و استثمار الآخرين-ليست هى السبب فى غناكم، بل ما يغنيكم هو بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ .

التعبير ب «بَقِيَّتُ اللَّهِ» أمّا لأنّ الربح الحلال القليل المترشح عن امر الله فهو «بَقِيَّتُ اللَّهِ» و أمّا لأنّ الحصول على الرزق الحلال باعث على دوام نعم الله و بقاء البركات ... و أمّا لأنّه يشير الى الجزاء و الثواب المعنوى الذى يبقى الى الأبد. فإنّ الدنيا فانيه و ما فيها لا محاله فان، و تشير الآيه (٤٦) من سوره الكهف: **وَ الْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَ خَيْرٌ أَمْلًا** الى هذا المضمون ايضا. و التعبير

بقوله: **إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ** اشاره الى ان هذه الواقعيه لا يعرفها الا المؤمنون بالله و حكمته و فلسفه أو امره.

□  
و نقرا فى روايات متعدده فى تفسير **بَقِيَّتُ اللَّهِ** ان المراد بها وجود المهدي عجل الله فرجه الشريف، او بعض الائمه الآخرين، و من هذه الروايات ما

نقل عن الامام الباقر عليه السلام فى كتاب إكمال الدين:

□  
«أول ما ينطق به القائم عليه السلام حين يخرج هذه الآية **بَقِيَّتُ اللَّهِ** خَيْرٌ لَكُمْ **إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ** ثم يقول: انا بقيه الله و حجته و خليفته عليكم، فلا يسلم عليه مسلم الا قال: السلام عليك يا بقيه الله فى ارضه» (1).

و قد قلنا مرارا ان آيات القرآن بالرغم من نزولها فى موارد خاصه، الا انها تحمل مفاهيم جامعه و كلييه، بحيث يمكن ان تكون اثر مصداقا فى العصور و القرون التاليه و تنطبق على مجال أوسع ايضا.

□  
صحيح ان المخاطبين فى الآية المتقدمه هم قوم شعيب، و المراد من **بَقِيَّتُ اللَّهِ** هو الربح و داس المال الحلال او الثواب الالهى، الا ان كل موجود نافع باق من قبل الله للبشريه، و يكون أساس سعادتها و خيرها يعد **«بَقِيَّتُ اللَّهِ»** ايضا.

□  
فجميع أنبياء الله و رسله المكرمين هم **«بَقِيَّتُ اللَّهِ»** و جميع القاده الحق الذين يتقون بعد الجهاد المرير فى وجه الأعداء فوجودهم فى الامه يعد **«بَقِيَّتُ اللَّهِ»** و كذلك الجنود المقاتلون إذا عادوا الى ذويهم من ميدان القتال بعد انتصاهم على الأعداء فهم **«بَقِيَّتُ اللَّهِ»** و من هنا فإن **«المهدي الموعود»** عليه السلام آخر امام و أعظم قائد ثورى بعد النبى صلى الله عليه و آله و سلم من اجلى مصاديق **«بَقِيَّتُ اللَّهِ»** و هو أجدر من سواه بهذا اللقب، خاصه انه الوحيد الذى بقى بعد الأنبياء و الائمه عليهم السلام.

و فى نهايه الآية-محل البحث-نقرا على لسان شعيب و ما **أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ** إذ وظيفته هى البلاغ و ليس مسئولا على «إجبار» احد ابدا.

ص: ٣٦

١-١) نقلا عن تفسير الصافى، فى شرح المتقدمه.

اشاره

قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصِ لَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ (٨٧) قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَيَّ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّي وَرَزَقْنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسِينًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَيَّ مَا أَنْتُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتِطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ (٨٨) وَيَا قَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ (٨٩) وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ (٩٠)

التفسير

اشاره

المنطق الواهي:

و الآن فلنر ما كان ردّ القوم اللجوجين إزاء نداء هذا المصلح السماوي «شعيب».

فبما أنّهم كانوا يتصورون أنّ عبادة الأصنام من آثار سلفهم الصالح، ودلاله على أصله ثقافتهم، وكانوا لا يرفعون اليد عن الغش في المعامله و تحقيق الربح الوفير عن هذا الطريق قالوا يا شعيب أ صيلا تكت تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا و نترك حريتنا في التصرف بأموالنا فلا نستطيع الاستفادة منها أو أن نفعّل في أموالنا ما نشؤا ان هذا بعيد منك إنك لآنت الحليم الرشيء!؟ و هنا ينقدح هذا السؤال و هم لم سألوه عن الصلاه و أظهروا اهتمامهم بها؟! قال بعض المفسرين: كان ذلك لأن شعيبا كان يكثر من صلاته و يقول للناس:

انّ الصلاه تنهى صاحبها عن الفحشاء و المنكرات.

و لكن هؤلاء الأغبياء الذين لم يعرفوا السرّ و العلقه بين الصلاه و ترك المنكرات، كانوا يسخرون من شعيب و كانوا يقولون له: أ هذه الاذكار و الأوراد و الحركات التي تقوم بها تأمرك ان نترك ما يعبد آباؤنا و نهمل سنّه السلف و ثقافتنا التقليديه او ان نسلب اختيارنا من التصرف بأموالنا كيف شئنا؟! و احتمال البعض انّ «الصلاه» اشاره الى العقيدة و الدين، لأنها عباره عن المظهر البارز للدين.

و على كل حال لو كان أولئك يفكرون جيدا لادركوا هذا الأمر الواقعي و هو انّ الصلاه توقظ في الإنسان الاحساس بالمسئوليه و التقوى و مخافه الله و معرفه الحقوق، و تذكره بالله و بمحكمه عدل الله، و تنفض عن قلبه غبار حبّ الذات و عباده الذات! و تصرفه عن هذه الدنيا المحدوده و الملوّثه الى عالم ما وراء الطبيعه، الى عالم الصالحات و تركيه النفس، و لذلك فهي تخلصه من الشرك و عباده الأصنام و التقليد الأعمى للسلف الجاهل و بخس الناس أشياءهم، و عن انواع الغش و الخداع... إلخ.

كما ينقدح هنا سؤال آخر، و هو: انّ قولهم لشعيب إنك لآنت الحليم

هل كان كلاما واقعيا من منطلق الايمان به، ام هو على سبيل الاستهزاء والسخرية؟! احتمال المفسّرون الوجهين و لكن مع ملاحظه أسلوب سؤالهم أَ صِدِّقَاتُكَ تَأْمُرُكَ الَّذِي يَسْتَبْطِنُ الاستهزاء، يظهر أنّ هذه الجملة على نحو الاستهزاء، وهي اشارة الى أنّ الإنسان الحليم الرشيد هو من لم يتعجل القول او الراى فى امر دون ان يسبر غوره و يعرف كنهه، و الإنسان العاقل الرشيد هو من لم يسحق سنن قومه تحت رجليه و يسلب حريتهم فى التصرف بأموالهم، فيظهر أنّك لم تسبر غور الأمور و ليس لديك عقل حصيف و فكر عميق، لأنّ الفكر العميق و العقل يوجبان على الإنسان ألا يرفع يده عن طريقه السلف، و لا يسلب من الآخرين الاختيار و حريه العمل.

و لكن شعيبا ردّ على من اتّهمه بالسفه و قلّه العقل بكلام متين و قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيْتِهِ مِنْ رَبِّي وَ رَزَقْنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا (١).

أنّه يريد ان يفهم قومه أنّ فى عمله هذا هدفا معنويا و انسانيا و تربويا، و أنّه يعرف حقائق لا يعرفها قومه، و الإنسان دائما عدو ما جهل.

و من الطريف أنّه فى هذه الآيات يكرر عباره يَا قَوْمِ و ذلك ليعبئ عواطفهم لقبول الحق و ليشعرهم بأنهم منه و أنّه منهم، سواء أ كان المقصود بالقوم القبيله او الطائفة او الجماعة او الاسره، ام كان المقصود الجماعة التى كان يعيش وسطهم و يعدّ جزءا منهم.

ثمّ يضيف هذا النبى العظيم قائلا: وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْتُمْ كُفْرًا عَنْهُ فَلَا تَتَصَوَّرُوا أَنِّي أَخُولُ لَكُمْ لَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَتَنَصَّوْا الْمِكْيَالَ، و انا ابخس الناس او انقص المكيال، او أقول لكم لا تعبدوا الأوثان و انا افعل

ص: ٣٩

١- ١) ينبغى الالتفات الى أنّ جزء الجملة الشرطيه محذوف هنا و تقديره هكذا، فأعدل مع ذلك عمّا انا عليه من عبادته و تبليغ دينه.



ذلك كله، كلا فإنني لا أفعل شيئا من ذلك أبدا.

و يستفاد من هذه الجملة أنهم كانوا يتهمون شعيبا بأنه كان يريد الربح لنفسه، و لهذا فهو ينفي هذا الموضوع صراحة و يقول تعقيبا على ما سبق إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت .

و هذا هو هدف الأنبياء جميعا، حيث كانوا يسعون إلى إصلاح العقيدة، و إصلاح الأخلاق، و إصلاح العمل، و إصلاح العلاقات و الروابط الاجتماعية و انظمتها و ما توفيقى إلا بالله للوصول إلى هذا الهدف.

و على هذا فإنني، و لأجل أداء رسالتي و الوصول إلى هذا الهدف الكبير عليه تَوَكَّلْتُ وَ إِلَيْهِ أُنِيبُ .

و أسعى للاستعانة به على حل المشاكل، و أتوكل عليه في تحمّل الشدائد في هذا الطريق، و أعود إليه أيضا.

ثم ينيهم إلى مسأله أخلاقية، و هى أنه كثيرا ما يحدث للإنسان أنه لا يعرف مصالحه و ينسى مصيره، و ذلك بسبب بغضه و عداته بالنسبه لشخص آخر او التعصب الأعمى و اللجاجه فى شىء ما، فيقول لهم و يَا قَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي فَتَبَتَلُوا بِمَا ابْتَلَى بِهِ غَيْرِكُمْ و أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ و ما حدث لقوم لوط من البلاء العظيم حيث امطرهم الله بحجاره من سجيل منضود و قلب مدنهم فجعل عاليها سافلها و مَا قَوْمٌ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ فلا زمانهم بعيد عنكم كثيرا، و لا مكان حياتهم، كما ان اعمالكم و ذنوبكم لا تقل عن اعمالهم و ذنوبهم أيضا.

و «مدین» التى كانت موطن شعيب لم تكن بعيدة عن موطن قوم لوط، لأنّ المواطنين كلاهما كانا من مناطق «الشامات» و إذا كان بينهما فاصل زمنى، فلم يكن الفاصل بالمقدار الذى يستدعى نسيان تأريخه، و اما من الناحية العمليه فالفرق كبير بين الانحراف الجنسى الذى كان عليه قوم لوط و الانحراف

الاقتصادى الذى كان عليه قوم شعيب، لكن كليهما يتشابهان فى توليد الفساد فى المجتمع و الإخلال بالنظام الاجتماعى و اماته الفضائل الخلقية و اشاعه الانحراف، و من هنا نجد فى الروايات أحيانا مقارنه الدرهم الربوى المرتبط - بالطبع - بالمسائل الاقتصادية بالزنا الذى هو تلوث جنسى (1).

ثم يأمر شعيب قومه الضالين بشيئين هما فى الواقع ما كان يؤكد عليه جميع الأنبياء المتقدمين.

الأول: قوله: وَ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ اى لتطهروا من الذنوب و تجتنبوا الشرك و عباده الأوثان و الخيانه فى المعاملات.

و الثانى: قوله: ثُمَّ تَوَبُّوا إِلَيْهِ اى ارجعوا اليه.

و الواقع ان الاستغفار توقف فى مسير الذنب و غسل النفس، و التوبه عوده الى الله الكمال المطلق.

و اعلموا انه مهما يكن الذنب عظيما و الوزر ثقيلًا فَإِنَّ طريق العوده اليه تعالى مفتوح و ذلك لآن رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ .

و كلمه «الودود» صيغه مبالغه مشتقه من الود و معناه المحبه، و ذكر هذه الكلمه بعد كلمه «رحيم» اشارة الى ان الله يلتفت بحكم رحمته الى المذنبين التائبين، بل هو اضافه الى ذلك يحبهم كثيرا لآن رحمته و محبته هما الدافع لقبول الاستغفار و توبه العباد.

ص: ٤١

---

١- ١) ينبغى ذكر هذه المسأله ايضا و هى ان جملة لا يَجْرِمَنَّكُمْ ذات احتمالين: الأول: بمعنى لا يحملنكم، ففى هذه الصوره تكون على النحو التالى لا يجر من فعل و (شقاقي) فاعله، و «كم» الضمير المتصل بالفعل مفعول به أول و أن يُصَيِّبَكُمْ مصدر مؤول مفعول ثان فيكون معنى الآية: يا قوم لا- يحملنكم شقاقي (مخالفتكم اياي) ان يصيبكم مصير كمصير قوم نوح و أمثالهم من الأقوام المذكورين. الاحتمال الثانى: ان لا- يَجْرِمَنَّكُمْ اى لا- يجرنكم الى الذنب و الا- جرام، ففى هذه الصوره تكون الجملة على النحو التالى، و «لا يجر من» فعل و «شقاقي» فاعله و «كم» مفعوله و «انى يصيبكم» نتيجه، و يكون معنى الآية كما ذكرناه فى المتن.

إشارة

قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْ لَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ (٩١) قَالَ يَا قَوْمِ أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظَهْرِيَّ إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ (٩٢) وَيَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَيَّ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَ مَنْ هُوَ كَاذِبٌ وَ ارْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ (٩٣)

التفسير

إشارة

التهديدات المتبادله بين شعيب و قومه:

إن شعيبا هذا النبي العظيم الذي لُقّب بخطيب الأنبياء (١) لخطبه المعروفه و الواضحه، و التي كانت أفضل دليل أمين للحياه الماديه و المعنويه لهذه الجماعه، و اصل محاججته لقومه بالصبر و الاناه و القلب المحترق، و لكن تعالوا لنرى كيف ردّ عليه هؤلاء القوم الضالون؟! لقد أجابوه بأربع جمل كلّها تحكى عن جهلهم و لجاجتهم:

ص: ٤٢

فأولها: أنهم قالوا: يَا شُعَيْبُ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ... فكلامك أساسا ليس فيه أول و لا آخر، و ليس فيه محتوى و لا منطق قيم لنفكر فيه و نتدبره و ليس لديك شيء نجعله ملاكا لعملنا، فلا ترهق نفسك اكثر! و امض الى قوم غيرنا...

و الثانيه: قولهم وَ إِنَّا لَكِرَّاكٌ فِينَا ضَعِيفًا فإذا كنت تتصور أنك تستطيع اثبات كلماتك غير المنطقيه بالقدره و القوه فأنت غارق في الوهم.

و الثالثه: هي أنه لا- تظن أننا نتردد في القضاء عليك بأبشع صورته خوفا منك و من بأسك، و لكن احترامنا لعشيرتك هو الذى يمنعنا من ذلك وَ لَوْ لَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ! و الطريف أنهم عبروا عن قبيله شعيب: ب«الرّهط» و هذه الكلمه تطلق فى لغه العرب على الجماعه التى مجموع أنصارها ثلاثه الى سبعة، او عشره، او على قول. و هو الحدّ الأكثر- تطلق على أربعين نفرا.

و هم يشيرون بذلك الى أنّ قبيلتك تتمتع بالقوه الكافيه مقابل قوتنا، و لكن تمنعنا امور اخرى، و هذا يشبه قول القائل: لو لا هؤلاء الاربعه من قومك و أسرتك لأعطيناك جزاءك بيدك. فى حين أنّ قومه و أسرته ليسوا بأربعه، بل المراد بيان هذه المسأله، و هي أنّهم لا اهميه لقدرتهم فى نظر القائل.

و قولهم الأ-خير: وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ فمهما كانت منزلتك فى عشيرتك، و مهما كنت كبيرا فى قبيلتك إلا أنه لا منزله لك عندنا لسلوكك المخالف و المرفوض.

و لكن شعيبا دون ان يتأثر بكلماتهم الرخيصة و اتهاماتهم الواهيه أجابهم بمنطقه العذب و بيانه الشائق متعجبا و قال: يَا قَوْمِ أَرْهَطِي أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ أفتذروني من اجل رهطى و قبيلتى التى لا- تتجاوز عدّه انفار و لا ينالنى منكم سوء، فلم لا تصغون لكلامى فى الله؟ و هل يمكن ان نقارن عدّه افراد بعظمه الله

سبحانه...و أنتم لم تهابوه و توقروه و اتخذتموه و زاءكم ظهرياً (١).

و فى الختام يقول لهم: لا تظنوا ان الله غافل عنكم او انه لا يرى اعمالكم و لا يسمع كلامكم، بل ان ربى بما تعملون محيط .

ان المتحدث البليغ هو من يستطيع ان يعرف موقفه من بين جميع المواقف الى الطرف المقابل و يشخصه من خلال احاديثه.

فحيث ان المشركين من قوم شعيب هددوه فى آخر كلامهم بالرجم، و ابرزوا قوتهم امامه، كان موقف شعيب من تهديداتهم على النحو التالى: **وَ يَا قَوْمِ اَعْمَلُوا عَلَيَّ مَا كَانَتْكُمْ (٢) اِنِّى اَمَلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ (وَ مَنْ هُوَ كَاذِبٌ) وَ اَرْتَقِبُوا اِنِّى مَعَكُمْ رَقِيبٌ (٣).** اى انتظروا لتتصروا على بقواكم و جماعتكم و اموالكم، و انا منتظر ايضا ان يصيبكم الله بعذابه و يهلككم جميعا.

ص: ٤٤

١ - ١) هناك فى اللغة العربيه أسلوب يستعمل عند عدم الاعتناء بشىء ما و ذلك على نحو الكنايه فيقال مثلاً «جعلته تحت قدمي» او يقال مثلاً «جعلته دبر اذني» او «جعلته وراء ظهري» او «جعلته ظهرياً» و «الظهر» على زنه «قهر»، و الياء بعده ياء النسبه و انما كسرت الظاء فذلك لما يطرأ على الاسم المنسوب من تغيرات.

٢ - ٢) المكانه: مصدر او اسم مصدر و معناه القدره على الشىء.

٣ - ٣) الرقيب: معناه الحافظ و المراقب و هو مشتق فى الأصل من الرقبه و انما سمي بذلك لانه يكون حافظاً على رقبه شخص ما «كنايه عن انه مراقب على روحه» او يحرك الرقبه ليؤدى دور الرقابه و الحفظ.

اشاره

وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ (٩٤) كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلَا بُعْدًا لِّمَدِينٍ كَمَا بَعَدَتْ ثَمُودُ (٩٥)

التفسير

اشاره

عاقبه المفسدين في مدين:

قرانا في قصص الأقسام السابقين مرارا، ان الأنبياء كانوا في المرحلة الاولى يدعونهم الى الله و لم يألوا جهدا في النصيحة و الإبلاغ و بيان الحجّة، و في المرحلة التي بعدها حيث لم ينفع النصح للجماعه ينذرها نبيها و يخوّفها من عذاب الله، ليعود الى طريق الحق من فيه الاستعداد و لتتم الحجّة عليهم، و في المرحلة الثالثة، و بعد ان لم يغن اي شىء مّمّا سبق-تبدا مرحلة التصفيه و تطهير الأرض، و ينزل العقاب فيزيل الأشواك من الطريق.

و في شأن قوم شعيب-اي اهل مدين-وصل الأمر الى المرحلة النهائيه ايضا، إذ يقول القرآن الكريم فيهم: **وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَ الَّذِينَ آمَنُوا**

«الصيحة» كما قلنا سابقا معناها فى اللغة كل صوت عظيم، و القرآن الكريم يحكى عن هلاك أقوام متعددين بالصيحة السَّيْمَاوِيَّة، هذه الصيحة يحتمل ان تكون صاعقه من السَّيْمَاءِ او ما شابهها، و كما بينا فى قصه ثمود «قوم هود» قد تبلغ الأمواج الصوتيه حدًا بحيث تكون سببا لهلاك جماعه من الناس.

ثم يعقب القرآن فيقول: فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ اى: أجسادا هامده بلا روح، لتبقى أجسادهم هناك عبره لمن اعتبر...

و هكذا طوى سَجَلٌ و طومار حياتهم كَأَنَّ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا. و انظفأ بريق كل شىء، فلا ثروه و لا قصور و لا ظلم و لا زينه كل ذلك تلاشى و انعدم.

و كما كانت نهايه عاد و ثمود - و قد حكى عنهما القرآن - فهو يقول عن نهايه مدين ايضا أَلَا بُعْدًا لِمَدْيَنَ كَمَا بَعَدَتْ ثَمُودُ.

و واضح ان المقصود من كلمه «مدين» اهل مدين الذين كانوا بعيدين عن رحمه الله و كانوا من الهالكين.

### دروس تربويه فى قصه شعيب:

#### اشاره

ان أفكار الأنبياء و الوقائع التى جرت للأقوام السابقه تستلهم منها الأجيال التى بعدها، لان تجارب حياه أولئك الأقوام هى التى تمخضت عن عشرات السنين او مئات السنين... ثم نقلت إلينا فى عدّه صفحات من «التاريخ» و كل فرد منا يستطيع ان يستلهم العبر فى حياته.

قصه هذا النبى العظيم «شعيب» فيها دروس كثيره، و من هذه الدروس ما يلى:

## ١- أهمية المسائل الاقتصادية

قرانا فى هذه القصة ان شعيبا دعا قومه بعد التوحيد الى الحق والعدالة فى الامور المالىة والتجارىة، و هذا نفسه يدل على ان المسائل الاقتصادية فى المجتمع لا يمكن تجاوزها و تهميشها. كما يدل على ان الانبياء لم يؤمروا بالمسائل الاخلاقية فحسب، بل كانت دعوتهم تشكل «الإصلاح»... إصلاح الوضع الاجتماعى غير الجيد، وإصلاح الوضع الاقتصادى كذلك، حيث كانت هذه الامور من أهم الامور-عند الانبياء-بعد التوحيد.

## ٢- لا ينبغي التضحية بالاصاله من اجل التعصب

كما قرانا فى هذه القصة فإن احد العوامل التى دعت الى سقوط هؤلاء فى احضان الشقاء انهم نسوا الحقائق لحقدهم و عدائهم الشخصى، فى حين ان الانسان العاقل و الواقعى ينبغي ان يتقبل الحق من كل احد حتى و لو كان من عدوه.

## ٣- الصلاة ندعو الى التوحيد و التطهير

لقد سأل شعيبا قومه أ صِبْ لَاتُك تَأْمُرُكَ أَنْ تَنْتَرِكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ و ان نترك الغش و عدم إيفاء الميزان حقه. فلعلهم كانوا يتصورون متسائلين: ان هذه الاذكار و الادعية ما عسى ان تؤثر فى هذه الامور؟ على حين اننا نعرف ان أقوى علاقه و رابطة هى العلاقه الموجوده بين الصلاة و هذه الامور، فإذا كانت الصلاة بمعناها الواقعى اى مع حضور الانسان بجميع وجوده امام الله فإن هذا الحضور معراج التكامل و سلم الصعود فى تربيته روحه و نفسه، و المطهر لصدأ ذنوبه و رين قلبه و هذا الحضور يقوى ارادته و يجعل عزمه راسخا و ينزع عنه غروره و كبرياءه.



#### ٤- النظره الذاتيه (الانانيه) رمز للجمود

! لقد كان قوم شعيب- كما عرفنا فى الآيات السابقه- افرادا انانيين و«ذاتيين» إذ كانوا يتصورون أنفسهم ذوى فهم، و أنّ شعيبا يجهل الأمور!! او كانوا يسخرون منه و يعدّون كلامه بلا محتوى و يرونه ضعيفا، و هذه النظره الضيقه و الانانيه صيرت سماء حياتهم مظلمه و رمت بهم الى هاويه الهلاك.

ليس الإنسان وحده- بل حتى الحيوان- إذا كان «انانيا» ذا نظره ضيقه فإنّه سيتوقف فى الطريق!! يقال أنّ فارسا وصل الى نهر و أراد عبوره و لكنّه لاحظ بتعجب أنّ الفرس غير مستعدّه ان تعبر النهر الصغير و القليل العمق، و كلما السّح على الفرس لكى تعبر لم يفلح، فمرّ به رجل حكيم، فقال له: حرّك ماء النهر ليذهب فإنّ المشكله ستحلّ. ففعل ذلك فعبرت الفرس النهر بكل هدوء!! فسأل الحكيم عن السرّ فى ذلك، فقال: حين كان الماء صافيا كانت صورته الفرس فى الماء فلم يرق للفرس ان تطأ نفسها، و حين اختلط الماء بالطين ذهب الصوره و نسيت الفرس صورتها فعبرت بكل بساطه!

#### ٥- تلازم الايمان و العمل

لا- يزال الكثيرون يتصورون انه يمكن للمسلم ان يكون بالعقيدة وحدها مسلما حتى و ان يقيم بأى عمل، و ما يزال الكثيرون يريدون من الدين الاّ يكون مانعا لرغباتهم و ميولهم، و يريدون ان يكونوا أحرارا بوجه مطلق.

قصّه شعيب تدلنا على أنّ قومه كانوا يريدون مثل هذا المنهج، لذلك كانوا يقولون له: نحن غير مستعدين ان نترك ما كان عليه السلف من عباده الأصنام، و لا نفقد حريتنا فى التصرف بأموالنا ما نشاء.

لقد نسى أولئك أنّ ثمره شجره الايمان-أساسا-هى العمل، و كان نهج

الأنبياء ان يصلحوا الانحرافات العمليّة للإنسان و يسددوا خطواته،و الآ فإنّ شجره بلا ثمر و ورق و فائده عمليه لا تستحق الآ ان تحرق! نحن اليوم-و للأسف-نرى بعض المسلمين قد غلب عليهم هذا الطراز من الفكر،و هو أنّ الإسلام عبارته عن عقائد جافّه لا تتعدّى حدود المسجد،فما داموا فى المسجد فهى معهم،و إذا خرجوا ودّعوها فيه!!فلا تجد أثرا لاسلامهم فى السوق او الادارات او المحيط.

انّ السير فى كثير من الدول الاسلاميه-حتى الدول التى كانت مركزا لانتشار الإسلام-يكشف لنا هذا الواقع المرير،و هو أنّ الإسلام منحصر فى حفته من «الاعتقادات و عدد من العبادات عديمه الروح»لا تجد فيها أثرا عن المعرفه و العداله الاجتماعيه و النمو الثقافى و الأخلاق الاسلاميه....

و لكن-لحسن الحظ-نرى فى ضمن هذه الصحوه الاسلاميه و لا سيما بين الشباب تحرّك نحو الإسلام الصحيح و الممازجه بين الايمان و العمل،فلا تكاد تسمع فى هذا الوسط مثل هذا الكلام«ما علاقه الإسلام بأعمالنا؟!» او أنّ «الإسلام مرتبط بالقلب لا بالحياه و المعاش»و ما الى ذلك.

الاطروحه التى نسمعها من بعض المنحرفين بقولهم:نحن نستوحى عقيدتنا من الإسلام و اقتصادنا من ماركس،هى شبيهه بطريقه تفكير قوم شعيب الضالين و هى محكومته مثلها ايضا،و لكن هذا الانفصال او التفرقه بين العمل و الايمان كان موجودا منذ القدم و لا يزال،و ينبغى ان نكافح مثل هذا التفكير!

## ٦-الملكيه غير المحدوده أساس الفساد

لقد كان قوم شعيب واقعين فى مثل هذا الخطأ حيث كانوا يتصورون أنّه من الخطأ القول بتحديد التصرف بالأموال من قبل مالكيها،و لذلك تعجبوا من شعيب و قالوا له:امثلك و أنت الحليم الرشيد يمنعنا من التصرف بأموالنا و يسلب حريتنا

منها، أنّ هذا الكلام سواء كان على نحو الحقيقه و الواقع، ام كان على نحو الاستهزاء، يدلّ على أنّهم كانوا يرون تحديد التصرف بالمال دليلاً على عدم العقل و الداربه.

فى حين أنّهم كانوا على خطأ كبير فى تصورهم هذا...إذ لو كان الناس أحراراً فى التصرف بأموالهم لعمّ المجتمع الفساد و الشقاء، فىجب ان تكون الأمور المالىه تحت ضوابط صحيحه و محسوبه كما عرضها الأنبياء على الناس، و الأستجّر الحره المطلقه المجتمع نحو الانحراف و الفساد.

## ٧- هدف الأنبياء هو الإصلاح

لم يكن هذا الشعار: إن أُريدُ إلاّ الإصلاح شعار شعيب فحسب، بل هو شعار جميع الأنبياء و كل القاده المخلصين، و إنّ اعمالهم و أقوالهم شواهد على هذا الهدف. فهم لم يأتوا لاشعار الناس، و لا لغفران الذنوب، و لا لبيع الجنّه، و لا لحماية الأقوياء و تخدير الضعفاء من الناس، بل كان هدفهم الإصلاح بالمعنى المطلق و الواسع للكلمه...الإصلاح فى الفكر، الإصلاح فى الأخلاق، الإصلاح فى النظم الثقافيه و الاقتصاديه و السياسيه للمجتمع، و الإصلاح فى جميع ابعاد المجتمع.

و كان اعتمادهم و دعوتهم على تحقيق هذا الهدف هو الله فحسب و لهذا لم يخافوا من التهديدات و المؤامرات كما قال شعيب  
وَ مَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَ إِلَيْهِ أُنِيبُ .

اشاره

وَ لَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَ سُلْطَانٍ مُّبِينٍ (٩٦) إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَ مَلَائِهِ فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَ مَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ (٩٧) يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَ بئْسَ الْوَرْدُ الْمَوْرُودُ (٩٨) وَ اتَّبَعُوا فِي هَذِهِ لَعْنَهُ وَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بئْسَ الرَّفْدُ الْمَرْفُودُ (٩٩)

التفسير

اشاره

البطل المبارز لفرعون:

بعد انتهاء قصه شعيب و اهل مدين، يشير القرآن الكريم الى زاويه من قصه موسى و مواجهته لفرعون و هذه القصه هي القصه السابعة من قصص الأنبياء في هذه السوره.

تحدث القرآن الكريم عن قصه موسى عليه السلام و فرعون و بنى إسرائيل اكثر من مائه مره.

و خصوصيه قصه موسى عليه السلام بالنسبه لقصص الأنبياء-كشعيب و صالح و هود و لوط عليهم السلام التي قرأناها في ما سبق-هي ان أولئك الأنبياء عليهم السلام واجهوا الأقوام الضالين، لكن موسى عليه السلام واجه اضافه الى ذلك حكومه «ديكتاتور» طاغ مستبد

هو فرعون الجبار.

و أساسا فإنّ الإصلاح ينبغي ان يبدأ من الأصل و المنبع، و طالما هناك حكومات فاسده فلن يبصر اى مجتمع وجه السعاده، و على القاده الإلهيين فى مثل هذه المجتمعات ان يدمروا مراكز الفساد قبل كل شىء.

و لكن ينبغي الالتفات الى أنّنا نقرا فى هذا القسم من قصّه موسى زاويه صغيره فحسب و لكنّها فى الوقت ذاته تحمل رساله كبيره للناس جميعا.

يقول القرآن الكريم أولا: وَ لَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَ سُلْطَانٍ مُّبِينٍ .

«السلطان» بمعنى التسلط، يستعمل تاره فى السلطه الظاهريه، و أحيانا فى السلطه المنطقيه، السلطه التى تحاصر المخالف فى طريق مسدود بحيث لا يجد طريقا للفرار.

و يبدو فى الآيه المتقدمه أنّ «السلطان» استعمل فى المعنى الثانى، و المراد ب «الآيات» هى معاجز موسى الجليله، و للمفسرين احتمالات اخرى فى هاتين الكلمتين.

و على كل حال فإنّ موسى أرسل بتلك المعجزات القاصمه و ذلك المنطق القوى إلی فرعونَ وَ مَلَأَهُ .

و كما قلنا مرارا فإنّ كلمه «الملا» تطلق على الذين يملأ- مظهرهم العيون بالرغم من خلق المحتوى الداخلى، و فى منطق القرآن تطلق هذه الكلمه غالبا على الوجوه و الاشراف و الأعيان الذين يحيطون بالمستكبرين و بالقوى الظالمه .. إلا أنّ جماعه فرعون الذين وجدوا منافعهم مهدده بالخطر بسبب دعوه موسى، فإنّهم لم يكونوا مستعدين للاستجابه.. لمنطقه الحق و معجزاته فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ . و لكن فرعون ليس من شأنه هدايه الناس الى الحياه السعيده او ضمان نجاتهم و تكاملهم: وَ مَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ .

انّ هذا نجاح فرعون هذا لم يحصل بسهولة، فقد استفاد من كل انواع السحر

و الخداع و التآمر و القوى لتقدم اهدافه و تحريك الناس ضد موسى عليه السلام، و لم يترك في هذا السبيل اى نقطه نفسيه بعيده عن النظر، فتاره كان يقول: ان موسى يريد ان يخرجكم من ارضكم . (١)

و اخرى كان يقول: انى اخاف ان يبدل دينكم او ان يظهر في الارض الفساد . (٢) فيحرك مشاعرهم و احاسيسهم المذهبيه.

و احيانا كان يتهم موسى، و اخرى كان يهدده، و احيانا يبرز قوته و شوكته بوجه الناس فى مصر، او يدعى الدهاء فى قيادته بما يضمن الخير و الصلاح لهم.

و يوم الحشر حين يأتى الناس عرصات القيامة فإن زعمائهم و قادتهم فى الدنيا هم الذين سيقودوهم هناك حين يرى فرعون هناك: تقدم قومك يوم القيامة و بدلا من ان ينقذهم و يخلصهم من حراره المحشر و عطشه يوصلهم الى جهنم فأوردتهم النار و بسس الورد المورود فبدلا من ان يسكن عطش اتباعه هناك يحرق وجودهم و بدلا من الارواء يزيدهم ظمأ الى ظمأ.

مع ملاحظه ان «الورود» فى الأصل معناه التحرك نحو الماء و الاقتراب منه، و لكن الكلمه أطلقت لتشمل الدخول على كل شىء و توسع مفهومها.

و«الورد» هو الماء يرد الانسان، و قد يأتى بمعنى الورود ايضا.

و«المورود» هو الماء الذى يورد عليه، ف«هم» اسم مفعول، فعلى هذا يكون معنى الجمله بسس الورد و المورود (٣) على النحو التالى: النار بسس ماؤها ماء حين يورد عليه.

و يلزم ذكر هذه المسأله الدقيقه، و هى ان العالم بعد الموت - كما قلنا سابقا -

ص: ٥٣

١-١) الأعراف، ١١٠.

٢-٢) غافر، ٢٦.

٣-٣) هذا الجمله من حيث التركيب النحوى يكون اعرابها كالتالى: «بسس» من افعال الظم، و فاعله «الورد» و «المورود» صفة، و المخصوص بالظم «النار» التى حذفت من الجمله، و احتمال البعض ان المخصوص بالظم هو كلمه «المورود» فعلى هذا لم يحذف من الجمله شىء، الا ان الاوّل أقوى كما يبدو.

عالم «تتجسم فيه اعمالنا و أفعالنا» الدنيويه بمقياس واسع، فالشقاء و السعاده فى ذلك العالم نتيجة اعمالنا فى هذه الدنيا، فالأشخاص الذين كانوا فى هذه الدنيا قاده الصلاح يقودون الناس الى الجنّة و السعاده فى ذلك العالم، و الذين كانوا قاده للظالمين و الضالين و اهل النار يسوقونهم الى جهنم يتقدمونهم هناك! ثم يقول القرآن: وَ اتَّبِعُوا فِي هَذِهِ لَعْنَهُ وَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَاَسْمَاؤُهُم الذليله تثبت على صفحات التاريخ ابدًا على أنّهم قوم ضالون و جابره، فقد خسروا الدنيا و الآخره و ساءت النار لهم عطاء و جزاء و بئس الرّفْدُ المرفُودُ (١).

و«الرّفد» فى الأصل معناه الاعانه على القيام بعمل معين، و إذا أرادوا ان يسندوا شيئًا الى شىء آخر عبروا عن ذلك بالرّفد، ثم أطلقت هذه الكلمه على العطاء لأنه اعانه من قبل المعطى الى المعطى له!

ص: ٥٤

---

١- ١) اعراب هذه الجملة كإعراب أختها السابقه.

إشارة

ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ الْقُرْآنِ نَقُصُّهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ (١٠٠) وَمَا ظَلَمْنَا لَهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ (١٠١) وَكَذَلِكَ أَخَذَ رَبُّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرْآنَ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخَذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ (١٠٢) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ (١٠٣) وَمَا تُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مَعْدُودٍ (١٠٤)

التفسير

في آيات هذه السورة تبيان لقصص سبعة أقوام من الأقسام السابقين و لمحات من تاريخ أنبيائهم، و كل واحد منهم يكشف للإنسان قسما جديرا بالنظر من حياته المليئة بالحوادث و يحمل بين جنبيه دروسا من العبره للإنسان.

و هنا اشاره الى جميع تلك القصص، فيتحدث القرآن عن صورته مستجمعه لما مرّ من الحوادث و الأنباء حيث يقول: ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ الْقُرْآنِ نَقُصُّهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَ حَصِيدٌ .



و كلمه «قائم» تشير الى المدن و العمارات التي لا تزال باقيه من الأقوام السابقين، كأرض مصر التي كانت مكان الفراعنه و لا تزال آثار أولئك الظالمين باقيه بعد الغرق، فالحدائق و البساتين و كثير من العمارات المذهله قائمه بعدهم.

و كلمه «حصيد» معناها اللغوى قطع النباتات بالمنجل، و فى هذه الكلمه اشاره الى بعض الاراضى البائره، كأرض قوم نوح و ارض قوم لوط، حيث أنّ واحده منهما دمرها الغرق و الثانيه أمطرت بالحجاره.

وَ مَا ظَلَمْنَاهُمْ وَ لَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ

حيث ركنوا و لجأوا الى الأصنام و الآلهه «المزعومه» فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ بَلْ زَادُوهُمْ ضُرًّا وَ خَسْرَانًا وَ مَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ (١).

وَ كَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقَرْيَ وَ هِيَ ظَالِمَةٌ

فلا يدعها على حالها و إنّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ .

هذا قانون الهى عام و منهج دائم، فما من قوم او امه من الناس يتجاوزون حدود الله و يمدون أيديهم للظلم و لا يكثرثون لنصائح أنبيائهم و مواعظهم، إلا أخذهم الله أخذا شديدا و اعتصرتهم قبضه العذاب.

هذه الحقيقه تؤكّد أنّ المنهاج السابق منهاج عمومى و سنّه دائمه، و تستفاد من آيات القرآن بصوره جيده، و هى فى الواقع إنذار لأهل العالم جميعا: ان لا تظنوا أنّكم مستثنون من هذا القانون، او أنّ هذا الحكم مخصوص بالاقوام السابقين.

و الطبع فإنّ الظلم بمعناه الواسع يشمل جميع الذنوب، و وصفت القرية او المدينه بأنّها «ظالمه» مع أنّ الوصف ينبغى ان يكون لساكنيها، فكأنما هناك مسأله دقيقه و هى أنّ اهل هذه المدينه انغمسوا فى الظلم الى درجه حتى كأنّ المدينه لها أصبحت مغموسه فى الظلم ايضا.

ص: ٥٦

١- ١) «التتبيب» مشتق من ماده «تبّ» و معناه الاستمرار فى الضرر، و قد يأتى بمعنى الهلاك ايضا.

و حيث انّ هذا قانون كلى و عام فإنّ القرآن يقول مباشرة إنّ فى ذلك لآية لمن خاف عذاب الآخرة .

لأنّ الدنيا لا تعدّ شيئا إزاء الآخرة، و جميع ما فى الدنيا حقير حتى ثوابها و عقابها، و العالم الآخر أوسع -من جميع النواحي- من هذه الدنيا. فالمتؤمنين بيوم القيامة يعتبرون لدى مشاهدته واحد من هذه المثل و النماذج فى الدنيا، و يواصلون طريقهم.

و فى ختام الآية اشارته الى وصفين من أوصاف يوم القيامة حيث يقول القرآن ذلك يوم مجموع له الناس و ذلك يوم مشهود .

هى اشارته الى أنّ القوانين و السنن الالهيه كما هى عامه فى هذا العالم، فإنّ اجتماع الناس فى تلك المحكمه الالهيه ايضا عام، و سيكون فى زمان واحد و يوم مشهود للجميع يحضره الناس كلهم و يرونه.

من الطريف هنا أنّ الآية تقول ذلك يوم مجموع له الناس و لم تقل «مجموع فيه الناس» و هذا التعبير اشارته الى أنّ يوم القيامة ليس ظرفا لاجتماع الناس فحسب، بل هو هدف يمضى اليه الناس فى مسيرهم التكاملى.

و نقرا فى الآية (٩) من سوره التغابن يوم يجمعكم ليوم الجمع ذلك يوم التغابن .

و بما أنّ البعض قد يتوهم أنّ الحديث عن ذلك اليوم لم يحن اجله فهو نسيته و غير معلوم وقت حلوله، لهذا فإنّ القرآن يقول مباشرة: و ما تؤخره إلا لأجل معدود .

و ذلك ايضا لمصلحه واضحه جليه ليرى الناس ميادين الاختبار و التعلم، و ليتجلى آخر منهج للأنبياء و تظهر آخر حلقة للتكامل الذى يمكن لهذا العالم ان يستوعبها ثم تكون النهايه.

و التعبير بكلمه «معدود» اشارته الى قرب يوم القيامة، لأنّ كل شىء يقع تحت

العَدِّ و الحساب فهو محدود و قريب.

و الخلاصه انّ تأخير ذلك اليوم لا ينبغي ان يعتزّ به الظالمون، لأنّ يوم القيامة و ان تأخر فهو آت لا محاله، و انّ التعبير بتأخره ايضا غير صحيح.

ص: ٥٨

اشاره

يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلِّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ (١٠٥) فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ (١٠٦) خَالِدِينَ فِيهَا  
مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ (١٠٧) وَأَمَّا الَّذِينَ سَعَدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ  
السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْدُوذٍ (١٠٨)

التفسير

اشاره

السعادة الشقاوه:

أشير في الآيات المتقدمه الى مسأله القيامة و اجتماع الناس كلهم في تلك المحكمه العظيمه... وهذه الآيات-محل البحث-بينت  
زاويه من عواقب الناس و مصيرهم في ذلك اليوم، إذ تقول الآيات اولاً: يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلِّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ .

قد يتصور أحياناً أنّ هذه الآيه الداله على تكلم الناس في ذلك اليوم بإذن الله، تنافى الآيات التي تنفى التكلم هناك  
مطلقاً، كآيئه (٦٥) من سوره يس

الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ، و كآلآيه (٣٥) من سوره المرسلات حيث نقرا: هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ .

و لهذا السبب قال بعض المفسرين الكبار: انّ التكلم هناك «يوم القيامة» لا- مفهوم له أساسا. لانّ التكلم وسيله لكشف باطن الأشخاص و داخلهم، و لو كان لدينا احساس نستطيع ان نطلع به على أفكار كل شخص لم يكن حاجه الى التكلم ابدا.

فعلى هذا لما كانت الأسرار و جميع الأشياء تنكشف «يوم القيامة» على حاله «الظهور و البروز» فلا معنى للتكلم أصلا.

و ببيان آخر: انّ الدار الآخرة دار مكافأه و جزاء لا دار عمل، و على هذا فلا معنى هناك لاختيار الإنسان و تكلمه حسب رغبته و ارادته، بل هو الإنسان و عمله و ما يتعلق به، فلو أراد التكلم فلا يكون كلامه عن اختيار و اراده و حاكيا عمّا فى ضميره كما فى الدنيا، بل كل ما يتكلم به هناك فهو نوع من الانعكاس عن اعماله التى تظهر جليّه ذلك اليوم. اى انّ الكلام هناك ليس كالكلام فى الدنيا بحيث يستطيع الإنسان على حسب ميله ان يتكلم صادقا او كاذبا.

و على كل حال فإنّ ذلك اليوم هو يوم كشف حقائق الأشياء و عوده الغيب الى الشهود، و لا شبه له بهذه الدنيا.

و لكن هذا الاستنتاج من الآيه المتقدمه لا ينسجم مع ظاهر الآيات الأخرى فى القرآن، لأنّ القرآن يتحدث عن كثير من كلام المؤمنين و المجرمين و القاده و الجابره و أتباعهم، و الشيطان و المنخدعين به، و أهل النار و أهل الجنّه، بحيث يدل على انّ هناك كلاما كالكلام فى هذه الدنيا أيضا.

حتى انّ بعض الآيات يستفاد منها انّ قسما من المجرمين يكذبون فى ردهم على بعض الاسئله، كما هو مذكور فى سوره الانعام الآيات (٢٢) الى (٢٤) حيث تقول الآيات

وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكَاءُكُمْ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ \* ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فَتِنَتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ \* انظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَيَّ أَنْفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ .

فعلى هذا، من المستحسن ان يجاب على السؤال المتعلق بتناقض ظواهر الآيات حول التكلم بما ذكره كثير من المفسرين، و هو انّ الناس يقطعون فى ذلك اليوم مراحل مختلفه... و كل مرحله لها خصوصياتها، ففى قسم من المراحل لا- يسألون ابدا حتى انّ أفواههم يختم عليها فلا- يتكلمون، و أنّما تنطق أعضاء أجسادهم التى حفظت آثار اعمالها بلغه من دون لسان، و فى المراحل الاخرى يرفع الختم او القفل عن أفواههم و يتكلمون بإذن الله فيعترفون بأخطائهم و ذنوبهم و يلوم المخطئون بعضهم بعضا، بل يحاولون ان يلقوا تبعات أوزارهم على غيرهم.

و يشار فى نهايه الآيه الى تقسيم الناس جميعا الى طائفتين: طائفه محفوظه، و اخرى بائسه تعيسه فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَ سَعِيدٌ .

و«السعيد» مشتق من ماده «السعادة» و معناها توفر اسباب النعمه.

و«الشقى» مشتق من ماده «الشقاء» و معناه توفر اسباب البلاء و المحنه.

فالسعداء- إذا- هم الصالحون الذين يتمتعون بأنواع النعم فى الجَنَّة و الاشقياء هم المسيئون الذين هم يتقلبون فى انواع العذاب و العقاب فى جهنم.

و ليس هذا الشقاء- على كل حال- و تلك السعادة سوى نتيجة الأعمال و الأقوال و التيات التى سلفت من الإنسان فى الدنيا.

و العجيب ان بعض المفسرين يتخذون هذه الآيه ذريعه لعقيدتهم الباطله فى مجال الجبر، فى حين انّ الآيه ليس فيها اقل دليل على هذا المعنى، بل هى تتحدث عن السعداء و الأشقياء فى يوم القيامة و انهم و صلوا جميعا بأعمالهم الى هذه المرحلة، و لعلهم توهموا هذه النتيجة من هذه الآيه بالخلط بينها و بين بعض الأحاديث التى تتكلم عن شقاء الإنسان او سعادته و هو فى بطن امه قبل الولاده،

و لكن هذه المسأله ليس هنا مجالها إذ لها قصه اخرى و حديث طويل.

ثم تشرح الآيات حالات السعداء و الأشقياء في عبارات موجزه و اخذه حيث تقول فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَ شَهيقٌ وَ تضيّف حاكبه عن حالهم ايضا: خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَ الْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ وَ أَمَّا الَّذِينَ سَعِدُوا فِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَ الْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْذُودٍ .

## ملاحظات

## اشاره

### ١- هل ان السعاده و الشقاوه ذاتيان

؟ أراد البعض ان يثبت من الآيات المتقدمه- كما قلنا آنفا- كون السعاده و الشقاء ذاتيين، في حين ان الآيات المتقدمه لا تدل على هذا الأمر فحسب، بل تثبت بوضوح كون السعاده و الشقاء اكتسابيين، إذ تقول فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا او تقول وَ أَمَّا الَّذِينَ سَعِدُوا فلو كان كل من الشقاء و السعاده ذاتيين لكان ينبغي ان يقال «أما الأشقياء و أما السعداء» و ما أشبه ذلك التعبير، و من هنا يتّضح بطلان ما جاء في تفسير الفخر الرازي مَعًا مؤداه: «ان هذه الآيات تحكم من الآن ان جماعه في القيامه سعداء و جماعه أشقياء، و من حكم الله عليه مثل هذا الحكم و يعلم انه في القيامه اما شقى أو سعيد، فمحال عليه ان يغير ذلك و الا للزم- في الآيه- ان يكون ما اخبر الله به كذبا و يكون علمه جهلا!! و هذا محال»... فكل ذلك لا أساس له.

و هذا هو الاشكال المعروف على «علم الله» في مسأله الجبر و الاختيار و الذى أوجب عليه قديما بأنه: إذا لم نرد تحميل افكارنا و آراؤنا المسبقه على آيات القرآن الكريم، فإن مفاهيمها تبدو واضحه، ان هذه الآيات تقول: يَوْمَ

يكون فيه جمع من الناس سعداء من خلال اعمالهم، و جمع آخر أشقياء بسبب اعمالهم، و الله سبحانه يعلم من الذى اختار طريق السعاده باختياره، و بإرادته، و من الذى خطا خطوات فى مسير الشقاء بإرادته. و هذا المعنى يعطى نتيجه معاكسه تماما لما ذكره الرازى حيث أنّ الناس إذا كانوا مجبورين على هذا الطريق فإنّ علم الله سيكون جهلا(و العياذ بالله)، لأنّ الجميع اختاروا طريقهم و انتخبوه بإرادتهم و رغبتهم.

الشاهد فى الكلام أنّ الآيات المتقدمه تتحدث عن قصص الأقسام السابقين، حيث عوقبت عقابا جماعه عظيمه منهم-بسبب ظلمهم و انحرافهم عن جاده الحق و العدل، و بسبب التلوث بالمفاسد الاخلاقيه الشديده، و الوقوف بوجه الأنبياء و القاده الإلهيين-أليما فى هذه الدنيا...و القرآن يقص علينا هذه القصص من اجل إرشادنا و تربيتنا و بيان طريق الحق من الباطل، و فصل مسير السعاده عن مسير الشقاء.

و إذا كنّا-أساسا- كما يتصوّر الفخر الرازى و من على شاكلته-محكومين بالسعاده و الشقاء الذاتيين، و نؤخذ دون ارادتنا بالسيئات او الصالحات، فإنّ «التعليم و التربيّه» سيكونان لغوا و بلا فائده... و مجيء الأنبياء و نزول الكتب السّماويه و النصيحه و الموعظه و التوبيخ و الملامه و المؤاخذة و السؤال و المحاكمه و الثواب... كل ذلك يعدّ غير ذى فائده، او يعدّ ظلما.

الأشخاص الذين يرون الناس مجبورين على عمل الخير او الشرّ، سواء كان هذا الجبر جبرا الهيئا، او جبرا طبيعيا، او جبرا اقتصاديا، او جبرا اجتماعيا متطرفون فى عقيدتهم هذه فى كلامهم فحسب، او فى كتاباتهم، و لكنّهم حتى أنفسهم لا يعتقدون-عند العمل- بهذا الاعتقاد، و لهذا فلو وقع تجاوز على حقوقهم فإنّهم يرون المتجاوز مستحقا للتوبيخ و الملامه و المحاكمه و المجازاه...

و ليسوا مستعدين ابدا للإغضاء عنه بحجه انه مجبور على هذا العمل و أنّ من



الظلم عقابه و مجازاته، او يقولوا انه لم يستطع ان لا يرتكب هذا العمل لانّ الله أراد ذلك، او أنّ المحيط أجبره، او الطييعه... و هذا بنفسه دليل آخر على أنّ اصل الاختيار فطري.

و على كل حال لا نجد للجبر مسلكا في اعمالنا اليوميه يرتبط بهذه العقيدة، بل اعمال الناس جميعا تصدر عنهم بصورة حرّه و مختاره و هم مسئولون عنها.

و جميع الأقسام في الدنيا يقبلون حريه الاراده، بدليل تشكيل المحاكم و الادارات القضائيه لمحاكمه المتخلفين.

و جميع المؤسسات التربويه في العالم تقبل بهذا الأصل ضمنا، و هو أنّ الإنسان يعمل بإرادته و رغبته، و يمكن بإرشاده و تعليمه و تربيته ان يتجنب الاخطاء و الاشتباهات و الأفكار المنحرفه.

## ٢- واقع الإنسان بين السعاده و الشقاوه

الطريف أنّ لفظ «شقوا» في الآيات المتقدمه ورد بصيغه المبني للمعلوم، و لفظ «سعدوا» (١) ورد بصيغه المبني للمجهول، و لعل في هذا الاختلاف في التعبير اشاره لطيفه الى هذه المسأله الدقيقه، و هي أنّ الإنسان يطوى طريق الشقاء بخطاه، و لكن لا بدّ لطّي طريق السعاده في الأمداد و العون الالهي، و الأ فإنه لا يوفّق في مسيره، و لا شك أنّ هذا الأمداد و العون يشمل أولئك الذين يخطون خطواتهم الاولى بإرادتهم و اختيارهم فحسب و كانت فيهم اللياقه و الجداره لهذا الأمداد. (فلاحظوا بدقه).

ص: ٦٤

---

١- ١) «سعدوا» من ماده (سعد) و حسب رأى اصحاب اللغه فإنّ هذا الفعل لازم و لا يتعدّى الى مفعول، فعلى هذا ليست له صيغه للمجهول، فاضطروا ان يقولوا: أنّه مخفّف من (اسعدوا) و بابه (الأفعال) و لكن كما ينقل الآلوسى في كتاب روح المعاني في شرح الآيه عن بعض اهل اللغه، أنّ الفعل الثلاثي من «سعد» يتعدّى الى المفعول ايضا- قالوا: سعده الله و هو مسعود، فعلى هذا لا حاجه الى ان نقول بأنّ (سعدوا) مخفّف من «اسعدوا» «فتدبر».

معنى «الخلود» لغه البقاء الطويل، كما جاء بمعنى الأبد ايضا، فكلمه «الخلود» لا تعنى الأبد وحده لأنه تشمل كل بقاء طويل.

و لكن ذكرت فى كثير من آيات القرآن مع قيود يفهم منها معنى الأبد، فمثلا فى الآيه (١٠٠) من سوره التوبه، و الآيه (١١) من سوره الطلاق، و الآيه (٩) من سوره التغابن، حين تذكر هذه الآيات اهل الجنه تأتي بالتعبير عنهم خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا و مفهومها ابدية الجنه لهؤلاء، ما نقرا فى آيات القرآن الاخرى وصف اهل النار كآيه (١٦٩) من سوره النساء، و الآيه (٢٣) من سوره الجن هذا التعبير ايضا خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا و هو دليل على عذابهم الابدى.

و تعبيرات اخرى مثل الآيه (٣) من سوره الكهف مَّا كَثِيرٌ فِيهِ أَيْدًا و الآيه (١٠٨) من سوره الكهف ايضا لَا يَنْبُغُونَ عَنْهَا حِوَلًا و أمثالها تدل بصوره قطعيه على ان طائفه من اهل الجنه و طائفه من اهل النار سيقون فى العذاب او النعمه.

و لم يستطع البعض ان يحل الإشكالات فى الخلود و الجزاء الابدى، فاضطر الى الرجوع الى معناه اللغوى و فسّره بالبقاء الطويل، على حين ان تعابير كالتعابير الوارده فى الآيات المتقدمه لا تفسّر بمثل هذا التفسير.

### سؤال مهم:

هنا ترتسم فى ذهن كل سامع علامه استفهام كبيره، إذ كيف نتصوّر عدم التعادل عند الله بين الذنب و العقاب؟! و كيف يمكن القبول بأن يقضى الإنسان كل عمره الذى لا يتجاوز ثمانين سنه- او مائه سنه على الأكثر بالعمل الصالح او بالإثم، ثم يتاب على ذلك او يعاقب ملايين الملايين من السنين.

و هذا الأمر ليس مهما بالنسبه للثواب لأنّ الأجر و الثواب كلما ازداد كان دليلا على كرم الميثب و المعطى، فلا مجال للمناقشه فى هذا الأمر.

و لكن السؤال يرد فى العمل السىء و الذنب و الظلم و الكفر، و هو: «هل

ينسجم العذاب الدائم مقابل ذنب محدود مع اصل العدل عند الله؟ فالذى لم تتجاوز مرحله ظلمه و طغيانه و عناده فى أقصى ما يمكن احتمالاه مائه سنه، كيف يعذب فى النار عذابا دائما؟ فلا تقتضى العداله ان يكون هناك نوع من التعادل؟ فمثلا يعاقب مائه سنه بمقدار اعماله السيئه.

### الاجوبه غير المقنعه

انّ تعقيد المسأله كان السبب فى توجيه معانى آيات الخلود عند البعض و تفسيرها بما لا يستفاد منه العقاب الدائم الذى هو على خلاف اصل العداله فى عقيدتهم...

١- ذهب البعض: إنّ المقصود ب«الخلود» هو المعنى المجازى او الكنائى عنه، اى مده و طويله نسبيا، كما يقال مثلا لأولئك الذين يحكم عليهم بالسجن طول عمره «محكوم عليه بالسجن المؤبد» مع أنّه من المسلم به لا ابدية فى السجن حيث ينتهى السجن، مع انتهاء و يقال فى العريه ايضا «يخلد فى السجن» و هو مأخوذ من الخلود فى هذه الموارد.

٢- و قال آخرون: انّ أمثال هؤلاء الطغاه و المعاندين الذين اكتنفت وجودهم الآثام، فتحول وجودهم الى ماهيه الكفر او الإثم، هؤلاء و ان بقوا فى نار جهنم دائمين، إلا انّ جهنم لا تبقى على حالها، فسيأتى يوم تنطفى نارها. كأيه نار اخرى، و يعم اهل النار نوع من الهدوء و الراحة.

٣- و احتمال آخرون أنّه مع مرور الزمان و بعد معاناه العذاب الطويل ينسجم اهل النار مع محيطهم، اى انهم يتطبعون و يتعودون على هذا المحيط شيئا فشيئا حتى تبلغ بهم الحاله الا يحسوا بالعذاب و الشقاء.

و بالطبع فإنّ الداعى الى هذه التوجيهات هو عجزهم و عدم استطاعتهم ان يحلوا مشكله خلود العذاب و دوامه، و الا فإن ظهور آيات الخلود فى ديمومه العذاب و بقائه غير قابله للإنكار.

و من اجل حلّ هذا الاشكال ينبغي ان نعود الى البحوث السالفه و نعالج الاشتباهات الناشئه من قياس مجازاه يوم القيامه بالمجازاه الاخرى، ليعلم أنّ مسأله الخلود لا تنافى عداله الله ابدًا.

و لتوضيح هذا البحث ينبغي الالتفات الى ثلاثه اصول:

١- أنّ العذاب الدائم -و كما أشرنا اليه من قبل- هو لأولئك الذين اوصدوا أبواب النجاه بوجوههم، و اضحوا غرقى الفساد و الانحراف عامدين، و غشى الظلّ المشؤوم للإثم قلوبهم و أرواحهم فاصطبغوا بلون الكفر، و كما نقرأ عنهم فى سورة البقره الآيه (٨١) **بَلَىٰ مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ** .

٢- يخطئ من يتصور أنّ مدّه العقاب و زمانه ينبغي ان تكون على قدر مدّه الإثم و زمانه، لأنّ العلاقه بين الإثم و العقاب ليست علاقه زمانيه بل كيفيه، اى ان زمان العقاب يتناسب مع كيفيه الإثم لا مع زمانه.

فمثلا قد يقدم شخص فى لحظه على قتل نفس محترمه، و طبقا لما فى بعض القوانين يحكم عليه بالحبس الدائم، فهنا نلاحظ أنّ زمن الإثم لحظه واحده، فى حين أنّ العقاب قد يبلغ ثمانين سنه.

اذن المهم فى الإثم هو «كيفيته» لا «كميه زمانه».

٣- قلنا أنّ العقاب و المحاسبات فى يوم القيامه لها اثر طبيعى للعمل و خصوصيه الذنب، و بعبارة أوضح: ان ما يجده المذنبون من الم و أذى يوم القيامه هو نتيجة اعمالهم التى أحاطت بهم فى الدنيا.

نقرأ فى القرآن كما فى سورة يس الآيه (٥٤): **فَالْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ** و نقرأ فى الآيه (٣٣) من سورة الجاثيه: **وَبَدَأَ لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَ حَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ** و فى سورة القصص الآيه

(٨٤): فَلَا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ .

و الآن و بعد ان اتضح مقدمات هذه الأصول، فإنّ الحل النهائي لهذا الاشكال لم يعد بعيدا، و يكفي للوصول اليه ان نجيب على الاسئلة التاليه.

و لنفرض ان شخصا يتلى بالقرحه المعديه نظرا لادمانه على المشروبات الكحوليه لمدّه سبعة ايام تباعا، فيكون مجبورا على تحمل الألم و الأذى الى آخر عمره، ترى هل هذه المعادله بين هذا العمل السيء و نتيجته مخالفه للعداله؟! و لو كان عمر هذا الإنسان (مكان الثمانين سنه) الف سنه او مليون سنه، و لأجل نزوته النفسيه بشرب الخمر أسبوعا يتألم طول عمره، ترى هل هذا التألم لمليون سنه-مثلا-مخالف لاصل العداله... في حين أنّه ابلغ حال شرب الخمر بوجود هذا الخطر و اعلم بنتيجته؟ و لنفرض ايضا ان سائق، سياره لا يلتزم بأوامر المرور و مقرراته، و الالتزام بها ينفع الجميع قطعاً و يقلل من الحوادث المؤسفه، لكنه يتجاهلها و لا يصغى لتحذير اصدقائه... و في لحظه قصيره تقع له حادثه-و كل الحوادث تقع في لحظه-و يفقد بذلك عينه او يده او رجله في هذه اللحظه. و نتيجته لما وقع يعانى الألم سنين طويله لفقده البصر او اليد او الرجل، فهل تتنافى هذه الظاهره فيه مع اصل عداله الله؟! و نأتى هنا بمثال آخر-و الامثله تقرب الحقائق العقليه الى الذهن و تهَيِّؤُ لنيل النتيجة النهائيه-لنفرض اننا نثرنا على الأرض عدّه غرامات من بذور الشوك، و بعد عدّه أشهر او عدّه سنوات نواجه صحراء مليئه بالشوك الذى يدمى أقدامنا و على العكس ننثر بذور الزهور-مع اطلاقنا-و لا- تمرّ فتره حتى نواجه خميله مليئه بالازهار العطره، فهى تعطرنا و تعشّ قلوبنا، فهل فى هذه الأمور التى هى آثار لأعمالنا منافاه لاصل العداله فى حين أنّه لا مساواه بين كميه هذا العمل و نتيجته؟

و من مجموع ما بيناه نستنتج ما يلي:

حين يكون الجزاء و الثواب نتيجته و أثرا لعمل المرء نفسه، فإنّ مسأله المساواه من حيث الكميّه و الكيفيه لا- تؤخذ بنظر الاعتبار. فما اكثر ما يكون العمل صغيرا في الظاهر، و لكنه يحوّل حياه الإنسان الى جحيم و عذاب و الم طيله العمر، و كذلك ما اكثر ما يكون العمل صغيرا في الظاهر، و لكنّه يكون سببا للخيرات و البركات طيله عمر الإنسان! ينبغي ان لا يتوهم أنّ المقصود من صغر العمل (من حيث مقدار الزمان) لأنّ الأعمال و الذنوب الداعيه الى خلود الإنسان في العذاب ليست صغيره من حيث الاهميه و الكيفيه.

فعلى هذا حين يحيط الذنب و الكفر و الطغيان و العناد بوجود الإنسان و يحرق جميع أجنحته و ريشه و روحه في نار ظلمه و نفاقه، فأى مكان للعجب ان يحرم في الدار الآخره من التحليق في سماء الجنّه و ان يكون مبتلى هناك بالعذاب و البلاء.

ترى أمّا حذّروه و أبلغوه و اندروه من هذا الخطر الكبير؟! اجل فأنبئاء الله من جهه، و ما يأمره العقل من جهه اخرى... جميعا حذروه بما يلزم، فهل كان ما اقدم عليه من دون اختياره فلقى هذا المصير، ام كان عن علم و عمد و اختيار؟ الحقيقه هو أنّه كان عالما عامدا.

و كانت نفسه و نتيجته اعماله المباشره قد ساقته الى هذا المصير؟! بل انّ كل ما حدث له فهو من آثار اعماله! فلماذا لم يبق مجال للشكوى، و لا إيراد او اشكال مع احد، و لا منافاه مع قانون عداله الله سبحانه.

ص: ٦٩

## ٤- مفهوم الخلود في هذه الآيات

هل الخلود في الآيات-محل البحث-بمعنى البقاء الدائم؟! او هو بالمعنى اللغوي المراد منه المدّة الطويله؟ قال بعض المفسّرين: بما أنّ الخلود مقيد هنا بقوله «مَدَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَ الْأَرْضُ فَإِنَّ الْخُلُودَ لَيْسَ مَعْنَاهُ الْبَقَاءُ الْإِبْدِي الدَّائِمُ، لِأَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَا أَبْدِيَهُ لِهَٰمًا... وَ طَبَقًا لَصْرِيحِ الْقُرْآنِ فَإِنَّ يَوْمًا سَيَأْتِي تَنْطَوِي فِيهِ السَّمَاوَاتُ وَ تَبْدَلُ الْأَرْضُ إِلَى أَرْضٍ أُخْرَى. (١).

و لكن، مع ملاحظه أنّ مثل هذه التعابير في اللغة العربيّه يراد بها البقاء الدائم، فالآيات-محل البحث-أيضاً تبين الدوام.

فمثلاً- تقول العرب: هذا الأمر قائم ما لاح كوكب، او ما كثر الجديدان (الليل و النهار) او ما أضاء فجر، او ما اختلف الليل و النهار، و أمثالها... و هي كناية عن البقاء الدائم، و نقرا عن الامام علي عليه السّلام في نهج البلاغه و ذلك حين أشكل عليه بعض المنتقدين الجهله على تقسيمه من بيت المال بالسويّه و عدم التمييز بين مقامات الناس لتوطيد دفة الحكم.

فانزعج الامام عليه السّلام و

قال: «أ تأمرني ان اطلب النصر بالجور في من وليت عليه؟ و الله لا اطور به ما سمر سمير و ما امّ نجم في السّماء نجما». (٢)

و نقرا في قصيده دعبل الخزاعي المعروفه التي أنشدها في حضره الامام علي بن موسى الرضا عليه السّلام هذا البيت:

سأبكيهم ما ذرّ في الأفق شارق

و نادى منادى الخير في الصلوات (٣)

و بالطبع فإنّ هذا الاستعمال ليس مخصوصا بلغه العرب و آدابها، ففي اللغات

ص: ٧٠

١-١) كما في سورة ابراهيم، الآية (٤٨)، و الأنبياء، الآية (١٠٤).

٢-٢) نهج البلاغه، الخطبه ١٢٦.

٣-٣) نور الأبصار للشبلنجي، ص ١٤٠ و كتاب الغدير، و كتب أخرى.

الآخري يوجد مثل هذا الاستعمال ايضا...على كل حال فإن دلاله الآيه على الدوام قطعيه و غير قابله للنقاش.

## ٥- ما معنى الاستثناء فى الآيه

؟ الجملة الاستثنائية إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ التى وردت فى الآيات المتقدمه فى اهل الجنه و فى اهل النار ايضا، اضحت ميدانا واسعا للمفسرين و مثارا للبحث، و قد نقل المفسر الكبير الطبرسى فى تفسير هذا الاستثناء عشره أوجه عن المفسرين القدامى، و نعتقد ان كثيرا من هذه الأوجه ضعيف و لا ينسجم مع الآيات السابقه او اللاحقه، و لذلك نغض النظر عنها، و نورد ما نراه صحيحا هنا، هو وجهان فحسب:

١-الهدف فى بيان هذا الاستثناء ان لا- يتصور ان الخلود فى النار او فى الجنه جار على غير مشيئه الله و ارادته بما يعطى معنى الإلزام و تحديد قدره الله تعالى و ارادته، بل فى الوقت الذى يكون اهل الجنه و اهل النار خالدين فيهما، فإن قدره الله و ارادته حاكمه على الجميع، و ان العذاب و الثواب يتحققان بمقتضى حكمته لكل من هذين الطرفين.

و الشاهد على هذا الكلام ما ورد فى الجملة الثانيه بعد الاستثناء و هى قوله تعالى: عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْذُودٍ اى غير منقطع، و هو دليل على ان الجملة الاستثنائية لبيان قدرته فحسب.

٢- و حيث تذكر الآيات هذين الطرفين فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَ سَعِيدٌ فليس الأشقياء هم الكفار المستحقين للخلود فى النار فقط بل قد يوجد بينهم مؤمنون من اهل الكبائر فيكون هؤلاء داخلين فى هذا الاستثناء.

و لكن قد ينقدح هذا السؤال ايضا و هو: ما المراد من الاستثناء فى الجملة الثانيه(التي تتحدث عن الذين سعدوا)؟



و فى الجواب على هذا السؤال أجب-ايضا-بأن المؤمنين المذنبين يدخلون النار أولا ليتطهروا من الذنوب، ثم يلتحقون بصفوف اهل الجنة.

فإن الاستثناء فى الجملة الاولى هو بالنسبة لآخر الأمر...و فى الجملة الثانية لأول مره (فلاحظوا بدقه).

و يحتمل فى الجواب على السؤال الآنف الذكر ان الاستثناء فى الجملة الاولى اشاره الى المؤمنين المذنبين الذين يعتقدون من النار بعد مده،و الاستثناء فى الجملة الثانية اشاره الى قدره الله سبحانه،و الشاهد على هذا الكلام ورود قوله تعالى إِنَّ رَبَّكَ فَعَالٌ لِّمَا يُرِيدُ فى الجملة الاولى بعد الاستثناء،ليدل على تحقق المشيئه الالهيه، و فى الجملة الثانية ورد قوله تعالى: عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْدُوذٍ لِيَدُلَّ عَلَى الْإِبْدِيَّةِ (فتدبر).

و قد احتمل البعض ان يكون العقاب و الثواب متعلقان بحياه البرزخ«النعيم فى البرزخ او الشقاء فى البرزخ»التي تكون محدوده المده و لا بد ان تنتهى، و لكنّه احتمال بعيد جدًا،لأن الآيات المتقدمه تتحدث عن يوم القيامه بصراحه، و علاقته هذه الآيات بتلك الآيات علاقته لا تقبل الانفكاك.

كما ان احتمال كون الخلود هنا بمعنى المده الطويله-كما هو فى بعض آيات القرآن الاخرى،و ليس هو البقاء الدائم الابدى-لا ينسجم مع قوله تعالى:

عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْدُوذٍ

و لا مع الاستثناء نفسه الذى يدل على الابديه فى الجمل السابقه.

٦-تقول الآيات المتقدمه فى شأن اهل النار: لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَ شَهِيْقٌ و قد احتمل اهل اللغه و المفسيرون فى معنى هاتين الكلمتين«الزفير و الشهيق» احتمالات متعدده:

١-فقال البعض:المراد ب«الزفير»هو الصراخ المصطحب باخراج النفس الى الخارج،و اما«الشهيق»فهو الأئين المقترن بسحب الهواء الى داخل الرئه.

٢- وقال آخرون: إنّ الزفير هو بدايه صوت الحمار و الشهيق نهايته، و لعل هذا التفسير لا تختلف عن التفسير الاوّل كثيرا.

و على كل حال فإنّ هذين الصوتين يحكيان عن صراخ و عويل اهل النار الذين يضحجون-من الحزن و الغمّ و الحسره-ضحيجا يملا جميع وجودهم و يدلّ على منتهى اذاهم و شدّه عذابهم.

و ينبغي الالتفات الى أنّ «الزفير و الشهيق» كلاهما مصدر، و«الزفير» في الأصل حمل العبء الثقيل على الكتف، و لأنّ هذا العمل يؤدى الى التأوه و الضجيج فقد سمى زفيرا، و أما «الشهيق» فمعناه فى الأصل الاطاله و الارتفاع، و من هنا فقد سمى الجبل المرتفع بالجبل الشاهق ايضا، ثم أطلقوا هذا اللفظ «الشهيق» على الأنين.

### اسباب السعاده و الشقاء

السعاده ضالّه كل الناس، و كلّ واحد يبحث عنها فى شىء ما و يطلبها فى مكان ما، و هى توفر اسباب تكامل الفرد فى المجتمع، و النقطه المقابله لها هى الشقاء الذى يتنفر منه كل احد، و هو عباره عن عدم مساعده الظروف للنجاح و التقدم و التكامل.

فعلى هذا، كل من توفرت له اسباب التحرك و التقدم نحو الاهداف الساميه روحيا و جسميا و عائليا و بيثيا و ثقافيا، فهو اقرب للسعاده، و بتعبير آخر هو اكثر سعاده! و لكن ينبغي الالتفات الى أنّ أساس السعاده او الشقاء هو اراده الإنسان نفسه، فهو يستطيع ان يوفر الوسائل لترشيد نفسه و حتى مجتمعه، و هو الذى يستطيع ان يواجه عوامل الشقاء و يهزمها او يستسلم لها.

و ليس الشقاء او السعاده فى منطق الوحي و مدرسه الأنبياء فى داخل ذات

الإنسان شيئاً و حتى النواقص فى المحيط و العائله و الوراثه كل ذلك قابل للتغيير بتصميم الإنسان و ارادته إلا ان ننكر اصل الاراده فى الإنسان و حريره، و نعدّه محكوما بالظروف الجبريه، و كل من سعاده او شقائه ذاتى او هو نتيجه جبريه لمحيطه، و ما الى ذلك.

و هذا الراى مرفوض فى نظر الأنبياء و فى نظر المذهب العقلى ايضا.

الطريف أننا نجد فى الروايات المنقوله عن النبى صلى الله عليه و آله و سلم و اهل البيت عليهم السلام إشارات الى مسائل مختلفه على أنها اسباب السعاده، او اسباب الشقاء... بحيث يتعرف الإنسان خلال مطالعتها على طريقه التفكير الاسلامى فى هذه المسأله المهمه، و سيقف على الواقعيات العينيه و اسباب السعاده الحقيقيه، بدلا من ان يقف عليها فى المسائل الخرافيه و التصورات و السنن الخاطئه الموجوده فى كثير من المجتمعات.

و نلفت نظر القارئ الكريم على سبيل المثال الى بعض الأحاديث الشريفه فى هذا الصدد:

١- ينقل

الامام الصادق عليه السلام عن جدّه امير المؤمنين عليه السلام أنه قال «حقيقه السعاده ان يختم للرجل عمله بالسعاده و حقيقه الشقاوه ان يختم للرجل بالشقاوه» (١).

فهذه الزوايه تقول بصراحه: أنّ المرحله النهائيه لعمر الإنسان و اعماله هى المرحله التى تكشف عن سعاده و شقاوته، و على هذا فهى تنفى السعاده او الشقاء الذاتيين، و تجعل الإنسان رهين عمله، كما تجعل طريق العوده مفتوحا فى جميع المراحل حتى نهايه عمره.

٢- و نقرا

فى حديث آخر عن الامام على عليه السلام «السعيد من وعظ بغيره

ص: ٧٤

و الشقى من انخدع لهواه و غروره» (١).

و كلام الامام على عليه السلام هذا تأكيد آخر على عدم ذاتيه السعاده و الشقاء و بيان بعض اسبابهما.

٣-و

يقول نبى الإسلام صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ايضا: «اربع من اسباب السعاده و اربع من الشقاوه، فالأربع التى من السعاده المراه الصالحه، و المسكن الواسع، و الجار الصالح، و المركب البهئى. و الأربع التى من الشقاوه: الجار السوء، و المراه السوء، و المسكن الضيق، و المركب السوء» (٢).

مع ملاحظه انّ هذه الأمور الاربعه لها تأثير بالغ فى الحياه الماديه و المعنويه لكل احد، و يمكن ان تكون من عوامل النجاح او الفشل و تتضح بهذا سعه مفهوم السعاده و الشقاوه فى منطلق الإسلام.

فالمرأه الصالحه ترغّب الإنسان فى انواع «الحسنات»، و البيت الواسع يهب روح الإنسان و فكره الهدوء و الراحة و يهيئه للنشاط و الفعاليه، و الجار الصالح الذى يقدم له عوناً مؤثراً فى راحته و استقراره و حتى فى تقدم اهداف الانسانيه، المركب الجيد عامل مؤثر فى الوصول الى الأعمال و الوظائف الاجتماعيه، فى حين انّ المركب السوء يكون عاملاً فى التأخير و لا يوصل صاحبه الى هدفه.

٤- كما

روى عن النبى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ هذا الحديث ايضا: «من علامات الشقاء: جمود العينين، و قسوه القلب، و شدّه الحرص فى طلب الرزق، و الإصرار على الذنب» (٣).

هذه الأمور الاربعه التى وردت فى الحديث المتقدم، هى امور اختياريه و هى نتيجة اعمال الإنسان و أخلاقه الاكتسابيه نفسه، و على هذا فإنّ ابعاد اسباب الشقاء هذه تكمن فى اختيار الإنسان نفسه.

ص: ٧٥

١- ١) نهج البلاغه، الخطبه ٨٦.

٢- ٢) مكارم الأخلاق، ص ٦٥.

٣- ٣) تفسير نور الثقلين، ج ٢، ص ٣٩٨.

وإذا لاحظنا أسباب السعادة و الشقاوه فى الأحاديث المتقدمه و حقيقتهما و اثرهما البالغ فى حياه البشر، و قارناهما مع الأسباب و المسائل الخرافيه التى يعتقد بها جمع كثير-حتى فى عصرنا عصر الذره و الفضاء-لوصلنا الى هذا الواقع الذى يؤكد أنّ التعاليم الاسلاميه منطقيه و مدروسه الى أقصى حد.

و لا يزال الى اليوم من يعتقد أنّ نعل الفرس سبب للسعاده، و أنّ اليوم الثالث عشر سبب لسوء الحظ...و القفز على النار فى بعض ليالى السنه من أسباب السعاده، و صوت بعض الطيور سبب للشقاء و سوء الحظ، و سكب الماء عند خروج المسافر من أسباب السعاده، و العبور من تحت السلم سبب للشقاء!! و حتى تعليق بعض الأشياء فى رقبه الفرد او على وسائل النقل من أسباب السعاده و العطاس علامه على الفشل إذا كان حين العمل و كثير من أمثال هذه الخرافات نجدها فى الشرق و الغرب بين الأقاليم و الأمم المتعدده.

و كم من أناس تعطلوا عن نشاطهم فى الحياه نتيجة ابتلائهم بمثل هذه الخرافات و أصبحوا رهن المصائب الكثيره.

لقد شطب الإسلام بقلم احمر على جميع هذه التصوّرات الخرافيه، و حدّد- مبيّنا بوضوح-سعاده الإنسان و شقاوته فى الفعاليات الايجابيه و السلبيه و نقاط الضعف و القوّه فى الأخلاق و المناهج العمليه و طريقه التفكير و العقيدته لكل فرد، من خلال الامثله التى قدمناها فى الأحاديث الاربعه عن اهل البيت عليهم السّلام.

## اشاره

فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْزِمُ هَؤُلَاءُ مَا يَعْزِمُونَ إِلَّا كَمَا يُعْزِمُ آبَاؤُهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِنَّا لَمُوفُونَ نَصَبَ يَبِئْسَ غَيْرَ مَنقُوصٍ (١٠٩) وَ لَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتَلَفَ فِيهِ وَ لَوْ لَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَ إِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ (١١٠) وَ إِن كَلَّا لَيُؤْفِكُنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ إِنَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (١١١) فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَ مَنْ تَابَ مَعَكَ وَ لَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (١١٢)

## التفسير

## اشاره

### الاستقامه و الثبات:

هذه الآيات-في الحقيقه-بمثابه تسليه لخاطر النبي صلى الله عليه و آله و سلم، كما أنّها نازله لبيان وظيفته و مسؤوليته، و في الواقع أنّ من أهم النتائج التي يتوصل إليها من القصص السابقه للأمم الماضيه هي ان لا يكثرث النبي و من معه من اتباعه المؤمنون حقًا من كثره الأعداء، و لا يخافوا منهم، و لا يشكّوا او يتردّدوا في هزيمة عبده الأصنام و الظالمين الذي يقفون بوجوههم، و ان يواصلوا طريقهم و يعتمدوا على الله واثقين به.

لذلك يقول القرآن الكريم فى هذا الصدد:

فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْْبُدُ هَؤُلَاءِ مَا يَعْْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْْبُدُ آبَاؤُهُمْ

(١)

و يقول بعدها مباشرة: وَإِنَّا لَمَوْفُوهُمْ نَصِيْبِيَهُمْ غَيْرَ مَنْقُوصٍ عَلَىٰ أَنَّ جَمْلَهُ مَوْفُوهُمْ نَصِيْبِيَهُمْ تَعْنَىٰ أَدَاءَ الْحَقِّ كَامِلًا، لَكِن ذَكَرَ كَلِمَةَ غَيْرَ مَنْقُوصٍ لِلتَّأْكِيدِ أَكْثَرَ عَلَىٰ هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ.

و فى الحقيقة أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ تَجَسَّمُ هَذِهِ الْحَقِيقَةَ، وَ هِيَ أَنَّ مَا قَرَأْنَاهُ مِنْ قِصَصِ الْأُمَمِ السَّابِقَةِ لَمْ يَكُنْ اسْطُورَةً، كَمَا أَنَّهَا لَا تَخْتَصُّ بِالْمَاضِيْنَ، فَهِيَ سُنَّةٌ أَبَدِيَّةٌ وَ خَالِدَةٌ وَ هِيَ لِجَمِيعِ النَّاسِ مَاضِيًّا وَ حَاضِرًا وَ مُسْتَقْبَلًا.

غَايَةُ مَا فِيهِ الْأَمْرُ أَنَّ هَذَا الْعِقَابَ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأُمَمِ السَّابِقَةِ نَزَلَ عَلَىٰ شَكْلِ بَلَايَا مَهُولَةٍ وَ عَظِيمَةٍ، لَكِنَّهُ وَجَدَ شَكْلًا آخَرَ فِي شَأْنِ أَعْدَاءِ نَبِيِّ الْإِسْلَامِ، وَ هُوَ أَنَّ اللَّهَ أَعْطَى الْقُدْرَةَ وَ الْقُوَّةَ الْعَظِيمَةَ لِنَبِيِّهِ وَ أَصْحَابِهِ الْمُؤْمِنِينَ بِحَيْثُ اسْتَطَاعَ أَنْ يَهْزِمَ أَعْدَاءَ الظَّالِمِينَ لِلجُوجِينَ الَّذِينَ أَصْرُوا عَلَىٰ انْحِرَافِهِمْ وَ غُرُورِهِمْ.

و يَسَلِّي الْقُرْآنُ قَلْبَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ مَرَّةً أُخْرَى، فَيُحَدِّثُهُ عَنْ مُوسَى وَ قَوْمِهِ قَائِلًا:

وَ لَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتَلَفَ فِيهِ

...و يقول إذا ما رأيت أَنَّ اللَّهَ لَا - يعجل العذاب على قومك، فلانَّ مصلحه الهدايه و التعليم و التربيه لقومك توجب ذلك و الآ فانَّ القرار الالهى المسبق يقتضى التعجيل بعملية التحكيم و القضاء و بالتالى إنزال العقاب وَ لَوْ لَا كَلِمَةُ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقَضَىٰ بَيْنَهُمْ وَ إِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ وَ بِالرَّغْمِ مِنْ ذَلِكَ فَهَمْ فِي شَكٍّ مِنْ هَذَا الْأَمْرِ (٢).

ص: ٧٨

١ - ١) «المريه» على وزن «جزيه» كما تأتى على وزن «قريه» و معناها التردد فى التصميم على امر ما... و قد قال البعض: أنها تعنى الشكَّ المقترن بالتهمة، و الجذر الاصلى لهذه الكلمه معناه عصر ثدى الناقه بعد احتلابها. على امل ان يكون شىء من اللبن لا يزال باقيا فى الثدى، و لانَّ هذا العمل منشؤه التردد و الشك فلذلك أطلقت الكلمه على كل ما فيه شكَّ و تردد.

٢ - ٢) هناك كلام بين المفسرين فى عوده الضميرين «هم» و «منه» على ايه كلمتين فى الآية؟! فقال بعضهم: انَّ هذا الضمير هم «و انهم» يعود على قوم موسى و «منه» يعود على كتاب (التوراه) فمعنى الآية: ان هؤلاء القوم لا يزالون يشكون فى

كلمه «مريب» مشتقه من «الريب» ومعناه الشكّ المقترن بسوء الظن و النظره السيئه و القرائن المخالفه، و على هذا فيكون مفهوم هذه الكلمه ان عبده الأصنام ما كانوا يترددون في مسأله حقيقه القرآن او نزول العذاب على المفسدين فحسب، بل كانوا يدعون بأن لديهم قرائن تخالف ذلك ايضا.

أمّا «الراغب» فيقول في «مفرداته»: أنّ معنى الريب هو الشكّ الذي يرفع عنه الحجاب بعدئذ و يعود الى اليقين، فعلى هذا يكون مفهوم الآيه أنّ الحجاب سيكشف عاجلا- عن حقانيه دعوتك و كذلك عن عقاب المفسدين و تظهر حقيقه الأمر! و يضيف القرآن لمزيد التأكيد و إنّ كلاً- لَمَّا لِيُؤْفِقِيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ و هذا الأمر ليس فيه صعوبه على الله و لا حرج إذ إنّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ خَيْرٌ.

الطريف انّ القرآن يقول: لِيُؤْفِقِيَنَّهُمْ ... أَعْمَالَهُمْ ليشير مرّه اخرى الى مسأله تجسّم الأعمال و أنّ الجزاء و الثواب هما في الحقيقه اعمال الإنسان نفسه التي تتخذ شكلا آخر و تصل اليه ثانيه.

و بعد ذكر قصص الأنبياء و الأمم السابقه و رمز نجاحهم و نصرهم، و بعد تسليه قلب النبي صلى الله عليه و آله و سلم و تقويه ارادته، يبيّن القرآن- عن هذا الطريق- اهمّ دستور امر به النبي صلى الله عليه و آله و سلم و هو فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ .

«استقم» في طريق الإرشاد و التبليغ... استقم في طريق المواجهه و المواصله... استقم في أداء الوظائف الالهيه و نشر التعليمات القرآنيه.

و لكن هذه الاستقامه ليست لينال فلان او فلان مستقبلا زاهرا، و ليست للرياء و ما شابه ذلك، و ليست لاكتساب عنوان البطوله، و لا اكتساب «المقام» او «الثروه» او «الموفقيه» او «القدره»، بل هي لمجرد طاعه الله و اتباع امره

(٢)

كتاب موسى، و لكن قال آخرون: ان الضمير في (انهم) يعود على مشركي مكه و «منه» يعود على القرآن، و بملا-حظه ان الآيات جاءت لتسليه قلب النبي فيكون التفسير الثاني اقرب للنظر.

ص: ٧٩



كما أنّ هذه الاستقامه ليست عليك وحدك، فعليك ان تستقيم أنت و مَنْ تَابَ مَعَكَ استقامه خاليه من كل زياده و نقصان و افراط أو تفريط وَ لَا تَطْعَمُوا إِذِ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ وَ لَا تخفى عليه حركه و لا قول و لا اى خطّه اخرى... إلخ.

### المسؤوليه الكبيره!!

نقرا فى حديث معروف عن ابن عباس أنّه قال: ما نزل على رسول الله صَلَّى الله عليه و آله و سلم آيه كانت اشدّ عليه و لا اشقّ من هذه الآيه. و لذلك قال لأصحابه حين قالوا له:

اسرع إليك الشيب يا رسول الله

قال: صَلَّى الله عليه و آله و سلم «شيتنى هود و الواقعه» (١).

و نقرا

فى روايه اخرى أنّ النبى صَلَّى الله عليه و آله و سلم قال حين نزلت هذه الآيه: «شَمِّرُوا شَمِّرُوا... فما رثى ضاحكا...» (٢).

و الدليل واضح، لأنّ اربعة أوامر مهمه موجوده فى هذه الآيه يلقى كل واحد منها عبئا ثقيلا على الكتف.

و أهمها الأمر بالاستقامه... الاستقامه (المشتقه من ماده القيام) من جهه أنّ الإنسان يكون تسلطه و سعيه فى عمله حال القيام اكثر... الاستقامه التى معناها طلب القيام، اى أوجد حاله فى نفسك بحيث لا تجد طريقا للضعف فيك، فما اصعبه من امر و ما اشدّه؟! غالبا ما يكون النجاح فى العمل امرا هينا نسبيا... لكن المحافظه على النجاح فيها كثير من الصعوبه... و فى اى مجتمع؟! فى مجتمع متأخر متخلف...

فى مجتمع بعيد عن العلم و التعقل.. فى مجتمع لجوج و بين اعداء كثيرين

ص: ٨٠

١-١) تفسير مجمع البيان، ج ٥، ص ١٩٩.

٢-٢) الدر المنثور فى تفسير الآيه هذه.

معاندين...و فى سبيل بناء مجتمع سالم و حضاره انسانيه زاهره فالاستقامه فى هذا الطريق ليس امرا هينا.

و الامر الآخر: ان تحمل هذه الاستقامه هدفا الهيا فحسب، و ان تكون الوسوس الشيطانيه بعيده عنها تماما، اى ان تكتسب هذه الاستقامه اكبر القدرات السياسيه و الاجتماعيه من اجل الله.

و الامر الثالث: مسأله قياده أولئك الذين رجعوا الى طريق الحق و تعويدهم على الاستقامه ايضا.

و الامر الرابع: المواجهه و المبارزه فى مسير الحق و العداله و القياده الصحيحه و صدّ كل انواع التجاوز و الطغيان، فكثيرا ما بيدى بعض الناس منتهى الاستقامه فى سبيل الوصول للهدف، لكن لا يستطيعون ان يراعوا مسأله العداله، و غالبا ما يبتلون بالطغيان و التجاوز عن الحد.

اجل...مجموع هذه الأمور و تواليها على النبى حَمَلته مسئوليه كبرى، حتى انه صَلَّى الله عليه و آله و سلّم ما رثى ضاحكا...و شَبَّته هذه الآيه من الهَمِّ.

و على كل حال فإنّ هذا الأمر لم يكن للماضى فحسب، بل هو للماضى و الحاضر و المستقبل، و هو للأمس و اليوم و الغد القريب و الغد البعيد ايضا.

و اليوم مسئوليتنا المهمه -نحن المسلمين ايضا، و بالخصوص قاده الإسلام -تتلخّص فى هذه الكلمات الاربعه. و هى: الاستقامه، و الإخلاص، و قياده المؤمنين، و عدم الطغيان و التجاوز. و دون ربط هذه الأمور بعضها الى بعض فإنّ النصر على الأعداء الذين احاطونا من كل جانب من الداخل و الخارج، و استفادوا من جميع الاساليب الثقافيه و السياسيه و الاقتصاديه و الاجتماعيه و العسكريه... هذا النصر لا يكون سوى أوهام فى مخيله المسلمين.

اشاره

وَلَا تَزْكُونا إِلَى الَّذِيْنَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمْ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِياءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ (١١٣)

التفسير

اشاره

الزكون الى الظالمين:

ان هذه الآيه تبين واحدا من أقوى و أهم الاسس و البرامج الاجتماعيه و السياسيه و العسكريه و العقائديه، فتخاطب عامه المسلمين ليؤدوا وظيفتهم القطعيه فتقول: وَلَا تَزْكُونا إِلَى الَّذِيْنَ ظَلَمُوا و السبب واضح فَتَمَسَّكُمْ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِياءَ و معلوم عندئذ حالكم ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ .

ملاحظات

اشاره

١- ما هو مفهوم الزكون

؟ مفهوم «الركون» مشتق من ماده «رکن» و معناه العمود الضخم من الحجر او الجدار الذى يربط البناء او الأشياء الاخرى بعضها الى بعض، ثم اطلق هذا اللفظ على الاعتماد او الاستناد الى الشىء.

و بالرغم من أنّ المفسّرين اعطوا معانى كثيره لهذه الكلمه فى تفسيرهم للآيه، و لكنّها فى الغالب تعود الى مفهوم جامع و كلى فمثلا- فسّرها البعض بالميل، و فسّرها البعض ب«التعاون»، و فسّرها البعض ب«اظهار الرضا»، و فسّرها آخرون ب«المودّه»، كما فسرها جماعه بالطاعه و طلب الخير، و كل هذه المعانى ترجع الى الاعتماد و الاتكاء كما هو واضح.

## ٢- فى اىّ الأمور لا ينبغى الرّكون الى الظالمين

؟ بديهى أنّه فى الدرجه الاولى لا- يصح الاشتراك معهم فى الظلم او طلب الاعانه منهم، و بالدرجه الثانيه الاعتماد عليهم فيما يكون فيه ضعف المجتمع الاسلامى و سلب استقلاله و اعتماده على نفسه و تبديله الى مجتمع تابع و ضعيف لا يستحق الحياه، لأنّ هذا الركون ليس فيه نتيجه سوى الهزيمه و التبعية للمجتمع الاسلامى.

و اما ما نلاحظه أحيانا من مسائل التبادل التجارى و الروابط العلميه بين المسلمين و المجتمعات غير الاسلاميه على أساس حفظ منافع المسلمين و استقلال المجتمعات الاسلاميه و ثباتها، فهذا ليس داخلا فى مفهوم الركون الى الظالمين و لم يكن شيئا ممنوعا من وجهه نظر الإسلام، و فى عصر النّبى صلى الله عليه و آله و سلّم و الاعصار التى تلتها كانت هذه الأمور موجوده و طبيعيه ايضا.

## ٣- فلسفه تحريم الركون الى الظالمين

الرّكون الى الظالمين يورث مفاسد كثيره لا- تخفى على احد بصورتها الاجماليه و لكن كلّما تفحصنا فى هذه المسأله اكثر اكتشفنا مسائل دقيقه جديده.

فالركون الى الظالمين يبعث على تقويتهم، و تقويتهم مدعاه الى اتساع رقعه الظلم و الفساد فى المجتمعات، و نقرا فى الأوامر الاسلاميه أنّ الإنسان ما لم يجبر

«و فى بعض الأحيان حتى مع الإِجبار» لا يحق له ان يراجع القاضى الظالم من اجل اكتساب حقّه، لان مراجعته مثل هذا القاضى الحاكم الجائر من اجل احقاق الحق مفهومها ان يعترف ضمنا برسميته و تقواه، و لعل ضرر هذا العمل اكبر من الخساره التى تقع نتيجة فقدان الحق.

و الركون الى الظلمه يؤثر تدريجا على الثقافه الفكرية للمجتمع، فيضمحل مفهوم «قبح الظلم» و يؤدى بالناس الى الرغبه فى الظلم.

و أساسا لا نتيجة من الركون الى الغير بصوره التعلق و الارتباط الشديد الأ سوء الحظ و الشقاء، فكيف إذا كان هذا الركون الى الظالمين؟ انّ المجتمع الحضارى المقتدر هو المجتمع الذى يقف على قدميه، كما يعبر القرآن الكريم فى مثل بديع فى الآيه (٢٩) من سوره الفتح إذ يقول: فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ و المجتمع الحرّ المستقلّ هو المجتمع الذى يكتفى ذاتيا، و ارتباطه او تعاونه مع الآخرين هو ارتباط على أساس المنافع المتبادله لا على أساس ركون الضعيف الى القوى، لانّ هذا الركون-سواء كان من جهه فكرية او ثقافيه او اقتصاديه او عسكريه او سياسيه- لا يخلف سوى الأسر و الاستثمار، و لا يثمر سوى المساهمه فى ظلمهم و المشاركه فى خططهم.

و بالطبع فإنّ الآيه المتقدمه ليست خاصه بالمجتمعات فحسب، بل تشمل العلاقه و الارتباط بين فردين ايضا، فلا يجوز لإنسان مؤمن ان يركن الى اى ظالم، فإنّنه اضافه الى فقدان استقلاله لركونه الى دائره ظلمه، فسيؤدى الى تقويته و اتساع الفساد و العدوان كذلك.

#### ٤- من المقصود ب «الَّذِينَ ظَلَمُوا»

؟ ذكر المفسّرون فى هذا المجال احتمالات مختلفه، فقال بعضهم: المقصود ب الَّذِينَ ظَلَمُوا هم المشركون، و لكن- كما قال آخرون- لا دليل على انحصار

هذا اللفظ بالمشركين رغم ان مصداق الظالمين في عصر نزول الآيه هو المشركين.

كما ان تفسير هذه الكلمه في الروايات بالمشركين لا يدل على الانحصار، لاننا قلنا مرارا و تكرارا ان مثل هذه الروايات انما تبين المصداق الواضح و الجلي، فعلى هذا الأساس يدخل في دائره هذه الآيه جميع الذين امتدت أيديهم الى الظلم و الفساد، او استعبدوا خلق الله و عباده، او استغلوا قواهم لمنافعهم، و باختصار كل الذين دخلوا في المفهوم العام لهذا التعبير الَّذِينَ ظَلَمُوا .

و لكن من الواضح ان من اخطأوا في حياتهم خطأ بسيطا و صاروا من مصاديق الظالم أحيانا غير داخلين في مفهوم الآيه قطعاً لانه في هذه الصور لا يخرج عن شموليه هذه الآيه الا النادر، فلا يصح الركون و الاعتماد على اي شخص، اللهم الا ان نقول: ان المراد بالركون هو الاعتماد على الظالم من جهه ظلمه و جوره، و في هذه الحال حتى الذين تلوثت أيديهم بالظلم مره واحده لا يجوز الركون إليهم.

## ٥- اشكال

بعض المفسرين من اهل السنه اشكالا يصعب الجواب عليه من مبناهم و هو ما ورد في رواياتهم من وجوب الطاعه و التسليم لسلطان الوقت الذي هو من أولو الأمر ايا كان، لما نقلوا

حديثنا عن النبي صلى الله عليه و آله و سلم في وجوب طاعه السلطان «و ان أخذ مالك و ضرب ظهرك...»! و روايات اخرى تؤكد طاعه السلطان بمعناها الواسع.

و من جهه اخرى تقول الآيه: <sup>□</sup> وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَهَلْ يَصِحَّ الجمع بين هذين الأمرين؟! أراد البعض ان يرفع هذا التضاد باستثناء واحد، و هو ان طاعه السلطان

تكون واجبه ما لم ينحرف الى طريق العصيان و يخطو فى طريق الكفر.

و لكن لحن تلك الروايات لا ينسجم مع هذا الاستثناء.

و على كل حال فنحن نعتقد-و كما ورد فى مذهب اهل البيت عليهم السلام-بوجوب طاعه ولى الأمر العادل و العالم الذى يصح ان يكون خليفه عامًا للنبي و اماما من بعده فحسب.

و إذا كان سلاطين بنى اميه و بنى العباس قد وضعوا الأحاديث فى هذا المجال لمصلحتهم،فلا تنسجم بأى وجه مع اصول مذهبنا و التعليمات القرآنيه، و ينبغى ان نعالج هذه الروايات،فإن كانت تقبل التخصيص خصصناها،و الأ طر حناها جانبا،لأن كل روايه تخالف كتاب الله فهى مردوده و باطله،و القرآن يصرح انّ امام المسلمين لا يجوز ان يكون ظالما،و الآيه المتقدمه تقول بصراحه ايضا: **وَلَا تَزْكُورُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا... او نقول: انّ أمثال هذه الروايات مخصوصه بالحالات الضروريه و الاضطراريه.**

اشاره

وَ أَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَ زُلْفًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ (١١٤) وَ اصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضَيِّعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (١١٥)

التفسير

اشاره

الصلاه و الصبر:

هذه الآيات تشير الى أمرين من اهم الأوامر الاسلاميه، و هما فى الواقع روح الايمان و قاعده الإسلام، فيأتى الأمر أولاً بالصلاه وَ أَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَ زُلْفًا مِنَ اللَّيْلِ .

و ظاهر التعبير من طَرَفِي النَّهَارِ هو بيان صلاه الصبح و صلاه المغرب اللتين يقعان طرفى النهار، و«الزلف» جمع «زلفه» التى تعنى القرب، و يشار بها الى أول الليل القريب من النهار فتطبق على صلاه العشاء.

و هذا التفسير وارد فى روايات اهل البيت عليهم السلام ايضا، اى ان الآيه تشير الى الصلوات الثلاث «الصبح و المغرب و العشاء».

و يرد هنا سؤال و هو: لم ذكرت هذه الصلوات الثلاث من بين الصلوات الخمس!؟



غموض الاجابه دعا بعض المفسرين لان يتوسع فى معنى طَرْفِي النَّهَارِ ليشمل صلاه الصبح و الظهر و العصر و المغرب ايضا. و بالتعبير ب وَ زُلْفًا مِنَ اللَّيْلِ الذى يشير الى صلاه العشاء تكون جميع الصلوات الخمس قد دخلت فى الآيه! و الإنصاف ان تعبير طَرْفِي النَّهَارِ لا يتحمل مثل هذا التفسير، مع ملاحظه ان المسلمين فى الصدر الاوّل من الإسلام كانوا مقيدين بأداء صلاه الظهر فى أوّل الوقت و أداء صلاه العصر فى حدود نصف الوقت، اى بين وقت الظهر و وقت المغرب.

الشيء الوحيد الذى يمكن ان يقال هنا: ان آيات القرآن قد تذكر جميع الصلوات الخمس أحيانا كما فى سورة الاسراء: أقمِ الصَّلَاةَ لِذُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنِ الْفَجْرِ (١).

و قد تذكر ثلاث صلوات- كآليه محل البحث- و قد تذكر صلاه واحده كما فى سورة البقره حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ (٢).

فعلى هذا لا يستلزم ذكر جميع الصلوات الخمس فى كل مورد، و قد توجب المناسبات الاشاره الى صلاه الظهر «الصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ» لاهميتها او تشير الى صلاه الصبح او المغرب و العشاء و ذلك لاحتمال ان تقع فى دائره النسيان للتعب او النوم.

و لاهميه الصلوات اليوميه-خاصه- و جميع العبادات و الطاعات و الحسنات-عموما-فإن القرآن يشير بهذا التعبير إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ .

و الآيه آنفه الذكر كسائر آيات القرآن تبين تأثير الأعمال الصالحه فى محو

ص: ٨٨

١-١ (١) الآيه، ٧٨.

٢-٢ (٢) الآيه، ٢٣٨.

اثر الأعمال السيئه، حيث نقرأ في سورة النساء الآية (٣١): **إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُقْرَافِي سوره العنكبوت الآية (٧): **وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ .****

و بهذا تثبت مقوله ابطال السيئات بالطاعات و الأعمال الحسنه.

و من الناحيه النفسيه-ايضا-لا ريب في ان الذنب و العمل السيء يوجد نوعا من الظلمه في روح الإنسان و نفسه، بحيث لو استمر على السيئات تتراكم عليه الآثار فتمسخ الإنسان بصوره موحشه.

و لكن العمل الصالح الصادر من الهدف الالهى يهب روح الإنسان لطافه بإمكانها ان تغسل آثار الذنوب و ان تبدل ظلمات نفسه الى أنوار.

و بما ان الجملة الآنفه **إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ** ذكرت بعد الأمر بإقامه الصلاه مباشره، فإن واحده من مصاديقها هي الصلاه اليوميه، و إذا ما لاحظنا في الروايات اشاره الى الصلاه اليوميه في التفسير فحسب فليس ذلك دليلا على الانحصار، بل-كما قلنا مرارا-أنما هو بيان مصداق واضح قطعى.

### **الاهميه القصوى للصلاه:**

تلاحظ في الروايات المتعدده المنقوله عن النبي صلى الله عليه و آله و سلم و الائمه الطاهرين عليهم السلام تعبيرات تكشف عن الاهميه الكبرى للصلاه في نظر الإسلام.

يقول ابو عثمان: كنت جالسا مع سلمان الفارسي تحت شجره فأخذ غصنا يابسا و هزّه حتى تساقطت أوراقه جميعا، ثم التفت الى و قال: ما سألتني لم فعلت ذلك؟! فقلت: و ما تريد؟! قال: هذا ما كان من رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم حين كنت جالسا معه تحت شجره ثم

سألني النبي هذا السؤال و قال: «ما سألتني لم فعلت ذلك؟».

فقلت له: و لم يا رسول الله؟ فقال: «انَّ المسلم إذا توضأ فأحسن الوضوء ثم صَلَّى الصلوات الخمس تحاتت خطاياها كما تحاتت هذا الورق» ثم قرأ الآيه «وَ أَقِمِ الصَّلَاةَ... إلخ». (١)

و نقرا

فى حديث آخر عن احد اصحاب رسول الله صَلَّى الله عليه و آله و سلم و اسمه ابو امامه انه قال: «كنت جالسا يوما فى المسجد مع رسول الله صَلَّى الله عليه و آله و سلم فجاءه رجل و قال: يا رسول الله، أذنبت ذنبا يستوجب الحد فأقم على الحد، فقال صَلَّى الله عليه و آله و سلم: «أ صليت معنا؟» قال:

نعم يا رسول الله، فقال صَلَّى الله عليه و آله و سلم: «فإنَّ الله غفر ذنبك»... او «أسقط عنك الحد» (٢).

كما

نقل عن على عليه السلام انه قال: «كُنَّا مع رسول الله ننتظر الصلاة فقام رجل و قال: يا رسول الله، أذنبت. فأعرض النبى بوجهه عنه، فلما انتهت الصلاة قام ذلك الرجل و أعاد كلامه ثانية، فقال النبى صَلَّى الله عليه و آله و سلم: الم تصل معنا و أحسنت لها الوضوء؟ فقال بلى، فقال: هذه كفاره ذنبك» (٣).

و

نقل عن على عليه السلام ايضا انه قال: «قال رسول الله صَلَّى الله عليه و آله و سلم: انما منزله الصلوات الخمس لامتى كنهجر جار على باب أحدكم، فما يظن أحدكم لو كان فى جسده درن ثم اغتسل فى ذلك النهر خمس مرات، أ كان يبقى فى جسده درن؟ فكذلك و الله الصلوات الخمس لامتى» (٤).

و على كل حال، لا مجال للشك فى انه متى ما اذيت الصلاة بشرائطها فإنها تنقل الإنسان الى عالم من المعنوي و الروحاني بحيث توثق علاقته الايمانيه بالله، و تغسل عن قلبه و روحه الأدران و آثار الذنوب.

الصلاه تجير الإنسان من الذنب، تجلو صدا القلوب.

الصلاه تجذّر الملكات الساميه للإنسان فى اعماق الروح البشريه، و الصلاه

ص: ٩٠

١-١) مجمع البيان فى تفسير الآيه.

٢-٢) المصدر السابق.

٣-٣) المصدر السابق.

٤-٤) المصدر السابق.

تقوى الاراده و تطهر القلب و الروح، و بهذا الترتيب فإن الصلاة الواعيه الفاعله هي مذهب تربوى عظيم.

## أرجى آيه فى القرآن:

ينقل فى تفسير الآيه-محل البحث-حديث طريف

عن الامام علي عليه السلام بهذا المضمون، و هو أنه التفت مره الى الناس و قال: «اي آيه فى كتاب الله أرجى عندكم؟! فقال بعضهم: إن الله لا يغفر أن يُشركَ بهِ و يغفر ما دُون ذلك لمن يشاء.»

فقال عليه السلام: حسنه ليست اياها.

فقال آخرون: هي آيه قل يا عبّادى الذين أشرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله.

فقال عليه السلام: حسنه ليست اياها.

فقالوا: هي آيه و من يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيماً.

قال عليه السلام: حسنه ليست اياها.

فقال آخرون: هي آيه: و الذين إذا فعلوا فاحشاً أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم و من يغفر الذنوب إلا الله فقال الامام ايضاً: «حسنة ليست اياها».

ثم أحجم الناس، فقال: ما لكم يا معشر المسلمين، فقالوا: و الله ما عندنا شىء قال عليه السلام: «سمعت حبيبي رسول الله يقول: أرجى آيه فى كتاب الله و أقم الصلاة طرفي النهار و زلفاً من الليل إن الحسنة تبيد السيئات ذلك ذكركم للذاكرين» (١).

ص: ٩١

و بالطبع كما ذكرنا في شرح الآيه (٤٨) من سورة النساء: انه ورد حديث آخر يشير الى ان أرجى آيه في القرآن هي آيه إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ .

و لكن مع ملاحظه أنّ كل آيه من هذه الآيات تنظر الى زاويه من هذا البحث و تبين بعدا من الابعاد، فلا تضادّ بينها.

و في الواقع أنّ الآيه محل البحث تتحدّث عن أولئك الذين يؤدّون الصلاه بصوره صحيحه، صلاه مع حضور القلب و الروح، بحيث تغسل آثار الذنوب عن قلوبهم و أرواحهم. أمّا الآيه الاخرى تتحدّث عن أولئك الذين حرموا من هذه الصلاه، فيمكنهم من باب التوبه، فإذن هذه الآيه لهؤلاء الجماعه أرجى آيه، و تلك الآيه لأولئك الجماعه أرجى آيه.

و ايّ رجاء أعظم من ان يعلم الإنسان أنّه متى زلت قدمه و غلب عليه هواه (دون ان يصرّ على الذنب) و حين يحل وقت الصلاه فيتوضأ و يقف امام معبوده للصلاه، فيحسّ بالخجل عند التوجه الى الله لما قدمه من اعمال سيئه و يرفع يديه بالدعاء و طلب العفو فيغفر و تزول عن قلبه الظلمه و سوادها.

و تعقيبا على تأثير الصلاه في بناء شخصيه الإنسان و بيان تأثير الحسنات على محو السيئات، يأتي الأمر بالصبر في الآيه الاخرى بعدها وَ اصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ .

و بالرغم من أنّ بعض المفسّرين حاول تحديد معنى الصبر في هذه الآيه في الصلاه، او إيذاء الأعداء للنبي صلّى الله عليه و آله و سلّم، إلا أنّ من الواضح ان لا دليل على ذلك -بل ان الآيه تحمل مفهوما واسعا كليا و جامعا و يشمل كل انواع الصبر امام المشاكل و المخالفات و الأذى و الطغيان و المصائب المختلفه، فالصمود امام جميع هذه الحوادث يندرج تحت مفهوم الصبر.

«الصبر» اصل كلى و أساس اسلامي، يأتي أحيانا في القرآن مقرونا

بالصلاه، و لعل ذلك آت من ان الصلاه تبعث في الإنسان الحركه، و الأمر بالصبر يوجب المقاومه، و هذان الأمران، اى «الحركه و المقاومه» حين يكونان جنباً الى جنب يثمران كل اشكال النجاح و الموفقيه.

و أساسا يتحقق عمل صالح دون صبر و مقاومه... لانه لا يد من إيصال الأعمال الصالحه الى النهايه، و لذلك فإن الآيه المتقدمه تعقب على الأمر بالصبر بثواب الله و اجره إذ تقول: إِنَّ اللَّهَ لَا يُضَيِّعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ و معنى ذلك ان العمل الصالح لا يتيسر دون صبر و مقاومه... لا بأس بذكر هذه المسأله الدقيقه، و هى ان الناس ينقسمون الى عدّه جماعات إزاء الحوادث العسيره الصعبه:

١- جماعه تفقد شخصيتها فوراً، و كما يعبر القرآن إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا .

٢- جماعه آخرون يصمدون امام الأزمات بكل تحمّل و تجلّد.

٣- جماعه آخرون بالاضافه الى صمودهم و تحملهم للأزمه، فإنهم يؤدّون الشكر لله.

٤- جماعه آخرون يتجهون الى الأزمات و المصاعب بشوق و عشق، و يفكرون فى كيفيه التغلب عليها. و لا يعرفون التعب و النصب فى متابعه الأمور، و لا يهدأون حتى تزول المشاكل.

و قد وعد الله مثل هؤلاء الصابرين بالنصر المؤزر إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين (١).

و أنعم عليهم و أثابهم فى الدار الاخرى بالجنّه و جزأهم بما صبروا جنّه و حريراً (٢).

ص: ٩٣

١-١ (١) الأنفال، ٦٥.

١٢-٢ (٢) سورة الإنسان، ١٢.

اشاره

فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّتِهِ يَسْتَهْزِئُونَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ (١١٦) وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلِهَا مُصْلِحُونَ (١١٧)

التفسير

اشاره

عامل الانحراف و الفساد فى المجتمعات:

من اجل إكمال البحوث السابقه ذكر فى هاتين الآيتين اصل اساسى اجتماعى يضمن نجاه المجتمعات من الفساد، و هو أنه ما دام هناك فى كل مجتمع طائفه من العلماء المسؤولين و الملتزمين الذين يحاربون كل اشكال الفساد و الانحراف، و يأخذون على عاتقهم قياده المجتمع فكريا و ثقافيا و دينيا، فإن هذا المجتمع سيكون مصونا من الزيغ و الانحراف.

لكن متى ما سكت عن الحق اهله و حماته، و بقى المجتمع دون مدافع امام عوامل الفساد، فإن انتشار الفساد و من ورائه الهلاك امر حتمى.

الآيه الاولى اشارت الى القرون و الأمم المتقدمه الذين ابتلوا بأشد انواع

البلاء قائله: فَلَوْ لَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّتِهِ يَسْتَهْزِئُونَ عَنِ الْفُسَادِ ثُمَّ تَسْتَنِي جَمَاعَهُ فَتَقُولُ: إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا .

هذه الجماعة القليلة و ان كانت تأمر بالمعروف و تنهى عن المنكر، ولكنها كحال لوط عليه السلام و أسرته الصغيره، و نوح و المعدودين ممن آمن به، و صالح و جماعه من اتباعه، فإنهم كانوا قلّه لم توفق للإصلاح العام و الكلى فى المجتمع.

و على كل حال فإن الظالمين الذين كانوا يشكلون القسم الأكبر من المجتمع اتبعوا لذاتهم و تنعمهم، و كما تقول الآية: وَ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَ كَانُوا مُجْرِمِينَ .

و للتأكيد على هذه الحقيقه، تأتي الآية الثانيه لتقول: إِنَّ هَذَا الَّذِي ترون من إهلاك الله للأمم، إنما كان لعدم وجود المصلحين فيهم و ما كان رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَ أَهْلِهَا مُصْلِحُونَ .

و أحيانا يسود الظلم و الفساد فى المجتمع، لكن المهم أنّ الناس يشعرون بالظلم و الفساد و هم فى طريق الإصلاح، و بهذا الشعور و الاحساس و التحرك بخطوات فى طريق الإصلاح يمهلهم الله، و يقرّ لهم قانون الخلق حق الحياه.

و لكن هذا الاحساس متى ما انعدم و أصبح المجتمع صامتا، و أخذ الفساد و الظلم فى الانتشار بكل مكان فإنّ قانون الخلق و الوجود لا يعطيهم الحق فى الحياه، و هذه الحقيقه تتضح بمثال يسير... فى البدن قوّه و مناعه كريات الدم البيضاء التى تواجه المكروبات و الجراثيم عند دخولها البدن عن طريق الهواء او الغذاء او الماء او الجروح الجلديه إلخ...

و هذه الكريات البيضاء بمثابة الجنود المقاتله إذ تقف بوجه المكروبات و الجراثيم فتبيدها، او على الأقل تحدّ من انتشارها و نموها.

و بديهى ان هذه القوه الدفاعيه التى تتشكل من ملايين الجنود، لو أضربت يوما عن العمل و بقى البدن دون مدافع، فسيكون ميدانا لهجوم الجراثيم الضارّه



بحيث تسرع انواع الأمراض الى البدن.

و جميع المجتمعات البشرية لها مثل هذه الحالة، فلو ارتفعت هذه القوّه المدافعه عنها و هى ما عبّر عنه القرآن ب أولوا بَقِيَّهِ فَإِنْ جراثيم الأمراض الاجتماعيه المتوفره فى كل زاويه من المجتمع سرعان ما تنمو و تتكاثر و يسقط المجتمع صريع الأمراض المختلفه.

ان اثر أولوا بَقِيَّهِ فى بقاء المجتمع حساس للغاية، حتى يمكن القول: انّ المجتمع من دون «اولى بقيه» يسلب حق الحياه، و من هنا فقد وردت الاشاره إليهم فى الآيه المتقدمه.

### من هم أولوا بَقِيَّهِ

؟ كلمه «اولوا» تعنى الاصحاب، و كلمه «بقيه» معناها واضح اى ما يبقى، و يستعمل هذا التعبير فى لغه العرب بمعنى «أولو الفضل» لأنّ الإنسان يدخر الأشياء النفيسه و الجيده لتبقى عنده، فالمصطلح أولوا بَقِيَّهِ يحمل فى نفسه مفهوم الخير و الفضل.

و نظرا لاین الضعفاء-عاده-يرجّحون الفرار على القرار فى ميدان المواجهه الاجتماعيه، او يصيبهم الفناء، و لا- يبقى فى ميدان المواجهه إلا- من يتمتع بقوّه فكريه او جسديه، و بذلك يبقى الأقوياء فقط، و من هذا المنطلق ايضا تقول العرب فى أمثالها: فى الزوايا خبايا... و فى الرجال بقايا.

كما جاءت كلمه «بقيه» فى القرآن الكريم فى ثلاثه موارد و هى تحمل هذا المفهوم، حيث نقرا فى قصه طالوت و جالوت إِنَّ آيَةَ مَلِكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّنْ رَبِّكُمْ وَ بَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ (١).

و قرانا ايضا قصه شعيب (فى هذه السوره) مخاطبا قومه:

ص: ٩٦

و حيث نجد فى قسم من التعبيرات اطلاق بَقِيَّتُ اللَّهِ على «المهدى الموعود» عليه السلام فهو اشاره الى هذا الموضوع ايضا، لانه وجود ذو فيض و ذخيره الهيه كبرى، و هو معدّ ليطوى بساط الظلم و الفساد و ليرفع لواء العدل فى العالم كله.

و من هنا نعرف الحق الكبير لهؤلاء الرجال الاجلاء الافذاذ و المكافحين للفساد، و المصطلح عليهم ب أولوا بَقِيَّتِهِ على المجتمعات البشرىه لانهم رمز لبقاء الأمم و حياتها و نجاتها من الهلاك.

المسأله الاخرى التى تستجلب النظر فى الآيه المتقدمه انها تقول: **وَ مَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَ أَهْلِهَا مُصْلِحُونَ .**

و بملاحظه التفاوت بين كلمتى «مصلح» و «صالح» تتجلى هذه المسأله الدقيقه، و هى انّ الصلاح وحده لا يضمن البقاء، بل إذا كان المجتمع فاسدا و لكن افراده يسرون باتجاه إصلاح الأمور فالمجتمع يكون له حق البقاء و الحياه ايضا.

فلو انعدم الصالح و المصلح فى المجتمع فإنّ من سنه الخلق ان يحرم ذلك المجتمع حق الحياه و يهلك عاجلا.

و بتعبير آخر: متى كان المجتمع ظالما و لكنه مقبل على إصلاح نفسه، فهذا المجتمع يبقى، و لكن إذا كان المجتمع ظالما و لم يقبل على نفسه فيصلحها او يطهرها فإنّ مصيره الى الفناء و الهلاك.

المسأله الدقيقه الاخرى: انّ واحدا من أسس الظلم و الاجرام- كما تشير اليه الآيات المتقدمه- هو اتباع الهوى و عباده اللذّه و حبّ الدنيا، و قد عبّر القرآن عن كل ذلك ب «الترف».

فهذا الترف و التلذذ غير المقيد و غير المشروط أساس الانحرافات فى

المجتمعات المرفهه، لائن سكرها من شهواتها يصدها عن إعطاء القيم الانسانيه الاصيله حقها و درك الواقعيات الاجتماعيه، و يغرقها في العصيان و الآثام.

ص: ٩٨

اشاره

وَ لَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَ لَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ (١١٨) إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَ لِيَذَلِّكَ خَلْقَهُمْ وَ تَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ  
لَأَمَّا نَّ جَهَنَّمَ مِّنَ الْجِنَّةِ وَ النَّاسِ أَجْمَعِينَ (١١٩)

التفسير

فى الآيه الاولى محل البحث اشاره الى واحده من سنن الخلق و الوجود و التى تمثل اللبناى التحتىه لسائر المسائل المرتبطه بالإنسان... وهى مسأله الاختلاف و التفاوت فى بناء الإنسان روحا و فكرا و جسما و ذوقا و عشقا، و مسأله حريه الاراده و الاختيار.

تقول الآيه وَ لَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَ لَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ .

لثلا يتصور احد من الناس ان تأكيد الله و إصراره على طاعه امره دليل على عدم قدرته على ان يجعلهم فى سير واحد و منهج واحد.

نعم، لم يكن -اى مانع- ان يخلق جميع الناس بحكم إلزامه و إجباره على شاكله واحده، و يجعلهم مؤمنين بالحق و مجبورين على قبول الايمان به...

لكن مثل هذا الايمان لا تكون فيه فائده و لا فى مثل هذا الاتحاد...

فالإيمان القسرى الذى ينبع من هدف غير ارادى لا يكون علامه على شخصيه

الفرد و لا- وسيله للتكامل، و لا يوجب الثواب كما هو الحال فى خلق النحل خلقا يدفعها بحكم الغريزه الى ان تجمع الرحيق من الازهار... و خلق بعوضه الملاريا خلقا يجعلها تستقر فى المستنقعات، و لا يمكن لائى منهما ان تتخلى عن طريقتهما.

الآن قيمه الإنسان و امتيازاه و أهم ما يتفاوت فيه عن سائر الموجودات هى هذه الموهبه، و هى حريه الاراده و الاختيار، و كذلك امتلاك الأذواق و الاطباع و الأفكار المتفاوته التى يصنع كل واحد منها قسما من المجتمع و يؤمن بعدا من ابعاده.

و من طرف آخر فإن الاختلاف فى انتخاب العقيدة و المذهب امر طبيعى مترتب على حريه الاراده و يكون سببا لان تقبل جماعه طريق الحق و تتبع جماعه أخرى الباطل، إلا ان يترى الناس تربيته سليمه فى احضان الرحمه الالهيه و يتعلموا المعارف الحقه بالاستفاده من مواهب الله تعالى لهم...ففى هذه الحال، و مع جميع ما لديهم من اختلافات، و مع الاحتفاظ بالحريه و الاختيار، فإنهم سيخطون خطوات فى طريق الحق و ان كانوا يتفاوتون فى هذا المسير.

و لهذا يقول القرآن الكريم فى الآيه الاخرى: <sup>□</sup>إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ و لكن هذه الرحمه الالهيه ليست خاصه بجماعه معينه، فالجميع يستطيعون «شريطه رغبتهم» ان يستفيدوا منها (و لِدَلِكْ خَلَقَهُمْ) .

الأشخاص الذين يريدون ان يستظلوا برحمه الله فإن الطريق مفتوح لهم...

الرحمه التى افاضها الله لجميع عباده عن طريق تشخيص العقل و هدايه الأنبياء.

و متى ما استفادوا من هذه الرحمه و الموهبه، فإن أبواب الجنه و السعاده الدائمه تفتح بوجوههم، و الأ: فلا: وَ تَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ <sup>□</sup>لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ .

١-حرية الاراده هي أساس خلق الإنسان و دعوه جميع الأنبياء،و أساسا لا يستطيع الإنسان بدونها ان يخطو و لو خطوه واحده فى مسير التكامل«التكامل الانسانى و المعنوى»و لهذا فقد أكدت آيات متعدده على أنه لو شاء الله ان يهدى الناس بإجباره لهم جميعا لفعل،لكنه لم يشأ.

فيما يتعلق بالله هو الدعوه الى المسير الحق و تعريف الطريق و وضع العلامات،و التنبيه،على ما ينبغى الحذر منه و تعيين القائد للمسيره البشريه و المنهج فحسب.

يقول القرآن الكريم: إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ (١) كما يقول ايضا إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكَّرٌ لِّسِتِّ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّطٍ (٢) و يقول فى سورة الشمس: فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَ تَقْوَاهَا (٣) و نقرا ايضا فى سورة الدهر الآية(٤): إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَ إِمَّا كَفُورًا فعلى هذا فإن الآيات محل البحث من أوضح الآيات التى تؤكد على حرية الاراده و نفى مذهب الجبر،و تدل على ان التصميم النهائى هو بيد الإنسان.

٢-فى الهدف من الخلق و الوجود،فى آيات القرآن بيانات مختلفه،و فى الحقيقه يشير كل واحد منها الى بعد من ابعاد هذا الهدف،من هذه الآيات وَ مَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَ الْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (٤) اى ليتكاملوا فى مذهب العباده و ليبلغوا أعلى مقام للانسانيه فى هذا المذهب.

و نقرا فى مكان آخر الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَ الْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا

ص: ١٠١

١-١ (١) الليل، ١٢.

٢-٢ (٢) الغاشيه، ٢١.

٣-٣ (٣) الشمس، ٨.

٤-٤ (٤) الذاريات، ٥٦.

أما في الآية محل البحث فيقول: وَإِذْ لَمَّا فَطَرَ خَلْقَهُمْ... و كما تلاحظون فإن جميع هذه الخطوط تنتهي الى نقطه واحده، و هي تربيه الناس و هدايتهم و تقدمهم و تكاملهم، و كل ذلك يعدّ الهدف النهائي للخلق.

و فائده هذا الهدف تعود للإنسان نفسه لا الى الله، لأنّ الله وجود مطلق لا نهايه له من جميع الجهات، و مثل هذا الوجود لا نقص فيه ليرفعه و يزيله بالخلق.

٣- و في نهايه الآية الاخيره تأكيد على الأمر الالهي بملء جنهم من الجن و الانس أجمعين، و بديهي أنّ هذا الأمر المحتوم فيه شرط واحد و هو الخروج من دائره رحمه الله، و التقهقر عن هدايه الرسل و الادلاء من قبله، و بهذا الترتيب فإنّ هذه الآية لا يعتبر دليلا على مذهب الإجبار بل هي تأكيد جديد على مذهب الاختيار.

ص: ١٠٢

اشاره

وَ كَلَّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَلْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُنَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَ جَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَ مَوْعِظَةٌ وَ ذِكْرٌ لِلْمُؤْمِنِينَ (١٢٠) وَ قُلْ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ إَعْمَلُوا عَلَيَّ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَامِلُونَ (١٢١) وَ أَنْتَظِرُوا إِنَّا مُتَنظِرُونَ (١٢٢) وَ لِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ إِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَ تَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَ مَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (١٢٣)

التفسير

اشاره

اربع معطيات لقصص الماضين:

بانتهاه هذه الآيات تنتهى سوره هود، و فى هذه الآيات استنتاج كلى لمجموع بحوث هذه السوره، و بما انّ القسم الالهى من هذه السوره يتناول القصص التى تحمل العبر من سيره الأنبياء و الأمم السابقه، فإنّ هذه القصص تعطى نتائج قيمه ملخصه فى اربعة مواضع.

تقول هذه الآيات اولاً: وَ كَلَّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَلْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُنَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ. و كلمه «كلاً» اشاره الى تنوع هذه القصص، و كل نوع منها يشير الى



اتخاذ جبهه «قبال الأنبياء» و نوع من الانحرافات و نوع من العقاب، و هذا التنوع يلقي اشعه نيره على ابعاد حياه الناس.

«تثبيت قلب النبي» صلى الله عليه و آله و سلم و تقويه ارادته-التي يشار إليها في هذه الآية-امر طبيعي، لأن معارضه الأعداء اللجوجين الشديده و القاسيه-رضينا ام أبينا-تؤثر على قلب النبي صلى الله عليه و آله و سلم لأنه انسان و بشر ايضا. و لكن من اجل ان لا- ينفذ اليأس الى قلب النبي المطهر و تضعف ارادته الفولاذيه من هذه المعارضه و المخالفات و المثبطات، فإن الله يقص عليه قصص الأنبياء و ما واجهوه، و مقاومتهم قبال أمهم المعاندين، و انتصارهم الواحد تلو الآخر ليقوى قلب النبي و المؤمنين الذي يلتفون حوله يوما بعد يوم. (1).

ثم تشير الآية الى النتيجة الكبرى الثانيه فتقول الآيات: و جاء ك في هذه الحق.

اما ثالث الآثار و رابعها اللذان يستلفتان النظر هما مؤعظة و ذكرى للمؤمنين .

الطريف هنا ان صاحب المنار يقول في تفسير الآية معقبا: ان الإيجاز و الاختصار في هذه الآية المعجزه في غايه ما يتصور، حتى كأن جميع المعاجز السالفه قد جمعت في الآية نفسها و بينت فوائدها جميعا بعدة جمل قصيره.

و على ايه حال، فإن هذه الآية تؤكد مره اخرى انه لا ينبغي ان نعد قصص القرآن ملهاه او يستفاد منها لاشغال السامعين، بل هي مجموعه من احسن الدروس الحياتيه في جميع المجالات، و طريق رحب لجميع الناس في الحاضر و المستقبل.

ص: ١٠٤

١-١) ميا ذكر في المتن يتضح ان مرجع الضمير في «هذه» يعود على «النباء الرسل» و عوده الضمير على هذه الكلمه لقربها و تناسبها مع البحوث الوارده في هذه الآية واضح جدا، لكن الاحتمالات الاخرى بأن المشار اليه هو «الدنيا» او «خصوص الآيات السابقه» فبعيد، كما يبدو، و ما قاله كثير من المفسرين من ان المشار اليه هو «السوره» فقابل للمطابقه مع ما ذكرنا، لأن القسم الهم من السوره يتناول قصص الأنبياء السابقين.

ثم تخاطب الآيات النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو يواجه أعداءه الذين يؤذونه و يظهرون اللجاجه و العناد ان واصل الطريق و قل للذين لا يؤمنون اعملوا على مكاتبتكم انا عاملون و انتظروا انا منتظرون .

فستعلمون من الذى سينتصر،انتظروا هزيمتنا كما تزعمون انتظارا غير مجد،و نحن ننتظر العذاب من الله عليكم،و هو ما ستدوقونه من قبلنا او من قبل الله مباشرة.

و هذه التهديدات التى تذكر بصيغته الأمر تلاحظ فى أماكن اخرى من القرآن كقوله تعالى: اعملوا ما شئتم إنه بما تعملون بصير (١).

و نقرا فى شأن الشيطان ايضا و استفرز من استطعت منهم بصوتك و اجلب عليهم بخيلك و رجلك (٢).

و بديهى انه لا يراد بآيه صيغته من صيغ الأمر هنا طلب الفعل،بل جميعها جاءت للتهديد و التنديد.

و آخر الآيات من هذه السوره تتحدث عن التوحيد«التوحيد المعرفى و التوحيد الافعالى،و توحيد العباده» كما تحدثت الآيات الاولى من هذه السوره عن التوحيد ايضا.

هذه الآيه-فى الحقيقة-تشير الى ثلاث شعب من التوحيد،توحيد علم الله أولا،فغيب السموات و الأرض خاص بالله و هو المطلع عليها جميعا و لله غيب السموات و الأرض .

أما سواه فعلمه محدود،و فى الوقت ذاته فإن هذا العلم ناشئ من التعليم الإلهى،فعلى هذا فإن العلم غير المحدود،و العلم الذاتى بالنسبه ما فى السموات و الأرض مخصوص بذات الله المقدسه.

ص: ١٠٥

١-١) فصلت، ٤٠.

٢-٢) الاسراء، ٦٤.

و من جهه ثانيه فإنّ ازّمه جميع الأفعال مرهونه بقدرته وَ إِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ... و هذه مرحله توحيد الأفعال.

ثمّ تستنتج الآيه أنّه إذا علمت أنّ الاحاطه و العلم غير المحدود و القدره التى لا تنتهى...جميعها مخصوص بذات الله المقدّسه فاعْبُدْهُ وَ تَوَكَّلْ عَلَيْهِ و هذه مرحله توحيد العباده.

فينبغى اجتناب العصيان و العناد و الطغيان وَ مَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ .

## ملاحظات

### اشاره

#### ١- علم الغيب خاص بالله...

كما تحدثنا بالتفصيل فى تفسير الآيه (١٨٨) من سوره الأعراف، و فى تفسير الآيه (٥٠) من سوره الانعام، أنّه لا مجال للتردد فى أنّ الاطلاع على الأسرار الخفيه او الأسرار الماضيه و الآتيه كله خاص بالله... و الآيات المختلفه من القرآن تؤكّد هذه الحقيقه و تؤيدها ايضا... أنّه ليس كمثل شىء و هو متفرد بهذه الصفه.

و إذا وجدنا فى قسم من آيات القرآن بيان أنّ الأنبياء قد يعلمون بعض الأمور الغيبيه، او قرانا فى بعض الآيات او الروايات الكثيره أنّ النبي صلّى الله عليه و آله و سلّم و الامام عليّ و الائمّه المعصومين عليهم السّلام قد يخبرون عمّا يجرى فى المستقبل من حوادث و يبيّنون اسراراً خفيه منها، فينبغى ان نعرف ان كل ذلك بتعليم الله سبحانه.

فهو سبحانه حيث يجد المصلحه يطلع عباده و أوليائه على قسم من اسرار الغيب، و لكن هذا العلم لا- هو علم ذاتى و لا- غير محدود، بل هو من تعليم الله و هو محدود بمقدار ما يريد الله.

و بهذا البيان تتضح الاجابه على المنتقدين لعقيدته الشيعة فى مجال على الغيب حيث يرون ان الانبياء و الائمة عليهم السلام يعلمون الغيب.

و ليس الاطلاع على علم الغيب من قبل الله خاصا بالانبياء او الائمة فقد يطلع الله غير النبى و الائمة على غيبه ايضا... فنحن نقرا فى قصه ام موسى فى القرآن ان الله قال لها: **وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ (١)**.

و قد يطلع الله لضروره الحياه-أحيانا-الطيور و الحيوانات على الأسرار الخفيه و حتى على المستقبل البعيد نسبيا مما يصعب علينا تصوّره و بهذا الترتيب قد تكون بعض المسائل التى نحسبها غيبا،هذه المسائل نفسها بالنسبه للطيور او الحيوانات لا تعد من الغيب.

## ٢-العباده لله وحده

فى الآيه المتقدمه دليل لطيف على ان العباده لله وحده،و هو أنه لو كانت العباده من اجل العظمه و صفات الجمال،و الجلال فهذه الصفات قبل كل شىء موجوده فى الله،و اما الآخرون فلا شىء بالنسبه اليه.و اكبر دليل على عظمه الله علمه الواسع غير المحدود و قدرته اللامتناهيه،و قد اشارت الآيه الآنفه الى أنّهما مختصّان بالله.

و إذا كانت العباده لأجل الالتجاء فى حلّ المشاكل-الى المعبود...فإنّ مثل هذا العمل جدير بمن هو عليم بجميع حاجات العباد و اسرارهم الخفيه.و ما يغيب عليهم،و هو قادر على اجابه دعوتهم،و بالنتيجه فإنّ توحيد الصفات يكون سببا لتوحيد العباده(لاحظوا بدقّه).

٣-قال بعض المفسرين: انّ سير الإنسان فى طريق عبوديه الله،لخصّ كلّه

ص: ١٠٧

فى جملمئىن فى هذله الآىه فاعئىده وءوكل علفه لان العباده سواه كانء عباده جسمانىه كالعباهه العامه؁ او عباده روحانىه كالفكر فى خلق الله و نظام اسرار الوجود؁ هى بءابه هءا السىر.

و ءءوكل الذى يعنى الاءءاء المءلق الى الله و إءءاع جمىع الأشىاء بىءه؁ بءىء يعء نوعا من «الفناء فى الله» هو آءر نءظه من هءا السىر.

و فى جمىع هءا المسىر من بءابءه ءءى نهابءه يؤءههم الى ءقىقه ءوءىء الصفاء؁ و يعىن السائرىن فى هءا المسىر و ىءعوهم الى البءء المقرون بالعشق لساءءه.

اللهم ألهمنا معرفءك بصفات جلالك و جمالك.

و ألهمنا ان ءءرك إلك بعرفان.

اللهم وفقنا لان نعبءك مءلصىن و ءءوكل علك عاشقىن.

اللهم أنء رءاؤنا و ملاءنا فى ءل مشاكلنا؁ فى هءه الفءره من الزمن أءاطء بالمسلمىن المشاكل من كل جانب؁ و سعى اءءاء الله لإطفاء نور هءه الصءوه المباركه؁ فأءء ولءنا.

اللهم: لم نكن لنصل لهءه المرحله لو لا ءأىءاءءك الظاهره و الخفىه الءى اعانءنا للوصول إليها. نساءلك ان لا ءءرمننا من مواهبك العظىمه فى ما بقى من الطرىق و لا ءقءع-ألطاىك الخاصه-عنا.

و وفقنا برءمءك ان نواصل هءا ءفسىر الذى ىفءء نافءه جءىءه على كءابك السماوى العظىم.

مکيه و عدد آياتها مائه و احدى عشره آيه

ص: ۱۰۹



## بدايه سوره يوسف

### اشاره

قبل الدخول فى تفسير آيات هذه السوره ينبغى ذكر عدّه امور:

١- لا اشكال بين المفسّرين فى أنّ هذه السوره نزلت فى مكّه، سوى ما نقل عن ابن عباس أنّ اربع آيات مدنيه (الآيات الثلاث فى أوّل السوره و الآيه السابعة منها).

و لكن التدقيق فى ارتباط هذه الآيات بعضها مع البعض الآخر فى هذه السوره يجعلنا غير قادرين على التفكيك بينها، فاحتمال نزول هذه الآيات الأربع فى المدينه -على هذا الأساس- بعيد جدًا.

٢- جميع آيات هذه السوره سوى الآيات القليله التى تقع فى نهايه السوره تبين قصّه نبيّ الله يوسف عليه السّلام. القصّه الطّريفه و الجميله و التى تحمل بين طياتها العبر. و لذلك سمّيت هذه السوره باسم «يوسف» و بهذه المناسبه -ايضا- ورد ذكر يوسف -من مجموع (٢٧) مرّه فى القرآن- (٢٥) مرّه فى هذه السوره و مرّه واحده فى سوره غافر الآيه (٣٤)- و مرّه أخرى فى سوره الانعام الآيه (٨٤).

و محتوى هذه السوره -على خلاف سور القرآن الاخرى- مرتبط ببعضه ببعض، و يبيّن جوانب مختلفه من قصّه واحده و ردت فى اكثر من عشره فصول، مع بيان اخاذ موجز، عميق، و طريف و مشير.

و بالرغم من أنّ القصّاصين غير الهادفين، او من لهم أغراض رخيصه سعوا الى ان يحولوا هذه القصّه المهذبّه الى قصّه عشق يحرك اهل الهوى و الشهوه!!



و ان يمسخوا الوجه الواقعى لىوسف علىه السّلام بـحيث بلغت الحال ان يصوروا«فيلما سينمائيا»و ينشروه بصوره مبتذله...الآن القرآن-و كل ما فيه أسوه و عبره- عكس فى ثنانيا هذه القصّه اسمى دروس العفه و ضبط النفس و التقوى و الايمان، حتى لو انّ إنسانا قراها عدّه مرات فإنّه يتأثر-بدون اختيار-بأسلوبها الجّدّاب فى كل مرّه.

و لذا فقد عبّر القرآن عنها ب أحسن القصص و جعل فيها العبر للمعتبرين أولى الألباب .

٣-التدقيق فى آيات هذه السوره يكشف هذه الحقيقه للإنسان،و هى انّ القرآن معجز فى جميع ابعاده،لان الابطال الذين يقدمهم فى قصصه ابطال حقيقيون لا خياليون،و كل واحد فى نفسه منهم منعدم النظير:

فإبراهيم عليه السّلام:البطل الذى حطّم الأصنام بروحه العالیه التى لا تقبل المساومه مع الطغاه.

و نوح عليه السّلام:بطل الصبر و الاستقامه و الشفقه و القلب المحترق فى ذلك العمر الطويل المبارك.

و موسى عليه السّلام:البطل المرّبّى لقومه اللجوجين،و الذى وقف بوجه فرعون المتكبر الطاغى.

و يوسف عليه السّلام:بطل الورع و التقوى و الطهاره...امام امراه محتاله جميله عاشقه.

بعد هذا كلّه تتجلّى قدره البيانیه للوحى القرآنى بصوره تحيّر الإنسان،لأنّ هذه القصّه-كما نعرف-تنتهى فى بعض مواردّها الى مسائل العشق و دون ان يمسحها القرآن او يتجاوزها يتعرض الى الاحداث فى مسرحها بدقه بحيث لا يحس السامع شىء غير مطلوب فيها.و يذكر القضايا بأجمعها فى المتن،و لكن تحفّها اشعه قويه من التقوى و الطهاره.

لا شك أنّ قصه يوسف كانت مشهوره و معروفة بين الناس قبل الإسلام، لأنّها مذكوره في (١٤) فصلا من [سفر التكوين]

في التوراه بين [الفصل ٣٧ - ٥٠]

ذكر مفصلا.

و بطبعه الحال فإنّ المطالعه الدقيقه في هذه الفصول الاربعه عشر تكشف مدى الاختلاف بين ما جاء في التوراه و ما جاء في القرآن.

و بالمقارنه بين نصّ التوراه و نصّ القرآن نجد أنّ نصّ القصه في القرآن في غايه الصدق و تخلو من اي خرافه.

و ما يقوله القرآن للنبي صلّى الله عليه و آله و سلم: **وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الْغَافِلِينَ** يشير الى قصه يوسف التي عبّر عنها بأحسن القصص، حيث لم يكن النبي مطلعاً على حقيقتها الخالصه.

و يظهر من التوراه أنّ يعقوب عليه السلام لما رأى قميص يوسف ملطخاً بالدم قال:

هذا قميص ولدى و قد اكله الحيوان المفترس، فيوسف ممزق الأحشاء ثم خرّق يعقوب ثوبه و شدّ الحزام على ظهره و جلس اياماً للبكاء و النواح على يوسف، و قد عزّاه جميع ابنائه ذكورا و إناثا إلا انه امتنع ان يقبل تعزيتهم و قال: سأدفن في القبر حزنا على ولدى.

بيد أنّ القرآن يبيّن أنّ يعقوب لم يصدّق ما قاله أولاده، و لم يفرع و لم يجزع لمصيبه ولده يوسف، بل ادى ما عليه من سنّه الأنبياء من الصبر و التوكل على الله، و قال لأبنائه: **بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَ اللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ** و ان كان قلبه يحترق على فراق ولده و عيناه تدمعان من اجله حتى ابيضتا و عميتا، و لكن -و كما يعبر القرآن- لم يقم بأى عمل من قبيل تخريق الثوب و النواح و شدّ الحزام على ظهره -و الذى كان علامه للمصيبه و «العزاء»- و أنّما قال: «صبر جميل» و كتم حزنه «فهو كظيم».

و على كل حال فإن هذه القصّة-بعد الإسلام-تناقلتها أقلام مؤرخى الشرق و الغرب...و أحيانا مع أغصان و أوراق اضافيه.

## ٥- لم ذكرت قصه يوسف فى مكان واحد على خلاف قصص سائر الأنبياء

!؟ ان من خصائص قصه يوسف البارزه ان هذه القصه ذكرت فى مكان واحد من القرآن،على خلاف قصص الأنبياء التى ذكرت على شكل فصول مستقله فى سور متعدده من القرآن.

و الحكمه فى ذلك تعود الى ان تفكيك فصول هذه القصه مع ملاحظه وضعها الخاص يفقدها ترابطها و انسجامها،فلهذا ينبغى ان تذكر كامله فى مكان واحد للحصول على النتيجة المتوخاه و على سبيل المثال فان الرؤيا و ما ذكره أبوه من تعبير فى أول هذه السوره يفقد معناه دون ذكر نهايتها.

لذلك نقرا فى أواخر هذه السوره،حين جاء يعقوب و اخوه يوسف الى مصر و خرّوا له سجّدا قال يوسف ملتفتا الى أبيه: يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا (١).

هذا النموذج يوضح الارتباط الوثيق بين بدايه السوره و نهايتها،فى حين ان قصص الأنبياء الآخرين ليست على هذه الشاكله،و يمكن درك كل واحده من خلال فصولها.

و الخصيصه الاخرى خصائص هذه السوره هى ان قصص الأنبياء التى وردت فى السور الاخرى من القرآن تبين عاده مواجهه الأنبياء لقومهم المعاندين و الطغاه،ثم تنتهى الحاله الى ايمان جماعه بالأنبياء و مخالفه جماعه اخرى لهم و استحقاقهم عذاب الله و عقابه.

ص: ١١٤

(١-١) الآية ١٠٠.

أمّا في قصّه يوسف فلا- كلام عن هذا الموضوع، بل أكثر ما فيها بيان حياه يوسف نفسه و نجاته من المزالق الخطيره التي تنتهي أخيرا الى استلامه سدّه الحكم، و هي في حدّ ذاتها «نموذج» خاص.

## ٦- فضيله سوره يوسف

وردت في الرّوايات الاسلاميه فضائل مختلفه في تلاوه هذه السوره، و نقرا من ضمنها حديثا

عن الامام الصادق عليه السّلام حيث يقول: «من قرأ سوره يوسف في كل يوم او في كل ليله، بعثه الله يوم القيامة و جماله مثل جمال يوسف، و لا يصيبه فزع يوم القيامة، و كان من خيار عباد الله الصالحين» (١).

انّ الرّوايات التي وردت في فضائل سور القرآن- كما قلنا مرارا- ليس معناها القراءه السطحيه دون تفكر و عمل، بل تلاوه تكون مقدمه للتفكر...التفكر الذي يجر الى العمل، و مع ملاحظه محتوى هذه السوره يتّضح ان من يستلهم خطه حياته من هذه القصّه، و يعفّ نفسه امام طوفان شديد من الشّهوات و المال و الجاه و المقام، الى درجه يرى بها خفره السجن المظلمه مقرونه بطهاره الثوب أفضل من الحياه في قصور الملوك الملوّثه، فإنّ مثل هذا الشخص في جمال روحه كجمال يوسف، و ما من خفيّ الاّ ظهر يوم القيامة... و سيجد له جمالا مذهلا و يكون في صف عباد الله الصالحين.

و ممّا يلزم ذكره أنّه ورد في عدد من الأحاديث النهي عن تعليم هذه السوره «للنساء»، و لعلّ السرّ في ذلك هو ما في الآيات المرتبطه بامراه عزيز مصر... فبالرغم من سرد القصّه في بيان عفيف، الاّ أنّها سبب لتحريك بعض النساء ايضا... و قد جاء التأكيد على تعليم سوره «التور» المشتمله على آيات الحجاب للنساء بدلا من سوره يوسف.

ص: ١١٥

و لكن سند هذه الروايات بشكل عام لا يعتمد عليه، اضافة الى ذلك فقد ورد في بعض الروايات الاخرى خلاف ذلك حيث ترغّب في تعليم هذه السوره للعائله. و بعد هذا كله فإنه التدقيق في آيات هذه السوره يكشف أنّ هذه السوره، ليس فيها ايّه نقطه سلبيه بالنسبه للنساء، و ليس هذا فحسب، بل ان ما جرى لامراه عزيز مصر، درس فيه عبره لجميع النسوه اللاتى يبتلين بالوساوس الشيطانيه.

ص: ١١٤

اشاره

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ (١) إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (٢) نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقِصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ (٣)

التفسير

اشاره

احسن القصص بين يديك:

تبدا هذه السوره بالحروف المقطعه «الف.لام.راء» و هي دلالة على عظمه القرآن، و انّ تركيب هذه الآيات ذات المحتوى العميق متكوّن من ابسط الاجزاء، و هي حروف الهجاء «الف-باء..الخ» و قد تحدثنا عن الحروف المقطعه في القرآن-حتى الآن-في ثلاثه مواضع «بدايه سوره البقره، و آل عمران، و الأعراف» بقدر كاف...فلا ضروره للتكرار، و اثبتنا دلالتها على عظمه القرآن.

و ربّما كان لهذا السبب ان تأتي الاشاره-بعد هذه الحروف المقطعه مباشره- الى بيان عظمه القرآن في هذه السوره، فتقول: تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ .

و ممّا يستلفت النظر أنّه استفيد من اسم الاشاره «تلك» في هذه الآيه للبعيد، نظير ما جاء في بدايه سوره البقره و بعض السور القرآنيه الاخرى. و قد قلنا: انّ

مثل هذه التعبيرات جميعا يشار بها الى عظمه هذه الآيات، اى أنها بدرجه من الرفعه و العلوّ كأنها فى نقطه بعيده لا يمكن الوصول إليها ببساطه، بل بالسعى و الجدّ المتواصل... فهى فى أوج السّماوات و فى اعالي الفضاء اللامتناهى، لا أنها مطالب و مفاهيم رخيصه يحصل عليها الإنسان فى كل خطوه.

ثمّ يأتى البيان عن الهدف من نزول الآيات فيقول: **إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ** .

فالهدف اذن ليس القراءه او التلاوه او التيمّن او التبرك بتلاوه هذه الآيات فحسب، بل الهدف الاساسى هو الإدراك... الإدراك القوى الذى يدعو الإنسان الى العمل بجميع وجوده.

و أمّا سرّ كون القرآن عربيا فهو بالاضافه الى أنّ اللغه العربيه واسعه كما يشهد بذلك اهل المعرفه باللغات المختلفه من العالم، بحيث تستطيع ان تكون ترجمانا للسان الوحي، و ان تبيّن المفاهيم الدقيقه لكلام الله سبحانه، فمن المسلم به -بعد هذا- أنّ نور الإسلام بزغ فى جزيره العرب التى كانت منطلقا للجاهليه و الظلمه و التوحّش و البربريه، و من اجل ان يجمع اهل تلك المنطقه حول نفسه فينبغى ان يكون القرآن واضحا مشرقا، ليعلم اهل الجزيره الذين لا -حظ لهم من الثقافه و العلم و المعرفه، و يخلق بذلك مركزا محوريا لانتشار هذا الدين الى سائر نقاط العالم.

و بطبيعته الحال فإنّ القرآن بهذه اللغه «العربيه» لا يتيسّر فهمه لجميع الناس فى العالم (و هذا شأن ايه لغه اخرى) لأننا لا نملك لغه عالميه ليفهمها جميع الناس، و لكن ذلك لا يمنع من ان يستفيد من فى العالم من تراجم القرآن، او ان يطلعوا تدريجا على هذه اللغه ليتلمسوا الآيات نفسها و يدركوا مفاهيم الوحي فى طيات هذه الألفاظ.

و على كل حال فالتعبير بكون القرآن عربيا -الذى تكرر فى عشره موارد

من القرآن-جواب لأولئك الذين يتهمون النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بأنه تعلم القرآن من اعجمي، وأن محتوى القرآن مستورد وليس وحيا الهيا.

وهذه التعبيرات المتتابعة تحتم ضمنا وظيفه مفروضه على جميع المسلمين، وهي ان يسعوا جميعا الى معرفه اللغه العربيه و ان تكون اللغه الثانيه الى جانب لغتهم، لأنها لغه الوحي و مفتاح فهم حقائق الإسلام.

ثم يقول سبحانه: نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ .

يعتقد بعض المفسرين انَّ أَحْسَنَ الْقَصَصِ صِ اشاره الى مجموع القرآن، و انَّ جملة بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ قرينه على ذلك. و القصه هنا ليست بمعنى سرد الحكايه، بل المراد معناها «الجذرى» فى اللغه و هو البحث عن آثار الشىء.

و بما انَّ اى موضوع-حين يشرح و يفصل-يبين بكلمات متابعه، فلذلك يطلق عليه قصه ايضا.

و على كل حال فإنَّ الله سبحانه عبّر ب أَحْسَنَ الْقَصَصِ صِ عن مجموع هذا القرآن الذى جاء فى أجمل البيان و الشرح، و افصح الألفاظ و أبلغها، مقرونه بأسمى المعانى و ادقها، بحيث يبدو ظاهره عذبا جميلا، و من حيث الباطن فمحتواها عظيم.

و نشاهد فى روايات متعدده انَّ هذا التعبير استعمل فى مجموع القرآن، رغم انَّ هذه الروايات لم ترد فى تفسير هذه الآيه-محل بحثنا-.

فمثلا نقرا

حديثا نقله على بن ابراهيم عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يقول: «انَّ احسن القصص هذا القرآن» (1).

كما نقل فى روضه الكافى عن خطبه لأمير المؤمنين قوله: ان احسن

ص: ١١٩



القصص و ابلغ الموعظه و انفع الذكر كتاب الله» (١).

و لكن ارتباط الآيات المقبله التي تبين قصه يوسف عليه السلام مع هذه الآيه-محل البحث-بشكل يشدّ ذهن الإنسان الى هذا المعنى، و هو أنّ الله عبر عن قصه يوسف بأحسن القصص و ربّما لا ينقذح في أذهان الكثيرين ممن يطالعون بدايه آيات هذه السوره غير هذا المعنى.

و قلنا مرارا أنّه لا مانع من ان تكون مثل هذه الآيات للمعنيين جميعا...

فالقرآن هو احسن القصص بصوره عامه، و قصه يوسف هي احسن القصص بصوره خاصه.

و لم لا تكون هذه القصه احسن القصص، مع أنّها ترسم في فصولها المثيره اسمى دروس الحياه؟! فنحن نشاهد حاكميه اراده الله على كل شيء هذه القصه، و ننظر بأعيننا المصير الأسود الذي انتهى اليه الحساد و ما رقموه على الماء من خطط.

كما تتجسم من خلال سطورها الذله في الابتذال و عدم العفه، و العظمه في التقوى و منظر الصبيّ و هو وحيد في قعر الجبّ، و في مشهد آخر نراه يقضى الليالي و الايام دون ذنب في حفره السجن المظلم، ثمّ انبثاق نور الأمل من خلف حجب اليأس و الظلمات، ثمّ نشاهد بعد ذلك حكومته العظيمه الواسعه نتيجه دراسته و أمانته. كل هذه المشاهد تتجلى للقارئ لهذه القصه بشكل رتيب.

لحظات و بسبب رؤيا يتحول مصير امه... انقاذ امه و مجتمع بشرى من الهلكه على يد قائد الهى متيقظ... و عشرات الدروس الاخرى-الكبيره- التي تلوح في هذه القصه، فلم لا تكون هذه القصه احسن القصص؟! غايه ما في الأمر أنّه لا تكفى أن تكون قصه يوسف وحدها هي احسن القصص، بل المهم ان تكون فينا الجداره لأنّ نفهم هذا الدرس العظيم و ان نعرف

ص: ١٢٠

١-١) نور الثقلين، ج ٢، ص ٤٩.

مكانه من نفوسنا.

فكثير من الناس لا يزال ينظر الى قصه يوسف عليه السلام على انها حادثه عشق طريف، و مثله كمثل الدابّه التي يلوح لها البستان النضر الملىء بالازهار، الاّ أنّها تراه حفته من «العلف» تسدّ جوعها:

و ما يزال الكثير من الناس يضيفى على القصّه افرازات خياليه كاذبه ليحرّف القصّه عن واقعها... و هذا من عدم اللياقه و فقدان الجداره و عدم قابليه المحل، و الاّ فإنّ اصل القصّه جمع كل انواع القيم الانسانيه العليا فى نفسه.

و سترى فى المستقبل-ياذن الله- أنّه لا يمكن تجاوز فصول هذه القصّه الجامعه و الجميله و كما يقول الشاعر فى هذه القصّه:

يسكر من عطر الزهور الفتى

حتى يرى مفتقدا ثوبه!

### اثر القصّه فى حياه الناس

مع ملاحظه أنّ القسم المهمّ من القرآن قد جاء على صورته تأريخ للأمم السابقه و قصص الماضين، فقد يتساءل البعض: لم يحمل هذا الكتاب التربوى كل هذا «التأريخ» و القصص؟! و تتضح العله الحقيقيه للموضوع بملاحظه عدّه نقاط:

١- أنّ التاريخ مختبر لنشاطات البشريه المختلفه، و ما رسمه الإنسان فى ذهنه من الأفكار و التصورات يجده بصوره عينيه على صفحات التأريخ.

و بملاحظه أنّ اكثر المعلومات البشريه توافقا مع الواقع و الحقيقه هى التى تحمل جانبا حسيّا، فإنّ دور التاريخ فى اظهار الواقعيّات الحياتيه يمكن دركه جيدا.

فالإنسان يرى بأمر عينيه الهزيمه المرديه-لامّه ما-نتيجه اختلافها و تفرقها، كما يرى النجاح المشرق فى قوم آخرين فى ظل اتّحادهم و توافقهم. فالتاريخ

ص: ١٢١

يتحدّث بلغه-من دون لسان-عن النتائج القطعيه و غير القابله للإنكار للتطبيقات العمليه للمذاهب و الخطط و البرامج عند كل قوم.

و قصص الماضين مجموعه من اكثر التجارب قيمه.و نعرف أنّ خلاصه الحياه و محصولها ليس شيئا سوى التجربه.

و التاريخ مرآه تنعكس عليها جميع ما للمجتمعات الانسانيه من محاسن و مساوئ و رقى و انحطاط و العوامل لكلّ منها.

و على هذا فإنّ مطالعه تاريخ الماضين تجعل عمر الإنسان طويلا-بقدر أعمارهم حقًا،لأنّها تضع مجموعه تجاربهم خلال أعمارهم تحت تصرفه و اختياره.

و لهذا

يقول الامام على عليه السّلام فى حديثه التاريخى خلال وصاياه لولده الحسن المجتبى فى هذا الصدد: «اي بنى انى و ان لم أكن عمّرت عمر من كان قبلى،فقد نظرت فى اعمالهم،و فكّرت فى اخبارهم،و سرت فى آثارهم،حتى عدت كأحدهم،بل كأنى بما انتهى الى من أمورهم قد عمّرت من أولهم الى آخرهم» (١).

و التاريخ الذى نتحدث عنه طبعاً هو التاريخ الخالى من الخرافات و الأكاذيب و التملّقات و التحريفات و المسوخات.

و لكن-و للأسف-مثل هذا النوع من التاريخ قليل جدا.

و لا ينبغى ان نبعد عن النظر ما للقرآن من اثر فى بيان «نماذج»من التاريخ الأصيل و اراءتها.

التاريخ الذى ينبغى ان يكون كالمرآه الصافيه لا المقعّره.

التاريخ الذى لا يتحدّث عن الوقائع فحسب،بل يصل الى الجذور و يسترشف النتائج.

فمع هذه الحال لم لا يستند القرآن-الذى هو كتاب تربوى عال فى فصوله-

ص: ١٢٢

---

(١-١) نهج البلاغه،من كتاب له عليه السّلام لولده الحسن المجتبى عليه السّلام.

على التاريخ و يأتي بالشواهد و الأمثال من قصص الماضين؟! ٢- ثم بعد هذا فإن للتاريخ و القصة جاذبيه خاصه، و الإنسان واقع تحت هذا التأثير الخارق للعادة في جميع أدوار حياته من سنّ الطفوله حتى الشيخوخه.

و لذلك فإن التاريخ و القصة يشكلان القسم الأكبر من آداب العالم و آثار الكتاب. و احسن الآثار التي خلفها الشعراء و الكتاب الكبار سواء كانوا من بلاد العرب او من فارس او من بلاد اخرى هي قصصهم.

فأنت تلاحظ «الكلمستان» -لسعدى و «الشاهنامه» لفردوسى و «الخمسه» للنظامى و كذلك آثار «فيجتور هيجو» الفرنسى و «شكسبير» الانجليزى و «غوته» الالمانى جميعها كتبت على هيئه قصص جذابه.

و القصة سواء كتبت نثرا او شعرا، او عرضت على شاشه المسرح او بواسطه الفيلم السينمائى، فإنها تترك أثرا فى المشاهد و المستمع دونها اثر الاستدلالات العقلية فى مثل هذا التأثير.

و العله فى ذلك قد تكون انّ الإنسان حسى بالطبع قبل ان يكون عقليا و يتخبط فى المسائل الماديه قبل ان يتعمق فى المسائل الفكرية.

و كلما ابتعد الإنسان عن ميدان الحسّ فى نفسها جانبا عقليا، كانت هذه المسائل أثقل على الذهن و ابطأ هضمها.

و من هنا نلاحظ أنّه لأجل بيان الاستدلال العقلى يستمد المفكرين فى المسائل الاجتماعيه و الحياتيه المختلفه و توغل فى البعد العقلى من الامثله الحسيه، و أحيانا يكون للمثال المناسب و المؤثر فى الاستدلال قيمه مضاعفه، و لذلك فإنّ العلماء الناجحين هم أولئك الذين لهم هيمنه على انتخاب احسن الامثله.

و لم لا يكون الأمر كذلك، و الاستدلالات العقلية هي حصيله المسائل الحسيه و العييه و التجريبيه؟!

٣-القصة و التاريخ مفهومان عند كل احد،على خلاف الاستدلالات العقلية،فإنّ الناس فى فهمها ليسوا سواسيه...و على هذا فإنّ الكتاب الشامل الذى يريد ان يستفيد منه البدوى الامى و المتوحش...الى الفيلسوف و المفكر الكبير،يجب ان يكون معتمدا على التاريخ و القصص و الامثله.

و مجموعه هذه الجهات تبين أنّ القرآن خطا احسن الخطوات فى بيان التواريخ و القصص فى سبيل التعليم و التريبه،و لا سيّما إذ التفتنا الى هذه النقطة، و هى أنّ القرآن لا يذكر الوقائع التاريخيه فى اىّ مجال بشكل عار من الفائده،بل يذكر معطياتها بشكل ينتفع بها تربويا،كما سنلاحظ«النماذج»و الامثله فى هذه السوره.

ص: ١٢٤

اشاره

إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ (٤) قَالَ يَا بَنِيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ (٥) وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَلْحَادِيثِ وَتَتِمُّ نِعْمَتُهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ كُلَّمَا أَتَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ عَلَىٰ أَبِيوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٦)

التفسير

اشاره

بارقه الأمل و بدابه المشاكل:

بدا القرآن بذكر قصه يوسف من رؤياه العجيبه ذات المعنى الكبير، لاني هذه الرؤيا في الواقع تعدد اول فصل من فصول حياه يوسف المتلاطمه.

جاء يوسف في احد الايام صباحا الى ابيه و هو في غايه الشوق ليحدثه عن رؤياه، و ليكشف ستارا عن حادثه جديده لم تكن ذات اهميه في الظاهر، و لكنها كانت إرھاصا لبدايه فصل جديد من حياته إذ قال يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي

رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَ الشَّمْسَ وَ القَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ

يقول ابن عباس: (إنّ يوسف رأى رؤياه ليله الجمعة التي صادفت ليله القدر) (ليه تعيين الأقدار و الآجال).

و لكن كم كان ليوسف من العمر حين رأى رؤياه؟! هناك من يقول: كان ابن سبع سنوات، و من يقول: ابن سبع، و منهم من يقول:

ابن اثنتى عشره سنه، و القدر المسلم به أنّه كان صبيا.

و ممّا يستلفت الانتباه الى جملة «رأيت» جاءت مكرره فى الآيه للتأكيد و القاطعيه، و هى اشاره الى ان يوسف عليه السلام يريد ان يقول: إذا كان كثير من الناس ينسون رؤياهم و يتحدثون عنها بالشك و التردد، فلست كذلك. بل اقطع بأننى رأيت احد عشر كوكبا و الشمس و القمر ساجدين لى دون شك.

و اللطيفه الاخرى هى أنّ ضمير «هم» الذى يأتى لجمع المذكر السالم العاقل، قد استعمل للكواكب و الشمس و القمر، و مثل هذا الاستعمال «ساجدين» ايضا اشاره الى أنّ سجود الكواكب لم يكن من قبيل الصدفة بل كان امرا مدروسا و محسوبا كما يسجد الرجال العقلاء! و واضح-طبعاً- أنّ السجود المقصود منه هنا هو الخضوع و التواضع، و الّا فإنّ السجود المعروف عند الناس لا مفهوم له بالنسبه للكواكب و الشمس و القمر.

ان هذه الرؤيا المثيره ذات المغزى تركت يعقوب النبى غارقا فى التفكير...

فالقمر و الشمس و الكواكب، و اى الكواكب! أنّها احد عشر يسجدون جميعا لولدى يوسف، كم هى رؤيا ذات مغزى! الا شك أنّ الشمس و القمر «انا و امه او خالته» و الكواكب الأحد عشر اخوته، هكذا يرتفع قدر ولدى حتى تسجد له الشمس و القمر و كواكب السماء.

ان ولدى «يوسف» عزيز عند الله إذا رأى هذه الرؤيا المثيره! لذلك توجه الى يوسف بلهجه يشوبها الاضطراب و الخوف المقرون

«بالفرحه» وَقَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصِبْ رُؤْيَاكَ عَلَيَّ إِخْوَتَكَ فَيُكِيدُوا لَكَ كَيْدًا وَأَنَا عَرَفْتُ أَنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ وَهُوَ مُنْتَظَرُ الْفُرْصَةِ لِيُوسِسَ لَهُمْ وَيُثِيرَ نَارَ الْفِتْنَةِ وَالْحَسَدِ وَيُجْعَلَ الْإِخْوَةَ يَقْتُلُونَ فِيهَا بَيْنَهُمْ.

الطريف هنا أنّ يعقوب لم يقل «أخاف من إخوتك ان يقصدوا إليك بسوء» بل أكد ذلك على أنه امر قطعي، وخصوصا بتكرار «الكيد» لأنه كان يعرف نوازع ابنائه و حساسياتهم بالنسبة لأخيهم يوسف، وربما كان اخوته يعرفون تأويل الرؤيا، ثم ان هذه الرؤيا لم تكن بشكل يعسر تعبيرها.

و من جهة اخرى لا يتصور ان تكون هذه الرؤيا شبيهه برؤيا الأطفال، إذ يمكن احتمال رؤيه الأطفال للشمس و القمر و الكواكب في منامهم، و لكن ان تكون الشمس و القمر و الكواكب موجودات عاقله و تنحنى بالسجود لهم، فهذه ليست رؤيا أطفال... و من هذا المنطلق خشي يعقوب على ولده يوسف نائره الحسد من اخوته عليه.

و لكن هذه الرؤيا لم تكن دليلا على عظمه يوسف في المستقبل من الوجهه الظاهريه و الماديه فحسب، بل تدل على مقام النبوه التي سيصل إليها يوسف في المستقبل.

و لذلك فقد أضاف يعقوب-لولده يوسف-قائلا: وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ كُلًّا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ .

اجل فإن الله على كل شيء قدير و إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ .

ص: ١٢٧

---

١-١) «التأويل» في الأصل إرجاع الشيء، و كل عمل او كل حديث يصل الى الهدف النهائي يطلق عليه «تأويل» و تحقق الرؤيا في الخارج مصداق للتأويل... و«الأحاديث» جمع الحديث، و هو نقل ما يجري، و الحديث هنا كناية عن الرؤيا لان الإنسان ينقلها للمعبرين.



## ١- الرؤيا والحلم

أنّ مسأله الرؤيا فى المنام من المسائل التى تستقطب أفكار الافراد العاديين من الناس و العلماء فى الوقت نفسه.

فما هذه الأحلام التى يراها الإنسان فى منامه من أحداث سيئه او حسنه، و ميادين موحشه او مؤنسه، و ما يثير السرور او الغم فى نفسه؟! أ هى مرتبطه بالماضى الذى عشعش فى اعماق روح الإنسان و برز الى الساحة بعد بعض التبديلات و التغييرات؟ ام هى مرتبطه بالمستقبل الذى تلتقط صورته عدسه الروح برموز خاصه من الحوادث المستقبلية؟! او هى انواع مختلفه، منها ما يتعلق بالماضى، و منها ما يتعلق بالمستقبل، و منها ناتج عن الميول النفسيه و الرغبات و ما الى ذلك...؟! انّ القرآن يصرح فى آيات متعدده انّ بعض هذه الأحلام على الأقل - انعكاسات عن المستقبل القريب او البعيد.

و قد قرانا عن رؤيا يوسف فى الآيات المتقدمه، كما سنرى قصه الرؤيا التى حدثت لبعض السجناء مع يوسف فى الآيه (٣٦) و قصه رؤيا عزيز مصر فى الآيه (٤٣) و جميعها تكشف الحجب عن المستقبل.

و بعض هذه الحوادث - كما فى رؤيا يوسف - تحقق فى وقت متأخر نسبيا «يقال انّ رؤيا يوسف تحققت بعد أربعين سنه» و بعضها تحقق فى المستقبل القريب كما فى رؤيا عزيز مصر و لمن فى السجن مع يوسف.

و فى غير سوره يوسف إشارات الى الرؤيا التى كان لها تعبير ايضا، كما ورد فى سوره الفتح عن رؤيا النبى محمد صلى الله عليه و آله و سلم، و ما ورد فى سوره الصافات عن رؤيا إبراهيم الخليل «و هذه الرؤيا كانت وحيا الهيا بالاضافه لما حملت من تعبير».

و نقرا

فى الحديث عن النبى الأكرم صلى الله عليه و آله و سلم عن الرؤيا قوله: «الرؤيا ثلاث:

بشرى من الله، و تحزين من الشيطان، و الذى يحدث به الإنسان نفسه فيراه فى منامه» (١).

و واضح أنّ أحلام الشيطان ليست شيئاً حتى يكون لها تعبير، و لكن ما يكون من الله فى الرؤيا فهى تحمل بشاره حتما... و يجب ان تكون رؤيا تكشف الستار عن المستقبل المشرق.

و على كل حال يلزمنا هنا ان نبيّن النظرات المختلفه فى حقيقه الرؤيا، و نشير إليها بأسلوب مكثف مضغوط.

و التفاسير فى حقيقه الرؤيا كثيره و يمكن تصنيفها الى قسمين هما:

١-التفسير المادى ٢-التفسير المعنوى

### ١-التفسير المادى:

يقول الماديون: يمكن ان تكون للرؤيا عدّه علل:

الف: قد تكون الرؤيا نتيجة مباشره للأعمال اليوميّه، اى أنّ ما يحدث للإنسان فى يومه قد يراه فى منامه.

ب- و قد تكون الرؤيا عباره عن سلسله من الامانى، فيراها الإنسان فى النوم كما يرى الظمآن فى منامه الماء، او ان إنسانا ينتظر مسافرا فيراه فى منامه قادمًا من سفره.

ج- و قد يكون الباعث للرؤيا الخوف من شىء ما، و قد كشفت التجارب ان الذين يخافون من لص يرونه فى النوم.

أمّا فرويد و اتباعه فلديهم مذهب خاص فى تفسير الأحلام، إذ انهم بعد

ص: ١٢٩

---

١ - ١) بحار الأنوار، ج ١٤، ص ٤٤ و يضيف بعض العلماء قسما رابعا على هذه الأقسام، هو الرؤيا التى تكون نتيجة مباشره عن الوضع المزاجى و الجسمانى للإنسان، و سيشار إليها فى البحوث المقبله... ان شاء الله.

شرح بعض المقدمات يقولون: إنَّ الرؤيا عبارة عن إرضاء الميول المكبوتة التي تحاول الظهور على مسرح الوعي بعد تحويرها و تبدلها في عمليه خداع الانا.

و لزياده الإيضاح يقولون:- بعد قبول ان النفس البشريه مشتمله على قسمين «الوعي» و هو ما له ارتباط بالأفكار اليوميه و المعلومات الاراديه و الاختياريه للإنسان، و«اللاوعي» و هو ما خفى فى باطن الإنسان بصوره رغبه لم تتحقق- فكثيرا ما يحدث ان تكون لنا ميول لكننا لم نستطع ارضاءها- لظروف ما- فتأخذ مكانها فى ضمير الباطن: و عند النوم حين يتعطل جهاز الوعي تمضى فى نوع من إشباع التخيل الى الوعي نفسه، فتعكس أحيانا دون تغيير [كمثل العاشق الذى يرى فى النوم معشوقته]

و أحيانا تتغير اشكالها و تنعكس بصور مناسبه، و فى هذه الحاله تحتاج الرؤيا الى تعبير.

فعلى هذا تكون الأحلام مرتبطه بالماضى دائما و لا تخبر عن المستقبل ابدا، نعم يمكن ان تكون وسيله جيده لقراءه «ضمير اللاوعي!».

و من هنا فهم يستعينون لمعالجه الأمراض النفسيه المرتبطه بضمير «اللاوعي» باستدراج أحلام المريض نفسه.

و يعتقد بعض علماء التغذية أنّ هناك علاقته بين الرؤيا و حاجه البدن للغذاء، فمثلا- لو رأى الإنسان فى نومه دما يقطر من أسنانه، فتعبير ذلك أنّ بدنه يحتاج الى فيتامين(ث) و إذا رأى فى نومه أن شعر رأسه صار أبيضاً، فمعناه أنّه مبتلى بنقص فيتامين(ب).

## ٢- التفسير المعنوى

و أما الفلاسفه الميتافيزيقيون فلهم تفسير آخر للرؤيا، حيث يقولون: إنّ الرؤيا و الأحلام على اقسام:

١- الرؤيا المرتبطه بماضى الحياه حيث تشكل الرغبات و الامنيات قسما

مهما من هذه الأحلام.

٢- الرؤيا غير المفهومة و المضطربة و أضغاث الأحلام التى تنشأ من التوهم و الخيال(و ان كان من المحتمل ان يكون لها دافع نفسى).

٣-الرؤيا المرتبطه بالمستقبل و التى تخبر عنه.

و ممّا لا شك فيه أنّ الأحلام المتعلقة بالحياه الماضيه و تجسّد الأمور التى راها الإنسان فى طول حياته ليس لها تعبير خاص...و مثلها الاطيف المضطربه او ما تسمى بأضغاث أحلام التى هى افرازات الأفكار المضطربه، كالأطيف التى تمرّ بالإنسان و هو فى حال الهذيان او الحمى، فهى -ايضا-لا يمكن ان تكون تعبيرا عن مستقبل الحياه...و لهذا فإنّ علماء النفس يستفيدون من هذه الأحلام و يتخذونها نوافذ للدخول الى ضمير اللاوعى فى البشر، و يعدّونها مفاتيح لعلاج الأمراض النفسيه، و يكون تعبير الرؤيا عند هؤلاء لكشف الأسرار النفسيه و أساس الأمراض، لا لكشف حوادث المستقبل فى الحياه! اما الأحلام المتعلقة بالمستقبل فهى على نحوين:

قسم منها أحلام واضحه و صريحه لا تحتاج الى تعبير...و أحيانا تتحقق بشكل عجيب فى المستقبل القريب او البعيد دون اى تفاوت.

و هناك قسم آخر من هذه الأحلام التى تتحدث عن المستقبل، و لكنّها فى الوقت ذاته غير واضحه، و قد تعيّرت نتيجة العوامل الذهنيه و الروحيه الخاصه فتحتاج الى تعبير.

و لكل من هذه الأحلام نماذج و مصاديق كثيره، و لا يمكن إنكارها جميعا، لأنّها لا فى المصادر المذهبيه او الكتب التأريخيه- فحسب-بل تتكرر فى حياتنا او حياه من نعرفهم بشكل لا يمكن عدّه من باب المصادفات و الانفاقات!.

ص: ١٣١

و نذكر هنا عدّه نماذج من الأحلام الصادقه التي كشفت بشكل عجيب عن حوادث مستقبلية سمعناها من افراد موثوقين:

١-المرحوم الآخوند ملا- على من علماء همدان الموثوقين و المعروفين ينقل عن المرحوم الميرزا عبد النبي النورى و هو من علماء طهران الكبار هذه القضية:

عند ما كنت فى سامراء كان يصلنى سنويا من مدينه مازندران مبلغ بمقدار مائه تومان تقريبا،و على أساس هذا الأمر كنت استقرض دائما مقدار حاجتى من المؤونه و عند ما يصلنى هذا المبلغ كنت أقوم بتسديد هذه القروض.

و فى احد الأعوام جاءنى خبر مؤسف،و هو أنّ المحصول الزراعى فى مازندران سىء للغاية بسبب القحط،و لهذا فإنهم يعتذرون عن عدم إرسال المبلغ المقرر فى هذه السنه،و لما سمعت بذلك تألمت بشدّه و نمت و انا فى هذه الحال من الهم و الغم،فرأيت فى عالم الرؤيا رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم و هو يدعونى و يقول:يا فلان،قم و افتح تلك الخزانة(و أشار الى خزانة فى الحائط)و خذ منها مائه تومان موجوده هناك.فانتبهت من النوم،و لم تمض فتره حتى طرقت الباب بعد الظهر، فرأيت رسول الميرزا الشيرازى قدّس سرّه المرجع الكبير للشيعة و قال لى: إنّ الميرزا يدعوك:فتعجبت من هذه الدعوه فى هذا الوقت بالذات.فذهبت اليه فرأيته جالسا فى حجرته(و قد نسيت الرؤيا تماما)و فجأه قال لى المرحوم الميرزا الشيرازى:يا ميرزا عبد النبي افتح باب تلك الخزانة و خذ منها مائه تومان موجوده هناك.فتذكرت الرؤيا فورا و تعجبت كثيرا و أردت ان أقول شيئا، و لكنى شعرت بأنّه لا يرغب فى ذلك،فقمت الى الخزانة فأخذت المبلغ المذكور و خرجت.

٢-و ينقل صديق-و هو محل اعتماد-ان المرحوم التبريزى صاحب كتاب «ريحانه الأدب» كان له ولد يشكو من يده اليمنى(ربّما كان مبتلى بالروماتيزم)

بشكل يصعب عليه ان يمسك القلم بيده،فتقرر ان يسافر الى المانيا للمعالجه و يقول:حين كنت فى السفينه رأيت فى المنام ان امى توفيت ففتحت التقويم السنوى و سجلت الحادثه-مقيده بالساعه و اليوم-و لم تمض فتره حتى رجعت الى بلدى فاستقبلنى جماعه من الأقارب و الأصدقاء فوجدتهم لبسوا ثياب الحداد فتعجبت،و كنت قد نسيت الرؤيا،و أخيرا أخبرت-بالتدريج-ان امى توفيت،فتذكرت مباشره رؤياى فى السفينه فأخرجت التقويم و سألت عن اليوم الذى توفيت فيه فكان مطابقا لذلك اليوم تماما.

٣-يقول سيد قطب فى تفسيره«فى ظلال القرآن»فى هامشه على الآيات المتعلقة بسوره يوسف:«إذا كنت أنكر جميع ما قلت فى الرؤيا فلن أستطيع ان أنكر ما حدث لى يوم كنت فى امريكا ابدا...رأيت هناك فى المنام انّ ابن أختى قد نزت عيناه دما و لا يستطيع ان يرى(كان ابن أختى و سائر أعضاء اسرتى بمصر)فاستوحشت ممّا رأيت و كتبت رساله الى اسرتى بمصر فورا،و سألتهم عن حال ابن أختى بوجه خاص، فلم تمض فتره حتى جاءتنى الجواب الذى يخبرنى بأنّ ابن أختى مبتلى بتزيف داخلى فى عينيه و لا يستطيع ان يرى،و هو مشغول بالمعالجه.

و ممّا يستلفت النظر انّ النزف الداخلى كان بشكل لا يمكن رؤيته الاّ بالاجهزه الطبيه،و قد حرم ابن أختى من النظر و الرؤيه على كل حال.غير اننى رأيت فى منامى حتى هذه المسأله الدقيقه.

ان الأحلام التى تكشف الحجب عن الأسرار و الحقائق المرتبطه بالمستقبل، او الحقائق الخفيه المتعلقة بالحاضر،هى اكثر من ان تحصر،و ليس بمقدور بعض الافراد الذى لا- يعتقدون بهذه الحقائق إنكارها،او حملها على المصادفه و الاتفاق! و من خلال التحقيق مع الأصدقاء القريين يمكن الحصول على شواهد

كثيره من هذه الأحلام، وهذه الأحلام لا يمكن تعبيرها عن طريق التفسير المادى ابدأ، و انما الطريق الوحيد هو تعبير فلاسفه الروح و الاعتقاد باستقلال الروح، و من مجموع هذه الأحلام يمكن ان نستفيد منها كشاهد على استقلال الروح.

٢- فى الآيات-محل البحث-نلاحظ ان يعقوب-بالاضافه الى تحذيره لولده يوسف من ان يقصّ رؤياه على اخوته-فإنه عبر عن رؤياه بصوره اجماليه و قال له وَ كَذَلِكَ يَجْتِيكَ رُبُّكَ وَ يُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَ يُنَمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَ عَلَى آلِ يَعْقُوبَ .

و دلالة رؤيا يوسف على أنه سيبلغ فى المستقبل مقامات كبيره معنويه و ماديه يمكن دركها تماما...و لكن يبرز هذا السؤال، و هو: كيف عرف يعقوب ان ابنه يوسف سيعلم تأويل الأحاديث فى المستقبل؟ اهو خبر أخبره يعقوب ليوسف مصادفه و لا علاقه له بالرؤيا، ام أنه اكتشف ذلك من رؤيا يوسف؟ الظاهر ان يعقوب فهم ذلك من رؤيا يوسف، و يمكن ان يكون ذلك عن احد طريقين:

الاول: ان يوسف فى حدائه سنه و قد نقل لأبيه-خاصه-بعيدا عن أعين اخوته(لان أباه أوصاه ان لا يقصّها على اخوته)و هذا الأمر يدلّ على ان يوسف نفسه كان له احساس خاص برؤياه بحيث لم يقصصها بمحضر الجميع....

و لأنّ مثل هذا الاحساس فى صبيّ-كيوسف عليه السلام-يدلّ على انّ له استعدادا روحيا لتعبير الرؤيا، و انّ أباه قد احسّ بهذا الاستعداد...و بالتريه الصحيحه سيكون له فى المستقبل حظّ زاهر فى هذا المجال.

الثانى: انّ ارتباط الأنبياء، بعالم الغيب له عدّه طرق، فمرّه عن طريق «الإلهامات القليه» و تاره عن طريق «ملك الوحي» و اخرى عن طريق «الرؤيا».

و بالرغم من انّ يوسف لم يكن نبيا فى ذلك الوقت، لكن رؤيته لهذه الرؤيا ذات المعنى الكبير يدلّ على ان سيكون له ارتباط بعالم الغيب فى المستقبل،

و لا بدّ أن يعرف تعبير الرؤيا-طبعاً-حتى يكون له مثل هذا الارتباط.

٣-من الدروس التي نستلهمها من هذا القسم من الآيات ان نحفظ الأسرار، و ينبغي ان يطبق هذا الدرس أحيانا حتى امام الاخوه،فدائما تقع في حياه الإنسان اسرار لو اذيعت و فشت بات مستقبله او مستقبل مجتمعه معرضا للخطر،و المواظبه على حفظ هذه الأسرار دليل على سعه الروح و تملك الاراده، فكثير من ضعاف الشخصيّه أوقعوا أنفسهم او مجتمعهم في الخطر بسبب افشاء الأسرار،و كم يرى الإنسان-من مساءه و ضرر لآئه ترك حفظ الأسرار....

و في هذا المجال

ورد حديث عن الامام على بن موسى الرضا عليه السّلام إذ قال: «لا يكون المؤمن مؤمنا حتى تكون فيه ثلاث خصال:سنّه من ربّه،و سنّه من نبيّه، و سنّه من وليّه.فأمّا السّنه من ربّه فكتمان السرّ،و أمّا السّنه من نبيّه فمداراه الناس،و أمّا السّنه من وليّه فالصبر على البأساء و الضراء» (١).

و

ورد حديث عن الامام الصادق عليه السّلام يقول: «سرّك من دمك فلا يجريّن من غير أوداجك» (٢).

ص: ١٣٥

---

١-١) بحار الأنوار، ط جديده، ج ٧٨، ص ٣٣٤.

٢-٢) سفينه البحار، ماده: كتم.



اشاره

لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٍ لِلْسَّائِلِينَ (٧) إِذِ قَالُوا لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِمَّا نَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (٨) اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضاً يَخْلُ لَكُمْ وَجْهَ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعِيدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ (٩) قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَالْقَوْهَ فِي غِيَابَتِ الْجُبِّ يَلْتَقِطُهُ بَعْضُ السَّيَّارِهِ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ (١٠)

التفسير

اشاره

المؤامره:

من هنا تبدا قصه مواجهه اخوه يوسف و اشتباكهم معه:

ففي الآيه الاولى-من الآيات محل البحث-اشاره الى الدروس التربويه الكثيره التي توحىها القصه، إذ تقول الآيه: لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٍ لِلْسَّائِلِينَ .

و في ان المراد بالسائلين، من هم؟ يقول بعض المفسرين كالقارطبي في التفسير الجامع و غيره: ان هؤلاء السائلين هم جماعه من يهود المدينه، جاؤوا

يسألون النبي اسئله فى هذا المجال، و لكن ظاهر الآيه مطلق، فلا مرجح لأن يكون المراد بالسائلين هم اليهود دون غيرهم.

و اى درس أعظم من ان يجتمع عدّه افراد لإهلاك فرد ضعيف و وحيد-فى الظاهر-و بخطط أعدّها الحسد، و يبذلون أقصى جهودهم لهذا الأمر، و لكن نفس هذا العمل-و دون شعور و اراده منهم-بات سببا فى ترّبعه على سرير الملك و صيرورته أمرا على البلد الكبير «مصر» ثمّ يأتى اخوته فى النهايه ليطأطئوا برؤوسهم إعظاما له، و هذا يدلّ على ان الله إذا أراد امرا فهو قادر على ان يجريه حتى على ايدى من يخالفون ذلك الأمر، ليتجلّى ان الإنسان المؤمن الطاهر ليس وحيدا فى هذا العالم، فلو سعى جميع افراد هذا العالم الى إزهاق روحه و الله لا يريد ذلك، فإنهم لا يستطيعون ان يسلبوا منه شعره واحده.

كان ليعقوب اثنا عشر ولدا، و اثنان منهم: يوسف و بنيامين و هما من ام واحده اسمها راحيل، و كان يعقوب يولى هذين الولدين محبّه خاصّه، لا سيما يوسف.

لأنّهما أوّلا: أصغر أولاده، و بالطبع فهما يحتاجان الى العنايه و الرعايه و المحبه.

و ثانيا: لأنّ أمّهما ارتحلت من الدنيا-طبقا لبعض الروايات-و بعد هذا كلّ كانت بوادر النبوغ و الذكاء و الحادّ ترسم على يوسف، و هذه الأمور أدّت الى ان أن يولى يعقوب ابنه هذا عنايه اكثر.

الآ- ان الاخوه الحساد-دون ان يلتفتوا الى هذه الجهات-تألّموا من حبّ أبيهم ليوسف و أخيه، و خاصّه بعد اختلافهم فى الام و المنافسه الطبيعيه المترتبه على هذا الأمر. لهذا اجتمعوا فيما بينهم و تدارسوا الأمر و صمموا على المؤامره إذ قالوا لِيُوسُفُ وَ أَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنْنا وَ نَحْنُ عُصْبَةُ (١).

ص: ١٣٧

(١-١) «العصبة» معناها الجماعه المتفقون على الأمر، و هذه الكلمه معناها الجمع الآ لا مفرد لها من جنسها.

و حكموا على أبيهم من جانب واحد بقولهم: إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ .

ان نار الحسد و الحقد لم تدعهم ليفكروا فى جميع جوانب الأمر ليكتشفوا دلائل علاقة الحبّ التى تربط يعقوب بولديه يوسف و بنيامين، لأنّ المنافع الخاصّه لكل فرد تجعل بينه و بين عقله حجبا فيقضى من جانب واحد لتكون النتيجة «الضلال عن جاده الحق و العدل» و بالطبع فإنّ اتهامهم لأبيهم بالضلاله، لم يكن المقصود منها الضلاله الدينيه، لأنّ الآيات الآتية تكشف عن اعتقادهم بنبوّه أبيهم، و انما استنكروا طريقه معاشرته فحسب.

ثمّ ادى بهم الحسد الى ان يخططوا لهذا الأمر، فاجتمعوا و قدموا مقترحين و قالوا: أُقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضاً - أرسلوه الى منطقته بعيدة - يَخْلُ لَكُمْ وَجْهَ أَبِيكُمْ .

و من الحق ان تشعروا بالذنب و الخجل فى وجدانكم لأنكم تقدمون على هذه الجنايه فى حق أخيكم الصغير، و لكن يمكن أن تتوبوا و تغسلوا الذنب تَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ .

و هناك احتمال آخر لتفسير هذه الآيه هو أنّكم إذا أبعدم أخاكم عن عينى أبيكم يصلح ما بينكم و بين أبيكم و تذهب اتعابكم و يزول اذاكم من هذا الموضوع، و لكن التفسير الاوّل اقرب للنظر! و على كل حال فإنّ هذه الجملة تدلّ على احساسهم بالذنب من هذا العمل، و كانوا يخافون الله فى اعماق قلوبهم، و لذلك قالوا: نتوب و نكون من بعده قوما صالحين.

و لكن المسأله المهمه هنا هى انّ الحديث عن التوبه قبل الجريمه- فى الواقع- هو لأجل خداع «الوجدان» و اغرائه و فتح الباب للدخول الى الذنب، فلا يعدّ دليلا على الندم ابدا.

و بتعبير آخر: انّ التوبه الواقعيه هى التى توجد بعد الذنب حاله من الندم

و الخجل للإنسان، و أمّا الكلام فى التوبه قبل الذنب فليس توبه.

و توضيح ذلك أنه كثيرا ما يقع أن الإنسان حين يواجه الضمير و«الوجدان» عند الاقدام على الذنب، او حين يكون الاعتقاد الدينى سداً و حاجزا امامه يمنعه عن الذنب و هو مصمم عليه، فمن اجل ان يجتاز حاجز الوجدان او الشرع بيسر، يقوم الشخص بخداع نفسه و ضميره يأتى سوف اقف مكتوف اليدين بعد الذنب، بل سأتوب و امضى الى بيت الله و أودى الأعمال الصالحه، و سأغسل جميع آثار الذنوب.

اي أنه فى الوقت الذى يرسم الخطه الشيطانيه للاقدام على الذنب، يرسم خطه شيطانيه اخرى لمخادعه الضمير و الوجدان...و للاعتداء على عقيدته! فإلى أىّ درجه تبلغ هذه الخطه من السوء بحيث تمكن الإنسان من تحقيق الجنايه و الذنب و كسر الحاجز الدينى الذى يقف امامه!! انّ اخوه يوسف دخلوا من هذا الطريق ايضا.

المسأله الدقيقه الاخرى فى هذه الآيه: أنهم قالوا: يَخْلُ لَكُمْ وَجْهَ أَبِيكُمْ و لم يقولون: يخل لكم قلب أبيكم، و ذلك لأنهم لم يطمئنا الى انّ أباهم ينسى يوسف بهذه السرعه... فيكفى ان يتوجه إليهم أبوهم، و لو ظاهرا! و هناك احتمال آخر لهذا التعبير، و هو أنّ الوجه و العينين نافذتان الى القلب، فمتى ما خلا الوجه لهم فإنّ القلب سيخلو و يتوجه إليهم بالتدريج.

و لكن كان من بين الاخوه من هو اكثر ذكاء و ارق عاطفه و وجدانا، لأنه لم يرض بقتل يوسف او إرساله الى البقاع البعيده التى يخشى عليه من الهلاك فيها...

فاقترح عليهم اقتراحا ثالثا، و هو ان يلقى فى البئر (بشكل لا يصيبه مكروه) لتمرّ قافله فتأخذه معها، و يغيب عن وجه أبيه و وجوههم، حيث تقول الآيه فى هذا الصدد قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَ أَلْقُوهُ فِي عَيَابَتِ الْجُبِّ يَلْتَقِطُهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ...

١- «الجَبِّ» معناه «البئر» التي لم تنضد بالطابوق و الصخور، و لعلّ اغلب آبار الصحراء على هذه الشاكلة.

و«الغيابه» المخبأ من البئر الغائب عن النظر و لعلّ هذا التعبير يشير الى ان الآبار الصحراويه يصنع في قعرها مكان قريب من الماء، بحيث لو أراد احد النزول الى البئر ليستفيد من الماء، فإنّه يستطيع ان يجلس هناك و يملا دلوه من ذلك الماء دون ان ينزل هو في الماء، و بالطبع فإنّ من ينظر البئر من فوقها لا يرى ذلك المكان و لذلك سمي «غيابه» (١).

٢- لا- شك أنّ اقتراح هذا القائل أَلْقُوهُ فِي عَيَابَتِ الْجُبِّ لم يكن الهدف منه موت يوسف في البئر، بل بقاءه سالما لتنفذه القافله عند مرورها على البئر للاستسقاء.

٣- يستفاد من جملة إِنَّ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ أَنَّ الْقَائِلَ لم يكن يرغب-أساسا- حتى بهذا الاقتراح و لعله كان لا- يوافقهم على إيذاء يوسف أصلا.

٤- هناك اختلاف بين المفسرين في اسم هذا الأ-خ القائل لا- تَقْتُلُوا يُوسُفَ فقال بعضهم: اسمه «روبين» و كان اذكاهم، و قال بعضهم: اسمه «يهودا» و قال آخرون: اسمه «لاوى».

### ٥- أثر الحسد المدتر في حياه الناس

الدرس الآخر الذي نتعلمه من هذه القصه، و هو أنّ الحسد يمكن ان يدفع الإنسان حتى الى قتل أخيه، او إيجاد المشاكل له، فنار الحسد إذا لم يمكن إخمادها فإنّها ستحرق صاحبها بالاضافه الى إحراق الآخرين بها.

و أساسا إذا حرم الإنسان من نعمه أنعمها الله على عبد سواه، فإنّه سيكون

ص: ١٤٠

الاولى: ان يتمنى ان ينعم الله عليه مثل ما أنعم على غيره، وهذه الحاله تدعى «الغبطه» وهى جديره بالثناء و المدح، و ليس لها اثر سىء، لأنها تدعو صاحبها للسعى و الجدّ و المثابره حتى ينال مثل ما نال المغبوط.

الثانيه: ان يتمنى ان تسلب هذه النعمه عن الآخرين، و يسعى من اجل تحقيق هذا التمنى، و هذه هى الحاله المذمومه الموسومه «بالحسد» التى تدعو صاحبها الى التخريب و سلب النعمه عن الآخرين، دون ان تدعوه لآن يطلب من الله مثل ما اعطى غيره من النعم.

الثالثه: ان يتمنى ان تكون هذه النعمه له فقط و يحرم الآخرون منها و هذه الحاله تسمى «البخل» و الاثانيه التى تدعو الإنسان ان يطلب شيئاً لنفسه، و يلتدّ من حرمان الآخرين.

الرابعه: ان يتمنى و يحب تنعم الآخرين بهذه النعمه و ان كان محروما منها، و هو مستعدّ ان يقدم ما عنده من أجلهم... و بغض النظر عن منافعه الشخصيه، و هذه الحاله الرفيعه هى ما يسمى ب«الإيثار» التى هى من أهم الصفات الانسانيه الحميده.

و على كل حال فإنّ الحسد لا يقتصر على قتل اخوه يوسف لأخيهم فحسب، بل قد يوصل الإنسان الى قتل نفسه.

و لهذا نجد فى الأحاديث الاسلاميه تعابير مؤثره تدعو الى مكافحه هذه الرذيله، و على سبيل المثال نورد منها ما يلى:

-١

فى حديث عن النبى صلّى الله عليه و آله و سلّم أنّه قال: «انّ الله نهى موسى عن الحسد و قال له: انّ الحاسد ساخط لنعمى صاّد لقسمى الذى قسمت بين عبادى، و من يك كذلك فلست منه و ليس منى» (١).

ص: ١٤١

حديثا للإمام الصادق عليه السلام يقول: «آفه الدين الحسد و العجب و المفاخره» كما نقرا له

حديثا يقول: «انّ المؤمن يغبط و لا يحسد، و المنافق يحسد و لا يغبط» (١).

٦- كما نستنتج درسا آخر من هذا المقطع فى القصه، و هو أنّ الوالدين ينبغى ان يلاحظا أبناءها الآخرين عند إبراز عنايتهما و محبتهما لواحد منهم، فبالرغم من ان يعقوب لم يرتكب خطأ-دون اى شك- بالنسبه لإبراز علاقته لولديه يوسف و بنيامين، و أنّما كان كل ذلك وفق حسابات خاصه. و لكن هذه الحادته تكشف لنا أنّه ينبغى ان يكون الإنسان اكثر إحساسا، فى هذه المسأله- من القدر اللازم. لأنّ إبراز العلاقه لبعض الأبناء دون بعض توجد عقده فى نفوس الآخرين، الى درجه أنّها تجرّهم الى كل عمل مخزّب، حيث يجدون شخصياتهم منهزمه و لا بدّ من تحطيم شخصيه أخيهم للتعويض عن هذه الهزيمه، فيكون الاقدام على هذا العمل دون لحاظ الرحميه و وشائج القربى.

و إذا لم يستطع الإنسان ان يقوم بعمل معاكس، فإنّه يظل يلوم نفسه و يحرضها حتى يبتلى بالمرض النفسى.

و ما زلت اذكر أنّه كان لى صديق قد مرض ولده الصغير، فأوصى ولده الكبير برعايته، و أخذ الأب يولى ولده الصغير محبه و شفقه فائضه «لأنّه مريض».

فلم تمض فتره حتى مرض هذا الابن الكبير بمرض نفسى مجهول، قلت لذلك الصديق العزيز: الا تفكر أنّ أساس المرض هو عدم العداله بين ولديك...

لكنّه لم يصدّق، و أخيرا راجع الطيب النفسانى المختصّ فقال: ان ابنك ليس مريضا بمرض خاصّ، و أنّما أساس مرضه هو اهتمامك بأخيه و عدم اهتمامك به، و هو يحس بأنّ شخصيته متعطشه للحنان و الحبّ، فى حين أنّ أخاه لم يحرم منهما.

ص: ١٤٢

و فى هذا الصدد نقرا

فى الروايات الاسلاميه ان الامام الباقر عليه السلام قال يوما:

«و الله انى لأصانع بعض ولدى، و أجلسه على فخذى، و انكز له المخّ، و اكسر له الكسر، و ان الحقّ لغيره من ولدى، و لكن مخافه عليه منه و من غيره، لا يصنعوا به ما فعل بيوسف اخوته، و ما انزل الله سوره الاّ أمثالا لكى لا يجد بعضنا بعضا كما حسد يوسف اخوته، و بغوا عليه، فجعلها رحمه على من تولّانا، و دان بحبّنا و حجّجه على أعدائنا و من نصب لنا الحرب و العداوه» (١).

ص: ١٤٣

---

١-١) بحار الأنوار، ج ٧٤، ص ٧٨.



اشاره

قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ (١١) أَرْسَلْنَاهُ مَعَنَا غَدًا يَزْتَعِ وَيَلْعَبُ وَ إِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ (١٢) قَالَ إِنِّي لِيَحْزُنُنِي أَنْ تَدْهَبُوا بِهِ وَ أَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذَّبَّابُ وَ أَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ (١٣) قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذَّبَّابُ وَ نَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَخَاسِرُونَ (١٤)

التفسير

اشاره

المؤامره المشؤومه

! بعد ان صوّب اخوه يوسف اقتراح أخيهم في عدم قتل يوسف، والقائه في الجب، أخذوا يفكرون في كيفية فصل يوسف عن أبيه لذلك اقدموا على تخطيط آخر، فجاءوا الى أبيهم بلسان لين يدعو الى الترحم، و في شكل يتظاهرون به انهم مخلصون له و حدثوا اباهم و قالوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَ إِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ .

تعال يا أبانا و ارفع اليد عن اتهامنا، فإنه أخونا و ما يزال صبيبا و بحاجة الى اللهو و اللعب، و ليس من الصحيح حبسه عندك في البيت، فخلّ سبيله أرسله

و إذا كنت تخشى عليه من سوء فحن نواظب على حمايته وَإِنَّا لَهُ لِحَافِظُونَ .

و بهذا الأسلوب خططوا لفصل أخيهم عن أبيه بمهاره، و لعلمهم قالوا هذا الكلام امام يوسف ليطلب من أبيه إرساله معهم.

و هذه الخطه تركت الأب-من جانب-امام طريق مسدود، فإذا لم يرسل يوسف مع اخوته فهو تأكيد على اتهامه ايهم، و حرقت-من جانب آخر- يوسف على ان يطلب من أبيه الذهاب معهم ليتنزّه كما يتنزّه اخوته، و يستفيد من هذه الفرصه لاستنشاق الهواء الطلق خارج المدينه.

اجل، هكذا تكون مؤامرات الذين ينتهزون الفرصه، و غفله الطرف الآخر، فيستفيدوا من جميع الوسائل العاطفيه و النفسيه، و لكن المؤمنين ينبغي ألاّ ينخدعوا بحكم

الحديث المأثور «المؤمن كيس» اي فطن ذكي فلا يركنوا للمظهر المنمق حتى لو كان ذلك من أخيهم.

و لكن يعقوب-دون ان يتهم اخوه يوسف بسوء القصد- اظهر تردده في إرسال يوسف لامرئ: الاوّل: انه سيبتعد عنه فيحزن عليه، و الثاني: ربّما يوجد خارج المدينه بعض الذئب المفترسه فتأكله، فاعتذر إليهم و قَالَ إِنِّي لَيُخْزِنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَ أَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذُّئْبُ وَ أَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ .

و هذه المسأله طبيعيه، حيث قد يبتعد اخوه يوسف عنه فيغفلون عن امره، فيأتي إليه الذئب فيأكله.

و بديهى انّ الاخوه لم يكن لهم جواب بالنسبه للأمر الاوّل الذي أشار اليه أبوهم يعقوب، لأنّ الحزن و الاغتمام على فراق يوسف لم يكن شيئاً عادياً حتى

١- ١) «يرتع» من ماده «رتع» على وزن «قطع» و معناه فى الأصل رعى الأغنام و الانعام بصوره عامّه للنباتات و شبعها منها، و لكن قد يطلق هذا اللفظ (رتع، يرتع) و يراد به تنزّه الإنسان و كثره الاكل و الشرب ايضا.

يعوّض عنه، و ربّما كان هذا التعبير مثيرا لنار الحسد فى اخوه يوسف اكثر.

و من جهه اخرى فإنّ هذا الموضوع الذى أشار اليه يعقوب، و هو حزنه على ابتعاد يوسف عنه يمكن ردّه، و هو لا- يحتاج الى بيان، لأنّ الولد لا بدّ له من الابتعاد عن أبيه من اجل ان ينمو و يرشد، و إذا أريد له ان يكون كنبات «التّورس» بحيث يبقى تحت ظل شجره «وجود الأب» فإنّهُ سوف يبقى عالاه عليه فلا بدّ من هذا الابتعاد و الانفصال حتى يتكامل ولده، فاليوم تنزّه و غدا اجتهاد و مثابره لتحصيل العلم، و بعد غد عمل و سعى للحياه، و أخيرا فإنّ الانفصال لا بدّ منه.

لذلك فإنّهم لم يجيبوه عن الشقّ الاوّل من كلامه، بل أجابوه عن الشقّ الثّانى لأنّه كان مهما و اساسيا بالنسبه لهم إذ قالوا لئن أكله الذّئب و نحن عصبه إنا إذا لخاسرون .

اى: أ ترانا موتى فلا- ندافع عن أحيانا، بل نتفرج على الذّئب كيف يأكله! ثمّ اضافته الى علاقته الاخوه التى تدفعنا للحفاظ على أحيانا، ما عسى ان نقول للناس عنّا؟ هل ننتظر ليقال عنّا: انّ جماعه أقوياء و فتيه أشداء جلسوا و تفرجوا على الذّئب و هو يفترس أخاهم! فهل نستطيع العيش بعد هذا مع الناس؟! لقد أجابوا أباهم بما تضمن قوله: أَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذُّبُّ وَ أَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ وَ مشغولون بلعبكم، كيف يكون ذلك؟ و المسأله ليست بهذه البساطه...

أنّها الخساره و ذهاب ماء الوجه و الخزى... إذ كيف يمكن لواحد منّا ان يشغله اللعب فيغفل عن أخيه يوسف، لأنّه فى مثل هذه الحال لا تبقى لنا قيمه و لا نصلح لاي عمل.

و يبرز هنا سؤال مهم... و هو: لماذا أشار يعقوب الى خطر الذّئب من دون الاخطار الاخرى؟! قال البعض: ان صحراء كنعان- كانت- «صحراء مذئبه» و من هنا كان

الخوف من الذئب اكثر من غيره.

و قال البعض: كان ذلك للرؤيا التي رآها يعقوب من قبل و هي ان ذئابا هجمت على ولده يوسف.

و هناك احتمال آخر هو ان يعقوب أجابهم بلسان الكنايه،و المقصود من الذئاب فى كلامه هم الأناس المتصفون بصفه الذئب اخوه يوسف.

و على كل حال فقد استطاع اخوه يوسف بما أوتوا من الحيل،و بتحريك احساسيس يوسف النقيته و ترغيبه الى التنزه خارج المدينه،و ربّما كان الاوّل مرّه يتاح ليوسف ان يحصل على مثل هذه الفرصه...استطاعوا ان يأخذوا يوسف معهم و ان يستسلم الأب لهذا الأمر فيوافق على طلبهم.

## بحوث

## اشاره

و ينبغي هنا الالتفات الى عده دروس حيّه تستلهم من هذه القصّه:

### ١- مؤامرات الأعداء فى ثياب الأصدقاء

من الطبيعى أنّ الأعداء لا يدخلون الميادين-عند الهجوم-بصراحه و دون استتار ابدأ.

بل أنّهم من اجل تفويت الفرصه على الطرف الآخر و استغفاله و سلبه كل وسائل الدفاع يسعون الى إخفاء عملهم تحت قناع جذاب أنّ اخوه يوسف اخفوا خطه هلاكه او ابعاده تحت غطاء اسمى الاحاسيس و العواطف الاخويه،هذه الاحاسيس التى كانت تحرك يوسف من جهه لأنّ يمضى معهم،و كانت عند أبيهم موضع قبول من جهه اخرى ايضا.

و هذه هى الطريقه التى نواجهها فى حياتنا اليوميّه على المدى الواسع،و ما

تلقيناه من ضربات قاسيه من أعدائنا المخاتلين بثياب الأبرار في هذا المضممار غير قليل، و لها مظاهر متعدده، فمره بمظهر المساعدات الاقتصاديه، و اخرى تحت ستار التبادل الثقافى، و ثالثه فى ثوب الدفاع عن حقوق البشر، و رابعه بأسلوب المعاهدات الدفاعيه... كل تلك الأمور كانت نتيجة اسوا القرارات الاستعماريه المذلّه للأمم المستضعفه و التى من ضمنها أمتنا الاسلاميه.

و لكن و مع هذه التجارب التاريخيه ينبغى ان نكون حذرين للغاية و ان نعرف أعداءنا جيدا، فلا نحسن الظن بهذه الذئاب البشريه التى تريد ان تمتص دماءنا بما تظهره من عواطف و احساس متلبسه بثياب المخلصين المتفانين فما زلنا نتذكر ما فعلته الدول المتسلطه على العالم حيث أرسلت تحت ستار المساعدات الطبيه الى بعض الدول الافريقيه المتضرره بالحرب اسلحه و عتاد أرسلت الى عملائها، كما بعثت اخطر جواسيسها تحت ثياب الدبلوماسيه و السفارات و الممثلين لها الى مختلف مناطق العالم.

و تحت ستار الخبراء العسكريين و تدريب الدول المستضعفه على الاسلحه الحديثه و المتطوره كانوا يأخذون مع عودتهم جميع الأسرار العسكريه لتلك الدوله.

و يارسال خبراء فنيين!! الى هذه الدول يربطوا عجله اقتصادها بالمناهج تكرر التبعيه ترى، أ ليست كل هذه التجارب التاريخيه كافيه لئلا ننخدع بهذه الزخارف البراقه الكاذبه و ان نعرف وجوه هؤلاء الذئاب المتظاهرين بالانسانيه.

## ٢- حاجه الإنسان الفطريه و الطبيعيه الى التنزه و الارتياح

من الطريف ان يعقوب عليه السلام لم يردّ على كلام اخوه يوسف و استدلالهم على أنه بحاجه الى التنزه و الارتياح، بل وافق على ذلك عمليتا، و هذا دليل كاف على ان ائى عقل سليم لا يستطيع ان ينكر هذه الحاجه الفطريه و الطبيعيه... فالإنسان

ليس آله تستعمل فى اى وقت كان و كيف كان، بل له روح و نفس ينالهما التعب و النصب كما ينالان الجسم. فكما ان الجسم يحتاج الى الراحة و النوم، كذلك الروح و النفس بحاجه الى التنزه و الارتياح السليم.

التجربه-ايضا-تدل على ان الإنسان كلما واصل عمله بشكل رتيب، فإنّ مردود هذا العمل سيقّل تدريجيا نتيجه ضعف النشاط، و على العكس من ذلك فإنّ الاستراحه لعدده ساعات تبعث فى الجسم نشاطا جديدا بحيث تزداد كميته العمل و كفيته معا، و لذلك فإنّ الساعات التى تصرف فى الراحة و التنزه تكون عوننا على العمل ايضا.

و فى الروايات الاسلاميه نجد هذه الواقعيه بأسلوب طريف جاء بمثابه «القانون» حيث

يقول الامام على عليه السلام: «للمؤمن ثلاث ساعات: فساعه يناجى فيها ربّه، و ساعه يرمّ معاشه، و ساعه يخلّى بين نفسه و بين لذّتها فيما يحلّ و يجمل» (١).

و ممّا يستجلب النظر أنّ فى بعض الروايات الاسلاميه أضيفت هذه الجمله الى النص المتقدم «و ذلك عون على سائر الساعات».

و على حدّ تعبير البعض فإنّ التنزه و الارتياح بمثابه تدهين و تنظيف اجهزه السيّاره، فلو توقفت هذه السيّاره ساعه عن العمل لمراقبه اجهزتها و تنظيفها، فإنها ستغدو اكثر قوه نشاطا يعوّض عن زمن توقفها اضعاف المرات، كما انه سيزيد من عمر السيّاره ايضا.

لكن المهم ان يكون هذا التنزه صحيحا، و الآ فإنه لا يحل المشكله، بل سيزيدها، فإنّ كثيرا من حالات التنزه هذه تدمر الإنسان و تسلب منه نشاطه و قدرته على العمل لفترة ما، او على الأقل تخفف من نشاط عمله.

و هناك نقطه تدعو للانتفات ايضا، و هى ان الإسلام اهتم بمسأله الترويض و الاستراحه النفسيه بحيث أجاز المسابقات فى هذا المضمار.. و يحدثنا التاريخ

ص: ١٤٩

انّ قسما من هذه المسابقات جرت بمرأى من رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسلم، وأحيانا كانت تناط اليه مهمه التحكيم و القضاء فى هذه المسابقه، وربما اعطى ناقته الخاصه- لبعض الصحابه للتسابق عليها.

ففى روايه الامام الصادق عليه السّلام أنّه قال: «انّ النبى اجرى الإبل مقبله من تبوك فسبقت العصابة و عليها اسامه، فجعل الناس يقولون: سبق رسول الله و رسول الله يقول: سبق اسامه (1)» (اشاره الى ان المهم فى السبق هو الراكب لا المركب، حتى و ان كان المركب السابق عند من لا يجيدون السبق).

النقطه الاخرى هى أنّه كما ان اخوه يوسف استغلّوا علاقه الإنسان-و لا سيما الشاب- بالتنزّه و اللعب من اجل الوصول الى هدفهم الغادر... ففى حياتنا المعاصره-ايضا- نجد اعداء الحق و العداله يستغلّون مسأله الرياضه و اللعب فى سبيل تلويث أفكار الشباب، فينبغى ان نحذر المستكبرين «الدثاب» الذين يخططون لإضلال الشباب و حرفهم عن رسالتهم تحت اسم الرياضه و المسابقات المحليه و العالميه.

و لا- ننسى ما كان يجرى فى عصر الطاغوت (الشاه)، فإنّهم و بهدف تنفيذ بعض المؤامرات و نهب ثروات البلاد و تحويلها الى الأجانب لقاء ثمن بخس، كانوا يرتّبون سلسله من المسابقات الرياضيه الطويله العريضه لالهاء الناس لئلا يطلعوا على المسائل السياسيه.

### ٣- الولد فى ظل الوالد

إذا كانت محبّه الأب الشديده او الام بالنسبه للولد تستوجب ان يحفظ الى جانبهما، إلا ان من الواضح ان فلسفه هذه المحبه من وجهه نظر قانون الخلقه هى المحافظه التامه على الولد عند الحاجه إليها، و على هذا الأساس ينبغى ان تقل

ص: ١٥٠

هذه المحافظه كلما تقدّمت به السن، و يمنح الولد الاجازه ليخطو في حياته نحو الاستقلال، و الأ فسيكون كمثل غرسه النورس تحت ظل الشجره القويه دائما لا تنمو كما يلزم.

و ربّما وافق يعقوب عليه السّلام-لهذا السبب-على اقتراح ابنائه رغم علاقته الشديده بيوسف، و أرسله معهم الى خارج المدينه، و مع أنّ هذا الأمر كان صعبا على يعقوب، و لكن مصلحه يوسف و حاجته الى الرشد و النمو كانت تستوجب ان يجيزه أبوه لبيتعه عنه ساعات و اياما! و هذه مسأله تربويه مهمّه غفل عنها كثير من الآباء و الأمهات، حيث يربّون أولادهم تربيه بحيث لا يستطيعون ان يعيشوا خارج «خيمه الأبوين» و محافظتهما عليهم، و بالتالى يسقطون امام تيارات الحوادث و ضغوطها، كما ان هناك رجالا عظماء فقدوا والديهم في دور الطفوله، و لكنّهم صنعوا أنفسهم بأيديهم و واجهوا المشاكل و تجاوزوها.

فالمهم ان يلتفت الوالدان الى هذه المسأله التربويه، و الأ فستكون محبتهم «الكاذبه» مانعا من استقلال أولادهم.

من الطريف ان هذه المسأله موجوده في بعض الحيوانات بشكل غريزي، فنحن نرى أفرخ الدجاج «الفروج»-مثلا-يبدأ حياته تحت جناحي امه، و تحافظ الدجاجه الام عليها كما تحافظ على روحها «العزيره».

و لكن بعد فتره حيث تكبر هذه الافراخ فإنّ الام لا تترك المحافظه على هذه الافراخ فحسب، بل تنقر ايا منها يصل إليها. و معنى هذا أنّها تريد ان تعوّدهم على ان يتعلموا طريق الحياه المستقله!فالى متى تعيشون غير مستقلين؟! و لكن هذا الموضوع لا ينافى تقويه الروابط العائليه و المحافظه على الموده و المحبّه، بل هي محبّه عميقه و علاقه محسوبه و نافع للطرفين.



## ٤- لا قصاص و لا اتهام قبل الجنايه

نشاهد فى هذا الفصل من القصّه أنّ يعقوب بالرغم من علمه بما سيقدم عليه اخوه يوسف...و تحذيره ولده يوسف ألا يقصص رؤياه على اخوته،و ان يكتنم الأمر،الأ أنّه لم يكن مستعدا لأنّ يتّهمهم بقصد الاساءه الى يوسف،بل كان عذره إليهم أنّه يحزنه فراقه،و يخاف ان يأكله الذئب فى الصحراء.

و الأخلاق و المعايير الانسانيه و الاسس القضائيه العادله توجب ذلك ايضا، فحيث لم تتوفر لدينا علامه ظاهره على مخالفه شخص ما فلا ينبغى اتّهامه، فالأصل البراءه و الصحه و الطهاره إلا ان يثبت خلافه.

## ٥- تلقين العدو

المسأله الاخرى اننا نقرا فى ذيل الآيات المتقدمه-

روايه عن النّبى صلّى الله عليه و آله و سلّم أنّه قال: «لا تلقنوا الكذّاب فيكذب فإنّ بنى يعقوب عليه السّلام لم يعلموا ان الذئب يأكل الإنسان حتى لقنهم أبوهم» (١). اشاره الى انه قد يحدث أحيانا ان لا يلتفت الطرف الآخر الى الحيله و الى طريق الاعتذار و انتخاب طريق الانحراف،فعليكم ان تحذروا من ذكر الاحتمالات المختلفه التى تبين له طرق الانحراف.

و مثل هذا يشبه تماما ما لو قال الإنسان لطفله:لا ترم الكره باتجاه المصباح، و لم يكن الطفل يعلم ان الكره يمكن ان ترمى نحو المصباح،فيلتفت الى ان مثل هذا العمل ممكن،و تتحرك فيه نوازع الفحص...ماذا سيكون لو رميت الكره باتجاه المصباح؟ثم يبدأ«لعبته»لتنتهى بتكسّر المصباح! و ليس هذا موضوعا هينا و لا- خاصا بالأطفال،فقد يتفق أحيانا ان الأوامر و النواهى الخاطئه،تسبب ان يتعلم الناس أشياء لم يعرفوها من قبل،فتوسوس لهم أنفسهم ان يقدموا عليها،فينبغى فى مثل هذه الموارد-قدر المستطاع-ان

ص: ١٥٢

تثار المسائل بشكل لا يبعث على اى تعلّم سيئ! و بالطبع فإنّ يعقوب النّبي عليه السّلام قال كلامه عن صفاء و طهاره قلب، إلا أنّ أبناء الضالين استغلوا كلامه لقصدهم السيئ.

و شبيه هذا الموضوع الأسلوب الذى نجده فى كثير من المقالات، فمثلا قد يكتب أحدهم مقاله- او يقوم بإخراج فيلما او غيرها- عن ضرر الموادّ المخدره او الاستمناء، فيتناول هذه المسائل بصورة يتعلمها غير المطلعين و ينسون المسائل التى تذكر فى هذه المواضيع لندم هذه الأعمال و بيان طرق النجاه منها، و لذلك فغالبا ما يكون ضرر هذه المقالات و الافلام و خسارتها اكثر من فائدتها بمراتب.

٦- و آخر نقطه نشير إليها هنا أنّ اخوه يوسف قالوا لَيْسَ أَكَلَهُ الدُّبُّ وَ نَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَخَاسِرُونَ و هى اشاره الى أنّ الإنسان إذا تحمّل مسؤليه ما- و وافق عليها- فإنّ من الواجب عليه ان يوقف نفسه من أجلها... و الأ فإنّه سيفقد كل قيمه- قيمه شخصيته، و ماء وجهه، و الموقع الاجتماعى، و وجدانه.

فكيف يعقل ان يكون الشخص ضمير حيّ و وجدان يقظ و شخصيه كريمه يعتز بحيثيه و ماء وجهه، و مع كل ذلك يتنصل عن مسؤولياته و يقف موقفا سلبيّا ازاءها؟!

اشاره

فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَاجْتَمَعُوا أَن يُجْعَلُوهُ فِي غِيَابِ الْجُبِّ وَ أَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَ هُمْ لَا يَشْعُرُونَ (١٥) وَ جَاءُوا آبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ (١٦) قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَ تَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَ مَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَ لَوْ كُنَّا صَادِقِينَ (١٧) وَ جَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبِرْ جَمِيلٌ وَ اللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ (١٨)

التفسير

اشاره

الكذب المفضوح:

و أخيرا انتصر اخوه يوسف و اقنعوا أباهم ان يرسل معهم أخاهم يوسف، فباتوا ليلتهم مطمئنى البال بانتظار الصبح لتنفيذ خطتهم و ازاحه أخاهم الذى يقف عائقا فى طريقهم...و كان قلقهم الوحيد ان يندم أبوهم و يسحب كلامه و وعده بإرسال يوسف معهم.

فجاءوا صباحا الى أبيهم فأمرهم بالمحافظه على يوسف، و كرر توصياته

فى شأنه، فأظهر الأبناء طاعتهم لأبيهم وابدوا احترامهم الفائق و محبتهم العميقه، و تحركوا الى خارج المدينه.

يقال: انّ أباهم ودعهم الى بوابه المدينه ثم أخذ منهم يوسف و ضمّه الى صدره و دمعت عيناه، ثم أودع يوسف عندهم و فارقهم، و لكن يعقوب كان يودعهم بنظراته، و كان اخوه يوسف لا- يقصرون عن مداره أخيهم يوسف و اظهار عنايتهم به و محبتهم له طالما كانت تلا-حظهم عينا أبيهم، و لكن ما ان غاب عنهم أبوهم و اطمأنوا الى أنّه لا يراهم، حتى انفجرت عقدهم و صبوا «جام غضبهم» و حقدهم و حسدهم المتراكم لعدّه سنوات على راس يوسف، فالتفوا حوله يضربونه بأيديهم و يلتجئ من واحد لآخر و يستجير بهم فلا يجيره احد منهم.

نقرا فى روايه انّ يوسف كان يبكى تحت وابل اللكمات و الضربات القاسيه، و لكن حين أرادوا ان يلقوه فى الجبّ شرع بالضحك فجأه... فتعجب اخوته كثيرا و حسبوا ان أخاهم يظنّ الأمر لا يعدو كونه مزاحا... و لكنّه رفع الستار عن ضحكّه و علّمهم درسا كبيرا إذ قال:- لا انسى اننى نظرت-ايها الاخوه-الى عضلات أيديكم القويّه و قواكم الجسديه الخارقه، فسررت و قلت فى نفسى: ما عسى ان يخشى و يخاف من الحوادث و الملمات من كان عنده مثل هؤلاء الاخوه، فاعتمدت عليكم و ربطت قلبى بقواكم، و الآن و قد أصبحت أسيرا بين أيديكم و استجير بكم من واحد لآخر فلا أجار، و قد سلطكم الله علىّ لا تعلم هذا الدرس، و هو الّا اعتمد و اتوكّل على احد سواه... حتى و لو كانوا اخوتى.

و على كل حال فالقرآن الكريم يقول فى هذا الصدد: **فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَ أَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غِيَابِ الْجُبِّ (١)**.

ص: ١٥٥

١ - ١) فى العبارة المتقدمه حذف جواب «لما» و التقدير كما يلى: فلما ذهبوا به و اجمعوا ان يجعلوه فى غيابه الجبّ عظمت فتنتهم (تفسير القرطبي) و لعل هذا الحذف اقتضى لعظم هذه الحادته المؤلمه ان يسكت عنه المتكلم، و هو بنفسه من فنون البلاغه العربيه (تفسير الميزان).

جملة «اجمعوا» تدلّ على أنّ جميع الاخوه كانوا متفقين على هذه الخطه، و ان لم يتفقوا جميعا على قتله.

و أساسا فإنّ كلمه «اجمعوا» مأخوذه من ماده «جمع» و هى فى هذه الموارد اشاره الى جمع الآراء و الأفكار.

ثُمَّ تَبَيَّنَ الْآيَةَ أَنَّ اللَّهَ أَوْحَى إِلَى يُوسُفَ وَ هَدَا رُوحَهُ وَ أَلْهَمَهُ الْإِحْزَانَ فَالْعَاقِبَةُ لَهُ، إِذْ تَقُولُ: وَ أَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَ هُمْ لَا يَشْعُرُونَ .

ذلك اليوم الذى تجلس فيه على العرش و أنت القوى الأمين، فيأتى إخوتك ليمدّوا ايدى الحاجه إليك، و يكونوا كالظالمين الى النبع العذب فى الصحراء اللاهبه و يسرعون إليك فى منتهى التواضع، و لكنّك فى حال من العظمه بحيث لا يصدّقون انك أخوهم، و ستقول لهم فى ذلك اليوم: أ لستم الذين فعلتم مع أخيكم الصغير يوسف كذا و كذا... و كم سيكونون خجلين من فعلهم هذه فى ذلك اليوم! و هذا الوحي الالهى لم يكن وحي النبوه، بقرينه الآيه (٢٢) من السوره ذاتها، بل كان إلهاما لقلب يوسف ليعلم انه ليس وحيدا، بل له حافظ و رقيب، و هذا الوحي بثّ فى قلب يوسف نور الأمل و أزال عن روحه ظلمات اليأس و الحيره.

لقد نفذ اخوه يوسف خطتهم كما أرادوا، و لكن ينبغى ان يفكروا عند العوده ماذا كيف كى يصدّق أبوهم ان يوسف انتهى بصوره طبيعیه لا عن مكيدته ليضمنوا عواطف أبيهم نحوهم.

و كانت الفكره التى أوصلتهم الى هذا الهدف هى ما تخوّف أبوهم منه، فأقنعوه -ظاهرا- عن هذا الطريق مدّعين بأنّ الذئب قد أكل يوسف و جاؤوا اليه بدلائل مزيفه!! يقول القرآن الكريم: وَ جَاءُوا آبَاءَهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ بكاء كاذبا، و هذا يدلّ على أنّ البكاء الكاذب ممكن.. و لا يمكن ان يخدع ببكاء العين وحدها.

أما الأب الذى كان ينتظر مجيء ولده (يوسف) بفارغ الصبر، فقد اهتز

و ارتجف حين رأى الجمع وليس بينهم يوسف، و سأل عنه مستفسرا... فأجابوه و قالوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَ تَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا لَصِغَرِ سِنِهِ وَ لَأَنَّهُ لَا يَعْرِفُ التَّسَابِقَ، و انشغلنا عنه فَأَكَلَهُ الذُّبُّ وَ مَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَ لَوْ كُنَّا صَادِقِينَ .

لأنك أخبرتنا من قبل بهذا الاحتمال، و ستظن ان ادعاءنا مجرد احتيال.

لقد كان كلام اخوه يوسف مدروسا بشكل دقيق، و ذلك-اولا-لأنهم خاطبوا يعقوب بقولهم بكلمه «يَا أَبَانَا» و فيها ما فيها من الاستعطاف.

و ثانيا: لأن من الطبيعي ان ينشغل هؤلاء الاخوه الأقوياء بالتسابق، و يتركوا أخاهم الصغير رقيقا على متاعهم، و بعد ذلك كله فقد جاؤوا أباهم ليكون لتمرير خطتهم، و قالوا له: وَ مَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَ لَوْ كُنَّا صَادِقِينَ .

و من اجل ان يبرهنوا على صحه كلامهم فقد جأؤا على قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ إذ لطخوا الثوب بدم الغزال او الخروف او التيس...

و لكن حيث ان الكاذب لا يمتلك حافظه قويه، و حيث ان ايه حقيقه فيها علائق مختلفه و كيفيات و مسائل يقل ان تجتمع منظمه فى الكذب، فقد غفل اخوه يوسف عن هذه المسأله الدقيقه... و هى-على الأقل-ان يخرقوا قميص يوسف الملطخ بالدم ليدل على هجوم الذئب... فقد قدموا القميص سالما غير محرق فأحس الأب بمؤامرتهم، فما ان وقعت عيناه على القميص حتى فهم كل شىء و قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً .

جاء فى بعض الروايات ان يعقوب أخذ قميص يوسف و هو يقلبه و يقول:

«ما أرى اثر ناب و لا ظفر ان هذا السبع رحيم»، و فى روايه انه أخذ القميص و ألقاه على وجهه و بكى حتى خضب وجهه بدم القميص، و قال: تالله ما رأيت كاليوم ذنبا احلم من هذا أكل ابني و لم يمزق على قميصه، و جاء انه بكى و صاح و حرّ مغشيا عليه فأفاضوا على الماء فلم يتحرك و نادوه فلم يجب و وضع يهوذا يده على مخارج نفسه فلم يحس بنفس و لا-تحرك له عرق، فقال: ويل لنا من

ديان يوم الدين ضيعنا أخانا و قتلنا أبانا فلم يفق إلا ببرد السحر (١).

و بالرغم من احتراق قلبه و لهيب روحه لم يجر على لسانه ما يدل على عدم الشكر او اليأس او الفزع او الجزع، بل قال: فَصَبْرٌ جَمِيلٌ (٢) ثم قال: وَ اللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَيَّ مَا تَصِفُونَ و أسأله ان يبذل مراره الصبر فى فمى الى «حلاوه» و يرزقنى القوه و القدره على التحمل اكثر امام هذا الطوفان العظيم، لئلا افقد زمامى و يجرى على لسانى كلام غير لائق.

و لم يقل: اسأله ان يعطينى الصبر على موت يوسف، لأنه كان يعلم ان يوسف لم يقتل... بل قال: اطلب الصبر على مفارقتى و لى يوسف... و على ما تصفون.

## ملاحظات

### اشاره

#### ١- حول الترك «الاولى»

ينقل ابو حمزه الشمالى عن الامام السجاد فيقول: كنت يوم الجمعة فى المدينه و صليت الغداه مع الامام السجاد عليه السلام فلما فرغ من صلاته و تسبيحه نهض الى منزله و انا معه، فدعا مولاه له تسمى سكينه فقال لها: «لا يعبر على بابى سائل الا اطعمتموه فان اليوم يوم الجمعة».

يقول ابو حمزه: فقلت له: ليس كل من يطلب العون مستحقا له، فقال: يا ابا ثابت، أخاف أن يكون بعض من يسألنا محققا فلا نطعمه و نردّه فينزل بنا- اهل البيت- ما نزل بيعقوب و آله. اطعموهم ان يعقوب كان يذبح كل يوم كبشا فيتصدق منه و يأكل هو و عياله منه، و ان سائلا مؤمنا صواما محققا له عند الله منزله، و كان مجتازا غربيا اعتر على باب يعقوب عشيه جمعه عند أوان إفطاره

ص: ١٥٨

١- ١) تفسير الآلوسى: ذيل الآيه.

٢- ٢) صبر جميل (صفه و موصوف) خبر لمبتدأ محذوف، و تقدير الكلام: صبرى صبر جميل.

يهتف على بابه: أطمعوا السائل المجتاز الغريب الجائع من فضل طعامكم، يهتف بذلك على بابه مرارا و هم يسمعونه، قد جهلوا حقّه و لم يصدقوا قوله: فلما ايس ان يطعموه و غشيه الليل استرجع و استعبر و شكوا جوعه الى الله باب و طاويا، و أصبح صائما جائعا صابرا حامدا لله، و بات يعقوب و آل يعقوب شباعا بطانا و أصبحوا و عندهم من فضل طعامهم.

قال: فأوحى الله عزّ و جلّ الى يعقوب في صبيحه تلك الليلة: لقد أذلت-يا يعقوب-عبدى ذله استجرت بها غضبي، و استوجبت بها أدبي، و نزول عقوبتي و بلواى عليك و على ولدك يا يعقوب، ان احبّ انبيائي الّى و أكرمهم على من رحم مساكين عبادى و قرّبهم اليه و أطمعهم و كان لهم مأوى و ملجأ يا يعقوب، ما رحمت «ذميال» عبدى المجتهد فى عبادته، القانع باليسير من ظاهر الدنيا عشاء أمس لَمّا عبر ببابك عند أوان إفطاره و يهتف بكم: أطمعوا السائل الغريب المجتاز القانع، فلم تطعموه شيئا. فاسترجع و استعبر و شكوا ما به الّى و بات جائعا و طاويا حامدا، أصبح لى صائما، و أنت-يا يعقوب-و ولدك شباع، و أصبحت و عندكم فضل من طعامكم.

او علمت-يا يعقوب-انّ العقوبه و البلوى أوليائي أسرع منها الى اعدائي...

إلخ... (١).

و من الطريف

انّ أبا حمزه يقول: سألت الامام زين العابدين عليه السلام متى راى يوسف رؤياه؟ فقال الامام: فى تلك الليلة» (٢).

يستفاد من هذا الحديث ان زلّه بسيطه او بعبارة أدق: «ترك الاولى» و هو لا- يعدّ خطيئه او إثما، لأنّ يعقوب له يتّضح له حال السائل... هذا الترك من قبل الأنبياء و الأولياء يكون سببا لأنّ يبتليهم الله بلاء شديدا... و ما ذلك الا لمقامهم

ص: ١٥٩

١- (١) تفسير البرهان، ج ٢، ص ٢٤٣ و نور الثقلين، ج ٢، ص ٤١١.

٢- (٢) المصدر السابق.



الكبير الذى يوجب عليهم ان يراقبوا كل حركاتهم و سكناتهم، لأن «حسنت الأبرار سيئات المقربين».

فإذا كان يعقوب عليه السلام قد ابتلى بهذا البلاء و الهَمّ لآئه لم يطلع على حال قلب السائل و آلامه، فكيف الحال فى المجتمعات التى تغرق فيها طائفه بالنعيم و الرفاه و طائفه من الناس جياع، كيف لا يشملهم غضب الله! و كيف يسلمون من عذاب الله!

## ٢- دعاء يوسف البليغ الجذاب

ترد فى روايات اهل البيت عليهم السلام و روايات اهل السنه، ان يوسف حين استقرّ فى قعر الجبّ انقطع أمله من كل شىء، و صرف كلّ توجهه الى ذات الله المقدسه يناجى ربّه، و كانت لديه حوائج ذكرها بتلقين جبرئيل إياه...

ففى روايه أنه دعا ربّه بهذه المناجاه

«اللهم يا مؤنس كل غريب، و يا صاحب كل وحيد، يا ملجأ كل خائف، و يا كاشف كل كرب، و يا عالم كل نجوى، و يا منتهى كل شكوى، و يا حاضر كل ملاء، يا حىّ يا قيوم، أسألك ان تقذف رجاءك فى قلبى، حتى لا يكون لى همّ و لا شغل غيرك، و ان تجعل لى من امرى فرجا و مخرجا، انك على كل شىء قدير».

و من الطريف أنّنا نقرا فى ذيل هذه الروايه، أنّ الملائكه سمعت صوت يوسف فنادت:

«الهنّا نسمع صوتا و دعاء، الصوت صوت صبى و الدعاء دعاء نبى» (١).

و هناك نقطه تدعو للالتفات و هى: حين رمى يوسف اخوته فى الجبّ خلعوا عنه قميصه و تركوه عاريا، فنادى: اتركوا لى قميصى -على الأقل- لا غطى به بدنى إذا بقيت حيا، و يكون كفى إذا متّ. فقال له اخوته: اطلبه من الشمس

ص: ١٦٠

و القمر و الكواكب الأحد عشر الذين رايتهم فى منامك، ليكونوا مؤسيك فى هذه البئر، و يكسوك و يلبسوك ثوبا على بدنك... فدعا يوسف على اثر اليأس المطلق بالدعاء الآنف الذكر. (١)

و

فى روايه عن الامام الصادق عليه السلام أنه قال: «حين القى يوسف فى الجب هبط عليه جبرئيل و قال: ما تصنع هنا ايها الغلام؟ فقال له: ان اخوتى القونى فى البئر.

فقال له جبرئيل: أ تحب ان تخرج من البئر؟ قال: ذلك بمشيئه الله، ان شاء اخرجنى.

فقال له: ان الله يأمرك ان تدعو بهذا الدعاء لتخرج من البئر: «اللهم انى اسألك بأن لك الحمد، لا اله الا أنت المَنَّان، بديع السماوات و الأرض، ذو الجلال و الإكرام، ان تصلى على محمد و آل محمد و ان تجعل لى ممّا انا فيه فرجا و مخرجا» (٢).

٣- جمله و أجمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فى عِلِّيَّاتِ الْجُبِّ تدلّ على أنّهم لم يرموه فى البئر، أنزلوه على مكان يشبه الرصيف لمن يريد النزول الى سطح الماء، و قد شدوه بحبل حتى إذا نزل و وصل الى غيابه الجب تركوه وحده.

و هناك قسم من الروايات التى تفسر الآيات المتقدمه تؤيد هذا الموضوع.

#### ٤- تسويل النفس

جمله «سوّلت» مشتقّه من «التسويل» و معناه «التزيين» و قد يأتى بمعنى «الترغيب» و قد يأتى بمعنى «الوسوسه» كما فى بعض التفاسير... جميع هذه المعانى ترجع الى شىء واحد... اى ان هوى النفس زين لكم هذا العمل.

و هى اشاره الى أنه حين يطغى هوى النفس على الإنسان و يستبدّ به عناده، فإنه يتصور ان اسوا الجنائيات لديه امر حسن، كما لو كان ذلك قتل الأخ او ابعاده، و قد يتصور ان ذلك امر مقدّس... و هذه نافذه على اصل كلى فى المسائل

ص: ١٦١

١- (١) المصدر السابق، ص ٤١٦.

٢- (٢) نور الثقلين، ج ٢، ص ٢١٦.

النفسيه، بحيث يجعل الميل المفرط و الرغبة الجامحه لأمر ما-و خاصّه مع اقترانهما بالذائل الاخلاقيه-غشاوه على احساس الإنسان، فتقلب عنده الحقائق و تتغير صورها.

لذا فإنّ القضاء الصحيح و ادراك الواقعيّات العينيّه، لا يمكن لها ان تتحقق دون تهذيب النفس، و إذا كانت العدله شرط في القاضى فإنّ هذا الأمر واحد من أسبابها... و إذا كان القرآن الكريم يقول فى الآيه (٢٨٢) من سوره البقره وَ اتَّقُوا اللَّهَ وَ يُعَلِّمَكُمُ اللَّهُ فذلك اشاره الى هذه الحقيقه ايضا.

#### ٥- الكذاب عديم الحافظه

قضه يوسف-و ما جرى له مع اخوته- تثبت مزه اخرى هذا الأصل المعروف الذى يقول: انّ الكذاب لا- يستطيع ان يكتم سرّه دائماً، لانّ الواقعيّات العينيّه حين تظهر الى الوجود الخارجى تظهر و معها روابط-اكثر من ان تعدّد-مع موضوعات اخرى تدور حولها، و إذا أراد الكاذب ان يهيئ مناخا لمسأله غير واقعيه فإنّه لا يستطيع ان يحفظ هذه الروابط مهما كان دقيقا.

و لنفرض أنّه يستطيع ان يؤلف بين عدد من الروابط الكاذبه فى حادثه ما، و لكن المحافظه على هذه الروابط المصطنعه فى ذهنه ليست عملاً هيناً، فإنّ اقل غفله منه تسبب وقوعه فى التناقض، فتتسبب هذه الغفله فى فضيحه صاحبها و تكشف الأمر الواقعي... و هذا درس كبير لمن يريد المحافظه على ماء وجهه و مكانته فى المجتمع ان لا يلجأ الى الكذب فيتعرض موقعه الاجتماعى للخطر و ينزل عليه غضب الله.

#### ٦- ما هو الصبر الجميل

؟ الصبر امام الحوادث الصعبه و الأزمت الشديده يدلّ على قوه شخصيه الإنسان، و على سعه روحه بسعه ما تتركه هذه الحوادث فلا يتأثر و لا يهتز لها.

ربّما يحرك النسيم العليل ماء الحوض الصغير، ولكن المحيطات العظيمه كالمحيط الهادى-مثلا-يستوعب حتى الاعصار الذى يتلاشى امام هدوئه و سعته.

و قد يتصبر الإنسان أحيانا، و لكنّه سرعان ما يتلف هذا الصبر بكلماته الناييه التى تدل على عدم الشكر و عدم تحمل الحادته و نفاذ الصبر.

و لكن المؤمنين الذين يتمتعون بإرادته قويّه و استيعاب للحوادث، هم أولئك الذين لا يتأثرون بها و لا يجرى على لسانهم ما يدلّ على عدم الشكر و كفران النعمه او الجزع او الهلع.

صبر هؤلاء هو الصبر الجميل...

قد يبرز الآن هذا السؤال، و هو اننا نقرا فى الآيات الاخرى-من هذه السوره -انّ يعقوب بكى على يوسف حتى ابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم، أ فلا- ينافى ما صدر من يعقوب صبره الجميل؟! و الجواب على هذا السؤال فى جمله واحده، و هى: ان قلوب عباد الله مركز للعواطف، فلا عجب ان ينهلّ دمع عينهم مدرارا، المهم ان يسيطروا على أنفسهم، و لا يفقدوا توازنهم، و لا يقولوا شيئا يسخط الله.

و من الطريف ان مثل هذا السؤال وجه الى النّبى محمّد صلّى الله عليه و آله و سلّم حين بكى على موت ولده ابراهيم حيث قالوا له: يا رسول الله، أ تنهاننا عن البكاء و تبكى؟! فأجابهم النّبى الكريم صلّى الله عليه و آله و سلّم

«تدمع العين و يحزن القلب، و لا نقول ما يسخط الربّ». و

فى روايه اخرى انه قال: «ليس هذا بكاء انه رحمه» (١).

و هذا اشاره الى انّ ما فى صدر الإنسان هو القلب، و ليس حجر! و طبيعى ان يتأثر الإنسان امام المسائل العاطفيه، و ابسط هذا التأثير هو انهلال الدمع... انّ هذا لا يعدّ عيبا، بل هو امر حسن، العيب هو ان يقول الإنسان ما يسخط الربّ.

ص: ١٦٣

اشاره

وَ جَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ قَالَ يَا بُشْرَى هَذَا غُلَامٌ وَأَسَرُّوهُ بِضَاعَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ (١٩) وَ شَرَّوهُ بِثَمَنٍ  
بَخْسٍ دَرَاهِمٍ مَعْدُودَةٍ وَ كَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ (٢٠)

التفسير

اشاره

نحو ارض مصر:

قضى يوسف فى ظلمه الجب الموحشه و الوحده القاتله ساعات مرّه، و لكنّه بإيمانه بالله و سكينته المنبثقه عن الايمان شع فى قلبه نور الأمل، و ألهمه الله تعالى القوه و القدره على تحمّل الوحده الموحشه، و ان ينجح فى هذا الامتحان.

و لكنّ... الله اعلم كم يوما قضى يوسف فى هذه الحاله؟ قال بعض المفسرين: قضى ثلاثه ايام، و قال آخرون: يومين.

و على كل حال تبلج النور وَ جَاءَتْ سَيَّارَةٌ (١).

و انتخبت منزلها على مقربه من الجبّ، و طبعى انّ اوّل ما تفكر القافله فيه -

ص: ١٦٤

فى منزلها الجديد-هو تأمين الماء و سد حاجتها منه فَأَرْسَلُوا<sup>□</sup> وَأَرَادَهُمْ فَأَذَلَّ<sup>□</sup> دَلْوَهُ (١).

فانتبه يوسف الى صوت و حركه من أعلى البئر، ثم رأى الحبل و الدلو يسرعان الى النزول، فانتهاز الفرصه و انتفع من هذا العطاء الالهى و تعلق بالحبل بوثوق.

فأحسّ المأمور بالإتيان بالماء ان الدلو قد ثقل اكثر ممّا ينبغي، فلما سحبه بقوه الى الأعلى فوجئ نظره بغلام كأنه فلقه قمر، فصرخ و قال: يَا بُشْرَى<sup>□□□</sup> هَذَا غُلامٌ.

و شيئاً فشيئاً سرى خبر يوسف بين جماعه من اهل القافله، و لكن من اجل ان لا يذاع هذا الخبر و ينتشر، و لكى يمكن بيع هذا الغلام الجميل فى مصر، اخفوه و أسروهُ بِضَاعَهُ (٢).

و بالطبع هناك احتمالات اخرى فى تفسير هذه الجملة منها ان الذين عثروا على يوسف اسرووه و اخفوا خبره، و قالوا: هذا متاع لأصحاب هذا الجبّ أو دعوه عندنا لنبيعه فى مصر.

و منها ان احد اخوه يوسف كان بين الحين و الحين يأتى الى الجبّ ليطلع على يوسف و يأتيه بالطعام و حين اطلع اخوه يوسف على ما جرى اخفوا علاقتهم الاخويه بيوسف و قالوا: هذا غلامنا فرّ من أيدينا و اختفى هنا، و هددوا يوسف بالموت إذ كشف الستار عن الحقيقه.

و لكن التفسير الاول يبدو اقرب للنظر.

و تقول الآيه فى نهايتها: وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ و بالرغم من اختلاف المفسرين فى من هم الذين شروا يوسف بثمن بخس، و قول بعضهم: هم اخوه

ص: ١٦٥

---

١-١) «الوارد» فى الأصل من «الورود» و هو من يأتى بالماء، ثم توسع استعمال الكلمه و أطلقت على كل ورود و دخول.  
٢-٢) «البضاعه» فى الأصل من ماده «بضع» على وزن «نذر» و معناها: القطعه من اللحم، ثم توسعوا فى المعنى و أطلقوا هذا اللفظ على القطعه المهميه، من المال. و البضعه هى القطعه من الجسد، و حسن البضع معناه: الإنسان المكتنز لحمه، و «بضع» على وزن «حزب» معناه العدد من ثلاثه الى عشره (راجع المفردات للراغب).

يوسف، ولكن ظاهر الآيات هو من كان في القافلة، وقد تمّ البحث عن اخوته في نهايه الآيه التي سبقت هذه الآيات، وجميع الضمائر في الجمل فَأَرْسَلُوا وَأَرْدَهُمْ أُسْرُوهُ بِضَاعَةً تَعُودُ عَلَى مَنْ كَانَ فِي الْقَافِلَةِ.

هنا يبرز هذا السؤال و هو: لم باعوا يوسف الذى كان يعدّ -على الأقل - غلاما ذا قيمه بثمان قليل، او كما عبّر عنه القرآن وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ...؟ و لكن هذا امر مألوف فإنّ السراق او أولئك الذين تأتيهم بضاعه مهمّه دون اى تعب و نصب يبيعونها سريعا لئلا يطلع الآخرون.

و من الطبيعي أنّهم لا يستطيعون بهذه الفوريه ان يبيعوه بسعر غال.

و«البخس» فى الأصل معناه تقليل قيمه الشىء ظلما، و لذلك فإنّ القرآن يقول: **وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ (١)**.

ثمّ انّ هناك اختلافا آخر بين المفسّرين فى الثمن الذى بيع به يوسف، و كيف قسّم بينهم؟ فقال البعض: عشرون درهما، و قالت طائفه: اثنان و عشرون، و مع ملاحظه أنّ الباعه كانوا عشرين يتّضح سهم كل منهم، و كم هو زهيدا!... و تقول الآيه: **وَ كَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ .**

و فى الحقيقه أنّ هذه الجمله فى حكم بيان العله للجمله المتقدمه، و هى اشارة الى أنّهم باعوا يوسف بثمان بخس، لأنّهم لم يرغبوا فى هذه المعامله و لم يعتنوا بها.

و هذا البيع البخس امّا لأنّ اهل القافلة اشتروا يوسف بثمان بخس، و الإنسان إذا اشترى شيئا رخيصا باعه رخيصا عاده، او أنّهم كانوا يخافون ان يفتضح سرّهم و يجدون من يدّعيه، او من جهه أنّهم لم يجدوا فى يوسف أثرا للغلام الذى يباع و يشتري، بل وجدوا فيه آثار الحرّيه واضحه فى وجهه، و من هنا فلا البائعون كانوا راغبين ببيعه و لا المشترون كانوا راغبين بشرائه.

ص: ١٦٦

اشاره

وَ قَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِمَرْأَتِهِ اَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَىٰ اَنْ يَنْفَعَنَا اَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَ كَذٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْاَرْضِ وَ لِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَاْوِيْلِ الْاَلْحَادِيثِ وَ اللّٰهُ غَالِبٌ عَلٰى اَمْرِهِ وَ لَكِنَّ اَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُوْنَ (٢١) وَ لَمَّا بَلَغَ اَشُدَّهُ اٰتَيْنَاهُ حُكْمًا وَ عِلْمًا وَ كَذٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِيْنَ (٢٢)

التفسير

اشاره

في قصر عزيز مصر:

انتهت حكاية يوسف مع اخوته الذين القوه في غياهب الجبّ و بيناها تفصيلا، بدا فصل جديد من حياه هذا الغلام الحدث في مصر...فقد جىء بيوسف الى مصر و عرض للبيع، و لما كان تحفه نفيسه فقد صار من نصيب «عزيز مصر» الذي كان وزيرا لفرعون او رئيسا لوزرائه، لانه كان يستطيع ان يدفع قيمه أعلى لغلام ممتاز من جميع الجهات، و الآن لنر ما الذي حدث له في بيت عزيز مصر.

يقول القرآن الكريم في شأن يوسف: وَ قَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِمَرْأَتِهِ



فلا ينبغي ان تنظري اليه كما ينظر الى العبيد.

يستفاد من سياق الآية أنّ عزيز مصر لم يرزق ولدا و كان في غاية الشوق للولد، و حين وقعت عيناه على هذا الصبي الجميل و السعيد تعلق قلبه به ليكون مكان ولده.

ثم يضيف القرآن الكريم وَ كَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ .

هذا «التمكين» في الأرض اما ان يكون لمجيء يوسف الى مصر، و خاصه ان خطواته، في محيط مصر مقدّمه لما سيكون عليه من الاقتدار و المكانه القصوى، و امّا انه لا- قياس، بين هذه الحياه في مصر «العزیز» و بين تلك الحياه في غيابه الجبّ و الوحده و الوحشه. فأين تلك الشده من هذه النعمه و الرفاه! و يضيف القرآن ايضا وَ لِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ .

المراد من «تأويل الأحاديث» - كما أشرنا سابقا- هو علم تفسير الأحلام و تعبير الرؤيا حيث كان يوسف قادرا على ان يطلع على بعض اسرار المستقبل من خلاله، او المراد منه الوحي لأن يوسف مع عبوره من المضايق الصعبة و الشدائد القاسيه و نجاحه في الاختبارات الالهيه في قصر عزيز مصر، نال الجداره بحمل الرساله و الوحي. و لكن الاحتمال الاوّل اقرب كما يبدو للنظر.

ثم يختتم القرآن هذه الآية بالقول: وَ اللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَ لَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ .

انّ واحده من مظاهر قدره الله العجيبه و هيمنته على الأمور كلها ان يدع في كثير من الموارد- اسباب موفقيه الإنسان و نجاحه بيد أعدائه كما حدث في مسأله يوسف عليه السلام، فلو لا خطه اخوته لم يصل الى الجبّ ابدا، و لو لم يصل الى الجبّ لما وصل الى مصر، و لو لم يصل الى مصر لما ذهب الى السجن و لما كان

ص: ١٦٨

هناك اثر من رؤيا فرعون التي أصبح يوسف بسببها عزيز مصر! ففي الحقيقه ان الله اجلس يوسف على عرش الاقنطار بواسطه اخوته الذين تصوروا انهم سيقضون عليه في تركهم اياه في غيابه الجب.

لقد واجه يوسف في هذا المحيط الجديد،الذى يعدّ واحدا من المراكز السياسيه المهمه في مصر مسائل مستحدثه...فمن جهه كان يرى قصور الطغاه المدهشه و ثرواتهم و من جهه اخرى كانت تتجسد في ذهنه صوره أسواق النخاسين و بيع المماليك و العبيد...و من خلال الموازنه بين هاتين الصورتين كان يفكر في كيفيه القضاء على هموم المستضعفين من الناس لو أصبح مقتدرا على ذلك! اجل،لقد تعلم الكثير من هذه الأشياء في هذا المحيط المفعم بالضوضاء، و كان قلبه يفيض همّا لأن الظروف لم تنهيا له بعد.فاشغل بتهذيب نفسه و بنائها، يقول القرآن الكريم في هذا الصدد: **لَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ .**

كلمه «شدّ» مشتقّه من ماده «شدّ» و تعنى فتل العقده باستحكام...و هي هنا اشاره الى الاستحكام الجسماني و الروحاني.

قال بعضهم: انّ هذه الكلمه جمع لا مفرد لها...و لكن البعض الآخر قال: انّها جمع (شدّ) على وزن (سدّ) و لكن معناها الجمعي غير قابل للإنكار على كل حال! المراد من «الحكم» و «العلم» الواردين في الآيه المتقدمه التي تقول: **لَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا...** اي ان يكون مقام النبوه كما ذهب الى ذلك بعض المفسّرين، و اما ان يكون المراد من الحكم العقل و الفهم و القدره على القضاء الصحيح الخالي من اتباع الهوى و الاشتباه. و المراد من العلم الاطلاع الذي لا يقترن معه الجهل، و مهما كان فإنّ الحكم و العلم موهبتان نادرتان و هبهما

اللّه ليوسف لتقواه و صبره و توكله عليه، و جميع هذه الصفات مجتمعه في كلمه «المحسنين».

قال بعض المفسرين: هناك ثلاثه احتمالات لمعنى كلمتى (الحكم و العلم) الواردتين فى الآيه، و هى:

١- أنّ الحكم اشاره الى مقام النبوه (لأنّ النبى حاكم على الحق) و العلم اشاره الى علم الدين.

٢- ان الحكم يعنى ضبط النفس إزاء الهوى و الميول النفسيه، و هو هنا اشاره الى الحكمه العمليه. و العلم اشاره الى العلم النظرى... و تقديم الحكم على العلم هنا لأنّ الإنسان إذا لم يهذب نفسه و يبنها بناء صحيحا لا يصل الى العلم الصحيح.

٣- أنّ الحكم معناه ان يبلغ الإنسان مقام «النفس المطمئنه» و يتسلط على نفسه بحيث يستطيع ان يملك زمام النفس الامّاره و وسوستها... و المراد من العلم هو الأنوار القدسيه و اشعه الفيض الالهى الذى تنزل من عالم الملكوت على قلب الإنسان الطاهر.

(١).

## ملاحظات

## اشاره

### ١- ما هو اسم «عزيز» مصر

؟ ممّا يستجلب النظر فى الآيات المتقدمه ان اسم عزيز مصر لم يذكر فيها، أمّا ورد التعبير عنه ب «الذى اشتراه» .

لكن من هو هذا العزيز؟! لم تذكره الآيه، كما سنرى فى الآيات المقبله ان عنوانه لم يصرح به الأ. بالتدريج، فمثلا- نقرا فى الآيه (٢٥) هذا النصّ

ص : ١٧٠

١-١) راجع التفسير الكبير للفخر الرازى، ج ١٨، ص ١١١.

و حين نتجاوز هذه الآيات و نصل الى الآية (٣٠) نواجه التعبير عن زوجته ب «أَمْرَأْتُ الْعَزِيزِ» .

و هذا البيان التدريجي اما لان القرآن يتحدث-حسب طريقته-بالمقدار اللازم، و هذا دليل من ادله الفصاحة و البلاغه، او لأنه- كما هو ملاحظ هذا اليوم في «نصوص الآداب» ايضا-حين يبدأ بالقصه-يبدأ بها من نقطه غامضه ليتحرك الاحساس في الباحث، و ليلفت نظره نحو القصه.

## ٢- يوسف عليه السلام و تعبير الأحلام

الملاحظه الاخرى التى تثير السؤال فى الآيات المتقدمه، هى: ما علاقته الاطلاع على تفسير الأحلام و تأويل الأحاديث بمجىء يوسف الى قصر عزيز مصر الذى أشير اليه بلام الغايه فى جمله وَ لِنُعَلِّمَهُ؟! لكن مع الالتفات الى ان هذه النقطه يمكن ان تكون جوابا للسؤال الآنف الذكر، و هى ان كثيرا من المواهب العلميه يهبها الله قبال التقوى من الذنوب و مقاومه الأهواء و الميول النفسيه، او بتعبير آخر: ان هذه المواهب التى هى ثمره البصيره القلبيه الثاقبه، هى جائزه الهيه يهبها الله لمثل هؤلاء الأشخاص.

نقرا فى حالات ابن سيرين مفسر الأحلام المشهور انه كان رجلا- بزازا و كان جميلا- للغايه فعشقتة امراه و تعلق قلبها به، و استدرجته الى بيتها بأساليب و حيل خاصه، ثم غلقت الأبواب عليه (لينال منها الحرام) لكنه لم يستسلم لهوى تلك المراه و أخذ ينصحها و يذكر مفاسد هذا الذنب العظيم، و لكن نار الهوى كانت متأججه فى قلبها بحيث لم يطفئها ماء الموعظه، ففكر ابن سيرين فى الخلاص من قبضتها، فلوث جسده بما كان فى بيتها من اقدار تنفر الرائي، فلما رآته المراه نفرت منه و أخرجته من البيت.

يقال أنّ ابن سيرين أصبح ذكيا بعد هذه الحادته و رزق موهبه عظيمه في تفسير الأحلام، و ذكروا قصصا عجيبه عنه في الكتب التي تتناول تفسير الأحلام تدل على عمق اطلاعه في هذا المجال! فعلى هذا يمكن ان يكون يوسف عليه السّلام قد نال هذه الموهبه الخاصّه (العلم بتأويل الأحاديث) لتسلّطه على نفسه قبّال اثاره امراه العزيز لهوى النفس! ثمّ بعد هذا كله فإنّ قصور الملوّك في ذلك الزمان كانت مراكز لمفسري الأحلام، و أنّ شابا-ذكيا كيوسف- كان يستطيع ان يستفيد من تجارب الآخرين، و ان يكون له استعداد روي لافاضه العلم الالهى في هذا المجال! و على كل حال فإنّه ليس مستبعدا ان يهب الله سبحانه لعباده المخلصين المنتصرين في ميادين «جهاد النفس للهوى و الشهوات» مواهب من المعارف و العلوم التي لا تقاس بأيّ معيار مادي، و يمكن ان يكون الحديث المعروف «العلم نور يقذفه الله في قلب من يشاء» اشاره الى هذه الحقيقه.

هذا العلم ليس ممّا يقرا عند الأستاذ، و لا يعطى لايّ كان و بدون حساب...

بل هو جائزه من الجوائز التي تمنح للمتسابقين في ميادين جهاد النفس!

### ٣- المراد من قوله تعالى: **وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ**

قلنا ان (اشدّ) معناه الاستحكام الجسماني و الروحاني، و بلوغ الرشد معناه الوصول الى هذه المرحله، و لكن هذا العنوان قد عبّر عنه القرآن الكريم في مراحل مختلفه من عمر الإنسان.

فتاره أطلقه على سنّ البلوغ كقوله تعالى: **وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ (١)**.

و تاره يرد هذا المعنى في وصول الإنسان الى أربعين سنه، كقوله تعالى:

ص: ١٧٢

و تاره يراد به ما قبل مرحله الشيخوخه و الكبر، كقوله تعالى: ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لَتَبُلَّغُوا أَشَدَّكُمْ ثُمَّ لَتَكُونُوا شُيُوخًا (٢).

و لعل هذا التفاوت فى التعبيرات آت من طىّ الإنسان مراحل مختلفه لاستحكام الروح و الجسم، و لا شك ان الوصول الى سنّ البلوغ واحد من هذه المراحل.

و بلوغ الأربعين الذى يكون تواما للنضج الفكرى و العقلى مرحله ثانيه، كما ان مرحله الثالثه تكون قبل ان يسير الإنسان نحو قوس النزول و يبلغ الضعف و الوهن! و على كل حال فإنّ المقصود فى الآيه-محل البحث- هو مرحله البلوغ الجسمى و الروحى الذى ظهر فى يوسف بدايه شبابه، يقول الفخر الرازى فى تفسيره فى هذا الصدد: «مدّه دور القمر ثمانيه و عشرون يوما و كسر، فإذا جعلت هذه الدوره اربعة اقسام كان كل قسم منها سبعة ايام، فلا جرم رتبوا احوال الأبدان على الأسابيع، فالإنسان إذا ولد كان ضعيف الخلقه نحيف التركيب الى ان يتم له سبع سنين، ثم إذا دخل فى السبعه الثانيه حصل فيه آثار الفهم و الذكاء و القوه، ثم لا يزال فى الترقى الى ان يتم له اربع عشره سنه، فإذا دخل فى السنه الخامسه عشره دخل فى الأسبوع الثالث و هناك يكمل العقل و يبلغ الى حد التكليف و تتحرك فيه الشهوده، ثم لا يزال يرتقى على هذه الحاله الى ان يتم السنه الحاديه و العشرين و هناك يتم الأسبوع الثالث، و يدخل فى السنه الثانيه و العشرين و هذا الأسبوع آخر أسبوع النشوء و النماء، فإذا تمّت السنه الثامنه و العشرون فقد تمّت مدّه النشوء و النماء و ينتقل الإنسان منه الى زمان الوقوف،

ص: ١٧٣

١-١) سورة الأحقاف، الآيه ١٥.

٢-٢) سورة غافر، ٦٧.

و هو الزمان الذى يبلغ الإنسان فيه أشدّه، و بتمام هذا الأسبوع الخامس-يحصل للإنسان خمسه و ثلاثون سنه ثم ان هذه المراتب مختلفه فى الزياده و النقصان، فهذا الأسبوع الخامس الذى هو أسبوع الشده و الكمال يبتدى من السنه التاسعه و العشرين الى الثالثه و الثلاثين، و قد يمتد الى الخامسه و الثلاثين، فهذا هو الطريق المعقول فى هذا الباب، و الله اعلم بحقائق الأشياء» (١).

التقسيم المتقدم و ان كان مقبولا الى حد ما... لكنّه يبدو غير دقيق، لأنّ مرحله البلوغ اولا ليست فى انتهاء العقد الثانى، و كذلك فإن التكامل الجسمانى - طبقا لما يقول علماء اليوم- هو ٢٥ سنه... و البلوغ الفكرى الكامل أربعون سنه طبقا لبعض الروايات، و بعد هذا كله فإنّ ما ورد آنفا لا يصحّ ان يكون قانونا عاما ليصدق على جميع الأشخاص.

٤- و آخر ما ينبغى الالتفات اليه هنا هو ان القرآن بعد ان يتحدث عن إتيان يوسف الحكيم و العلم يعقب بالقول: **وَ كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ** و معنى ذلك ان مواهب الله-حتى للأنبياء-ليست اعتباطا، و كل ينال بمقدار إحسانه و يغرف من بحر الله و فيضه اللامحدود كما نال يوسف سهما و افرا من ذلك بصبره و استقامته امام كل تلك المشاكل.

ص: ١٧٤

(١-١) تفسير الفخر الرازى، ج ١٨، ص ١١١.

اشاره

وَرَأَوْتَهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ (٢٣) وَ لَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَ هَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنَّ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَ الْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ (٢٤)

التفسير

اشاره

العشق الملتهب:

لم يأسر جمال يوسف الملكوتي عزيز مصر فحسب، بل أسر قلب امراه العزيز كذلك و أصبح متيما بجماله!.

و امتدت مخالب العشق الى اعماق قلبها، و بمرور الزمن كان هذا العشق يتجذر يوما بعد يوم و يزداد اشتعالا... لكن يوسف هذا الشاب الطاهر التقى، لم يفكر بغير الله، و لم يتعلق قلبه بغير عشق الله سبحانه.

و هناك امور اخرى زادت من عشق امراه العزيز ليوسف.. فمن جهه لم ترزق الولد، و من جهه اخرى انغمارها في حياه مترفه مفعمه بالبذخ... و من جهه



ثالثه عدم ابتلائها بأى نوع من البلاء كما هي حال المتتعمين، و عدم الرقابه الشديده على هذا القصر من قبل العزيز من جهه رابعه.. كل ذلك ترك امراه العزيز -الفارغه من الايمان و التقوى- تهوى فى وساوسها الشيطانيه الى الحضيض، بحيث أفضت ليوسف أخيرا عمّا فى قلبها و راودته عن نفسه.

و أتبت جميع الاساليب و الطرق للوصول الى هدفها، وسعت لكى تلقى فى قلبه أثرا من هواها و ترغيبها و طلبها، كما يقول عن ذلك القرآن الكريم:

وَ رَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا

و جمله «راودته» مأخوذه من مادّه «المراوده» و أصلها البحث عن المرتع و المرعى، و ما ورد فى المثل المعروف «الرائد لا يكذب اهله» اشاره الى هذا المعنى، كما يطلق «المروء» على وزن (منبر) على قلم الكحل الذى تكحل به العين، ثمّ توسّعوا فى هذا اللفظ فأطلق على كلّ ما يطلب بالمداراه و الملاءمه.

و هذا التعبير يشير الى أنّ امراه العزيز طلبت من يوسف ان ينال منها بطريق المسالمة و المساومه -كما يصطلح عليه- بدون اى تهديد، و أبدت محبتها القصوى له بمنتهى اللين.

و أخيرا فكّرت فى ان تخلو به و توفر له جميع ما يشير غريزته، من ثياب فضفاضه، و عطور عبقه شديده، و تجميلات مرغبه، حتّى تستولى على يوسف و تأسره!.

يقول القرآن الكريم: وَ غَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَ قَالَتْ هَيْتَ لَكَ .

«غَلَّقَتِ» تدلّ على المبالغه و أنّها أحكمت غلق الأبواب، و هذا يعنى أنّها سحبت يوسف الى مكان من القصر المتشكّل من غرف متداخله.. و كما ورد فى بعض الروايات كانت سبعة أبواب، فغلقتها عليه جميعا.. لئلاّ يجد يوسف اى طريق للفرار.. اضافه الى ذلك أرادت ان تشعر يوسف ان لا يقلق لانتشار الخبر فإنّه سوف لا يفتضح، حيث لا يستطيع احد ان ينفذ الى داخل القصر ابدا.

و في هذه الحال، حين رأى يوسف أنّ هذه الأمور تجرى نحو الإثم، ولم ير طريقاً لخلاصه منها، توجه يوسف إلى زليخا وقال مَعَاذَ اللَّهِ و بهذا الكلام رفض يوسف طلب امراه العزيز غير المشروع.. و أعلمها أنّه لن يستسلم لارادتها. و افهمها ضمناً- كما افهم كل انسان- أنّه في مثل هذه الظروف الصعبة لا سبيل إلى النجاة إلى وسوس الشيطان و اغراءاته إلا بالالتجاء إلى الله.. الله الذى لا فرق عنده بين السرّ و العلن، بين الخلو و الاجتماع، فهو مطلع و مهيم على كل شىء، و لا شىء إلا و هو طوع امره و ارادته! و بهذه الجملة اعترف يوسف بوحدانية الله تعالى من الناحية النظرية، و كذلك من الناحية العملية ايضاً، ثم أضاف إِنَّهُ رَبِّي أَحْسِنَ مَثْوَايَ .. أليس التجاوز ظلماً و خيانه واضحهُ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ .

### المراد من كلمه «رَبِّي»

هناك اقوال كثيره بين المفسرين في المراد من قوله: إِنَّهُ رَبِّي فأكثر المفسرين، كالعلامة الطبرسى في مجمع البيان و كاتب المنار في تفسير المنار و غيرهما، قالوا: إنّ كلمه «رَبِّ» هنا استعملت في معناها الواسع، و قالوا: إنّ المراد من كلمه «رَبِّ» هنا هو «عزيز مصر» الذى لم يأل جهداً في إكرام يوسف، و كان يوصى امرأته من البدايه بالاهتمام به و قال لها: أَكْرِمِي مَثْوَاهُ .

و من يظنّ أنّ هذه الكلمه لم تستعمل بهذا المعنى فهو مخطئ تماماً، لأنّ كلمه «رَبِّ» في هذه السوره أطلقت عدّه مرّات على غير الله سبحانه. و أحيانا ورد هذا الاستعمال على لسان يوسف نفسه، و أحيانا على لسان غيره! فمثلاً- في قصّيه تعبير الرؤيا للسجناء، طلب يوسف من الذى بشره بالنجاه ان يذكر حاله عند ملك مصر وَ قَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ (الآيه ٤٢).

كما نلاحظ هذا الاستعمال على لسان يوسف-أيضا-حين جاءه مبعوث فرعون مصر، إذ يقول القرآن الكريم فى هذا الصدد: فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ (الآيه ٥٠).

و فى الآيه (٤١) من هذه السوره، و ذيل الآيه (٤٢) أطلقت كلمه «رب» فى لسان القرآن الكريم بمعنى المالك و صاحب النعمه. فعلى هذا تلاحظون أنّ كلمه «رب» استعملت ٤ مرّات- سوى الآيه محلّ البحث- فى غير الله، و إن كانت قد استعملت فى هذه السوره و فى سور اخرى من القرآن فى خصوص ربّ العالمين (الله) مرارا.

فالحاصل أنّ هذه الكلمه من المشترك اللفظى و هى تستعمل فى المعنيين.

ولكن رجح بعض المفسرين ان تكون كلمه «رب» فى هذه الآيه إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ يقصد بها الله.. لانّها جاءت بعد كلمه مَعَاذَ اللَّهِ مباشره، و كونها الى جنب لفظ الجلاله صار سببا لعود الضمير فى إِنَّهُ رَبِّي عليه فيكون معنى الآيه: اننى ألتجئ الى الله و أعوذ به فهو الهى الذى اكرمنى و عظم مقامى و كلّ ما عندى من النعم فهو منه.

و لكن مع ملاحظه وصيه عزيز مصر لامراته أَكْرَمِي مَثْوَاهُ و تكرارها فى الآيه-محلّ البحث- يكون المعنى الاوّل اقرب و أقوى.

جاء فى التوراه الفصل ٣٩ رقم ٨ و ٩ و ١٠ ما مؤداه: «و بعد هذا وقعت المقدمات، أنّ امراه سيده القت نظرتها على يوسف و قالت: اضطجع معى، لكنّه ابى و قال لامراه سيده: انه سيدي غير عارف بما معى فى البيت، و كلّ ما يملك مودع عندى، و لا أجد اكبر منى فى هذا البيت، و لم يزاحمنى شىء سواك لانك امرأته، فكيف اقدم على هذا العمل القبيح جدّا، و اتجرّا فى الذنب على الله». فهذه الجمل فى التوراه تؤيد المعنى الاوّل.

و هنا يبلغ امر يوسف و امراه العزيز الى ادقّ مرحله و اخطرها، حيث يعبر

القرآن عنه تعبيراً ذا مغزى كبير و لَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَ هَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنَّ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ .

و فى معنى هذه الجملة اقوال بين المفسرين يمكن تصنيفها و اجمالها الى ثلاثة تفاسير:

١- ان امرأه العزيز كانت تريد ان تقضى وطرا مع يوسف، و بذلت وسعها فى ذلك، و كاد يوسف يستجيب لرغبتها بطبيعته كونه بشراً شائياً لم يتزوج و يرى نفسه إزاء المثيرات الجنسيه و جها لوجه... لو لا ان رأى برهان الله... اى روح الايمان و التقوى و تربيته النفس، أضف الى كل ذلك مقام العصمه الذى كان حائلاً دون هذا العمل! فعلى هذا يكون الفرق بين معانى «هم» اى القصد من امرأه العزيز، و القصد من قبل يوسف، هو ان يوسف كان يتوقف قصده على شرط لم يتحقق، اى (عدم وجود برهان ربه) و لكن القصد من امرأه العزيز كان مطلقاً، و لأنها لم يكن لديها مثل هذا المقام من التقوى و العفه، فإنها صممت على هذا القصد حتى آخر مرحله، و الى ان اصطدمت جبهتها بالصخره الصماء! و نظير هذا التعبير موجود فى الآداب العربيه و غيرها كما نقول مثلاً: ان جماعه لا ترتبط بقيم أخلاقية و لا ذمه صممت على الاغاره على مزرعه فلان و نهب خيراته، و لولا انى تربيت سنين طوالاً عند استاذى العارف الزاهد فلان، لاقدمت على هذا العمل معهم.

فعلى هذا كان تصميم يوسف مشروطاً بشرط لم يتحقق، و هذا الأمر لا منافاه له مع مقام يوسف من العصمه و التقوى، بل يؤكد له هذا المقام العظيم كذلك.

و طبقاً لهذا التفسير لم يبد من يوسف اى شىء يدل على التصميم على الذنب، بل لم يكن فى قلبه حتى هذا التصميم.

و من هنا فيمكن القول ان بعض الروايات التى تزعم ان يوسف كان مهيناً

لينال وطرا من امراه العزيز، و خلع ثيابه عن بدنه، و ذكرت تعبيرات اخرى نستحيى من ذكرها، كل هذه الأمور عاربه من الصّحّه و مختلفه، و هذه اعمال من شأن الافراد و المنحرفين الملوّثين غير الانقياء. فكيف يمكن ان يتّهم يوسف مع هذه المنزله و قداسه روحه و مقام تقواه بمثل هذا الاتّهام.

الطريف انّ التفسير الاوّل

نقل عن الامام على بن موسى الرضا عليه السّلام في عبارته موجزه جدّا و قصيره ، حيث يسأله المأمون «الخليفه العباسي» قائلا: الا تقولون انّ الأنبياء معصومون؟ فقال الامام: «بلى». فقال: فما تفسير هذه الآية و لقد همّت به و همّ بها لو لا أنّ رأى برهان ربّه فقال الامام عليه السّلام: «لقد همّت به، و لولا ان رأى برهان ربّه لهمّ بها كما همّت، لكنّه كان معصوما و المعصوم لا يهّم بذنب و لا يأتيه» فقال المأمون: لله درك يا أبا الحسن (١) .

٢- انّ تصميم كل من امراه العزيز و يوسف لا علاقته له بالوطر الجنسي، بل كان تصميمهما على ضرب أحدهما الآخر..

فتصميم امراه العزيز على هذا العمل كان لعدم انتصارها في عشقتها و بروز روح الانتقام فيها ثارا لهذا العشق.

و تصميم يوسف كان دفاعا عن نفسه، و عدم التسليم لطلب تلك المراه.

و من جملة القرائن التي تذكر في هذا الموضوع:

أوّلا: انّ امراه العزيز كانت قد صمّمت على نيل الوطر الجنسي قبل هذه الحاله، و كانت قد هيأت مقدمات هذا الأمر، فلا مجال- اذن- لان يقول القرآن:

انّها صمّمت على هذا العمل الآن، لانّ هذه الساعه لم تكن ساعه تصميم.

و ثانيا: انّ ظهور حاله الخشونه و الانتقام بعد هذه الهزيمه امر طبيعي، لانّها بذلت ما في وسعها لاقناع يوسف، و لما لم توفّق الى ما رغبت فيه توسّلت بطريق آخر، و هو طريق الخشونه و الضرب.

ص: ١٨٠

(١-١) تفسير نور الثقلين ج ٢ ص ٤٢١.

و ثالثاً: أننا نقرا في ذيل هذه الآية كَمَا ذَلِك لِنَصْرِيفَ عَنْهُ الشُّوءَ وَ الْفَحْشَاءَ وَ المراد بالفحشاء هو التلوث و عدم العفّة.. و المراد بصرف السوء، هو نجاته من مخالف امره العزيز، و على كل حال فحين رأى يوسف برهان ربّه... تجنّب الصراع مع امره العزيز و ضربها، لأنّه قد يكون دليلاً على تجاوزه و عدوانه عليها، و لذا رجّح ان يبتعد عن ذلك المكان و يفرّ نحو الباب.

٣- مِمَّا لَا- شَكَّ فِيهِ أَنَّ يَوْسُفَ كَانَ شَابِيًا يَحْمِلُ جَمِيعَ الْأَحْسَائِسِ الَّتِي فِي الشَّبَابِ، وَ بِالرَّغْمِ مِنْ أَنَّ غَرَائِزَهُ كَانَتْ طَوَّعَ عَقْلِهِ وَ إِيْمَانِهِ.. الْآ- أَنَّ مِثْلَ هَذَا الْإِنْسَانِ- بِطَبِيعَةِ الْحَالِ- يَهِيْجُ طُوفَانَ فِي دَاخِلِهِ لَمَّا يَشَاهِدُهُ مِنْ مَثِيرَاتٍ فِي هَذَا الْمَجَالِ، فَيَصْطَرَعُ الْعَقْلَ وَ الْغَرِيزَةَ، وَ كَلَّمَا كَانَتْ أَمْوَاجُ الْمَثِيرَاتِ أَشَدَّ كَانَتْ كَفَّةُ الْغَرَائِزِ أَرْجَحَ، حَتَّى أَنَّهَا قَدْ تَصَلُّ فِي لِحْظِهِ خَاطِفَةً إِلَى أَقْصَى مَرِحَلِهِ مِنْ الْقُوَّةِ، بِحَيْثُ لَوْ تَجَاوَزَ هَذِهِ الْمَرِحَلَةَ خَطُوهُ لَهَوَى فِي مَزَلَقٍ مَهُولٍ، وَ لَكِنَّ قُوَّةَ الْإِيْمَانِ وَ الْعَقْلَ ثَارَتْ فِي نَفْسِهِ فَجَاءَ وَ تَسَلَّمَتْ زِمَامَ الْأُمُورِ فِي انْقِلَابٍ عَسْكَرِيٍّ سَرِيعٍ وَ كَبِحتُ جَمَاحَ الشَّهْوَةِ.

و القرآن يصوّر هذه اللحظة الخاطفة الحسيّاسه و المتأزّمة التي وقعت بين زمانين هادئين في الآية المتقدّمة- فيكون المراد من قوله تعالى: وَ هَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنَّ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ أَنَّ يَوْسُفَ انْجَرَ إِلَى حَافَةِ الْهَآوِيَةِ فِي الصَّرَاعِ بَيْنَ الْغَرِيزَةِ الْعَقْلِ، وَ لَكِنْ فَجَأَ ثَارَتْ قُوَّةُ الْإِيْمَانِ وَ الْعَقْلَ وَ هَزَمَتْ طُوفَانَ الْغَرِيزَةِ (١).. لئلا يتصوّر احد أنّ يوسف عند ما استطاع ان يخلص نفسه من هذه الهاوية فلم يقدّم بعمل مهمّ، لأنّ اسباب الذنب و الهياج الجنسي كانت فيه ضعيفه.. كلّاً ابدا.. فهو في هذه اللحظة الحساسه جاهد نفسه اشدّ الجهاد.

ص: ١٨١

؟ «البرهان» فى الأصل مصدر «بره» و معناه «صيروره الشىء ابضاً» ثم اطلق هذا اللفظ على كل دليل محكم قوى يوجب وضوح المقصود، فعلى هذا يكون برهان الله الذى نجى يوسف نوعاً من الأدله الالهيه الواضحه، وقد احتمل فيه المفسرون احتمالات كثيره، من جملتها:

١- العلم و الايمان و التريبه الانسانيه و الصفات البارزه.

٢- معرفته بحكم تحريم الزنا.

٣- مقام النبوه و عصمته من الذنب.

٤- نوع من الأمداد الالهى الذى تداركه فى هذه اللحظه الحساسه بسبب اعماله الصالحه.

٥- هناك روايه يستفاد منها أنه كان فى قصر امراه عزيز مصر صنم تعبده، و فجأه وقعت عيناها عليه، فكأنها احست بأن الصنم ينظر الى حركاتها الخيائيه بغضب، فنهضت و القت عليه ستر، فاهترّ يوسف لهذا المنظر، و قال: أنت تستحين من صنم لا يملك عقلا و لا شعورا و لا إحساسا، فكيف لا استحيى من ربى الخير بكل شىء، و الذى لا تخفى عليه خافيه؟.

فهذا الاحساس منح يوسف قوه جديده، و أعانه على الصراع الشديد فى اعماق نفسه بين الغريزه و العقل، ليتمكن من التغلب على أمواج الغريزه فى نفسه (١).

و فى الوقت ذاته لا مانع ان تكون جميع هذه المعانى منظوره، لأن مفهوم البرهان العام يستوعبها جميعاً، و قد أطلقت آيات القرآن كلمه «البرهان» على كثير من المعانى المتقدمه.

أما الزوايات التى لا سند لها و التى ينقلها بعض المفسرين، و التى مؤداها انّ

ص: ١٨٢

يوسف صمّم على الذنب، ولكنّه لاحظ فجأه حاله من المكاشفه بين جبرئيل و يعقوب و هو يعصّ على إصبغه، فرأى يوسف هذا المنظر و تخلّف عن اقدامه على هذا الذنب.. فهذه الرّوايات ليس لها اى سند معتبر.. و هى روايات إسرائيليه انتجتها الذهنيات البشريه الضّيّقه التى لم تدرك مقام النبوه ابدا.

و الآن لتوجّه الى تفسير بقيه الآيه إذ يقول القرآن المجيد: **كَذَلِكَ لِنُصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ** . و هى اشاره الى أنّ هذا الأمداد الغيبي و الاعانه المعنويه لانقاذ يوسف من السوء و الفحشاء من قبل الله لم يكن اعتبارا، فقد كان عبدا عارفا مؤمنا ورعا ذا عمل صالح طهر قلبه من الشرك و ظلماته، فكان جديرا بهذا الأمداد الالهى.

و بيان هذا الأمر يدلّ على أنّ مثل هذه الامدادات الغيبيه، فى لحظات الشدّه و الازمه التى تدرك الأنبياء- كيوسف مثلا- غير مخصوصه بهم، فإنّ كلّ من كان فى زمرة عباد الله الصالحين المخلصين فهو جدير به هذه المواهب ايضا.

## ملاحظات

### اشاره

#### ١- جهاد النفس

نحن نعرف أنّ أعظم الجهاد فى الإسلام هو جهاد النفس، الذى عبّر عنه فى حديث عن النّبى الأكرم صلّى الله عليه و آله و سلّم ب«الجهاد الأكبر» اى هو جهاد أعظم من جهاد العدو الذى عبّر عنه بالجهاد الأصغر.. و إذا لم يتوفّر فى الإنسان الجهاد الأكبر بالمعنى الواقعى- أساسا- فلن يتتصر فى جهاده على أعدائه.

و فى القرآن المجيد ترسم صور شتى فى ميادين الجهاد، و تتجلّى فيها علاقه الأنبياء و اولياء الله الصالحين. و قصّه يوسف و ما كان من عشق امرأه العزيز الملتهب واحده من هذه الصور، و بالرغم من أنّ القرآن لم يوضّح جميع ما فى القصّه من خفايا و زوايا، إلاّ أنّه أجملها بصوره موجزه فى جمله قصيره هى وَ هَمَّ



لَهَا لَوْ لَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ

و بَيْنَ شَدَّةِ هَذَا الطُّوفَانِ.

لقد خرج يوسف من هذا الصراع منتصرا بوجه مشرق لثلاثة اسباب:

□  
الأول: أنه التجأ الى الله و استعاذ به، و قال: **مَعَاذَ اللَّهِ** .

الثاني: التفاته الى الإحسان الذى اسداه اليه عزيز مصر، و ما تناوله فى بيته فأثر فيه، فلم ينس فضله طيله حياته، و مع ملاحظه نعم الله التى لا- تحصى و انقاذه له من غيابه الجبّ الموحشه الى محيط الامان و الهدوء جعلته يفكر فى ماضيه و مستقبله، و لا يستسلم للتيارات العابره.

الثالث: بناء شخصيته و عبوديته المقرونه بالإخلاص التى عبّر عنها القرآن **إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ** يستفاد منها أنها منحه القوه و القدره ليخرج من ميادين الوسوسه التى تهجم عليه من الداخل و الخارج بانتصار.

و هذا درس كبير لجميع الناس الأحرار الذين يريدون ان ينتصروا على عدوهم الخطر فى ميادين جهاد النفس.

يقول الامام على بن أبى طالب «امير المؤمنين» فى دعاء الصباح، بأسلوب جميل رائق: «و ان خذلى نصرىك عند محاربه النفس و الشيطان، فقد و كلنى خذلانك الى حيث النصب و الحرمان».

و نقرا

فى بعض الأحاديث انّ النبى صلّى الله عليه و آله و سلّم بعث سرّيه فلما رجعوا قال:

«مرحبا بقوم قضوا الجهاد الأصغر، و بقى عليهم الجهاد الأكبر» فقليل: يا رسول الله، و ما الجهاد الأكبر قال: «جهاد النفس» (١).

و

يقول الامام على عليه السلام ايضا «المجاهد من جاهد نفسه» (٢).

كما ينقل

عن الامام الصادق عليه السلام أنه قال: «من ملك نفسه إذا رغب و إذا رهب و إذا اشتهى و إذا غضب و إذا رضى حرّم الله جسده على النار» (٣).

ص: ١٨٤

٢-٢) المصدر السابق، ص ١٢٤.

٣-٣) المصدر نفسه، ص ١٢٣.

كما أشرنا فى تفسير الآيات المتقدمه، فإنّ القرآن المجيد عزا نجاه يوسف - من هذه الازمه الخطره التى أوقعته امراه العزيز فيها- الى الله، إذ قال: كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ .

و لكن مع ملاحظه الجمله التى تليها: إِنَّهُ مِنَّنَا عِبَادِنَا الْمُخْلِصِينَ تتجلى هذه الحقيقه، وهى أنّ الله سبحانه لا- يترك عباده المخلصين فى اللحظات المتأزمه وحدهم..و لا يقطع عنهم امداداته المعنويّه..بل يحفظ عباده بألطفه الخفيّه.

و هذا الثواب فى الواقع هو ما يمنحه الله جلّ جلاله لامثال هؤلاء العباد، و هو ثواب الطهاره و التقوى و الإخلاص.

و هناك مسأله جديره بالتنبويه، وهى أنّ يوسف «من عباد الله المخلصين» و مفرد الكلمه «مخلص» على وزن «مطلق» و هو اسم مفعول. و لم تأت الكلمه على وزن اسم الفاعل اى «مخلص» على وزن «محسن».

و الدقه فى آيات القرآن تكشف عن أنّ كلمه «مخلص» (يكسر اللام) غالبا ما تستعمل فى مراحل تكامل الإنسان الاولى و فى حال بناء شخصيته، كقوله تعالى: فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلِّكَ دَعَاؤُا اللَّهِ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ (١).

و كقوله تعالى: وَمَا أُمْرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ (٢).

غير أنّ كلمه «مخلص» بفتح اللام استعملت فى المرحله العاليه..التي تحصل بعد مدّه مديده من جهاد النفس، تلك المرحله التى ييأس الشيطان فيها من نفوذها و وسوسته داخل الإنسان، و فى الحقيقه تكون نفس الإنسان مؤمنا عليها من قبل الله، يقول القرآن فى هذا الصدد:

ص: ١٨٥

١- (١) العنكبوت، ٦٥.

٢- (٢) البينه، ٥.

و كان يوسف قد بلغ هذه المرحلة بحيث وقف كالجبل امام تلك الازمه، فينبغى على كل فرد السعى لبلوغ هذه المرحلة.

### ٣- العفّه و المتانّه فى البىان

من عجائب القرآن و واحده من ادله الاعجاز، انه لا يوجد فى تعبيره ركه و ابتذال و عدم العفّه و ما الى ذلك، كما انه لا يتناسب مع أسلوب الفرد العادى الامى الذى تربى فى محيط الجاهليّه، مع انّ حديث كل احد يتناسب مع محيطه و أفكاره!.

و بين جميع قصص القرآن و احداثه التى ينقلها توجد قصه غرام و عشق واقعيه، و هى قصه (يوسف و امراه عزيز مصر).

قصه تتحدّث عن عشق امراه جميله والهه ذات أهواء جامحه لشاب جميل طاهر القلب.

اصحاب المقالات و الكتاب حين يواجهون مثل هذا الأمر.. اما ان يتحدّثوا عن ابطال القصه بأن يطلقوا للقلم او اللسان العنان، حتّى تظهر فى (البين) تعابير مشيره و غير أخلاقيه كثيره.

و اما ان يحافظوا على العفّه و النزاهه فى القلم و اللسان، فيحوّلوا القصه الى القراء او السامعين بشكل غامض و مبهم.

فالكاتب او صاحب المقال مهما كان ماهرا يبتلى بواحد من هذين الإشكالين، ترى هل يعقل انّ فردا لم يدرس يرسم رسما دقيقا و كاملا- لفصول مثل هذا العشق المشير، دون ان يستعمل اقلّ تعبير مهيج و بعيد عن العفّه؟! و لكنّ القرآن يمزج فى رسم هذه الميادين الحساسه من هذه القصه-

ص: ١٨٦

بأسلوب معجب-الصدق في البيان مع المتانة والعفة، دون ان يغض الطرف عن ذكر الوقائع، او ان يظهر العجز، وقد استعمل جميع الأصول الاخلاقيه و الأمور الخاصه بالعفه.

و نعرف ان اخطر ما في هذه القصة ما جرى في «خلوه العشق» و ما أظهرته امراه العزيز بابتكارها و هواها.

و القرآن يتناول كل ما جرى من حوادث و يتحدث عنها دون ان يظهر اقل انحراف من اصول العفه حيث يقول: **وَ رَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَ غَلَقَتِ الْاَبْوَابَ وَ قَالَتْ هَيْتْ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللّٰهِ اِنَّهُ رَبِّيْ اَحْسَنُ مَتَوَايَ اِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظّٰلِمُوْنَ** (يوسف ٢٣).

و المسائل التي تسترعى الانتباه في هذه القصة ما يلي:

١- كلمة «راود» تستعمل في مكان يطلب فيه احد من الآخر شيئا باصرار ممزوجا بالترغيب و اللين، لكن ما الذي ارادته امراه العزيز من يوسف؟!.. بما انه كان واضحا فقد اكتفى القرآن بالكنايه و التلميح دون التصريح!.

٢- ان القرآن هنا لم يعبر عن امراه العزيز تعبيرا مباشرا، بل قال: **الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا** ليقرب من بيان العفه و اسدال الحجاب، كما جسّد معرفه يوسف للحقّ و جسّد مشاكل يوسف ايضا في عدم التسليم إزاء من كانت حياته في قبضتها.

٣- **غَلَقَتِ الْاَبْوَابَ** التي تدلّ على المبالغه و انّ الأبواب جميعا أوصدت بشده، (و هذا تصوير من هذا الميدان المثير).

٤- جمله **هَيْتْ لَكَ** تشرح آخر كلام امراه العزيز للبلوغ الى وصال يوسف، و لكنّها في عباره متينه ذات مغزى كبير و ليس فيها ما يشير الى تعبير سيئ.

٥- **مَعَاذَ اللّٰهِ اِنَّهُ رَبِّيْ اَحْسَنُ مَتَوَايَ** التي قالها يوسف لتلك امراه الجمليه، معناها كما يقول اكثر المفسرين: انّي ألتجئ الى الله فإنّ عزيز مصر

صاحبى و سيدي و هو يجلنى و يحترمنى و يعتمد علىّ، فكيف اخونه؟! و هذا العمل خيانه و ظلم إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ و بهذا توضّح الآيه سعى يوسف الى إيقاظ العواطف الانسانيه فى امراه العزيز.

٦- جمله وَ لَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَ هَمَّ بِهَا لَوْ لَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ ترسم- من جهه- تلك الخلوه بدقه، بحيث لو انّ يوسف لم يكن لديه مقام العصمه او العقل او الايمان لكان قد وقع فى «الفتح».

و من جهه أخرى ترسم انتصار يوسف أخيرا فى هذه الظروف على شيطان الشهوه الطاغى.. بأسلوب رائع.

الطريف هنا انّ الآيه استعملت كلمه «هم» فحسب، «اي انّ امراه العزيز صممت من جهتها و لو لم ير يوسف برهان ربّه لصم من جهته ايضا، ترى هل توجد كلمه اكثر متانه للتعبير عن (القصد و التصميم) أفضل من هذه؟!

اشاره

وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَفَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيْهَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٢٥) قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (٢٦) وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٢٧) فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ (٢٨) يُوسُفُ أَعْرَضَ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ (٢٩)

التفسير

اشاره

فضيحة امراه العزيز

!! المقاومة الشديده التي أبداها يوسف جعلت امراه العزيز آيسه منه تقريبا..

و لكن يوسف الذى انتصر فى هذا الدور على تلك المراه المعانده احس ان بقاءه فى بيتها- فى هذا المزلق الخطر- غير صالح، و ينبغى ان يتعد عنه، و لذلك اسرع نحو باب القصر ليفتحة و يخرج، و لم تقف امراه العزيز مكتوفه الايدى، بل

أسرعت خلفه لتمنعه من الخروج، وسحبت قميصه من خلفه فقدته واستبقت الباب وقادت قميصه من دبر.

(الاستباق) في اللغة هو المسابقيه بين شخصين او اكثر.

و(قد) بمعنى مزق طولاً، كما انّ «قطّ» بمعنى مزق عرضاً، ولذلك نقرا

في الحديث.. «كانت ضربات على بن أبي طالب عليه السلام أبكاراً، إذا اعتلى قدّ، وإذا اعترض قطّ» (١).

و على كلّ حال فقد أوصل يوسف نفسه نحو الباب و فتحه فرأيا «يوسف و امرأه العزيز» عزيز مصر خلف الباب فجأه. يقول القرآن الكريم: وَ أَلْفِيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ .

«ألفيا» من مادّه «الالفاء» ومعناها العثور المفاجئ.. و التعبير عن الزوج ب«السيد» كما يقول بعض المفسرين كان طبقاً للعرف السائد في مصر، حيث كانت تخاطب المرأه زوجها بالسيد.

في هذه اللحظه التي رأت امرأه العزيز نفسها على أبواب الفضيحه من جهه، و شعله الانتقام تتأجج في داخلها من جهه اخرى، كان أوّل شيء توجّهت اليه ان تخاطب زوجها متظاهره بمظهر الحقّ متهمه يوسف إذ قالت ما جزاء من أراد بأهلك سوءاً إلا أن يُسجَنَ أو عذاباً أليماً .

من الطريف هنا أنّ هذه المرأه الخائنه نسيت نفسها أنّها امرأه العزيز حينما كانت لوحدها مع يوسف، و لكن عند ما وجدت نفسها مشرفه على الافتضاح، عبرت عن نفسها بأنّها اهله لتثير فيه احساس الغيره! فهي خاصه به و لا ينبغي لأحد ان يلقي عليها نظرات الطمع!! و هذا الكلام قريب الشبه بكلام فرعون مصر في عصر موسى إذ قال:

ص: ١٩٠

(١-١) مجمع البيان: ذيل الآيه.



أَلَيْسَ لِي مُلْكٌ مِصْرَ ، (١) حيث كان جالسا على عرش السلطنة او لكنه حين وجد نفسه مشرفا على السقوط، و وجد ملكه و تاجه في خطر، قال عن موسى و أخيه:

يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ

(٢)

و الأمر الآخر أنّ امراه العزيز لم تقل أنّ يوسف كان يريد السوء بي، بل تحدّثت [عن ما يستحقّه من الجزاء]

مع عزيز مصر، فكأنّ اصل المسأله مسلّم به!! و الكلام عن كيفية الجزاء.

و هذا التعبير المدروس الذي كان في لحظه اضطراب و مفاجأه للمراه يدلّ على شدّه احتيالها (٣).

ثمّ أنّ التعبير عن السجن أوّلا، ثمّ عدم قناعتها بالسجن وحده، إذ تتجاوز هذا الحكم الى العذاب الأليم او «الاعدام» مثلا.

و لكن يوسف أدرك أنّ السكوت هنا غير جائز.. فأماط اللثام عن عشق امراه العزيز قال هيّ رَاوَدْتَنِي عَنْ نَفْسِي .

و طبيعي أنّ مثل هذا الحادث من العسير تصديقه في البدايه، اي أنّ شابّا يافعا غير متزوج لا يعدّ آثما، و لكن امراه متزوجه ذات مكانه اجتماعيه-ظاهرا -آثمه! فلذلك كانت أصابع الاتهام تشير الى يوسف اكثر من امراه العزيز.

و لكن حيث أنّ الله حامى الصالحين و المخلصين فلا يرضى ان يحترق هذا الشاب المجاهد بشعله الاتهام، لذلك يقول القرآن في هذا الصدد: وَ شَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَ هُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ وَ إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَ هُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ . و اي دليل أقوى من هذا الدليل، لأنّ طلب المعصيه ان كان من طرف امراه العزيز فقد ركضت خلف يوسف و قدّت

ص: ١٩١

١-١) الزخرف، ٥١.

٢-٢) سوره طه، ٦٣.

٣-٣) في المراد من «ما» من قولها «ما جزاء» أ هي نافية ام استفهاميه، هناك اختلاف بين المفسرين، و النتيجة واحده.

قميصه من دبر، لأنه كان يريد الفرار فأمسكت بثوبه فقدته، و إذا كان يوسف هو الذى هجم عليها و هى تريد الفرار او وقفت امامه للمواجهه و الدفاع، فمن المسلم ان يقد قميص يوسف من قبل او اى شىء اعجب من ان تكون هذه المسأله البسيطة «خرق الثوب» مؤشرا على تغيير مسير حياه برىء و سندا على طهارته و دليلا على افتضاح المجرم!

أما عزيز مصر فقد قبل هذا الحكم الدقيق، و تحير في قميص يوسف ذاهلا:

فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قَدْ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِ كُنَّ إِنَّ كَيْدَ كُنَّ عَظِيمٌ

فى هذه الحال، و لخوف عزيز مصر من انتشار خبر هذا الحادث المؤسف على الملا، فتسقط منزلته و كرامته فى مصر راي ان من الصلاح كتمان القضية، فالتفت الى يوسف و قال: يُوسُفُ أَعْرِضْ عَن هَذَا إِيَّاكُمْ هَذَا أَمْرٌ وَلَا تَخْبِرْ بِهِ أَحَدًا.. ثُمَّ التفت الى امرأته و قال: وَ اسْتَعْفِرِي لِدُنْبِكَ إِنَّكَ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ (١).

و ذهب بعض المفسرين الى ان القائل لهذه الجملة ليس عزيز مصر، بل الشاهد نفسه، و لكن لا دليل يؤيد هذا الاحتمال و خاصه مع وقوع هذه الجملة بعد قول العزيز.

## ملاحظات

## إشارة

## ١- من كان الشاهد

؟! هناك اقوال فى الشاهد الذى ختم «ملف يوسف و امراه العزيز» بسرعه، و أوضح البرىء من المسىء من هو؟

ص: ١٩٢

١-١) ورد التعبير بالخاطئين و هو جمع مذكر، و لم يرد التعبير بالخاطئات الذى هو جمع مؤنث، لأن جمع المذكر السالم يغلب فى كثير من الموارد و يطلق على جماعه الذكور و الإناث اى «أنك فى زمره الخاطئين».

قال بعضهم: هو احد أقارب امراه العزيز، و كلمه «مِنْ أَهْلِهَا» دليل على ذلك ..و على القاعده فهو رجل حكيم و عارف ذكى بحيث استطاع ان يستنبط الحكم من قد الثوب دون ان يكون لديه شاهد او بيّنه. بل اكتشف حقيقه الحال.. و يقال:

إنّ هذا الرجل كان من مشاوري عزيز مصر و كان معه.

التفسير الآخر: إنّ الشاهد كان طفلا رضيعا من أقارب امراه العزيز و كان على مقربه من الحادث، و كان يوسف قد طلب من عزيز مصر ان يحتكم الى هذا الطفل، فتعجب عزيز مصر من هذا الطلب.. ترى هل يمكن هذا؟! لكن «الطفل» حين تكلم - كما تكلم المسيح عليه السّلام فى المهد - و اعطى هذا المعيار لمعرفه البرىء من المسىء، التفت عزيز مصر الى أنّ يوسف ليس غلاما (عاديا) بل هو نبى او متنبى.

و الروايات المنقوله عن طريق اهل البيت عليهم السلام و اهل السنّه تشير الى هذا التفسير، من جملتها ما

نقله ابن عباس عن النبى صلى الله عليه و آله و سلّم: أنّه قال: «اربعه تكلموا أطفالا: ابن ماشطه فرعون، و شاهد يوسف، و صاحب جريح، و عيسى بن مريم» (١).

كما

نقل عن تفسير على بن ابراهيم عن الامام الصادق أنّ شاهد يوسف كان طفلا فى المهد (٢).

و لكن ينبغى الالتفات الى أنّ ايا من الحديثين المتقدمين ليس له سند قوى، بل هما مرفوعان.

الاحتمال الثالث: إنّ الشاهد هو القدّ فى الثوب الذى تكلم بلسان الحال، و لكن مع ملاحظه كلمه «مِنْ أَهْلِهَا» يضعف هذا الاحتمال، بل ينفيه!

ص: ١٩٣

١- ١) تفسير المنار، ج ١٢، ص ٢٨٧.

٢- ٢) تفسير نور الثقلين، ج ١٢، ص ٤٢٢.

## ٢- الموقف الضعيف لعزیز مصر

من جمله المسائل التي تستجلب الانتباه في هذه القصّة انّ في مثل هذه المسألة المهمّة التي طعن فيها بناموس عزیز مصر و عرضه، كيف يكتفى قانعا بالقول وَ اسْتَتَعْفِرِي لِتَذْنِبِكِ إِنَّكَ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ و ربّما كانت هذه المسألة سببا لانّ تدعوا امراه العزیز نساء الاشراف الى مجلسها الخاص، و تكاشفهنّ بفضّه حبّها و غرامها بجلاء.

ترى: أ كان هذا خوفا من الافتضاح، فاختصر عزیز مصر هذه المسألة و غصّ النظر عنها!؟ ام انّ هذه المسألة-أساسا-ليست بذات اهميّة للحكّام و مالكي ازمه الأمور و الطواغيت، فهم لا يكثرثون للغيره و حفظ الناموس، لانّهم ملوثون بالذنوب و غارقون في مثل هذه الرذائل و الفساد حتّى كأنّه لا اهميّة لهذا الموضوع في نظرهم.

يبدو انّ الاحتمال الثانی اقرب للنظر!

## ٣- حمايه الله في الأزمات

الدرس الكبير الآخر الذي نتعلّمه من قصّه يوسف، هو حمايه الله و رعايته للإنسان الاكيدة في اشدّ الحالات، و بمقتضى قوله: يَجْعَلُ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقُهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ - فمن جهة كان يوسف لا يصدّق ابدا انّ نافذه من الأمل ستفتح له، و يكون قدّ القميص سندا للطهاره و البراءه، ذلك القميص الذي يصنع الحوادث، فيوما يفضح اخوه يوسف لانّهم جاؤوا أباهم و هو غير ممزّق، و يوما يفضح امراه العزیز لانه قدّ من دبر، و يوما آخر يهب البصر و النور ليعقوب، و ريحه المعروف يسافر مع نسيم الصباح من مصر الى ارض كنعان و يبشّر العجوز «الكنعاني» بقدم موكب البشير!

و على كل حال فإنَّ لله الطافا خفيَّه لا يسبر غورها احد، و حين يهب نسيم هذه الألفاف تتغير الأسباب و المسببات بشكل لا يمكن حتى لاذكى الافراد ان يتتبا عنها!.

بل قد يتفق أحيانا انَّ خيوط العنكبوت تبدل مسير الحياه لامه او قوم بشكل دائم، كما حدث فى قصه غار ثور و هجره النبي صلى الله عليه و آله و سلم.

#### ٤- خطه امراه العزيز

فى الآيات المتقدمه اشاره الى مكر النسوه (طبعاً النساء اللائى لا ارتباط لهن بشىء الا هواهن كما مرأه العزيز) و هذا المكر و التحيل الموصوف بالعظمه انَّ كَيْدُكُنَّ عَظِيمٌ يوجد منه فى التاريخ و القصص التاريخيه امثله كثيره، حيث تكشف اجمالاً انَّ النساء اللائى يسوقهن هواهن يرسمن خططا لا نظير لها من نوعها.

رأينا فى القصة المتقدمه كيف انَّ امراه العزيز بعد الهزيمه فى عشقها و افتضاح أمرها، برأت نفسها بمهاره و اتهمت يوسف و لم تقل انَّ يوسف قصد السوء بى، بل افترضت ذلك امرا مسلماً به. و انما سألت فقط عن جزاء مثل من يعمل هذا العمل!! جزاء لا يتوقف على السجن فحسب، بل يأخذ ابعادا اخرى غير محدوده.

و نرى ايضا انَّ هذه المراه فى مقابل لوم نسوه مصر لها إذ عشقت غلامها- فى الآيات التاليه- تستعمل مثل هذا المكر او الخداع، و هذا تأكيد آخر على مكر مثل هؤلاء النسوه!

اشاره

وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (٣٠) فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكًا وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ (٣١) قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَ لَئِن لَّمْ يَفْعَلْ لَمَّ يَسْتَأْذِنُ لِيَسْجُنَّ وَ لِيَكُونًا مِنَ الصَّاغِرِينَ (٣٢) قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصِيبُ إِلَيْهِنَّ وَ أَكُنُّ مِنَ الْجَاهِلِينَ (٣٣) فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٣٤)

التفسير

اشاره

مؤامره اخرى:

بالرغم من ان عشق امراه العزيز المذكور آنفا كان-مسأله خصوصيه-

بحيث أكد حتى العزيز على كتمانها، ولكن حيث أنّ هذه الأسرار لا تبقى خافيه، ولا سيما في قصور الملوك و اصحاب المال و القوّه-التي في حيطانها آذان صاغيه-فسوف تتسرّب الى خارج القصر كما يقول القرآن في هذا الشأن: وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ثُمَّ لَمِنَهَا وَ عَنَفْنَاهَا بِهذه الجملة إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ. و واضح أنّ المتحدّث بمثل هذا الكلام كنّ نساء اشرف مصر حيث كانت اخبار القصور المفعمه بفساد الفراعنه و المستكبرين مثيره لهنّ و كنّ يستقصينها دائما.

لم يكن فساد هؤلاء النسوة بأقلّ من امراه العزيز و لكنّ ايديهنّ لم تصل الى يوسف، و كما يقول المثل-«العين بصيره و اليد قصيره»فكنّ يرين امراه العزيز بسبب هذا العشق في ضلال مبین.

و يقول بعض المفسرين: أنّ اذاعه هذا السرّ من قبل هذه المجموعه من نساء مصر، كانت خطّه لتحريك امراه العزيز حتى تدعوهنّ الى قصرها لتكشف لهنّ عن براءتها و تريهن يوسف و جماله! و لعلهنّ كنّ يتصوّرن أنّ يوسف إذا رآهنّ بهره جمالهنّ، و ربّما رآهنّ أجمل من امراه العزيز، و لأنّ يوسف كان يحترم امراه العزيز احترام الولد لوالدته-ام مريّته-فهو لا يطمع فيها، و لهذا السبب يكون احتمال نفوذهنّ الى قلبه أقوى من نفوذ امراه العزيز اليه!

«الشغف» من مادّه «الشغاف» و معناه أعلى القلب او الغشاء الرقيق المحيط بالقلب، و شغفها حبّا معناه أنّها تعلّقت به الى درجه بحيث نفذ حبّه الى قلبها و استقرّ في أعماقه.

و هذا التعبير اشاره الى العشق الشديد و الملتهب.

يذكر «الألوسی» في تفسيره «روح المعاني» نقلا عن كتاب اسرار البلاغه مراتب الحبّ و العشق و نشير هنا الى قسم منها:

فأول مراحل الحبّ «الهوى» ومعناه الميل، ثمّ «العلاقة» وهى المحبّيه الملازمه للقلب، وبعدها «الكلف» وهى الحبّ الشديد، ثمّ «العشق» وبعده «الشعف» بالعين المهمله اى الحاله التى يحترق القلب فيها من الحبّ و يحسّ باللمذه من هذه الحاله.. وبعدها «اللوعه» ثمّ «الشغف» وهى المرحله التى ينفذ العشق فيها الى جميع زوايا القلب، ثمّ «الوله» وهى المرحله التى تخطف عقل الإنسان من العشق، و آخر المراحل «الهيام» وهى المرحله التى تذهل العاشق و تجزّه الى كلّ جهه دون اختياره (١).

هناك مسأله جديره بالالتفات وهى: من الذى أذاع هذا السرّ؟ هل كان من امراه العزيز التى لم ترغب فى هذه الفضيحه ابدًا! او من قبل العزيز نفسه! و كان يؤكّد على كتمان السرّ، او القاضى الحكيم الذى حكم فى الأمر، و يستبعد منه هذا العمل؟! و على كلّ حال فإنّ مثل هذه المسائل فى هذه القصور المفعمه بالفساد لا تبقى طويّ الكتمان، و أخيرا فإنّها تنتقل على السنه الذين يظهرون الحرص على شرف القصر و تنتشر، و من الطبيعى ان يضيف عليها آخرون اوراقا و اغصانا.

أما امراه العزيز فقد وصلها ما دار بين النسوه من افتضاحها فلما سمعت بمكرهنّ أرسلت إليهنّ و اعتدت لهنّ متكأً و آتت كلّ واحدٍ منهنّ سكيناً (٢).

هذا العمل دليل على أنّ امراه العزيز لم تكن تكترث بزوجها، و لم تأخذ الدرس من فضيحتها، ثمّ أمرت يوسف ان يتخطى فى المجلس و قالت اخرج عليهنّ و تعبّر اخرج عليهنّ بدلا من «ادخل» يشير الى أنّها كانت اخفت يوسف داخل البيت، او جعلته مشغولا فى احدى الغرف التى يوضع فيها الغذاء

ص: ١٩٨

١-١) تفسير (روح المعانى) ج ١٢ ص ٢٠٣.

٢-٢) «المتكأ» ما يتكأ عليه كالكراسى و الاسره، و ما يوضع خلف الظهر كما هو معروف فى القصور، و لكن البعض قال: إنّ المتكأ هو نوع من الفواكه المعروفه «بالأترنج» و الذين فسّروا المتكأ بالمعنى المتقدم قالوا ايضا: أنّها فاكهه «الأترنج» و هى فاكهه من فصائل الحمضيات لها قشر ضخيم يستعمل فى المربيات، و هذه الفاكهه فى مصر خفيفه الحموضه الحموضه و تؤكل!



عاده حتى يكون دخوله الى المجلس مفاجأه للجميع.

نساء مصر- و طبقا لبعض الروايات التي تقول: كنّ عشرا.. او اكثر فوجئن بظهور يوسف كأنه البدر او الشمس الطالعه، فتحيّرن من جماله فلما رأينه أكبرته و فقدن انفسهنّ و قَطَعْنَ أَيْدِيَهُنَّ مكان الفاكهه، و حين وجدن الحياء و العفّه تشرقان من عينيه و قد احمر وجهه خجلا صحن جميعا و قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ (١).

و هناك اقوال بين المفسرين في ان النسوة الى اى حدّ قَطَعْنَ أَيْدِيَهُنَّ؟ فمنهم من بالغ في الأمر، و لكن كما يستفاد من القرآن على نحو الإجمال أنّهن جرحن ايديهنّ.

و في هذه الحال التي كانت الدماء تسيل من ايدي النسوة و قد لا حظن ملامح يوسف كلّها و صرن امامه «كالخشب المسند» كشفن عن أنّهن لسن بأقل من امراه العزيز عشقا ليوسف، فاستغلّت امراه العزيز هذه الفرصه ف قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنِنِي فِيهِ .

فكأنّ امراه العزيز أرادت ان تقول لهنّ: لقد رأيتن يوسف مرّه واحده فحدث لكنّ ما حدث و فقدتن صوابكن و قطعتن ايديكن من جماله و عشقه، فكيف الام و انا أراه و اسكن معه ليل نهار؟! و هكذا احسّت امراه العزيز بالغرور لأنّها وفّقت في ما ألقت من فكره و اعطت لنفسها العذر، و اعترفت بكلّ صراحه بكلّ ما فعلت و قالت: وَ لَقَدْ رَأَوُذْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ .

و بدلا من ان تظهر الندم على كلامها او تتحفّظ على الأقل امام ضيوفها، أردفت القول بكلّ جدّ يحكى عن ارادتها القطعيه: وَ لَيْسَ لِمَنْ يَفْعَلُ مَا أَمَرُهُ لَيْسَ جَنًّا

ص: ١٩٩

١-١) «حاش لله» من ماده «حشى» معناها الطرف او الناحيه.. و التحاشى الابتعاد و مفهوم جمله «حاش لله» اى ان الله منزّه، و هى اشاره الى ان يوسف عبد منزّه و طاهر.

...و لا اکتفی بسجنه، بل وَ لَیْکُونًا مِنَ الصَّاعِرِیْنَ .

و من الطبیعی أَنَّهُ إِذَا اکتفی عزیز مصر إِزَاءَ خیانته امرأته بالقول: اِسْتِغْفِرِی لِتَذَنِّبِکِ فینبغی ان تجرّ امرأته الفضیحه الی هذه المرقله..و أساسا فإِنَّ مثل هذه الأمور و المسائل فی قصور الفراعنه و الملوک لیست أمورا مهمّه.

ینقل البعض روايات عجیبه مؤدّاهما أَنَّ بعضا من نسوه مصر أعطین الحقّ لامرأه العزیز و درن حول یوسف لیرغبه بأن یرسلّم لقلبها و کلّ واحده تکلّمَت بكلام! فقالت واحده: ایها الشاب ما هذا الصبر و الدلال، و لم لا ترحم هذه العاشقه الواهبه قلبها لك، الا- ترى هذا الجمال الآسر؟ أ ليس عندك قلب؟! الست شابًا؟ الا تستلذّ بالعشق و الجمال، فهل أنت حجاره او خشب؟! و قالت الثانیه: إذا كنت لا تعرف عن الجمال و العشق شیئا.. لكن الا تدری أنّ امرأه العزیز ذات نفوذ و قدره.. الا تفکر ان لو ملكت قلبها فستنال کلّ شیء و تبلغ ایّ مقام شئت...

و قالت الثالثه: إذا كنت لا ترغب فی جمالها المثیر و لا تحتاج الی مقامها و مالها، و لكن الا تعرف أنّها ستنتقم لنفسها بما أوتیت من وسائل الانتقام الخطره، الا تخاف من السجن و وحشته و من الغربه المضاعفه فیهِ؟! تهدید امرأه العزیز من جانبها بالسجن و الاذلال من جهه، و وساوس النسوه الملوّثات اللائی خطّطن لیوسف كما یخطّط الدلال من جهه اخرى، اوقعا یوسف فی ازمه شدیدة، و أحاط به طوفان المشاكل، و لكن حیث أنّ یوسف كان قد صنع نفسه، و قد أوجد نور الايمان و العفّه و التقوی فی قلبه هدوءا و سكينه خاصّه، فقد صمّم بعزم و شجاعه و التفّت نحو السماء لیناجی ربّه و هو فی هذه الشدّه □ قالَ رَبِّ السَّجْنُ أَحَبُّ إِلَیَّ □ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ .

و حیث كان یدری ان لا مهرب له الا الی الله فی جمیع الأحوال و لا سیما فی

الساعات الحرجه، فقد أودع نفسه عند الله بهذا الكلام وَ إِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ .

ربّاه...أنتى أتقبل السجن الموحش رعايه لأمرك و حفظا لطهاره نفسى...

هذا السجن تتحرّر فيه روحى و تطهّر نفسى، و انا ارفض هذه الحرّيه الظاهريه التى تأسر روحى فى سجن «الشهوه» و تلوث نفسى .

ربّاه..اعنى، و هب لى القوّه، و زدنى قدره و عقلا و ايمانا و تقوى، حتّى انتصر على هذه الوسوس! و حيث أنّ وعد الله حقّ، و أنّه يعين المجاهد (لنفسه او لعدوّه) فإنّه لم يترك يوسف سدى و تلقفته رحمته و لطفه كما يقول القرآن الكريم: فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ .

فهو يسمع نجوى عبده، و هو مطلع على اسرارهم، و يعرف طريق الحلّ لهم.

### ملاحظات

١- كما رأينا من قبل فإنّ امراه العزيز و نسوه مصر، استفدن من امور مختلفه فى سبيل الوصول الى مرادهن، فمّزه بإظهار العشق و العلاقه الشديده و التسليم المحض، و مّزه بالترغيب و الطمع، ثمّ بالتهديد، او بتعبير آخر: توسلن بالشهوه و المال و القوّه!! و هذه اصول متّحده المآل يتوسّل بها الطغاه و المتجبرون فى كلّ عصر و زمان، حتّى لقد رأينا كرارا و مرارا أنّهم و من اجل ان يجبروا رجال الحقّ على الاستسلام، يظهرن لهم فى مجلس واحد لينا للغايه و يلوّحون بالمساعدات و انواع الأمداد ترغيبا، ثمّ يتوسلون فى نهايه المجلس بالتهديد و الوعيد، و لا يلتفتون الى ما فى هذا من التناقض فى مجلس واحد و ما فيه من دناءه و حسّه

ص: ٢٠١

و لؤم فاضح.

و السبب واضح..فهم يريدون الهدف و لا تهتمهم الوسيله،و بتعبير آخر:

يستسيغون للوصول الى اهدافهم اى أسلوب و ايه وسيله كانت.

و فى هذا المحيط يستسلم الافراد الضعاف،سواء فى أوّل المرحله او وسطها او نهايتها،الآ- انّ اولياء الحقّ لا- يكثرثون بهذه الاساليب بما لديهم من شهامه و شجاعه و نور الايمان و يرفضون التسليم بضرر قاطع حتّى و لو اذى ذلك الى الموت..و عاقبتهم الانتصار طبعاً،انتصار أنفسهم و انتصار مبادئهم،او على الأقل انتصار مبادئهم.

٢- كثيرون هم مثل نسوه مصر،فظالما هم جالسون حول الحمى يظهرون أنفسهم منزهين و أتقياء و يلبسون ثياب العفّه و يعدّون الانحراف- كما هو فى امراه العزيز- فى ضلال مبين.

و لكن حين يتعرّضون لأدنى صدمه ينكشف انّ أقوالهم لا تصدّق أفعالهم..

فإذا كانت امراه العزيز بعد سنين من معاشره يوسف قد وقعت فى شرك حبّه و عشقه،فإنّهم فى أوّل مجلس يتلون بمثل هذا المصير و يقطّعون «الايدي» مكان «الأترنج».

٣- هنا قد يرد سؤال و هو: لم وافق يوسف على طلب امراه العزيز و خرج على النسوه فى المجلس؟ المجلس الذى ترتّب من اجل الإثم،او لتبرئه امراه آثمه؟! و لكن مع ملاحظه انّ يوسف كان بحسب الظاهر غلاماً مشترى و عليه ان يخدم فى القصر،فلعلّ امراه العزيز استغلّت هذه الفرصه و الحيله ليأتى بالطعام مثلاً دون ان يعرف بهذه الخطّه و مكر النسوه.

و خاصّه أنّنا قلنا انّ تعبير القرآن أُخْرِجَ عَلَيْنَهْ كَمَا يَظْهَرُ مِنْهُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ خَارِجاً،بل كان فى احدى الغرف المجاوره للمجلس كالمطبخ مثلاً.

ص: ٢٠٢

٤-جمله يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ و جمله تَصْرِفُ عَنِّي كَيْدَهُنَّ تَدْلَان جِيدَا عَلَى اَنْ نَسُوهُ مَصْر-ذوات الهوى-بعد ما جرى لهنّ من تقطيع الايدي و الانبهار بجمال يوسف،وردن هذا الميدان ايضا و طلبن من يوسف ان يستسلم لهنّ او لامراه العزيز،و لكن يوسف ابى عليهنّ جميعا،و هذا يعنى انّ امراه العزيز لم تكن وحدها فى الجريمه بل كان لها شريكات فى ذلك.

٥-حين يقع الإنسان أسيرا بقبضه الشدائد و الحوادث و تجرّه الى شفى الهاويه،فعليه ان يتوكّل على الله و يلتجئ اليه و يستمدّ منه فقط،فإذا لم يحظ بلطفه و عونه فإنّه لا يستطيع ان يقوم بأى عمل،و هذا درس علّمنا اياه يوسف العظيم الطاهر الذليل،فهو القائل: **وَإِلَّا تَصْرِفُ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَ أَكُنُّ مِنَ الْجَاهِلِينَ فَأَنْتَ يَا رَبَّ الْحَافِظِ لِي،و لا اعتمد على قواى و قدرتى و تقواى.**

هذه الحاله «التعلّق المطلق بلطف الله»بالاضافه الى أنّها تمنح عباده الله قدره و استقامه غير محدوده،فهى تشملهم بألطفه الخفيه..تلك الألفاف التى لا يمكن وصفها و التصديق بها الا عند رؤيتها و مشاهدتها.

فهؤلاء هم الذين يسكنون فى ظلّ الله و رحمته فى الدنيا و الآخره...

فقد ورد حديث عن النبى صلّى الله عليه و آله و سلّم فى هذا الشأن يقول: «سبعة يظّلمهم الله فى ظلّ عرشه يوم لا ظلّ الا ظله:امام عادل،و شابّ نشأ فى عباده الله عزّ و جلّ،و رجل قلبه متعلّق بالمسجد إذا خرج منه حتّى يعود اليه،و رجلان كانا على طاعه الله عزّ و جلّ فاجتمعا على ذلك و تفرّقا،و رجل ذكر الله عزّ و جلّ خاليا ففاضت عيناه،و رجل دعته امراه ذات حسن و جمال فقال:انى أخاف الله تعالى،و رجل تصدّق بصدقه فأخفاها حتّى لا تعلم شماله ما تصدّق بيمينه» (١).

ص: ٢٠٣

---

١-١) سفينه البحار، ج ١، ص ٥٩٥، مادّه «ظلّ».

اشاره

ثُمَّ يَدَا لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لَيْسَ جُنْتَهُ حَتَّىٰ حِينٍ (٣٥) وَ دَخَلَ مَعَهُ السَّجْنَ فَيَا بَنَ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ  
الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أُحْمَلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْرًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبَأًا بِنَاءٍ بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ (٣٦) قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا  
نَبَأْتُكُمَا بِنَاءٍ بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذَلِكَمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ هُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ (٣٧) وَ اتَّبَعْتُ  
مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَ إِسْحَاقَ وَ يَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكُمْ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَ عَلَى النَّاسِ وَ لَكِنَّ أَكْثَرَ  
النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ (٣٨)

التفسير

اشاره

السجن بسبب البراءة:

انتهى المجلس العجيب لسنوه مصر مع يوسف فى قصر العزيز فى تلك

الغوغاء و الهياج، و لكنّ خبره-بالطبع-وصل الى سماع العزيز..و من مجموع هذه المجريات اتّضح أنّ يوسف لم يكن شابًا عاديًا، بل كان طاهرا لدرجه لا- يمكن لاي قوّه ان تجرّه الى الانحراف و التلوّث، و اتّضحت علامات هذه الظاهره من جهات مختلفه، فتمزّق قميصه من دبر، و مقاومته امام وساوس نسوه مصر، و استعداداه لدخول السجن و عدم الاستسلام لتهديدات امراه العزيز بالسجن و العذاب الأليم، كلّ هذه الأمور ادلّه على طهارته لا يمكن لأحد ان يسدل عليها الستار او ينكرها!.

و لانزم هذه الادلّه اثبات عدم طهاره امراه العزيز و انكشاف جريمتها، و على اثر ثبوت هذه الجريمه فإنّ الخوف من فضيحه جنسيه فى اسره العزيز كان يزداد يوما بعد يوم.

فكان الراى بعد تبادل المشوره بين العزيز و مستشاريه هو ابعاد يوسف عن الانظار لينسى الناس اسمه و شخصه، و احسن السبل لذلك ايداعه قعر السجن المظلم أوّلا، و ليشيع بين الناس أنّ المذنب الاصلى هو يوسف ثانيا، لذلك يقول القرآن فى هذا الصدد: **ثُمَّ بَدَأْ لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا آيَاتِ لَيْسَجْنَتِهِ حَتَّىٰ جِئَ .**

التعبير بكلمه «بدا» التى معناها ظهور الراى الجديد، يدلّ على أنّ مثل هذا التصميم فى حقّ يوسف لم يكن من قبل. و يحتمل ان تكون هذه الفكره اقترحتها امراه العزيز الأوّل مرّه.. و بهذا دخل يوسف النزيه-بسبب طهاره ثوبه-السجن، و ليست هذه أوّل مرّه و لا آخرها ان يدخل الإنسان النزيه «بجريمه نراسته» السجن!! اجل..فى المحيط المنحرف تكون الحريه من نصيب المنحرفين الذين يسرون مع التيار و ليست الحريه وحدها من نصيبهم فحسب..بل أنّ الأفراد النجباء كيوسف الذى لا يتلاءم مع ذلك المحيط و لونه و يتحرّك على خلاف مجرى الماء! ينبغى ان يقبوعوا فى زاويه النسيان..و لكن الى متى؟ هل تستمر هذه

و من جمله السجناء الداخلين مع يوسف فتیان وَ دَخَلَ مَعَهُ السَّجْنَ فَتَيَانِ .

و حيث أنّ من الظروف لم تكن تسمح للإنسان ان يحصل فيها على الاخبار بطريق عادى، فإنّه يأنس لاحاسيس الآخرين ليبحث عن مسير الحوادث و يتوقّع ما سيكون، حتّى أنّ الرؤيا و تعبيرها عنده يكون مطلبا مهماً.

من هذا المنطلق جاء ليوسف يوما هذان الفتیان اللذان يقال: أنّ أحدهما كان ساقيا فى بيت الملك، و الآخر كان مأمورا للطعام و المطبخ، و بسبب وشايه الأعداء و سعائتهم بهما دخلا السجن بتهمه التصميم لسمّ الملك، و تحدّث كلّ منهما عن رؤيا رآها الليله الفاتته و كانت بالنسبه له امرا عجيبا.

قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَ قَالَ الْآخَرُ إِنِّي أُرَانِي أَخْمَلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْرًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ  
ثُمَّ أَضَافَا بَيِّنَاتٍ بَتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ .

و حول معرفه الفتیین و اطلاعهما على أنّ يوسف له خبره بتأويل الأحلام هناك اقوال بين المفسرين:

قال بعضهم: أنّ يوسف نفسه اخبر السجناء بأنّ له اطلاعا واسعا فى تفسير الأحلام، و قال بعضهم: أنّ سيماء يوسف الملكوتيه كانت تدلّ على أنّه ليس فردا عاديا.. بل هو فرد عارف مّطلع و صاحب فكر و نظر، و لا بدّ ان يكون مثل هذا الشخص قادرا على حلّ مشاكلهم فى تعبير الرؤيا.

و قال البعض الآخر: أنّ يوسف من بدايه دخول السجن برهن - بأخلاقه الحسنه و المعاشره الطيبه للسجناء و خدمتهم و عياده مرضاهم - أنّه رجل صالح و حلّال المشاكل، لذلك كانوا يلتجئون اليه فى حلّ مشاكلهم و يستعينون به.

و هناك ملاحظه جدير ذكرها، و هى أنّ القرآن عبّر بـ «الفتى» مكان «العبد» و هو نوع من الاحترام، و عندنا

فى الحديث «لا يقولنّ أحدكم عبدى و امتى و لكن



فتاى و فتاتى» (١) ليكون العبيد فى مراحل الانعتاق و الحرّيه التى نظّمها الإسلام فى مأمن من كلّ انواع التحقير.

التعبير بـ «إِنِّى أَرَانِى أَعْصِرُ خَمْرًا أَمَّا لِأَنَّهُ رَأَى فِي النَّوْمِ أَنَّهُ يَعْصِرُ الْعَنْبَ لِلشَّرَابِ أَوْ الْعَنْبَ الْمَخْمَرُ الَّذِى فِي الدَّنِّ، وَهُوَ يَعْصِرُهُ لِيَصْفِيَهُ مَسْتَخْرَجًا مِنْهُ الشَّرَابَ، أَوْ أَنَّهُ يَعْصِرُ الْعَنْبَ لِيَقْدِمَ عَصِيرَهُ لِلْمَلِكِ!.. دُونَ أَنْ يَكُونَ خَمْرًا، وَحَيْثُ أَنَّ الْعَنْبَ يُمْكِنُ أَنْ يَتَبَدَّلَ خَمْرًا أَطْلَقَ عَلَيْهِ لَفْظَ الْخَمْرِ.

والتعبير بـ «إِنِّى أَرَانِى بِدَلَالَةٍ مِنْ «إِنِّى رَأَيْتُ» هُوَ بِعَنْوَانِ حِكَايَةِ الْحَالِ، أَيْ إِنَّهُ يَفْرُضُ نَفْسَهُ فِي اللَّحْظَةِ الَّتِى يَرَى فِيهَا الرَّؤْيَا «النَّوْمِ» وَهَذَا الْكَلَامُ لِتَصْوِيرِ تِلْكَ الْحَالِ.

و على كلّ حال فقد اغتنم يوسف مراجعه السجينين له لتعبير الرؤيا-و كان لا يدع فرصه لإرشاد السجناء و نصحهم-و بحجّه التعبير كان يبيّن حقائق مهمه تفتح لهم السبل و لجميع الناس ايضا.

ففى البدايه، و من اجل ان يستلفت اهتمامهما و اعتمادهما على معرفته بتأويل الأحلام الذى كان مثار اهتمامهما و توجيههما قال لا يَأْتِيَكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا .

و بهذا فقد طمأنهما أنّهما سيجدان ضالّتهما قبل وصول الطعام إليهما.

و هناك احتمالات كثيره فى هذه الجملة بين المفسّرين، من جملة: أنّ يوسف قال: انا بأمر الله مطلع على بعض الأسرار، لا أنّى أستطيع تعبیر الأحلام فحسب، بل انا أستطيع حتّى اخباركم بما سيأتىكم من الطعام و ما نوعه و بأى صورته و اى خصوصيه!.

فعلى هذا يكون التأويل بمعنى ذكر خصوصيات ذلك الطعام، و ان كان التأويل قليل الاستعمال فى مثل هذا المعنى طبعاً، و لا سيّما أنّه ورد فى الجملة

ص: ٢٠٧

السابقه بمعنى تعبير الرؤيا.

و الاحتمال الآخر من مقصود يوسف هو: أنّ اى نوع من الطعام ترونه فى النوم فأنا اعرف ما تأويله (و لكن هذا الاحتمال لا ينسجم مع الجملة السابقه) قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا .

فعلى هذا يكون احسن التفاسير للجملة المتقدمه، هو التفسير الاوّل الذى ذكرناه فى بدايه الحديث.

ثم أنّ يوسف أضاف الى كلامه مقرونا بالايان بالله و التوحيد الجارى بجميع ابعاده فى اعماق وجوده، لبيّن بوضوح ان لا شىء يتحقّق الا بإِرادته الله قائلا: ذَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِى رَبِّى و لئلا يتصوّر أنّ الله يمنح مثل هذه الأمور دون حساب، قال إِنِّى تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ هُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ .

و المقصود بهذه المله او الجماعه هم عبده الأصنام بمصر او عبده الأصنام من كنعان.

و ينبغى لى ان اترك مثل هذه العقائد لأنها على خلاف الفطره الانسانيه النقيّه، ثم أنّى تربيت فى اسره الوحي و النبوه و اتبعت ملة آبائى إبراهيم و إسحاق و يعقوب .

و لعلّ هذه هى أوّل مرّه يعرّف يوسف نفسه للسجناء بهذا التعريف، ليعلموا أنّه سليل الوحي و النبوه و قد دخل السجن بريئا.. كبقية السجناء الابرياء فى حكمه الطواغيت.

ثمّ يضيف على نحو التأكيد ما كان لنا أنّ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لَآنَّ أَسْرَتَنَا اسْرَهُ التوحيد... اسره ابراهيم محطّم الأصنام ذلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَ عَلَى النَّاسِ .

و على هذا فلا تتصوّروا أنّ هذا الفضل و الحبّ شملا أسرتنا اهل النبوه فحسب- بل هى الموهبه العامه التى تشمل جميع عباد الله المودعه فى أرواحهم

ص: ٢٠٨

المسمّاه بالفطره حيث يتكاملون بقياده الأنبياء وَ لَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ .

جدير بالذكر و الالتفات أنّ «إسحاق» عدّ في الآيه المتقدّمه في زمرة «آباء يوسف» في حين أنّنا نعرف أنّ يوسف هو ابن يعقوب و يعقوب هو ابن إسحاق، فتكون كلمه أب بهذا مستعمله في الجدّ ايضا.

ص: ٢٠٩

اشاره

يَا صَاحِبِ السِّجْنِ أَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمْ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ (٣٩) مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَ آبَاؤُكُمْ مَا  
أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٤٠) يَا صَاحِبِ  
السِّجْنِ أَمَا أَحَدُكُمَا فَيْسِقِي رَبُّهُ خَمْرًا وَ أَمَّا الْآخَرُ فَيُضِلُّ لُبَّ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ فَضَيَّ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ (٤١) وَ قَالَ لِلَّذِي  
ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنْسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ (٤٢)

التفسير

اشاره

السجن او مركز التربه:

حين هيا يوسف في البحث السابق قلوب السجينين لقبول حقيقه التوحيد،

توجّه إليهما و قال: يَا صَاحِبِي السَّجْنِ أَرَبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ .

فكأنّ يوسف يريد ان يفهم السجينين أنه لم تريان الحريه فى النوم و لا تريانها فى اليقظه؟! أ ليس ذلك من تفرقتكم و شرككم و نفاقكم الذى مصدره عباده الأوثان و الأرباب المتفرقين ممّا سبب ان يتغلب عليكم الطغاه و الجبابره؟! فلم لا تجتمعون تحت رايه التوحيد، و تعتصموا بحبل الواحد القهار، لتطردوا من مجتمعكم هؤلاء الظالمين و الجبابره الذين يسوقونكم الى السجن ابرياء دون ذنب؟! ثم يضيف قائلا: مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَ آبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ بَلْ هِيَ صِنْعٌ عَقُولِكُمُ الْعَاجِزِ وَ افكاركم المنحرفه. إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ فَلَا يَنْبَغِي أَنْ تَطَّأْتُوا رُؤُوسَكُمْ لِسِوَاهِ مِنَ الطَّغَاةِ وَ الْفِرَاعِنِ، ثُمَّ أَضَافَ زِيَادَهُ فِي التَّأْكِيدِ قَائِلًا: أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ .

اي أنّ التوحيد فى جميع ابعاده-فى العباده، فى الحكومه، فى المجتمع، فى المسائل الثقافيه، و فى كلّ شىء- هو الدين الالهى المستقيم و الثابت. وَ لَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ وَ لذلك خضعوا لحكومته غير(الله) فذاقوا الشقاء و السجنون فى هذا السبيل.

و بعد ان ارشد يوسف صاحبه سجنه و دلّهما و دعاهما الى حقيقه التوحيد، بدا بتعبير الرؤيا لهما.. لانّهما من البدايه جاء لهذا الأمر و قد وعدهما بتعبير الرؤيا، و لكنّه اغتنم الفرصه و حدّثهما عن التوحيد الحى و المواجهه مع الشرك، ثمّ التفت إليهما و قال: يَا صَاحِبِي السَّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقَى رَبَّهُ خَمْرًا وَ أَمَّا الْآخَرُ فَيُصَلِّبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ .

و بالرغم من تناسب كلّ رؤيا مع ما عبّره يوسف، فكان معلوما اجمالا من الذى يطلق من السجينين؟ و من الذى يصلب منهما؟ إلا أنّ يوسف لم يرغب فى

ان يبين التعبير بصراحه اكثر من هذه..خاصه و ان فيه خبرا غير مريح،لذلك جعل التعبير تحت عنوان «أحد كما».

ثم أضاف مؤكداً قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفِيآنِ و هو اشاره الى ان هذا التعبير ليس تعبيرا ساذجا، بل هو من انباء الغيب التي تعلمها من الله، فلا مجال للترديد و الكلام بعد هذا.

فى كثير من التفاسير ورد فى ذيل الجملة المتقدمه ان السجين الثانى الذى سمع بالخبر المزعج أخذ يكذب رؤياه و يقول: كنت امزح معك، طائفا ان مصيره سيتبدل بهذا التكذيب، فعقب عليه يوسف بالجملة المتقدمه! و يحتمل ايضا ان يوسف كان قاطعا فى تعبير الرؤيا الى درجه بحيث ذكر الجملة المتقدمه تأكيدا لما سبق بيانه.

و حين احس يوسف ان السجينين سينفصلان عنه عاجلا، و من اجل ان يجد يوما يطلق فيه و يبرأ من هذه التهمه، اوصى احد السجينين الذى كان يعلم انه سيطلق ان يذكره عند الملك و قَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ لکن هذا الغلام «الناسى» مثله مثل الافراد قليلى الاستيعاب، ما ان يبلغوا نعمه ما حتى ينسوا صاحبها، و هكذا نسى يوسف تماما، و لكن القرآن عبر عن ذلك بقوله: فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ و هكذا أصبح يوسف منسيا فلبث فى السَّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ .

هناك اقوال بين المفسرين فى ان الضمير من فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ هل يعود على ساقى الملك، ام على يوسف؟ كثير من المفسرين يعيدون الضمير على يوسف فيكون المعنى: ان الشيطان انسى يوسف ذكر الله فتوسل بسواه.

و لكن مع ملاحظه الجملة السابقه التى تذكر ان يوسف كان يوصى صاحبه ان يذكره عند ربه، يظهر ان الضمير يعود على الساقى نفسه.

و كلمتا «الرَّبِّ» فى المكانين بمعنى واحد.

كما أنّ جملة وَ اذْكَرْ بَعْدَ اَمِّهِ التي ستأتى فى الآيات التالیه، تدلّ على أنّ الذى نسى هو الساقى.

و لكن سواء عاد الضمير على يوسف ام على صاحبه، فما من شكّ من أنّ يوسف توّسل بالغير فى سبيل نجاه نفسه! و بديهى أنّ مثل هذا التوسّل للنجاه من السجن و من سائر المشاكل، ليس امرا غريبا بالنسبه للافراد العاديين، و هو من قبيل التوسّل بالأسباب الطبيعیه، و لكن بالنسبه للافراد الذين هم قدوه و فى مكانه عاليه من الايمان و التوحيد، لا يمكن ان يخلو من إيراد، و لعلّ هذا كان سببا فى بقاء يوسف فى السجن بضع سنين، إذ لم يرض الله سبحانه ليوسف «ترك الاولى»!

فى حديث عن النبى صلّى الله عليه و آله و سلّم أنّه قال: «عجيب من اخى يوسف كيف استغاث بالمخلوق دون الخالق؟» و

روى أنّه قال: «لو لا كلمته ما لبث فى السجن طول ما لبث» يعنى قوله اذْكَرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ .

و

روى عن أبى عبد الله الصادق عليه السّلام قال: «جاء جبرئيل عليه السّلام فقال: يا يوسف من جعلك احسن الناس؟ قال: ربّى، قال: فمن حبّيك الى أبيك دون إخوانك؟ قال: ربّى، قال: فمن ساق إليك السياره؟ قال: ربّى، قال: فمن صرف عنك الحجاره؟ قال:

ربّى، قال: فمن أنقذك من الجبّ؟ قال: ربّى، قال: فمن صرف عنك كيد النسوه؟ قال: ربّى، قال: فإنّ ربّك يقول: ما دعاك الى ان تنزل حاجتك بمخلوق دونى؟ البث بالسجن بما قلت بضع سنين» (١).

ص: ٢١٣

## ١- السجن مركز للإرشاد أو بؤره للفساد

للسجن تاريخ مؤلم و مثير للغم جدًا في هذا العالم، فأسوأ المجرمين و احسن الناس كلاهما دخل السجن، و لهذا السبب كان مركزا دائما لافضل الدروس البناءه او لأسوأ الاختبارات.

و في الحقيقه انّ السجنون التي يجتمع فيها المفسدون تعدّ معهدا عاليا للفساد! ففي هذه السجنون تتمّ مبادله الخطط التخريبية و التجارب.. و كلّ منحرف يعلم درسه للآخرين، و لهذا السبب حين يطلقون من السجن يواصلون طريقهم بأسلوب اكثر مهاره من السابق و بتشكيل جديد... إلا ان يلتفت مسئولو السجن لهذا الموضوع، و يعملوا على تغيير هؤلاء الافراد الذين فيهم الاستعداد و القابليه الى عناصر صالحه و مفيده و بناءه.

و اما السجنون التي تتشكّل من الصالحين و الابرياء و النزيهين و المجاهدين في طريق الحقّ و الحريه، فهي معاهد و مراكز لتعليم الدروس العقائديه و الطرق العمليه للجهاد و المبارزه و البناء.

و هذه السجنون تعطى فرصه طيبه للمنافحين في طريق الحقّ ليؤدّوا دورهم، و ينسّقوا جهودهم بعد التحرّر من هذه السجنون.

و حين انتصر يوسف على امراه محتاله ماكره متّبعه لهواها- كامرأه عزيز مصر- و دخل السجن، سعى ان يبّدل محيط السجن الى محيط بناء و مركز للتعليم و التريبه، حتّى أنّه وضع أساس حريته و حريه الآخرين ضمن تخطيطه هناك.

و هذا الماضي يعطينا درسا مهمّا، و هو انّ الإرشاد و التريبه ليسا محدودين في مركز معيّن كالمسجد و المدرسه- مثلا- بل ينبغي ان يستفاد من كلّ فرصه سانحه للوصول الى هذا الهدف، حتّى و لو كانت في السجن و تحت أثقال القيود.

أما عدد السنوات التي قضاها يوسف في السجن، فهناك اقوال بين



المفسرين، والمشهور أنها سبع سنوات، إلا أن بعضهم قال: إن يوسف بقي في السجن اثنتى عشره سنه، خمس قبل رؤيا صاحبي سجنه، و سبع بعدها، و كانت سنوات ملأى بالتعب و النصب إلا أنها من جهة الإرشاد كانت سنوات مفعمه بالبركه و الخير (١).

## ٢- حين يصب المملحون

! من الطريف أننا نقرا في هذه القصه ان الذى راى فى منامه انه يعصر خمرا و يقدمه للملك قد تحرر و اطلق من السجن، و ان الذى راى انه يحمل فوق رأسه خبزا تأكل الطير منه قد صعد عود المشنقه.

أليس مفهوم هذا ان الذين هم على خطى الشهوات و فى محيط المفسدين و انظمه الطغاه ينالون الحريره، و اما الذين يقدمون خدمه للمجتمع و يعطون الخبز للناس فليس من حقهم الحياه! و ينبغى ان يموتوا؟ فهذا نسيج المجتمع الذى يحكمه النظام الفاسد.. و هذه نهايه الصالحين فى أمثال هذا المجتمع!.

صحيح ان يوسف-اعتمادا على الوحي الالهى و علم التعبير-توقع ما كان، و لكن اى معبر لا يمكن له ان يبعد عن نظره هذه المناسبات! ففى الحقيقه ان الخدمه فى مثل هذه المجتمعات ذنب عظيم، و الخيانه و الاساءه هى الثواب بعينه!.

## ٣- اكبر دروس الحريره

رأينا ان اكبر درس علمه يوسف للسجناء هو درس التوحيد و عباده الله الواحد الأحد، ذلك الدرس الذى حصيلته الحريره و التحرر.

لقد كان يعرف ان الأرباب «المتفرقين» و المعبودين المختلفين و الاهداف

ص: ٢١٥

---

(١- ١) لزياده الإيضاح فى سنوات سجن يوسف يراجع تفسير المنار، و القرطبي، و الميزان، و الفخر الرازى.

المتفرقه، كلُّها أساس التفرقه فى المجتمعات، و طالما هناك تفرقه فالجباريه مسلطون على رقاب الناس، لذلك اعطى يوسف «دستورا» و امرا بقطع جذورهم بسيف التوحيد الباتر، لئلا يضطروا الى رؤيه الحرّيه فى الأحلام و المنام، بل ينبغى ان يشاهدوا الحرّيه فى اليقظه.

ترى، أليس الجباريه المسلطون على رقاب الناس هم ثلّه من الافراد يستطيع الناس مكافحتهم، إلا أنّهم بإيجاد التفرقه و النفاق، و عن طريق «الأرباب المتفرقين» استطاعوا ان يتحكّموا على رقاب الناس و يهدّوا قوى المجتمع!.

و من الطبيعى ان يكون اليوم الذى تجتمع فيه الأمم على كلمه التوحيد و توحيد الكلمه تحت رايه «الله الواحد القهار» و يجمعوا قواهم، هو يوم زوال أولئك الجباريه الظالمين، و هذا درس مهم جدّا ليومنا و غدنا و لجميع الناس فى كلّ المجتمعات البشريه و على امتداد التاريخ.

و من الضرورى ان نلتفت الى هذه المسأله الدقيقه، و هى انّ يوسف يقول:

□ □  
إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ

ثمّ يؤكّد أنّ العباده و الخضوع لا تكونان إلاّ له أَمْرٌ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ □ □ و يؤكّد بعد ذلك بالقول: □ □ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ □ □ و يعقّب أخيرا □ □ وَ لَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ □ □ .

فعلى هذا لو تعلّم الناس المعارف الصحیحه و عرفوا الحقيقه، و نهضت فيهم حقيقه التوحيد، فإنّ المشاكل ستتحلّ لا محاله.

#### ٤- استغلال شعار بناء بشكل سيئ

□ □  
شعار إن الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ الذى هو شعار قرآنى ايجابى مثبت، ينفى ايّه حكمه كانت سوى حكمه الله او ما تنتهى اليه حكمه الله، إلاّ أنّه - و للأسف - استغلّ على امتداد التاريخ بشكل عجيب، و من ذلك استغلال الخوارج لهذا الشعار فى واقعه «النهر وان» حيث كانوا أناسا جامدين حمقى قشريين منحرفين

جدًا..فتمسكوا بهذا الشعار لنفى التحكيم فى حرب صفين و قالوا:لا- يصحّ الحكم لنهايه الحرب او الخليفه لانّ الله يقول: **إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ** .

لقد كانوا غافلين او متغافلين عن هذه المسأله البديهيّه،و هى أنّ التحكيم إذا كان قد تعيّن من ائمّه امر الله باتباعهم فحكمهم ايضا حكم الله لانه ينتهى اليه.

صحيح أنّ الحكمين فى حرب صفين لم يتمّ تعيينهما من قبل الامام على عليه السّلام،و لو كان الامام امير المؤمنين على عليه السلام عينهما فإنّ حكمهما حكمه،و حكم على حكم النّبى صلّى الله عليه وآله و سلم و حكم النّبى حكم الله.

و هل يا ترى يحكم الله او يقضى مباشره بين المجتمعات!او يتولّى امور الناس اشخاص من جنسهم،غايه ما فى الأمر ينتهى أمرهم الى الله؟!و لكن الخوارج و دون ان يتوجّهوا الى هذه الحقيقه الواضحه اشكلوا على اصل قصّه التحكيم على الامام على عليه السلام و حتّى عدّوه-و العياذ بالله-زيغا منه،يا لهذا الجهل و الجمود و البلاده.

و هكذا فإنّ مثل هذه الأمور البناءه حين تقع بأيدي افراد جهّال تتحوّل الى أسوأ الوسائل التخريبيّه.

و فى هذا اليوم نرى مجموعه من الناس من ضعاف النفوس الذين لا يقلّون عن أولئك جهلا و لجاجه،تمسّكوا بالآيه المتقدّمه لنفى التقليد عن المجتهدين، او نفى صلاحيّه حكومتهم،لكن جوابهم جميعا هو ما ذكرناه آنفا.

## ٥- التوجّه لغير الله

التوحيد لا يتلخّص فى أنّ الله تعالى احد فرد،بل ينبغى ان يتجسّد فى جميع شؤون الحياه،و احد ابرز علائمّه أنّ الإنسان الموحد لا يعتمد على غير الله و لا يلتجئ الا اليه.

نحن لا نقول يجب على الإنسان ان لا يلحظ عالم الأسباب و قانون العليّه لا

يرى الأسباب شيئاً، ولا يعتمد على الوسائل و الأسباب، بل نقول: إن لا يرى تأثيراً واقعياً في السبب، بل يرى راس الخيط في جميع الأمور بيد مسبب الأسباب. و بتعبير آخر: لا يرى للأسباب استقلالاً، بل يراها تحت هيمنه الذات المقدسه لله سبحانه.

و يمكن ان يكون عدم توجه الافراد العاديين لهذه الحقيقه الكبرى مدعاه للعفو، و لكن عدم الالتفات و لو بمقدار راس الابره بالنسبه لأولياء الله يكون سببا لمجازاتهم، و ان لم يكن اكثر من «ترك الاولى» و رأينا كيف ان يوسف بسبب عدم توجهه لهذه المسأله المهمه امتد حبسه سنوات لينضج آخرها في «موقد» الحوادث، و ليحصل على استعداد اكبر لمواجهة الطغاه، و ليعلم أنه لا ينبغي الاعتماد الآ على الله. و على المظلومين الذين يسرون في طريق (الله).

و هذا درس كبير لمن يطوى هذه الطريق و للمجاهدين الصادقين بأن لا يخطر ببالهم الاتفاق مع الشيطان لضرب شيطان آخر!.. و لئلا يميلوا الى الشرق او الغرب، و لا يغذون الخطى الآ على الجاده الوسطى و هي «الصراط المستقيم».

وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ  
 إِنَّ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ (٤٣) قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالَمِينَ (٤٤) وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّهُ أَنَا  
 أُبْتِكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ (٤٥) يُوسُفُ أَيُّهَا الصَّادِقُ افْتِنَّا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ  
 يَابِسَاتٍ لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ (٤٦) قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ  
 (٤٧) ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَحْصِنُونَ (٤٨) ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ  
 النَّاسُ وَفِيهِ يَعْرِضُونَ (٤٩)

## رؤيا ملك مصر و ما جرى له:

بقى يوسف سنين فى السجن المظلم كأى انسان منسى، و لم يكن لديه من عمل الأبناء شخصيته، و ارشاد السجناء و عياده مرضاهم و تسليه الموجعين منهم.

حتى غيرت (حظه و طالعه) حادثه صغيره بحسب الظاهر.. و لم تغير هذه «الظاهره» حظه فحسب، بل حظ امه مصر و ما حولها.

لقد راي ملك مصر الذى يقال ان اسمه هو «الوليد بن الريان» و كان «عزيز مصر وزيره» راي هذا الملك رؤيا مهوله، فأحضر عند الصباح المعبرين للرؤيا و من حوله فقص عليهم رؤياه و قال المَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَ سَبْعَ سُبُلَاتٍ خُضْرٍ وَ أُخْرَى يَابِسَاتٍ ثُمَّ التفت إليهم طالبا منهم تعبير رؤياه فقال: يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِنَّ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ .

و لكن حاشيه السلطان وجموا إزاء هذه الرؤيا و قالوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ وَ مَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالَمِينَ .

«الأضغاث» جمع «ضغث» على وزن (حرص) و معناه المجموعه من الحطب او العشب اليابس او الأخضر او شىء آخر، و «الأحلام» جمع «حلم» على وزن «رخم» معناه الطيف و الرؤيا، فيكون معنى أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ هو الاطياف المختلطة، فكأنها متشكله من مجموعه مختلفه و متفاوته من الأشياء، و جاءت كلمه الأحلام فى جملة و مَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالَمِينَ مسبوقة بالألف و اللام العهديه و هى اشاره الى ان المعبرين غير قادرين على تأويل مثل هذه الأحلام.

و من اللازم ذكر هذه المسأله الدقيقه و هى: ان اظهار عجز أولئك فى الحقيقه كان من اجل ان المفهوم الواقعى لهذه الرؤيا عندهم غير واضح، و لذلك عدوها

ضمن الأحلام المختلطة و«الأضغاث» حيث قَسَمُوا الأحلام الى قسمين:

أحلام ذات معنى و هي قابله للتعبير.

و أحلام مختلطة لا معنى لها حيث لم يجدوا لها تعبيراً و تأويلاً..و كانوا يعدّون هذا النوع نتيجة قوّه الخيال،على العكس من النوع الأوّل الذى يعدّونه نتيجة اتّصال الروح بعالم الغيب.

كما أنّ هناك احتمال آخر،و هو أنّهم توقّعوا ان تقع حوادث مزعجه فى المستقبل،و ما اعتاد عليه حاشيه الملوّك و الطغاه هو ذكر المسائل المريحه لهم فحسب،و كما يصطلح عليه ما فيه طيب الخاطر،و يمتنعون عن ذكر ما يزعجهم، و هذا احد اسباب سقوط مثل هذه الحكومات المتجبره! هنا يرد سؤال،و هو: كيف تجرّأ هؤلاء امام السلطان،بقولهم جواباً لسؤاله عن رؤياه أنّها أَضْغَاثٌ أَحْلَامٌ فى حين أنّ المعروف عند حاشيه السلطان أنّ تفلسف كلّ حركه منه و لو كانت بغير معنى و يفسّرونها تفسيراً مقبولاً.

من الممكن أنّهم رأوا الملك مهموماً من هذه الرؤيا،و كان من حقّه ذلك لأنّه رأى سَبَّحَ بَقَرَاتٍ سَيِّمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبَّحٌ عَجَافٌ وَ سَبَّحٌ سُثْبَاتٍ خُضِرٌ وَ أُخْرٌ يَابِسَاتٍ .

الا يدلّ ذلك على أنّ من الممكن أنّ افراداً ضعافاً يتسلّمون السلطه من يده على حين غرّه؟! لذلك قالوا له: أَضْغَاثٌ أَحْلَامٌ ليرفعوا الكدوره عن خاطره،اي:لا تتأثّر بما هنالك امر مهم،و هذه الأحلام لا يمكن ان تكون دليلاً على اى شىء.

و هناك احتمال آخر ذكره المفسّرون و هو أنّ مرادهم من أَضْغَاثٌ أَحْلَامٌ لم يكن أنّ هذه الأحلام لا تأويل لها،بل المراد أنّ مثل هذه الأحلام ملتويه و مجموعه من امور مختلفه،و هم غير قادرين على تأويل مثل هذه الأحلام،فهم لم ينكروا إمكان وجود أستاذ ماهر و قادر على تأويل هذه الرؤيا،و أنّما أظهرها

عجزهم عن التعبير و التأويل فحسب.

و هنا تذكر ساقى الملك ما حدث له و لصاحبه فى السجن مع يوسف، و نجا من السجن كما بشره يوسف و قَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا  
وَ اذْكَرْ بَعْدَ اُمَّه اَنَا اُتْبِكُمْ بِتَاوِيلِهِ فَاَرْسَلُونِ .

اجل فى زاويه السجن يعيش رجل حى الضمير طاهر القلب مؤمن و قلبه مرآه للحوادث المستقبلية، انه الذى يستطيع ان يكشف  
الحجاب عن هذه الرؤيا المغلقة و يعتبرها.

جملة فَاَرْسَلُونِ تشير الى ان من الممكن ان يكون يوسف ممنوع المواجهه، و كان الساقى يريد ان يأذن الملك و من حوله  
بمواجهته لهذا الشأن.

و هكذا حرّك كلام الساقى المجلس و شخصت الأبصار نحوه، و طلبوا منه الاسراع بالذهاب اليه و الإتيان بالخبر.

مضى الساقى الى السجن ليرى صديقه القديم.. ذلك الصديق الذى لم يف بوعده له، لكنه ربّما كان يعرف ان شخصيه يوسف  
الكريمه تمنعه من فتح «باب العتاب» فالتفت اليه و قال: يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَيِّعِ بَقَرَاتِ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَنَعٌ عِجَافٌ وَ سَنَعِ  
سُبُلَاتٍ خُضِرٍ وَ أُخْرٍ يَا بِسَاتٍ لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ .

كلمه «الناس» تشير الى احتمال ان رؤيا الملك صيرها أطرافه المتملقون و حاشيته حادته مهمه لذلك اليوم، فنشروها بين الناس و  
عمّموا حاله «القلق» من القصر الى الوسط الاجتماعى العام.

و على كلّ حال فإن يوسف دون ان يطلب شرطا او قيادا او اجرا لتعبيره عبر الرؤيا فورا تعبيرا دقيقا لا غموض فيه و لا حجاب  
مقرونا بما ينبغى عمله فى المستقبل و قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَابًّا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُبُلِهِ إِلَّا



ثُمَّ أَنَّهُ يَحُلُّ بِكُمْ الْقَحْطَ لِسَبْعِ سِنِينَ مُتَوَالِيَةٍ فَلَا امْطَارَ وَلَا زَرَاعَهُ كَافِيَةً، فَعَلَيْكُمْ بِالِاسْتِفَادَةِ مِمَّا جَمَعْتُمْ فِي سَنَةِ الرِّخَاءِ ثُمَّ يَأْتِي مِنَ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعُ شِدَادٍ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ .

وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ أَنْ تَحْذَرُوا مِنْ اسْتِهْلَاكِ الطَّعَامِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تُحْصِتُمْ نُونًا وَإِذَا وَاظَبْتُمْ عَلَى هَذِهِ الْخَطِّهِ فَحَيْثُ لَا خَطَرَ يَهْدِدْكُمْ لِأَنَّهُ ثُمَّ يَأْتِي مِنَ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ ..

وَيُغَاثُ النَّاسُ أَي يَدْرِكُهُمُ الْغَيْثُ فَتَكْثُرُ خَيْرَاتُهُمْ، وَلَيْسَ هَذَا فَحَسْبَ، بَلْ فِيهِ يَعْصِرُونَ الْمَحَاصِيلَ لِاسْتِخْرَاجِ الدَّهْنِ وَالْفَاكِهَةِ لِشَرَابٍ عَصِيرِهَا..إِلْخ.

#### ملاحظات

١- كم كان تعبير يوسف لهذه الرؤيا دقيقا و محسوبا، حيث كانت البقره فى الأساطير القديمه مظهر «السنه»..و كون البقرات سمانا دليل على كثره النعمه، و كونها عجافا دليل على الجفاف و القحط، و هجوم السبع العجاف على السبع السمان كان دليلا على ان يستفاد من ذخائر السنوات السابقه.

و سبع سنبلات خضر و قد أحاطت بها سبع سنبلات يابسات تأكيد آخر على هاتين الفترتين فتره النعمه و فتره الشده.

اضافه الى انه أكد له على هذه المسأله الدقيقه، و هى خزن المحاصيل فى

ص: ٢٢٣

١- ١) كلمه «داب» على وزن «ادب» تعنى فى الأصل ادامه الحركه، كما انها بمعنى العاده المستمره، فيكون معنى الكلام: عليكم ان تزرعوا تبعا لعاداتكم المستمره فى مصر و لكن ينبغى ان تقتصدوا فى مصرفه..و يحتمل ان يكون المراد منه ان تزرعوا بجهد و جهد اكثر فأكثر لأن دأبا و دؤوبا بمعنى الجدّ و التعب ايضا، اى اعملوا حتى تتعبوا.

سنا بلها لئلا تفسد بسرعه و ليكون حفظها الى سبع سنوات ممكنا.

و كون عدد البقرات العجاف و السنابل اليابسات لم يتجاوز السبع لكل منهما دليل آخر على انتهاء الجفاف و الشده مع انتهاء تلك السنوات السبع..و بالطبع فإن سنه سيأتي بعد هذه السنوات سنه مليئه بالخيرات و الأمطار، فلا بد من التفكير للبذر فى تلك السنه و ان يحتفظوا بشيء مما يخزن لها.

فى الحقيقه لم يكن يوسف مفسيرا بسيطا للأحلام، بل كان قائدا يخطط من زاويه السجن لمستقبل البلاد، و قد قدم مقترحا من عدّه مواد لخمسه عشر عاما على الأقل، و كما سنرى فإنّ هذا التعبير المقرون بالمقترح للمستقبل حرّك الملك و حاشيته و كان سببا لانقاذ اهل مصر من القحط القاتل من جهه، و ان ينجو يوسف من سجنه و تخرج الحكومه من ايدى الطغاه من جهه اخرى.

٢-مرّه اخرى تعلّمنا هذه القصّه هذا الدرس الكبير و هو أنّ قدره الله اكبر ممّا تتصوّر، فهو القادر بسبب رؤيا بسيطه يراها جبابره الزمان أنفسهم ان ينقذ امه كبيره من فاجعه عظيمه، و يخلص عبده الخالص بعد سنين من الشدائد و المصائب ايضا.

فلا بد ان يرى الملك هذه الرؤيا، و لا بد ان يحضر الساقى عنده يتذكّر رؤياه فى السجن، و ترتبط أخيرا حوادث مهمّه بعضها ببعض، فالله تعالى هو الذى يخلق الحوادث العظيمه من توافه الأمور.

اجل، ينبغى لنا توكيد ارتباطنا القلبي مع هذا الربّ القادر..

٣-الأحلام المتعدده فى هذه السوره، من رؤيا يوسف نفسه الى رؤيا السجينين الى رؤيا فرعون مصر، و الاهتمام الكبير الذى كان يوليه اهل ذلك العصر بالنسبه لتعبير الرؤيا أساسا، يدلّ على أنّ تعبير الرؤيا فى ذلك العصر كان من العلوم المتقدمه، و ربّما وجب-لهذا السبب- ان يكون نبى ذلك العصر-اى

(يوسف)-مطلعاً على مثل هذا العلم الى درجه عاليه بحيث يعدّ اعجازاً منه.

أليست معاجز الأنبياء يجب ان تكون من ابرز العلوم في زمانهم، ليحصل اليقين-عند العجز من قبل علماء العصر-بأنّ مصدر العلم الذي يحمله نبيّهم هو الله!.

ص: ٢٢٥

اشاره

وَ قَالَ الْمَلِكُ ائتوني به فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارجعْ اِلى رَبِّكَ فَمَا نَلَكَ مِنَ النِّسْوَةِ الَّتِي قَطَعْنَ اَيْدِيَهُنَّ اِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ  
(٥٠) قَالَ مَا خَطْبُكَ اِذْ رَاوَدْتَنِّي يُوْسُفُ عَنْ نَفْسِهِ قُلْنَ حَاشَ لِلّٰهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ قَالَتْ اِمْرَاةُ الْعَزِيْزِ اَلَا اَنْ حَصِيْحَصَ الْحَقُّ اَنَا  
رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَاِنَّهٗ لَمِنَ الصّٰدِقِيْنَ (٥١) ذٰلِكَ لِيَعْلَمَ اَنِّي لَمْ اَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَاَنَّ اللّٰهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخٰثِيْنَ (٥٢) وَاَمَّا اُبْرِيْءُ  
نَفْسِيْ اِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوْءِ اِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيْ اِنَّ رَبِّيْ غَفُوْرٌ رَّحِيْمٌ (٥٣)

التفسير

اشاره

تبرئه يوسف من كل اتهام

! لقد كان تعبير يوسف لرؤيا الملك- كما قلنا- دقيقا و مدروسا و منطقيا الى درجه انه جذب الملك و حاشيته اليه، إذ كان يرى ان سجيننا مجهولا عبر رؤياه بأحسن تعبير و تحليل، دون ان ينتظر ايّ اجر او يتوقع امرا ما.. كما انه اعطى

لقد فهم الملك اجمالاً انّ يوسف لم يكن رجلاً يستحقّ السجن، بل هو شخص اسماً مقاماً من الإنسان العادى، دخل السجن نتيجة حادث خفى، لذلك تشوّق لرؤيته، و لكن لا ينبغي للملك ان ينسى غروره و يسرع الى زيارته، بل امر ان يؤتى به اليه كما يقول القرآن: وَقَالَ الْمَلِكُ اَتْتُونِي بِهِ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ لم يوافق يوسف على الخروج من السجن دون ان يثبت براءته، فالتفت الى رسول الملك وَقَالَ ارْجِعْ اِلَى رَبِّكَ فَسَأَلَهُ مَا بَالَ النُّسُوهِ اللّٰتِي قَطَعْنَ اَيْدِيَهُنَّ اذن..

فيوسف لم يرغب ان يكون كأي مجرم، او على الأقل كأي متهم يعيش مشمولاً ب«عفو الملك».. لقد كان يرغب أولاً ان يحقّق في سبب حبسه، و ان تثبت براءته و طهاره ذيله، و يخرج من السجن مرفوع الراس، كما يثبت ضمناً تلوث النظام الحكومى و ما يجرى فى قصر وزيره!

اجل لقد اهتمّ بكرامه شخصيته و شرفه قبل خروجه من السجن، و هذا هو نهج الأحرار.

الطريف هنا انّ يوسف فى عبارته هذه أبدى سمواً فى شخصيته الى درجه انه لم يكن مستعداً لانّ يصرّح باسم امراه العزيز التى كانت السبب المباشر فى اتّهامه و حبسه، بل اكتفى بالاشارة الى جماعه النسوه اللاتى لهنّ علاقه بهذا الموضوع فحسب.

ثمّ يضيف يوسف: إذا لم يعلم سبب سجنى شعب مصر و لا جهازه الحكومى و بأى سبب وصلت السجن، فالله مطلع على ذلك  
إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ .

عاد المبعوث من قبل الملك الى يوسف مرّه ثانيه الى الملك، و أخبره بما طلبه يوسف مع ما كان من إباطه و علوّ همّته، لذا عظم يوسف فى نفس الملك و بادر مسرعاً الى إحضار النسوه اللاتى شاركن فى الحادثه، و التفت اليهنّ قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدْتُنَّ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ يَجِبُ ان تَقُلْنَ الْحَقَّ.. هل ارتكب

يوسف خطيئه او ذنبا؟ فتَيَقِّظُ فجأه الوجدان النائم في نفوسهنّ، و أجبنه جميعا بكلام واحد-متفق على طهارته و قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ .

أما امراه العزيز التي كانت حاضره ايضا، و كانت تصغى بدقه الى حديث الملك و نسوه مصر، فلم تجد في نفسها القدره على السكوت، و دون ان تسأل احسّت بأنّ الوقت قد حان لأنّ تنزّه يوسف و ان تعوّض عن تبكيت وجدانها و حيائها و ذنبها بشهادتها القاطعه في حقّه، و خاصّه أنّها رأت كرم يوسف المنقطع النظير من خلال رسالته الى الملك، إذ لم يعرّض فيها بالظن في شخصيتها و كان كلامه عامّا و مغلقا تحت عنوان «نسوه مصر».

فكأنّما حدث انفجار في داخلها فجأه و صرخت و قَالَتِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَأَوْتُهُ عَنِ نَفْسِي وَإِنَّهُ لَمِنَ الصّٰدِقِيْنَ

ثمّ واصلت امراه العزيز كلامها ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ لِأَنِّي عَرَفْتُ بَعْدَ هَذِهِ الْمَدَّةِ الطَّوِيلَةِ وَ مَا عِنْدِي مِنَ التَّجَارِبِ أَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ .

في الحقيقه (بناء على أنّ الجملة المتقدّمه لامراه العزيز كما يقتضيه ظاهر العبارة) فإنّها و من اجل اعترافها الصريح بنزاهه يوسف و ما اخطأته في حقّه، تقيم دليلين:

الاول: أنّ وجدانها، و يحتمل بقايا علاقتها بيوسف، لا تسمح لها ان تستر الحقّ اكثر من هذا، و ان تخون هذا الشاب الطاهر في غيابه.

الثاني: أنّ من مشاهدته الدروس المليئه بالعبر على مرور الزمن تجلّت لها هذه الحقيقه، و هي أنّ الله يرفع الصالحين و لا يوفق الخائنين في مرادهم ابدا.

و بهذا بدأت الحجب تنقشع عن عينيها قليلا- قليلا. و تلمس حقيقه الحياه و لا سيّما في هزيمه عشقها الذي صنع غرورها و شخصيتها الخياليه، و انفتحت

عينها على الواقع اكثر، فلا عجب ان تعترف هذا الاعتراف الصريح.

و تواصل امرأه العزيز القول: **وَ مَا أَبْرَأُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي** و بحفظه و اعانتة نبقي مصونين، و انا أرجو ان يغفر لى ربى هذا الذنب إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ .

قال بعض المفسرين: ان الآيتين الأخيرتين من كلام يوسف، و قالوا: أنهما فى الحقيقة تعقيب لما قاله يوسف لرسول الملك و معنى الكلام يكون هكذا.

«إذا قلت حَقَّقُوا عن شأن النسوة اللائى قَطَّعْنَ أيديهن، فمن اجل ان يعلم الملك او عزيز مصر الذى هو وزيره، انى لم اخنه فى غيابه و الله لا يهدى كيد الخائنين كما لا أبرئ نفسى لان النفس اماره بالسوء الا ما رحم ربى ان ربى غفور رحيم».

الظاهر ان الهدف من هذا التفسير المخالف لظاهر الآيه أنهم صعب عليهم قبول هذا المقدار من العلم و المعرفة لامراه العزيز التى تقول بلحن مخلص و حاك عن التتبه و التيقظ.

و الحال انه لا يبعد ان الإنسان حين يرتطم فى حياته بصخره صماء، تظهر فى نفسه حاله من التيقظ المقرون بالاحساس بالذنب و الخجل، خاصه انه لوحظ ان الهزيمه فى العشق المجازى يجر الإنسان الى طريق العشق الحقيقى «عشق الله».

و بالتعبير علم النفس المعاصر: ان تلك الميول النفسيه المكبوتة يحصل فيها حاله ال«تصعيد» و بدلا من تلاشيها و زوالها فانها تتجلى بشكل عال.

ثم ان قسما من الروايات التى تشرح حال امرأه العزيز- فى السنين الاخيريه من حياتها- دليل على هذا التيقظ و الانتباه ايضا.

و بعد هذا كله فربط هاتين الآيتين بيوسف- الى درجه ما- بعيد، و هو خلاف الظاهر بحيث لا ينسجم مع اى من المعايير الادبيه للأسباب الآتية:

أولاً: كلمه «ذلك» التي ذكرت في بدايه الآيه هي بعنوان ذكر العله، اي عله الكلام المتقدم الذي لم يكن سوى كلام امراه العزيز فحسب، و ربط هذا التذييل بكلام يوسف الوارد في الآيات السابقه امر عجيب.

ثانياً: إذا كانت هاتان الآيتان بيانا لكلام يوسف فسيبدو بينهما نوع من التناقض و التضاد، فمن جهه يقول: أتى لم اخنه بالغيب، و مرّه يقول: و ما أبرئ نفسي أنّ النفس لامّاره بالسوء. و هذا الكلام لا يقوله إلا من يعثر او يزل و لو يسيرا، في حين أنّ يوسف لم يصدر منه اي زلل.

و ثالثاً: إذا كان مقصوده ان يعرف عزيز مصر أنّه برىء فهو من البدايه «بعد شهاده الشاهد» عرف الواقع، و لذلك قال لامراته: اِسْتِغْفِرِي لِذَنْبِكِ و إذا كان مقصوده أنّه لم يخن الملك، فلا- علاقه للملك بهذا الأمر، و التوسل الى تفسيرهم هذا بحجّه أنّ الخيانه لامراه العزيز خيانه للملك الجبار، فهو حجّه واهيه- كما يبدو- خاصّه أنّ حاشيه القصر لا يكثرثون بمثل هذه المسائل.

و خلاصه القول: أنّ هذا الارتباط في الآيات يدلّ على أنّ جميع ما ورد في السياق من كلام امراه العزيز التي انتهت و تيقّظت و اعترفت بهذه الحقائق.

## ملاحظات

## اشاره

### ١- هذه عاقبه التقوى

رأينا في هذا القسم من قصه يوسف أنّ عدوّته المعانده «زليخا» اعترفت أخيراً بطهارته، كما اعترفت بذنبتها و خطئها.. و ببراءته.. و هذه عاقبه التقوى و طهاره الثوب، و هذا معنى قوله تعالى: وَ مَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً وَ يَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ .

فكن طاهرا و استقم في طريق «الطهاره» فالله حاميك و لا يسمح للملوّثين



ان يسيئوا إليك.

## ٢- الهزائم التي تكون سببا للتيقظ

لا- تكون الهزائم هزائم دائما، بل- في كثير من الأحيان- تعدّ الهزيمة هزيمة في الظاهر الآ- أنّها في الباطن نوع من الانتصار المعنوي، وهذه هي الهزائم التي تكون سببا لتيقظ الإنسان، و تشقّ حجب الغفلة و الغرور عنه، و تعدّ نقطه انعطاف جديده في حياته.

فأمرأه العزيز التي تدعى «زليخا» أو «راعىل» و إن ابتليت في عملها بأشدّ الهزائم، لكن هذه الهزيمة في مسير الذنب كانت سببا لأنّ تنتبه و يتيقظ وجدانها النائم، و ان تندم على ما فات من عملها.. و التفتت الى ساحه الله. و ما ينقل من قصتها بعد لقائها ليوسف و هو عزيز مصر- آئنذ- شاهد على هذا المدعى، إذ قالت:

«الحمد لله الذى جعل العبيد ملوكا بطاعته و جعل الملوك عبيدا بمعصيته».

و نقرا في نهايه الحديث أنّ يوسف تزوّج منها أخيرا (١).

السعداء هم أولئك الذين يصنعون من الهزائم انتصارا، و من سوء الحظّ حظا حسنا، و من اخطائهم طريقا صحيحا للحياه.

و بالطبع فليس ردّ الفعل من قبل جميع الافراد إزاء الهزائم هكذا...

فالأشخاص الضعاف حين تصيبهم الهزيمة ييأسون و يكتنف القنوط جميع وجودهم، و قد يؤدى بهم الى الانتحار و هذه هي الهزيمة الحقيقيه.

لكن الذين يشعرون بكرامتهم و شخصيتهم، يسعون لان يجعلوا الهزائم سلما لصعودهم و ترقّيهم و جسرا لانتصارهم.

ص: ٢٣١

### ٣- الحفاظ على الشرف خير من الحريره الظاهره

رأينا أنّ يوسف لم يدخل السجن لطهاره ثوبه فحسب، بل لم يكن مستعدًا للخروج من السجن حتّى يعود مبعوث الملك و يجرى التحقيقات حول النسوه اللائى قطعن أيديهن لتثبت براءته و يخرج من السجن مرفوع الراس...لا- ان يخرج كأى مجرم ملوث يشمله عفو الملك!! و ذلك ذلّ و اى ذلّ! و هذا درس لكلّ الناس فى الماضى و الحاضر و المستقبل.

### ٤- النفس الامّاره «التمرده»

يقسم علماء النفس و الأخلاق النفس «و هى الإحساسات و الغرائز و العواطف الانسانيه» الى ثلاثه مراحل، و قد أشار إليها القرآن المجيد:

المرحله الاولى: «النفس الامّاره» و هى النفس التى تأمر الإنسان بالذنب و تجرّه الى كلّ جانب، و لذا سمّوها «امّاره» و فى هذه المرحله لا- يكون العقل و الايمان قد بلغا مرحله من القدره ليكبحا جماحها، بل فى كثير من المواقع يستسلمان للنفس الامّاره، و إذا تصارعت النفس الامّاره مع العقل فى هذه المرحله فإنّها ستهزمه و تطرحه أرضا.

و هذه المرحله هى التى أشير إليها فى الآيه المتقدمه، و جرت على لسان امراه العزيز بمصر، و جميع شقاء الإنسان أساسه النفس الامّاره بالسوء.

المرحله الثانيه: «النفس اللّوامه» و هى التى ترتقى بالإنسان بعد التعلّم و التريبه و المجاهده، و فى هذه المرحله ربّما يخطئ الإنسان نتيجة طغيان الغرائز، لكن سرعان ما يندم و تلومه هذه النفس، و يصمم على تجاوز هذا الخطأ و التعويض عنه، و يغسل قلبه و روحه بماء التوبه.

و بعباره اخرى: فى المواجهه بين النفس و العقل، قد ينتصر العقل أحياناً و قد

تنتصر النفس، إلا أنّ النتيجة و الكفّه الراجحه هي للعقل و الايمان.

و من اجل الوصول الى هذه المرحله لا بدّ من الجهاد الأكبر، و التمرين الكافي، و التربيه في مدرسه الأستاذ، و الاستلهام من كلام الله و سنن الأنبياء و الائمّه عليهم السلام.

و هذه المرحله هي التي اقسم الله بها في سوره القيامه قسما يدلّ على عظمتها لا أقسمُ بيومِ القِيَامِهِ وَ لَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللّوَامِهِ .

المرحله الثالثه: «النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ» و هي المرحله التي توصل الإنسان بعد التصفيه و التهذيب الكامل الى ان يسيطر على غرائزه و يروّضها فلا- تجد قدره للمواجهه مع العقل و الايمان، لانّ العقل و الايمان بلغا درجه من القوّه بحيث لا تقف امامهما الغرائز الحيوانيه.

و هذه هي مرحله الاطمئنان و السكينه... الاطمئنان الذي يحكم المحيطات و البحار حيث لا- يظهر عليها الانهزام امام اشدّ الأعاصير.

و هذا هو مقام الأنبياء و الأولياء و اتباعهم الصادقين، أولئك الذين تدارسوا الايمان و التقوى في مدرسه رجال الله، و هدّبوا أنفسهم سنين طوالاً، و اصلوا الجهاد الأكبر الى آخر مرحله.

و إليهم و الى أمثالهم يشير القرآن الكريم في سوره الفجر يا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً فَادْخُلِي فِي عِبَادِي وَ ادْخُلِي جَنَّتِي .

اللهمّ اعنّا لنستضيء بنور آياتك، و نصعّد أنفسنا الاماره الى اللّوامه و منها الى النفس المطمئنه.. و لنجد روحا مطمئنا لا يضطرب و لا- يتزلزل امام طوفان الحوادث، و ان نكون أقوياء امام الأعداء، و لا تبهرنا زخارف الدنيا و زبارجها، و ان نصبر على البأساء و الضراء.

اللهمّ ارزقنا العقل لنتنصر على اهوائنا.. و نورنا إذا كُنّا على خطأ بالتوفيق

و الهدايه.

اللهم انا لم نبلغ هذه المرحله بخطانا، بل كنت أنت في كلّ مرحله دليلنا و قائدنا، فلا تحبس الطافك عنا...و إذا كان عدم شكرنا على جميع هذه النعم مستوجبا لعقابك، فأيقظنا من نومه الغافلين قبل ان نذوق العذاب آمين رب العالمين.

ص: ٢٣٤

اشاره

وَ قَالَ الْمَلِكُ اِثْنُونِي بِهِ اَسَدٍ تَخْلُصُهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ اِنَّكَ الْيَوْمَ لَمَدِينًا مَّكِينٌ اَمِينٌ (٥٤) قَالَ اِجْعَلْنِي عَلٰى خَزَائِنِ الْاَرْضِ اِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ (٥٥) وَ كَذٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْاَرْضِ يَتَّبِعُوْا مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نَصِيْبٌ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَ لَا نُضِيعُ اَجْرَ الْمُحْسِنِيْنَ (٥٦) وَ لَأَجْرُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِيْنَ اٰمَنُوْا وَ كَانُوْا يَتَّقُوْنَ (٥٧)

التفسير

اشاره

يوسف أمينا على خزائن مصر:

رأينا أنّ يوسف-هذا النبي العظيم- ثبتت براءته أخيرا للجميع، وحتّى الأعداء شهدوا بطهارته و نزاهته، و ظهر لهم أنّ الذنب الوحيد الذى أودع من اجله السجن لم يكن غير التقوى و الامانه التى كان يتحلّى بهما.

اضافه الى هذا فقد ثبت لهم أنّ هذا السجين منهل العلم و المعرفة و النباهه و طاقه فذّه و عاليه فى الاداره، حيث أنّه حينما فسّر رؤيا الملك (و هو سلطان

مصر) بين له الطرق الكفيله للخلاص من المشكله الاقصاديه المتفاقمه القادمه.

ثم يستمر القرآن بذكر القصة فيقول: <sup>□</sup> وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ اَسْتَلْضِئُ لِنَفْسِي و هكذا امر الملك باحضاره لكي يجعله مستشاره الخاص و نائبه في المهمات فيستفيد من علمه و معرفته و خبرته لحل المشاكل المستعصيه.

ثم أرسل الملك مندوبا لزيارته في السجن، فدخل عليه و أبلغه تحيات الملك و عواطفه القليه تجاهه ثم قال له: انه قد لبي طلبك في البحث و التحقيق عن نساء مصر و اتّهامهنّ اياك، حيث شهدنّ جميعهنّ صراحه ببراءتك و نزاهتك فالآن لا مجال للتأخير، قم لنذهب الى الملك.

فدخل يوسف على الملك و تكلم معه فعند ما سمع من يوسف الاجوبه التي تحكى عن علمه و فراسته و ذكائه الحادّ، ازداد حبا له و قال: انّ لك اليوم عندنا منزله رفيعه و سلطات واسعه و انّك في موضع ثقتنا و اعتمادنا فلما كلمه قال <sup>□</sup> اِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ اَمِينٌ فلا بدّ ان تتصدى للمناصب الهامه في هذا البلد، و تهتمّ بإصلاح الأمور الفاسده، و انّك تعلم (حينما فسّرت الرؤيا) بأنّ ازمه اقتصاديه شديده سوف تعصف بهذا البلد، و في تصوّرى انّك الشخص الوحيد القادر على ان يتغلّب على هذه الازمه.

فاختار يوسف منصب الامانه على خزائن مصر، و قال اجعلنى مشرفا على خزائن هذا البلد فإننى حفيظ عليم و على معرفه تامه بأسرار المهنة و خصائصها قال <sup>□</sup> اجعلنى على <sup>□</sup> خَزَائِنِ الْأَرْضِ اِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ .

كان يوسف يعلم انّ جانبا كبيرا من الاضطراب الحاصل في ذلك المجتمع الكبير الملىء بالظلم و الجور يكمن في القضايا الاقتصادية، و الآن و بعد ان عجزت اجهزه الحكم من حلّ تلك المشاكل و اضطرّوا لطلب المساعدة منه، فمن الأفضل له ان يسيطر على اقتصاد مصر حتّى يتمكن من مساعدته المستضعفين و ان يخفّف عنهم -قدر ما يستطيع- الآلام و المصاعب و يسترّد حقوقهم من

الظالمين. و يقوم بترتيب الأوضاع المتردّيه في ذلك البلد الكبير، و يجعل الزراعة و تنظيمها هدفه الاوّل و خاصّه بعد وقوفه على أنّ السنين القادمه هي سنوات الوفرة حيث تليها سنوات المجاعه و القحط، فيدعو الناس الى الزراعة و زياده الانتاج و عدم الإسراف في استعمال المنتوجات الزراعيه و تقنين الحبوب و خزنها و الاستفاده منها في ايام القحط و الشده.

و هكذا لم ير يوسف بدا من توليه منصب الاشراف على خزائن مصر.

و قال البعض: أنّ الملك حينما راى في تلك السنه أنّ الأمور قد ضاقت عليه و عجز عن حلّها، كان يبحث عمّن يعتمد عليه و ينجّيه من المصاعب، فمن هنا حينما قابل يوسف و رآه أهلاً لذلك أعطاه مقاليد الحكم بأجمعها و استقال هو من منصبه.

و قال آخرون: أنّ الملك جعله في منصب الوزير الاوّل بديلاً عن (عزيز مصر).

و الاحتمال الآخر هو أنّه بقى مشرفاً على خزائن مصر— و هذا ما يستفاد من ظاهر الآيه الكريمة، الا أنّ الآيتين (١٠٠) و (١٠١) و اللتين يأتي تفسيرهما بإذن الله تدلّان على أنّه أخيراً استقلّ بأمر مصر— بدل الملك و صار هو ملكاً على مصر.

و برغم أنّ الآيه رقم (٨٨) تقول: أنّ اخوه يوسف حينما دخلوا عليه نادوه باسم **يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ** و هذا دليل على أنّه استقلّ بمنصب عزيز مصر، لكن نقول:

أنّه لا- مانع من ان يكون يوسف قد ارتقى سلّم المناصب تدريجاً حيث كان في أوّل الأمر مشرفاً على الخزائن، ثمّ جعل الوزير الاوّل، و أخيراً صار ملكاً على مصر.

ثمّ يقول الله سبحانه و تعالى منها بذلك قصه يوسف عليه السلام: **وَ كَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُونَ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ .**

نعم انّ الله سبحانه و تعالى ينزل رحمته و بركاته و نعمه الماديه و المعنويه على من يشاء من عباده الذين يراهم أهلا لذلك نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ .

و أنّه سبحانه و تعالى لا ينسى ان يجازى المحسنين، و أنّه مهما طالت المدّة فإنّه يجازيهم بجزائه الأوفى و لا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ

و لكن لا يقتصر سبحانه و تعالى على مجازاه المحسنين فى الدنيا، بل يجازى المتّقين و المحسنين بأحسن من ذلك فى الآخرة و هو الجزاء الأوفى و لَأَجْرُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ آمَنُوا وَ كَانُوا يَتَّقُونَ .

## بحوث

## اشاره

### ١- كيف استجاب يوسف لطلب طاغوت زمانه

؟ بالنسبه للآيات المتقدّمه فإنّ أوّل ما يجلب إليها النظر هو أنّه كيف لبى يوسف-هذا الثبى العظيم- طلب طاغوت زمانه و تعاون معه و تحمّل منصب الوزاره او الاشراف على خزينه الدوله؟ جواب هذا السؤال-فى الحقيقه- يكمن فى نفس الآيات السابقه، فإنّه قد تحمّل هذه المسؤوليه بعنوان أنّه حَفِيزٌ عَلِيمٌ كى يحفظ بيت المال المتضمّن لاموال الشعب و يستثمره فى سبيل منافعهم، و بخاصّه حقوق الطبقة المحرومه و التى غالبا ما يستولى عليها المستكبرون.

اضافه الى هذا فإنّه عن طريق معرفته بتعبير الرؤيا-كما ذكرنا- كان على علم بالأزمه الاقتصاديه الشديده التى سوف تعصف بالشعب المصرى، بحيث لولا التخطيط الدقيق و الاشراف المباشر عليها لماتت جماعات كثيره من الشعب .. فبناء على هذا فإنّ انقاذ حياه الامّه و الاحتفاظ بأرواح شعب برىء يقتضى ان يستفيد يوسف من هذه الفرصه التى أتاحت له و يستغلّها لأجل خدمه جميع افراد



الشعب، وبخاصة المحرومين منهم حيث أنهم عادة ما يكونون أول ضحايا الازمة الاقتصادية و أكثر المتضررين من الغلاء.

و قد ورد كلام مفصل حول هذا الموضوع فى بحث استجابته طلب الظالم و قبول الولاية فى علم الفقه، و أنّ استجابته طلب الظالم و التصدّي لمنصب الحكم لا- يكون حراماً دائماً، بل تارة يكون مستحبّاً، و قد يكون فى بعض الأحيان واجباً شرعاً، و ذلك إذا كانت منفعة التصدّي و مرجحاته الدينيّة أكثر من الإضرار الناتجة عن التصدّي من دعم حكم الظالم و غيره.

و نلاحظ فى روايات عديدة أنّ أئمّه اهل البيت عليهم السّلام كانوا يجوّزون لبعض خلص شيعتهم و أصحابهم أمثال على بن يقطين-الذى كان من اصحاب الكاظم عليه السّلام- حيث تصدّي لمنصب الوزاره لفرعون زمانه-هارون الرشيد-و ذلك بأمر من الامام عليه السّلام، غايه ما فى الأمر أنّ الاستجابته و التصدّي لمنصب الحكم او ردّها تابعان لقانون «الأهم و المهم».

فلا بدّ من ملاحظه المنافع الدينيّة و الاجتماعيه و مقارنتها مع الإضرار الناتجة، إذ لعلّ الذى يتصدّي للمنصب قد يستطيع فى نهايه المطاف ان يزيح الظالم عن الحكم (كما حدث ليوסף بناء على مضمون بعض الرّوايات الوارده) او يكون المعين الذى تنبثق منه الحركات و الثورات، لأنّه يقوم بتهيئه مقدمات الثوره من داخل اجهزه الحكم القائم (و يمكن ان يكون مؤمن آل فرعون من هذا القبيل) او يكون على الأقلّ ملجأ و ملاذا للمظلومين و المحرومين و مخففاً عن آلامهم و الضغوط الوارده عليهم من قبل اجهزه النظام.

و كلّ واحد من هذه الأمور يمكن ان يكون مبرراً للتصدّي للمنصب و قبولها من الحاكم الظالم، و للإمام الصادق عليه السّلام روايه معروفه فى حقّ هؤلاء الأشخاص

يقول عليه السّلام (كفّاره عمل السلطان قضاء حوائج الاخوان) (١).

ص: ٢٣٩

(١-١) وسائل الشيعه، ج ١٣٩، ١٢.

لكن هذا الموضوع-التعاون مع الظالم-من الأمور التي يقترب فيها حدود الحلال من الحرام، وكثيرا ما يؤدي تهاون صغير من الشخص المتصدى الى وقوعه في اشراك النظام و ارتكاب جريمه تعدد من اكبر الجرائم و أفضعها-و هي التعاون مع الظالم-في حين يتصور أنه يقوم بعباده و خدمه انسانيه مشكوره.

و قد يستفيد بعض الانتهازيين من حياه (يوسف) او (على بن يقطين) و يتخذ ذريعه للتعاون مع الظالم و تغطيه لاعمالهم الشريره، في حين أنه يوجد بون شاسع بين تصرفاتهم و تصرفات يوسف او على بن يقطين (1).

هنا سؤال آخر يطرح نفسه و هو أنه كيف رضخ سلطان مصر الظالم لهذا الأمر -و استجاب لطلب يوسف-مع علمه بأن يوسف لا يسير بسيره الظالمين و المستثمرين و المستعمرين، بل يكون على العكس من ذلك معاديا لهم؟ الاجابه على هذا السؤال لا تكون صعبه مع ملاحظه امر واحد و هو أنه تاره تحيط الأزمات الاقتصاديه و الاجتماعيه بالظالم بحيث تزلزل اركان حكومته الظالمه، فيرى الخطر محققا بحكومته و بكل شىء يتعلّق بها...في هذه الحاله و تجنبا من السقوط التام لا يمانع، بل يدعم قيام حكومه شعبيه عادله لكي يحافظ على حياته و بجزء من سلطته.

## ٢- اهمية المسائل الاقتصاديه و الاداريه

رغم أننا لا نتفق مع الرؤيه التي تنظر الى الأمور بمنظار واحد و تحصر جميع

ص: ٢٤٠

١ - ١) نطالع في روايات عديده عن الإمام على بن موسى الرضا عليه السلام أنّ بعض الجاهلين بالمعايير الاسلاميه كانوا يعترضون على الامام أحيانا، بأنه لماذا قبلت ولايه عهد المأمون مع كل زهدك في الدنيا و اعراضك عنها؟ فكان الامام عليه السلام يجيبهم: «يا هذا ايما أفضل النبي ام الوصي»؟ فقالوا: لا بل النبي، فقال: ايهما أفضل مسلم ام مشرك؟ فقالوا: لا بل مسلم فقال: «فإنّ العزيز عزيز مصر كان مشركا، و كان يوسف عليه السلام نبيا، و أنّ المأمون مسلم» و انا وصي، و يوسف سأل العزيز ان يوليه حين قال: اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم، و انا أجبرت على ذلك» و سائل الشيعه، ج ١٢، ص ١٤٦.

الأمر في القضايا الاقتصادية دون إعطاء أي دور للإنسان، ولكن برغم ذلك فإنه لا يمكن غض النظر عن أهمية القضايا الاقتصادية ودورها في المجتمعات، والآيات السابقة تشير إلى هذه الحقيقة، والملاحظ أن يوسف ركز من بين جميع مناصب الدولة على منصب الاشراف على الخزانة، وذلك لعلمه أنه إذا نجح في ترتيب اقتصاد مصر، فإنه يتمكن من إصلاح كثير من المفاصل الاجتماعية، كما أن تنفيذ العدالة الاقتصادية يؤدي إلى سائر دوائر الدولة وجعلها تحت امرته.

وقد اهتمت الروايات الإسلامية بهذا الموضوع اهتماما كبيرا، فمثلا نرى في الروايات المعروفة المروية عن أمير المؤمنين علي عليه السلام أنه جعل (قوام الدين و الدنيا) في ركنين: أحدهما القضايا الاقتصادية وما يقوم عليه معاش الناس، والركن الآخر هو العلم والمعرفة.

وبرغم أن المسلمين قد أهملوا هذا الجانب من الحياة الفردي والاجتماعية الذي اهتم به الإسلام كثيرا وتأخروا عن اعداء الإسلام في هذا الجانب، إلا أن يقظة المجتمعات الإسلامية المتزايدة وتوجههم نحو الإسلام يزيد الأمل في النفوس بأن تزيد من نشاطها الاقتصادي وتعتبره عبادة إسلامية كبرى، وتقوم ببناء نظام اقتصادي مدرّس وفق خطط محكمة لكي تعود إليهم قوتهم ونشاطهم.

وهنا نقطة أخرى يجب التنبيه عليها، وهي أننا نلاحظ أن يوسف عليه السلام يخاطب الملك ويقول له: إِنِّي حَفِيزٌ عَلِيمٌ وهذه اشارة إلى اهمية عنصر الادارة إلى جانب عنصر الامانة وأن توفر عنصر الامانة والتقوى فقط في شخص لا يؤهله لأن يتصدى لأحد المناصب الاجتماعية الحساسة، بل لا بد من اجتماع ذلك العامل مع العلم والتخصيص والقدرة على الادارة، لكونه قرن ال(عليم) مع ال(حفيظ) وكثيرا ما نشاهد الإضرار الناتجة عن سوء الادارة لا تقل بل تزيد على

الخسائر الناتجة عن الخيانه! فهذه التعليمات الاسلاميه صريحه فى اهميته جانب الاداره و القدره عليها، و مع ذلك نرى تهاون بعض المسلمين بهذا الجانب، فالمهم لديهم هو نصب الأشخاص الذين يطمنون الى تقواهم و أمانتهم لاداره الأمور، مع أنّ سيره النبويه الشريفه صلى الله عليه و آله و سلم و كذلك سيره على عليه السلام ترشدان الى أنّهما كانا يهتمان اهتماما كبيرا بالجانب الادارى و القدره على الاداره مع اهتمامهم بأمانه الشخص و سلوكه الحسن.

### ٣- الرقابه على الاستهلاك

الملاحظ فى القضايا الاقتصادية أنّه قد لا تكون (زياده الانتاج) بمكان من الاهميه بقدر اهميه (الرقابه على الاستهلاك) و من هنا نشاهد أنّ يوسف فى ايام حكومته، حاول- بشده- ان يسيطر على الاستهلاك الداخلى فى سنوات الوفرة لكى يتمكن من الاحتفاظ بجزء كبير من المنتوجات الزراعيه لسنوات القحط و المجاعه القادمه، و فى الحقيقه أنّ زياده الانتاج و الرقابه متلازمان لا يفترقان، فالزياده فى الانتاج لا تثمر الاّ إذا أعقبتها رقابه صحيحه، كما أنّ الرقابه تكون اكثر فائده إذا أعقبتها زياده فى الانتاج.

انّ السياسه الاقتصاديه التى انتهجها يوسف عليه السلام فى مصر أظهرت أنّ الخطه الاقتصاديه الصحيحه و المتطوره مع الزمن لا يمكن ان تقتصر على متطلّبات الجيل الحاضر، بل لا بدّ و ان تراعى مصالح الأجيال القادمه، لأنّ التفكير بالمصالح المستعجله للجيل الحاضر و التغاضى عن مصالح الأجيال القادمه- كما لو استهلكنا جميع ثروات الأرض- تعتبر غايه الانانيه و حبّ الذات، إذ أنّ الأجيال القادمه هم فى الواقع إخوتنا و أبناءنا فلا بدّ من التفكير فى مصالحهم و عدم التفريط بها.

ورد عن الامام على بن موسى الرضا عليهما السلام «و اقبل يوسف على جمع الطعام فجمع في السبع سنين المخصبه فكبسه في الخزان، فلما مضت تلك السنون و اقبلت المجديه اقبل يوسف على بيع الطعام فباعهم في السنه الاولى بالدرهم و الدينير حتى لم يبق بمصر و ما حولها دينار و لا - درهم الا - صار في مملكه يوسف، و باعهم في السنه الثانيه بالحلى و الجواهر حتى لم يبق بمصر و ما حولها حلى و لا جواهر الا صار في ملكه يوسف، و باعهم في السنه الثالثه بالدواب و المواشى حتى لم يبق بمصر و ما حولها دابه و لا ماشيه الا صار في ملكيه يوسف، و باعهم في السنه الرابعه بالعبيد و الإماء حتى لم يبق بمصر و من حولها عبد و لا امه الا صار في ملكيه يوسف، و باعهم في السنه الخامسه بالدور و العقار حتى لم يبق بمصر و ما حولها دار و لا عقار الا صار في ملكيه يوسف، و باعهم في السنه السادسه بالمزارع و الأنهار حتى لم يبق بمصر و ما حولها نهر و لا مزرعه الا صار في ملكيه يوسف، و باعهم في السنه السابعه بقرابهم حتى لم يبق بمصر و ما حولها عبد و لا حرّ الا صار عبد يوسف، فملك احرارهم و عبيدهم و أموالهم و قال الناس: ما رأينا و لا سمعنا بملك أعطاه الله من الملك ما اعطى هذا الملك حكما و علما و تدبرا، ثم قال يوسف للملك: ايها الملك ما ترى فيما خولنى ربى من ملك مصر و أهلها اشر علينا برأيك، فإتى لم أصلحهم لافسدهم، و لم انجهم من البلاء ليكون وبالا - عليهم و لكن الله نجاهم على يدي، قال له الملك: الرأى رأيك، قال يوسف: انى اشهد الله و أشهدك ايها الملك انى اعتقت اهل مصر كلهم، و رددت إليهم أموالهم و عبيدهم، و رددت إليك ايها الملك خاتمك و سريرك و تاجك على ان لا - تسير الا - بسيرتى و لا - تحكم الا - بحكمى قال له الملك: ان ذلك لشرفى و فخرى لا أسير الا بسيرتك و لا احكم الا بحكمك، و لولاك ما قويت عليه و لا اهتديت له، و لقد جعلت سلطانى عزيزا ما

يرام، وانا اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له، و أنت رسوله فأقم على ما وليتك فإنك لدينا مكين أمين» (١).

#### ٤- مدح النفس

لا شك في أنّ مدح الإنسان نفسه يعدّ من الأمور القبيحة، ولكن ليست هذه قاعده عامه، بل قد تقتضى الأمور بأن يقوم الإنسان بعرض نفسه على المجتمع و الإعلان عن خبراته و تجاربه، لكي يتعرّف عليه الناس و يستفيدوا من خبراته و لا يبقى كنزاً مستورا.

و قد مرّ علينا في الآيات السابقه أنّ يوسف حينما تولّى مسئوليّه الاشراف على خزائن مصر وصف نفسه بأنّه: حَفِيطٌ عَلِيمٌ، و كان هذا الوصف من يوسف لنفسه ضروريا و ذلك حتّى يعرف شعب مصر و مليكها أنّه يمتلك الصفات اللازمه التي تؤهله للتصدّي لهذا المنصب.

و من هنا نقرا

في تفسير العياشى نقلا عن الامام الصّادق عليه السّلام أنّه حينما سئل عن الحكم الشرعى لمدح الإنسان نفسه؟ أجاب عليه السّلام «نعم إذا اضطرّ اليه، أمّا سمعت قول يوسف اجعلنى على خزائن الأرض أنى حفيظ عليم، و قول العبد الصالح: و انا لكم ناصح أمين» (٢).

و من هنا يتّضح لنا جلياً فلسفه مدح الامام على عليه السّلام نفسه فى بعض الخطب، فمثلا

يقول فى خطبه الشقشقيه واصفا نفسه: (...انّ محلى منها محلّ القطب من الرّحى ينحدر عنى السيل و لا يرقى الى الطير...) فمثل هذه الأوصاف هى فى الواقع لأجل إيقاظ الغافلين و إرشادهم الى الاستفاده من هذا المنهل العذب فى سبيل الوصول الى سعادته الفرد و المجتمع.

ص: ٢٤٤

١- ١) مجمع البيان، المجلد الثالث، صفحہ ٢٤٤، تفسير نور الثقلين، ج ٢، ص ٤٣٥.

٢- ٢) تفسير نور الثقلين، ج ٢، ص ٤٣٣.

## ٥-أفضليته الجزاء المعنوي على سواه

برغم أنّ كثيرا من المؤمنين الخيرين يلقون في هذه الدنيا جزاء اعمالهم الخيره، كما هو الحال بالنسبه ليوسف حيث جوزى جزاء حسنا،لعفاهه و تقواه و صبره على البلاء،إذ لو كان آثما لما اعتلى هذا المنصب،و لكن هذا لا يعنى أنّ على الإنسان ان ينتظر الجزاء في هذه الدنيا و يتوهم أنّ الجزاء يجب ان يكون ماديا و ملموسا و في هذه الدنيا و يرى تأخير الجزاء ظلما في حقه،لكن هذا التصوّر بعيد عن الواقع،لأنّ الجزاء الأوفى هو ما يوافي الإنسان في حياته القادمه.

و لعلّ لدفع هذا التوهم الخاطئ و أنّ ما جوزى به يوسف هو الجزاء الأوفى، يقول القرآن الكريم وَ لَأَجْرُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَ كَانُوا يَتَّقُونَ .

## ٦-الدفاع عن المسجونين

برغم أنّ السجن لم يكن دائما محلا للأختيار،بل يستضيف تاره الابرياء و تاره المجرمين،لكنّ القواعد الانسانيه تستوجب التعامل الحسن مع السجناء، حتّى و لو كانوا مجرمين.

و قد يتصوّر البعض أنّ الدفاع عن المسجونين من مبتكرات العصر الحديث، لكن المتتبع للتاريخ الاسلامى يرى أنّه منذ الايام الاولى لقيام دوله الإسلام كان رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم يؤكّد و يوصى على التعامل الحسن مع الأسرى و المسجونين - كما قرانا جميعا وصيّيه على عليه السّلام فى حقّ المجرم الذى قام باغتياله(و هو عبد الرّحمن بن ملجم المرادى)حيث امر ان يرفق به و حتّى أنّه عليه السّلام بعث اليه من اللبن الذى كان يشربه و عند ما أرادوا قتله قال:ضربه بضربه.

كما أنّ يوسف حينما كان فى السجن كان يعدّ أخا حميما و صديقا وفيئا و مستشارا أمينا لجميع نزلاء السجن،و حينما خرج من السجن-امر ان يكتب-

«هذا قبور الاحياء، وبيت الأحزان، و تجربه الأصدقاء، و شماته الأعداء» (١).

و اظهر لهم بهذا الدعاء عطفه و محبته حيث

قال: «اللهم اعطف عليهم بقلوب الأخيار، و لا تعم عليهم الاخبار» (٢).

و الطريف أننا نقرا

فى سياق الحديث السابق أنه: «فذلك يكون اصحاب السجن اعرف الناس بالاخبار فى كلّ بلده».

و قد مرّت علينا هذه التجربة فى ايام السجن، حيث كانت تصلنا الاخبار و بصوره منتظمه-الآ فى بعض الحالات النادره-و عن طرق خفيّه لا يكشفها السجانون، و كثيرا ما كان الذى يدخل الى السجن يطّلع على بعض الاخبار التى لم يكن قد سمعها عند ما كان فى الخارج، و الحديث عن هذا الموضوع طويل و قد يخرجنا عن هدف هذا الكتاب.

ص: ٢٤٦

---

١-١) نور الثقلين، ج ٢، ص ٤٣٢.

٢-٢) نور الثقلين، ج ٢، ص ٤٣٢.



اشاره

وَجَاءَ إِخْوَهُ يُوسُفَ فَمَدَّخُلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ (٥٨) وَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَّازِهِمْ قَالَ ائْتُونِي بِأَخٍ لَكُمْ مِنْ أَبِيكُمْ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ (٥٩) فَإِنْ لَمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي وَلَا تَقْرَبُونِ (٦٠) قَالُوا سِرًّا أَرَادَ مِنْهُ آيَاةً وَ إِنْ أُنْفَعِلُونَ (٦١) وَقَالَ لِفِتْيَانِهِ اجْعَلُوا بِضَاعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (٦٢)

التفسير

اشاره

اقتراح جديد من يوسف لإخوته:

و كما كان متوقعا، فقد تحسنت الزراعة في مصر خلال سبع سنوات متتاليه و ذلك على اثر توالى الأمطار و وفره ماء النيل و كثرته، و يوسف الذى كان مسئولاً عن الشؤون الاقتصادية في مصر و مشرفاً على خزائنها، امر ببناء المخازن الكبيره و الصغيره التى تستوعب الكميات الكبيره من المواد الغذائيه

و تحفظها عن الفساد، و قد اجبر أبناء الشعب على ان يبيعوا للدوله الفاض عن حاجتهم من الانتاج الزراعى، و هكذا امتلأت المخازن بالمنتجات الزراعيه و الاستهلاكيه و مرّت سبع سنوات من الرخاء و الوفرة، و بدا القحط و الجفاف يظهر وجهه الكريه، و منعت السماء قطرها، فلم تينع ثمره، و لم تحمل نخله.

و هكذا أصاب عامه الشعب الضيق و قلت منتوجاتهم الزراعيه، لكنهم كانوا على علم بخزائن الدوله و امتلائها بالمواد الغذائيه، و ساعدهم يوسف حيث استطاع -بخطه محكمه و منظمه مع الأخذ بعين الاعتبار الحاجات المتزايده، فى السنين القادمه- ان يرفع الضيق عن الشعب بأن باع لهم المنتوجات الزراعيه مراعيًا فى ذلك العداله بينهم.

و هذا القحط و الجفاف لم يكن مقتصرًا على مصر و حدها، بل شمل البلدان المحيطة بها ايضا، و منهم شعب فلسطين و ارض كنعان المتاخمه لمصر و الواقعه على حدودها فى الشمال الشرقى، و كانت عائله يوسف تسكن هناك و قد تأثرت بالجفاف. و اشتد بهم الضيق، بحيث اضطرّ يعقوب ان يرسل جميع أولاده -ما عدا بنيامين الذى أبقاه عنده بعد غياب يوسف- الى مصر، حيث سافروا مع قافله كانت تسير الى مصر و وصلوا إليها -كما قيل- بعد ١٨ يوما.

و تذكر المصادر التاريخيه أنّ الأجنب عند دخولهم الى الاراضى المصريه كانوا ملزمين بتسجيل اسمائهم فى قوائم معينه لكى تعرض على يوسف، و من هنا فحينما عرض الموظفون تقريرا على يوسف عن القافله الفلسطينيه و طلبهم للحصول على المؤن و الحبوب رأى يوسف أسماء اخوته بينهم و عرفهم و امر بإحضارهم اليه، دون ان يتعرّف احد على حقيقتهم و أنّهم اخوته..

يقول القرآن الكريم: **وَ إِذْ جَاءَ إِخْوَهُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَ هُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ** و كان طبيعيًا ان لا يتعرّف اخوه يوسف عليه لآنه فى جانب كان قد مضى على فراقهم اياه منذ ان أودعوه الجبّ و خرج منه و دخل الى مصر ما يقرب

من أربعين سنه، و من جهه اخرى كان لا يخطر ببالهم انّ أخوهم صار عزيزا لمصر، و حتّى لو رأوا الشبه بين العزيز و بين أخيهم لحملوه على الصدفة.

اضافه الى هذا فإنّ ملابس يوسف تختلف عن السابق، و من الصعب عليهم معرفه يوسف و هو فى ملابس اهل مصر، كما انّ احتمال بقاء يوسف على قيد الحياه بعد هذه المدّه كان ضعيفا عندهم، و على ايّه حال فإنّ اخوه يوسف قد اشتروا ما طلبوه من الحبوب و دفعوا ثمنه بالأموال او الكندر او الاحديه او بسائر ما جلبوه معهم من كنعان الى مصر.

أمّا يوسف فإنّه قد رحّب بإخوته و لاطفهم و فتح باب الحديث معهم، قالوا:

نحن عشره اخوه من أولاد يعقوب، و يعقوب هو ابن ابراهيم الخليل نبى الله العظيم، و أبونا ايضا من أنبياء الله العظام، و قد كبر سنّه و المّم به حزن عميق ملك عليه وجوده.

فسألهم يوسف: لماذا هذا الغمّ و الحزن؟ قالوا: كان له ولد أصغر من جميع اخوته و كان يحبّه كثيرا، فخرج معنا يوما للتنزه و التفرّج و الصيد و غفلنا عنه فأكله الذئب، و منذ ذلك اليوم و أبونا يبكي لفراقه.

نقل بعض المفسّرين أنّه كان من عادته يوسف ان لا يعطى و لا يبيع لكلّ شخص الاّ حمل بعير واحد، و بما انّ اخوته كانوا عشره فقد باع لهم ١٠ أحمال من الحبوب، فقالوا: انّ لنا أبا شيخا كبيرا عاجزا عن السفر و أخا صغيرا يرعى شؤون الأب الكبير، فطلبوا من العزيز ان يدفع إليهم حصّتهما، فأمر يوسف ان يضاف الى حصصهم حملان آخران، ثمّ توجه إليهم مخاطبا إياهم و قال: أنى ارى فى وجوهكم النبل و الرفعه كما أنكم تتحلّون بأخلاق طيبه، و قد ذكرت انّ أباكم يحبّ أخاكم الصغير كثيرا، فيتّضح أنّه يمتلك صفات و مواهب عاليه و فدّه و لهذا احبّ ان أراه اضافه الى هذا، فإنّ الناس هنا قد أساءوا الظنّ بكم و اتهموكم،

لأنكم من بلد اجنبى،فأتوا بأخيكم الصغير فى سفركم القادم لثبتوا صدقكم، و تدفعوا التهمه عن أنفسكم.

و هنا يقول القرآن الكريم:أنه حينما جهّزهم يوسف بجهازهم و أرادوا الرحيل عن مصر و لَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَّازِهِمْ قَالَ أَتُونِي بِأَخِ لَكُمْ مِنْ أَبِيكُمْ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوْفِي الْكَيْلَ وَ أَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ لَكِنَّهُ خَتَمَ كَلَامَهُ بِتَهْدِيدِ مِطْنٍ لَهُمْ،و هو أنّى سوف امنع عنكم المؤن و الحبوب إذا لم تأتونى بأخيكم فإن لم تأتونى به فلا- كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي وَ لَا تَقْرَبُونِ،و كان يوسف يحاول بشتى الطرق،تاره بالتهديد،و اخرى بالتحبب،ان يلتقى بأخيه بنيامين و يقيه عنده.و ظهر من سياق الآيات.

أمران:انّ الحبوب كانت تباع و تشتري فى مصر بالكيل لا بالوزن،و اتّضح ايضا ان يوسف كان يستقبل الضيوف-و منهم اخوته- الذين كانوا يقدون الى مصر بحفاوه بالغه و يستضيفهم بأحسن وجه.

و أجاب اخوه يوسف على طلب أخيه: قَالُوا سَيَرَاوُدُّ عَنْهُ أَبَاهُ وَ إِنَّا لَفَاعِلُونَ وَ يَسْتَفَادُ مِنْ قَوْلِهِ إِنَّا لَفَاعِلُونَ وَ اجابتهم الصريحه لعزير مصر،أنهم كانوا مطمئنين الى قدرتهم على التأثير على أبيهم و أخذ الموافقه منه،و كيف لا يكونون مطمئنين بقدرتهم على ذلك و هم الذين استطاعوا بإصرارهم و الحاحهم ان يفرّقوا بين يوسف و أبيه؟! و أخيرا امر يوسف رجاله بأن يضعوا الأموال التى اشتروا بها الحبوب فى رحالهم-جلبا لعواطفهم- وَ قَالَ لِفَتِيَانِهِ اجْعَلُوا بَصَدِّعْتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرفُونَهَا إِذَا انْقَلَبُوا إِلَيَّ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ .

### ١- لماذا لم يظهر يوسف حقيقته لإخوته

بالنسبة للآيات السابقة فإنّ أوّل ما يتبادر الى الذهن هو أنّه لماذا لم يعرف يوسف نفسه لإخوته، حتّى يقفوا على حقيقته حاله و يرجعوا الى أبيهم و يخبرونه عن مصير يوسف، و بذلك تنتهى آلامه لأجل فراق يوسف؟ و يمكن طرح هذا السؤال على شكل أوسع و بصوره اخرى، و هو أنّه حينما التقى يوسف بإخوته فى مصر كان قد مرّ ثمان سنوات على تحريره من السجن، حيث كان فى السنه الاولى من سنوات القحط و الجذب، التى أعقبت سبع سنوات من الوفرة و الرخاء، و قام بخزن المنتوجات الزراعيه- و فى السنه الثامنه او بعدها -جاء اخوه يوسف الى مصر لشراء الحبوب، فلما ذا لم يحاول يوسف خلال هذه السنوات الثمان ان يبعث الى كنعان من يخبر أباه بواقع حاله و يخرجّه عن آلامه و ينهى مرارته الطويله؟ حاول جمع من المفسرين- كالعلامة الطبرسى فى مجمع البيان و العلامة الطباطبائى فى تفسير الميزان و القرطبى فى تفسيره الجامع لأحكام القرآن- الاجابه على هذا السؤال، و ذكروا له عدّه اجوبه، و لعلّ أحسنها و أقربها هو أنّ يوسف لم يكن مجازا من قبل الله سبحانه و تعالى فى اخبار أبيه، لأنّ قصّيه يوسف مع غضّ النظر عن خصائصه الذاتيه كانت ساحه لاختبار يعقوب و حقا لامتحانّه، فلا بدّ من ان يؤدّى يعقوب امتحانه و يجتاز فتره الاختبار قبل ان يسمح ليوسف بإخباره، و اضافّه الى هذا فإنّ اسراع يوسف فى اخبار اخوته قد يؤدّى الى عواقب غير محموده، مثلا قد يستولى عليهم الخوف و الهلع من انتقام يوسف منهم لما ارتكبوه سابقا فى حقّه فلا يرجعوا اليه.

### ٢- لماذا ارجع يوسف الأموال الى اخوته

السؤال الذى يطرح نفسه هو أنّه لماذا امر يوسف ان تردّ اموال اخوته التى

دفعوها ثمنا للحبوب، و توضع فى رحالهم؟ و قد أجب المفسرون عن هذا السؤال بإجابات عديدة، و منهم الرازى فى تفسيره حيث ذكر عشره اجوبه، لكن بعضها بعيد عن الواقع، و لعل ملاحظه الآيات السابقه تكفى فى الاجابه عن السؤال، لأن الآيه الشريفه تقول: لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ فَإِنَّ يَوْسُفَ كَانَ يَقْصِدُ مِنْ وَرَاءِ هَذَا الْعَمَلِ، أَنَّ إِخْوَتَهُ بَعْدَ رَجُوعِهِمْ إِلَى الْوَطَنِ حِينَمَا يَجِدُونَ أَمْوَالَهُمْ قَدْ خَبَّتْ فِي مَتَاعِهِمْ، سَوْفَ يَقْفُونَ عَلَىٰ كَرَمِ عَزِيزِ مِصْرَ (يوسف) و جلاله قدره، اكثر مما شاهدوه، و سوف يطمئن يعقوب بنوايا عزيز مصر و يعطى الاذن بسفر بنيامين، و يكون السبب و الدافع فى سفرهم الى مصر مَرَّه اخرى و باطمئنان اكثر مستصحيين معهم أخاهم الصغير.

### ٣- كيف وهب يوسف الى اخوته اموال بيت المال

؟ السؤال الآخر الذى يطرح نفسه هنا هو أنه كيف وهب يوسف الأموال من بيت المال لإخوته دون أى تعويض؟ يمكن الاجابه على هذا السؤال بطريقتين:

الاول: ان بيت المال فى مصر كان يحتوى على حصه معينه من الأموال تصرف فى شؤون المستضعفين (و مثل هذه الحصه موجوده دائما) و بما ان اخوه يوسف كانوا فى تلك الفتره من المستضعفين، استغل يوسف هذه الفرصه و استفاد من هذه الحصه لمساعدته إخوته: (كما كان يستفيد منها فى مساعدته سائر المستضعفين) و من المعلوم ان الحدود المصطنعه بين الدوله لم تكن حائلا دون مساعدته مستضعفى سائر البلدان من هذه الحصه.

الثانى: ان المناصب العاليه فى الدوله - كمنصب يوسف - تتضمن عادة على

امتيازات و حقوق معينه، و من اقل هذه الحقوق هو ان يهيئ لنفسه و لعائلته المحتاجه و لمن يقرب اليه كأبيه و اخوته مستلزمات العيش الكريم، و قد استفاد يوسف من هذا الحق في إعطاء الأموال لإخوته.

ص: ٢٥٣

اشاره

فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَىٰ أَبِيهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَا آخَانًا نَّكَتْلُ وَ إِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ (٦٣) قَالَ هَيْلَ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا  
أَمْتَنُكُمْ عَلَىٰ أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَ هُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (٦٤) وَ لَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ وَ حَدُوا بِضَاعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا يَا  
أَبَانَا مَا نَبْغِي هَذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَ نَمِيرُ أَهْلَنَا وَ نَحْفَظُ آخَانًا وَ نَزِدُّكَ كَيْلَ بِعِيرِ ذَلِكَ كَيْلَ يَسِيرٍ (٦٥) قَالَ لَنْ أَرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّى  
تُؤْتُوا مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ لَتَأْتُنَّنِي بِهِ إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ (٦٦)

التفسير

اشاره

موافقه يعقوب:

رجع اخوه يوسف الى كنعان فرحين حاملين معهم المتاع الثمين، لكنهم كانوا يفكرون بمصيرهم فى المستقبل و انه لو رفض الأب و لم يوافق على سفر أخيهم الصغير (بنيامين) فإن مصر سوف لن يستقبلهم، كما انه لا يعطيهم



حصّتهم من الحبوب و المؤمن.

و من هنا يقول القرآن: فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَىٰ أَبِيهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ وَ لَا سَبِيلَ لَنَا لِلْحَصُولِ عَلَيْهِ إِلَّا أَنْ تَرْسَلَ مَعَنَا أَخَانًا فَأَرْسِلْ مَعَنَا أَخَانًا نَكْتَلُ وَ كُنْ عَلَىٰ يَقِينٍ مِنْ أَنَّا سَوْفَ نَحْفَظُ عَلَيْهِ وَ نَمْنَعُهُ مِنَ الْآخِرِينَ وَ إِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ .

أما الأب الشيخ الكبير الذي لم يمح صورته (يوسف) عن ذاكرته مرّ السنين فإنه حينما سمع هذا الكلام استولى عليه الخوف و قال لهم معاتبا: هَيْلٌ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَلِمًا أَمِنتُكُمْ عَلَىٰ أَخِيهِ مِنْ قَبِيلٍ فكيف تتوقعون مني ان اطمئن بكم و السبي طلبكم و اوافق على سفر ولدى و فلده كبدى معكم الى بلاد بعيدة، و لا زلت اذكر تخلفكم فى المره السابقه عن عهدكم، ثم أضاف فالله خير حافظاً وَ هُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ هذه العبارة لعلها اشاره الى ما تحدّثت به نفس يعقوب من أنه يصعب على ان اوافق على سفر بنيامين معكم و قد عرفت سوءكم فى المره السابقه، لكن حتّى لو وافقت على ذلك فإننى اتكل على الله سبحانه و تعالى الذى هو ارحم الراحمين و اطلب رعايته و حفظه منه لا منكم.

الآيه السابقه لا تدلّ على الموافقه القطعيه و قبوله لطلبهم، و إنما هى مجرد احتمال منه حيث ان الآيات القادمه تظهر ان يعقوب لم يكن قد وافق على طلبهم الا بعد ان أخذ منهم العهود و المواثيق، و الاحتمال الآخر هو ان هذه الآيه لعلها اشاره الى يوسف، حيث كان يعلم أنه على قيد الحياه (و سوف نقرا فى الآيات القادمه أنه كان على يقين بحياه يوسف) فدعا له بالحفظ.

ثم ان الاخوه حينما عادوا من مصر و لَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ وَ جَدُوا بِضَاعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ فشاهدوا ان هذا الأمر هو برهان قاطع على صحه طلبهم، فجاءوا الى أبيهم و قَالُوا يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي هَذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَ هَلْ هُنَاكَ فَضْلٌ وَ كَرَمٌ أَكْثَرَ مِنْ هَذَا ان يقوم حاكم اجنبى و فى ظروف القحط و الجفاف،

بمساعدتنا و يبيع لنا الحبوب و المؤمن ثم يرد إلينا ما دفعناه ثمننا له؟! ثم أنه رد بضاعتنا علينا بشكل خفى بحيث لا يستشير فينا الخجل- أليس هذا غايه الجود و الكرم؟! فيا أبانا ليس هناك مجال للتأخير-بعث معنا أخانا لكي نساfer و نشترى الطعام وَ نَمِيرُ أَهْلَنَا و سوف نكون جادّين في حفظ أخينا وَ نَحْفَظُ أَخَانَا، و هكذا نتمكّن من ان نشترى كيل بغير من الحبوب وَ نَزِدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ و أننا على يقين في انّ سماحه العزيز و كرمه-سوف يسهّلان حصوله و ذَلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ .

و في كلّ الأحوال-رفض يعقوب إرسال ابنه بنيامين معهم، و لكنّه كان يواجه إصرار أولاده بمنطقهم القوي بحيث اضطرّ إلى التنازل على مطلبهم و لم يربدا من القبول، و لكنّه وافق بشرط: قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّى تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ لَتَأْتِنِي بِهِ إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ، و المقصود من قوله مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ هو العهد و اليمين المتضمّن لاسم الله سبحانه و تعالى، و اما جملة إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ فهي في الواقع بمعنى-الآ- إذا أحاطت بكم و غلبتكم الحوادث، و لعلها اشاره إلى حوادث الموت او غيرها من الحوادث و المصائب التي تسلب قدره الإنسان و تقصم ظهره و تجعله عاجزا.

و ذكر هذا الاستثناء دليل بارز على ذكاء نبي الله يعقوب و فطنته، فإنّه برغم حبه الشديد لولده بنيامين لكنّه لم يحمل أولاده بما لا- يطيقوا و قال لهم: أنكم مسئولون عن سلامه ولدى العزيز و انّي سوف اطلبه منكم إلا ان تغلبكم الحوادث القاهره، فحينئذ لا حرج عليكم.

و على كلّ حال فقد وافق اخوه يوسف بدورهم على شرط أبيهم، و حينما أعطوه العهد و المواثيق المغلظه قال يعقوب: فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ .

١- بالنسبة للآيات السابقة فإنَّ أوَّل ما يتبادر الى الذهن، هو أنَّه كيف وافق يعقوب على سفر بنيامين مع اخوته برغم ما اظهروه في المره السابقه من سوء المعامله مع يوسف، اضافه الى هذا فإننا نعلم أنَّهم كانوا يبطنون الحقد و الحسد لبنيامين - وان كان اخف من حقدهم و حسدهم على يوسف - حيث وردت في الآيات الافتتاحيه لهذه السوره قوله تعالى: **إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِمَّا نَحْنُ عُصْبَةٌ** اي انَّ يوسف و أخاه احبَّ الى أبنائنا برغم ما نملكه نحن من قوه و كثره.

لكن تظهر الاجابه على هذا السؤال إذا لاحظنا أنَّه قد مضى ثلاثون الى أربعين سنه على حادثه يوسف، وقد صار اخوه يوسف الشبان كهولاً و من الطبيعي أنَّهم نضجوا اكثر من السابق، كما وقفوا على الآثار السلبيه و السيئه لما فعلوه مع يوسف، سواء في داخل اسرتهم ام في وجدانهم، حيث أثبتت لهم تجارب السنين السالفه انَّ فقد يوسف كان لا يزيد حبَّ أبيهم لهم، بل ازداد نفوره منهم و خلق لهم مشاكل جديده.

اضافه الى هذه الأمور فإنَّ يعقوب لم يواجه طلباً للخروج الى التنزه و الصيد، بل كان يواجه مشكله مستعصيه مستفحله، و هي اعداد الطعام لعائله كبيره و في سنوات القحط و المجاعه.

فمجموع هذه الأمور أجبرت يعقوب على الرضوخ لطلب أولاده و الموافقه على سفر بنيامين و لكنَّه أخذ منهم العهود و الموائيق على ان يرجعوه سالماً.

٢- السؤال الآخر الذى نواجهه هنا هو أنَّه هل الحلف و أخذ العهد و الموائيق منهم كان كافياً لكى يوافق يعقوب على سفر بنيامين معهم؟ الجواب: أنَّه من الطبيعي انَّ مجرد الحلف و اليمين لم يكن كافياً لذلك، و لكن فى هذه المره كانت الشواهد و القرائن تدلُّ على انَّ هناك حقيقه واضحه قد برزت

الى الوجود، و هي خاليه عن محاولات الخداع و التضليل (كما هو الحال فى المرّه السابقه) ففى مثل هذه الصوره لا سبيل لتأكيد هذه الحقيقه و جعلها اقرب الى التنفيذ سوى العهد و اليمين، مثل ما نشاهده فى هذه الايام من تحليف الزعماء السياسيين كرئيس الجمهوريه او نواب البرلمان، حيث يحلفون بالوفاء للدستور و العمل على طبقه و ذلك بعد ان انتخبهم الشعب من خلال انتخابات حرّه و نزيهه.

ص: ٢٥٨

اشاره

وَقَالَ يَا بَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ (٦٧) وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ مَا كَانَ يُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا وَإِنَّهُ لَدُوٌّ عَلِيمٌ لِمَا عَلَّمْنَاهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٦٨)

التفسير

و أخيرا توجه اخوه يوسف صوب مصر للمرّه الثانيه بعد اذن أبيهم و موافقته على اصطحاب أخيهم الصغير معهم، و حينما أرادوا الخروج ودعهم أبوهم موصيا إياهم بقوله: وَقَالَ يَا بَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ ثُمَّ أَضَافَ: أَنَّهُ لَيْسَ فِي مَقْدُورِي أَنْ أَمْنَعُ مَا قَدَّرَ لَكُمْ فِي عِلْمِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ وَلَكِنْ هُنَاكَ بَعْضُ الْأُمُورِ الَّتِي يُمْكِنُ لِلْإِنْسَانِ أَنْ يَجْتَنِبَ عَنْهَا حَيْثُ لَمْ يَثْبِتْ فِي حَقِّهَا الْقَدْرُ الْإِلَهِيُّ

المحتوم، و ما أسديته لكم من النصيحة هو فى الواقع لدفع هذه الأمور الطارئة و التى بإمكان الإنسان ان يدفعها عن نفسه ثم قال: أخيراً إن الحكم إلا لله عليه توكلت و عليه فليتوكل المتوكلون .

لا شك فى أنّ عاصمه مصر فى تلك الايام شأنها شأن جميع البلدان، كانت تمتلك سورا عاليا و أبوابا متعدده و كان يعقوب قد نصح أولاده بأن يتفرقوا الى جماعات صغيره، و تدخل كل جماعه من باب واحد، لكن الآيه السابقه لم تبين لنا فلسفه هذه النصيحة.

ذهب جمع من المفسرين الى أنّ سبب هذه النصيحة هو أنّ اخوه يوسف كانوا يتمتعون بقسط وافر من الجمال (و ان لم يكونوا كيوسف لكنهم فى كل الأحوال كانوا اخوته) و بأجسام قويه رشيقه، و كان الأب الحنون فى قلق شديد من أنّ الفات نظر الناس الى هذه المجموعه المكونه من ١١ شخصا و يدلّ سيماهم على أنّهم غرباء و أنّهم ليسوا من اهل مصر، فيصيبهم الحسد من تلك العيون الفاحصه.

ثم بعد هذا التفسير - دخل المفسرون فى بحث طويل و نقاش مستمر حول موضوع تأثير العين فى حياه الإنسان و استدّلوا على ذلك بشواهد عديده من الروايات و التاريخ. و نحن بحول الله و قوته سوف نبّحث عن هذا الموضوع عند حديثنا عن قوله تعالى: **وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ** . (١) و نثبت أنّه برغم الخرافات الكثيره التى لفّها العوام حوله إلا أنّ مقداراً من هذا الأمر له حقيقه موضوعيه حيث ثبت علمياً أنّ أمواج سيّاله تخرج من العين و تمتلك بعض المواصفات المغناطيسيه.

و هناك سبب آخر ذكره المفسرون و هو أنّ دخول هذه المجموعه الى مصر بوجوههم المشرقه و أجسامهم الرشيقه القويمه و السير فى شوارعها، قد يثير

ص : ٢٦٠

الحسد و البغضاء فى بعض النفوس الضعيفه فيسعون ضدّهم عند السلطان و يظهرونهم كمجموعه اجنبيه تحاول العبث بأمن البلد و نظامه،فحاول يعقوب عليه السّلام ان يجنبهم بنصيحته عن هذه المشاكل.

و أخيرا حاول بعض المفسّرين تأويل الآيه بمعنى قد يعد ذوقيا...قال: أنّ يعقوب بنصيحته تلك أراد ان يعلم أولاده دستورا اجتماعيا هامّيا،و هو أنّ على الإنسان ان يبحث عن ضالّته بطرق عديده و سبل شتى بحيث لو سدّ طريق بوجهه لكان بمقدوره البحث عنها من طرق اخرى حيث سيكون النصر حليفه فى النهايه،أما إذا حاول الوصول الى هدفه بانتهاجه طريقا واحدا فقط،فقد يصطدم فى أوّل الطريق بعائق يمنعه عن الوصول فعند ذلك يستولى عليه اليأس و يترك السعى اليه.

واصل الاخوه سيرهم نحو مصر،و بعد ان قطعوا مسافه طويله و شاسعه بين كنعان و مصر دخلوا الاراضى المصريه،و عند ذاك وَ لَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ مَا كَانَ يُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فَهُمْ بِرِغْمٍ تَفَرَّقُوا إِلَى جَمَاعَاتٍ صَغِيرَةٍ -طبقا لما وصّاهم به أبوهم-فإنّ الفائده و الثمره الوحيده التى ترتبت على تلك النصيحه ليس (الأحاجه فى نفس يعقوب قضاها)و هذه اشاره الى أنّ اثرها لم يكن سوى الهدوء و الطمأنينه التى استولت على قلب الأب الحنون الذى بعد عنه أولاده،و بقى ذهنه و فكره مشغولا بهم و بسلامتهم و خائفا عليهم من كيد الحاسدين و شرور الطامعين،فما كان يتسلّى به فى تلك الايام لم يكن سوى يقينه القلبي بأنّ أولاده سوف يعملون بنصيحته.

ثمّ يستمرّ القرآن فى مدح يعقوب و وصفه بقوله: وَ إِنَّهُ لَمَذُوعِلْمٍ لِمَا عَلَّمْنَاهُ وَ لَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ وَ هذه اشاره الى أنّ كثيرا من الناس يتيهون فى الأسباب و ينسون قدره الله سبحانه و تعالى و يتصوّرون أنّ ما يصيب الإنسان من الشرور أنّما هو من الآثار الملازمه لبعض العيون فيتوسّلون بغير الله سبحانه

و تعالی لدفع هذه الشرور و يغفلون عن التوكل على الله سبحانه و تعالی و الاعتماد عليه، إلا ان يعقوب كان عالما بأنه بدون اراده الله سبحانه و تعالی لا يحدث شيء، فكان يتوكل في الدرجة الاولى على الله سبحانه و تعالی و يعتمد عليه، ثم يبحث عن عالم الأسباب و من هنا نرى في الآية (١٠٢) من سورة البقره ان القرآن يصف سحره بابل و كهنتها بأنهم و ما هم بضارين به من أحد إلا ياذن الله و هذه اشاره الى ان القادر الوحيد هو الله سبحانه و تعالی، فلا بد من الاعتماد و الاتكال عليه لا على سواه.



اشاره

وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَىٰ إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٦٩) فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَّازِهِمْ جَعَلَ  
السُّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَتَتْهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ (٧٠) قَالُوا وَاقْبُلُوا عَلَيْنَا مَا ذَا تَفْقَهُدُونَ (٧١) قَالُوا نَفَقْدُ صَوَاعَ  
الْمَلِكِ وَلِمَنْ جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ (٧٢) قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ (٧٣) قَالُوا فَمَا  
جَزَاؤُهُ إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ (٧٤) قَالُوا جَزَاؤُهُ مَنْ وَجَدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ (٧٥) فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ  
أَخِيهِ ثُمَّ إِسْتَخْرَجَهَا مِنْ وِعَاءِ أَخِيهِ كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ  
نَشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ (٧٦)

التفسير

اشاره

يوسف يخطط للاحتفاظ بأخيه:

و أخيرا دخل الاخوه على يوسف و اعلموه بأنهم قد نفذوا طلبته و اصطحبوا

معهم أخاهم الصغير برغم امتناع الأب في البدايه، و لكنهم اصروا عليه و انتزعوا منه الموافقه لكي يثبتوا لك أنهم قد وفوا بالعهد، أما يوسف فإنه قد استقبلهم بحفاوه و كرم بالغين و دعاهم لتناول الطعام على مائدته، فأمر ان يجلس كل اثنين منهم على طبق من الطعام، ففعلوا و جلس كل واحد منهم بجانب أخيه على الطعام، و بقي بنيامين وحيدا فتألم من وحدته و بكى و قال: لو كان اخي يوسف حيا لعطف عليّ و لاجلسني الى جنبه على المائدة لأننا اخوه من أب واحد و أم واحده، قال يوسف مخاطبا اياهم: إن أخاكم بقي وحيدا و أنني سأجلسه بجنبي على المائدة و نأكل سوياً من الطعام، ثم بعد ذلك امر يوسف بأن تهيأ لهم الغرف ليستريحوا فيها و يناموا، و مرّه اخرى بقي بنيامين وحيدا، فاستدعاه يوسف إلى غرفته و بسط له الفراش الى جنبه، لكنه لاحظ في تقاسيم وجهه الحزن و الألم و سمعه يذكر أخاه المفقود (يوسف) متأوها، عند ذلك نفذ صبر يوسف و كشف عن حقيقه نفسه، و القرآن الكريم يصف هذه الوقائع بقوله: **وَ لَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَىٰ إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ .**

قوله تعالى (فَلَا تَبْتَئِسْ) مأخوذ من مادّه (البؤس) و هو اصل بمعنى الضرر و الشده، لكن في الآيه الشريفه استعملت بمعنى: لا تسلط الغم على نفسك و لا تكن حزينا من معاملتهم لك، و المراد بقوله «يعملون» هو معامله الاخوه السيئه لأخيه بنيامين حيث خططوا لإبعاده و طرده من بينهم كما فعلوا بيوسف- فقال يوسف لأخيه: لا- تحزن فإنّ المحاولات التي قاموا بها للاحاق الضرر بي قد انقلبت الى خير و سعادته و رفعه لي، إذا لا تحزن و كن على يقين بأنّ محاولاتهم سوف تذهب ادراج الرياح.

و تقول بعض الروايات: أنه عند ذاك اقترح يوسف على أخيه بنيامين و قال له: هل تودّ ان تبقى عندي و لا تعود معهم؟

قال بنيامين: نعم، ولكن اخوتي لا يوافقون على ذلك، لأنهم قد اعطوا أبى العهود و الموائيق المغلظه بأن يرجعونى اليه سالما.

قال يوسف: لا تهتمّ بهذا الأمر فإنى سوف أضع خطه محكمه بحيث يضطرون لتركك عندى و الرجوع دونك.

و بدأ يوسف بتنفيذ الخطه، و امر بأن يعطى لكل واحد منهم حصه من الطعام و الحبوب ثم عند ذاك فلما جهزهم بجهازهم جعل السقايه فى رخل أخيه .

لا شك فى أن يوسف قام بهذا العمل بسريه تامه، و لعله لم يطّلع على هذه الخطه سوى موظف واحد و عند ذاك افتقد العاملون على تزويد الناس بالمؤونه الكيل الملكى الخاص، و بحث عنه الموظفون و العمال كثيرا لكن دون جدوى و حينئذ أذن مؤذن أيتها العير إنكم لسارقون .

و حينما سمع اخوه يوسف هذا النداء ارتعدت فرائصهم و استولى عليهم الخوف، حيث لم يخطر ببالهم ان يتهموا بالسرقة بعد الحفاوه التى قبولوا بها من جانب يوسف، فتوجهوا الى الموظفين و العمال و قالوا لهم: ماذا فقدتم؟ قالوا و أقبلوا عليهم ماذا تفقدون .

قالوا: قد فقدنا صواع الملك و نظن أنه عندكم قالوا نفقد صواع الملك و بما ان الصواع ثمين و مورد علاقه الملك فان لمن يعثر عليه جائزه، و هى حمل بعير من الطعام و ليمين جازاء به جميل بعير، ثم أضاف المؤذن و المسؤول عن البحث عن الصواع المفقود: اننى شخصيا اضمن هذه الجائزه و أنا به زعيم .

فاشتد اضطراب الاخوه لسماهم هذه الأمور و زادت مخاوفهم، و توجهوا الى الموظف مخاطبين اياه قالوا تالله لقد علمتم ما جئنا لنفسد فى الأرض و ما كنا سارقين .

قولهم (لقد علمتم ما جئنا...الى آخره) لعله اشاره الى ما قصده الاخوه فى خطابهم للموظفين من انكم قد وقفتم على حسن نيتنا فى المره السابقه حيث

جنناكم و قد وضعتم الأموال التي دفعناها إليكم ثمنا للطعام في رحالنا، لكننا رجعنا إليكم مرّة ثانية، فلا يعقل أنّنا و قد قطعنا المسافات البعيده للوصول الى بلدكم نقوم بعمل قبيح و نسرق الصواع؟ اضافه الى هذا فقد ورد في بعض المصادر أنّ الاخوه حينما دخلوا ارض مصر أجمعوا جمالهم ليمنعوها من التطاول و التعديّ على المزارع و اموال الناس، فمثلنا الحريص على اموال الناس كيف يعقل ان يقوم بهذا العمل القبيح؟ الا أنّ الموظفين توجّهوا إليهم و قالوا فما جزاؤه إنّ كنتم كاذبين .

أجاب الاخوه:إنّه عقاب من وجد الصواع في رحله هو ان يؤخذ الشخص نفسه بدل الصواع قالوا جزاؤه من وجد في رحله فهو جزاؤه و أنّ هذا العقاب هو جزاء السارق كذلك تجزى الظالمين .

و حينئذ امر يوسف الموظفين و العمال بأنّ تنزل رحالهم من على ظهور الجمال و يفتح متاعهم و ان يبحثوا فيها واحدا بعد واحد و دون استثناء،و تجنّبا عن انكشاف الخطئه امر يوسف بأن ييداوا البحث و التفتيش في امتهه الاخوه اولا- قبل امتهه أخيه بنيامين، لكنهم وجدوه أخيرا في امتهه بنيامين فبدأ بأوعيتهم قبل و عاء أخيه ثم استخرجها من و عاء أخيه .

بعد ان عثر على الصاع في متاع بنيامين،استولى الارتباك و الدهشه على الاخوه،و صعقتهم هذه الواقعة و رأوا أنفسهم في حيره غريبه،فمن جهه قام أخوهم بعمل قبيح و سرق صواع الملك،و هذا يعود عليهم بالخزي و العار،و من جهه اخرى أنّ هذا العمل سوف يفقدهم اعتبارهم و نفوذهم عند الملك خصوصا مع حاجتهم الشديده الى الطعام،و اضافه الى كلّ هذا،كيف يجيئون على استفسارات أبيهم؟و كيف يقنعونه بذنب ابنه و عدم تقصيرهم في ذلك؟ قال بعض المفسرين:أنّه بعد ان عثر على الصاع توجّه الاخوه الى بنيامين و عاتبوه عتابا شديدا،فقالوا له:الا تخجل من فعلك القبيح قد فضحتنا و فضحت

أباك يعقوب، و آل يعقوب.. قل لنا كيف سرقت الصاع و وضعته فى رحلك؟ أجابهم بنيامين بيروء، حيث كان عالما بالقضيّه و اسرارها: انّ الذى قام بهذا العمل و وضع الصواع فى رحلى، هو نفسه الذى وضع الأموال فى متاعكم فى المرّه السابقه، لكن الاخوه لم ينتبهوا-لهول الواقعه عليهم-لمغزى كلام بنيامين (١).

ثمّ يستمرّ القرآن الكريم و يبيّن كيف استطاع يوسف ان يأخذ أخاه بالخطه التى رسمها الله له دون ان يثير فى اخوته اى نوع من المقاومه و الرفض كذالك كذنا ليوسف .

و الأمر المهمّ فى هذه القضيّه هو أنّه لو أراد يوسف ان يعاقب أخاه بنيامين، و طبقا للقانون المصرى- لكان عليه ان يضرب أخاه و يودعه السجن لكن مثل هذه المعامله كانت تخالف رغبات و اهداف يوسف للاحتفاظ بأخيه، و من هنا و قبل القبض على بنيامين، سأل اخوته عن عقوبه السارق عندهم، فاعترفوا عنده بأنّ السنه المتّبعه عندهم فى معاقبه السارق ان يعمل السارق عند المعتدى عليه كالعبد.

لا- ريب انّ للعقوبه و الجزاء طرقا عديده منها ان يعاقب المعتدى على طبق ما يعاقب به فى قومه، و هكذا عامل يوسف أخاه بنيامين، و توضيحا لهذه الحاله و انّ يوسف لم يكن بإمكانه أخذ أخيه طبقا للدستور المصرى يقول القرآن الكريم: ما كان ليأخذ أخاه فى دين المليك لكن الله سبحانه و تعالى يستثنى بقوله: إلا أن يشاء الله و هو اشاره إلى أنّ ما فعله يوسف بأخيه لم يكن الآ بأمر منه سبحانه و تعالى و طبقا لإرادته فى الاحتفاظ ببنيامين، و استمرارا لامتحان يعقوب و أولاده.

و أخيرا يضيف القرآن الكريم و يقول: انّ الله سبحانه يرفع درجات من

ص: ٢٦٧

(١-١) مجمع البيان، ج ٥، ص ٢٥٣ ذيل الآيه.

استطاع ان يفوز فى الامتحان و يخرج مرفوع الراس كما حدث لىوسف نَزَفَعَ دَرَجَاتٍ مِّنْ نَّشَأٍ و لكن فى كل الأحوال فانّ الله تعالى عليم يهدى الإنسان الى سواء السبيل و هو الذى أوقع هذه الخطّة فى قلب يوسف و ألهمه آياها و فَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ .

**بحوث**

**اشاره**

الآيات السابقه تثير اسئله كثيره فلا بدّ من الاجابه عليها:

### **١- لماذا لم يعترف يوسف بالحقيقه**

لماذا لم يعترف يوسف بالحقيقه لإخوته لينهى -و فى اسرع وقت ممكن- مأساه أبيه و ينجيه من العذاب الذى كان يعيشه؟  
الجواب على هذا السؤال: هو ما مرّ علينا خلال البحث، من أنّ الهدف كان امتحان يعقوب و أولاده و اختبار مدى تحمّلهم و صبرهم على الشدائد و المصائب، و بتعبير آخر: لم تكن هذه الخطّة امرا عفويا دون تفكير، و أنّما نفذت طبقا لاوامر الله سبحانه و تعالى و ارادته فى اختبار يعقوب و مدى صبره على مصيبه فقد ثانى اعزّ أولاده، لكى تكمل سلسله الامتحانات و يفوز بالدرجات العاليه التى يستحقّها، كما كانت الخطّة اختبارا لأخوه يوسف فى مدى تحمّلهم للمسؤوليه و قدرتهم على حفظ العهد و مراعاة الامانه التى قطعوها مع أبيهم.

### **٢- لماذا اتهم يوسف أخاه**

هل يجوز شرعا ان يتّهم الإنسان بريئا لم يرتكب ذنبا، و لم تقتصر آثار هذه

ص: ٢٦٨

التَّهمه على البريء وحده، بل تشمل الآخرين من قريب أو بعيد؟ كما هو الحال في يوسف حيث شمل اتَّهامه الاخوه و سبب لهم مشاكل عديده.

يمكن معرفه الجواب بعد وقوفنا على أنّ توجيه هذه التَّهمه لبنيامين كان باتِّفاق مسبق بينه و بين يوسف، و كان عارفاً بأنَّ هدف الخطئه و توجيه التَّهمه اليه لأجل بقاءه عند يوسف، اما بالنسبه للآثار السلبيه المترتبه على الاخوه فإنَّ اتَّهام بنيامين بالسرقه لم يكن في الواقع اتَّهاما مباشرا لإخوته و إنّ سبب لهم بعض التشويش و القلق و لا مانع من ذلك بالنظر الى امتحان مهم.

### ٣- لماذا اتَّهام الجميع بالسرقه

؟ مرّ علينا في الآيه الشريفه قوله تعالى: **إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ** و هذه في الواقع تهمه موجَّهه الى الجميع و هي تهمه كاذبه، فما المسوغ و المجوّز الشرعى لمثل هذا الاتَّهام الباطل؟ يمكن الاجابه على هذا السؤال في عدّه نقاط و هي:

أولاً: إنّ قائل هذه الجمله غير معلوم، حيث ورد في القرآن أنّه (قالوا...) و لعلّ القائلين هم بعض الموظفين من عمّال يوسف و المسؤولين عن حمايه خزائن الجيوب، فهم حينما افتقدوا صواع الملك، اطمأّنوا بأنّ السارق هو احد افراد القافله القادمه من كنعان، فوجَّهوا الخطاب إليهم جميعا، و هذا من الأمور الطبيعیه، فحينما يقوم شخص مجهول في ضمن مجموعه معيَّنه بعمل ما، فإنّ الخطاب يوجَّه إليهم جميعا و يقال لهم: **إِنَّكُمْ فعلتم هذا العمل، و المقصود إنّ احد هذا المجموعه او بعضها قد فعل كذا.**

ثانياً: الطرف الذي وجَّهت اليه التَّهمه و هو بنيامين، كان موافقا على توجيه هذه التَّهمه له، لأنّ التَّهمه كانت مقدّمه للخطئه المرسومه و التي كانت تنتهي ببقاءه عند أخيه يوسف، و اما شمول الاتَّهام لجميع الاخوه و دخولهم جميعا في دائره

الظنّ بالسرقه، فإنّ كلّ ذلك كان اتّهما مؤقّتا حيث زالت بمجرّد التفتيش و العثور على الصّواع و ظهر المذنب الواقعي.

قال بعض المفسّرين: أنّه قصد بالسرقه-فيما نسبوه الى اخوه يوسف-هو ما اقترفه سابقا من سرقة الاخوه يوسف من أبيه، لكن هذا التوجيه يتمّ إذا كانت التهمه قد وجهت إليهم من قبل يوسف، لأنّه كان عالما بالذنب الذي ارتكبه، و لعلّ ما ورد في ذيل الآيه الشريفه يدلّ على ذلك، حيث قال العمّال أنّنا: نَفَقِدُ صُوعَ الْمَلِكِ و مثل هذا الخطاب لا يتضمّن توجيه السرقة إليهم، (و لكن الجواب الاوّل أصح ظاهرا).

#### ٤- عقوبه السرقة في تلك الازمنه

يستفاد من الآيات السابقه أنّ عقوبه السرقة عند المصريين كانت تختلف عنها عند الكنعانيين، فعند اخوه يوسف (آل يعقوب) و لعلّه عند الكنعانيين كانت العقوبه هي عبوديه السارق (بصوره دائمه او مؤقّته) لأجل الذنب الذي اقترفه (١).

لكن المصريين لم يجازوا السارق بالعبوديه الدائمه او المؤقّته، و أنّما كانوا يعاقبون المذنب بالضرب المبرح او السجن، و في كلّ الأحوال لا- يستفاد من قوله تعالى: **قَالُوا جَزَاءُ مَنْ وَجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاءُ أَنْ الشَّرَائِعَ السِّمَاطِيَةَ** كانت تحدّد عقوبه السارق بالعبوديه، و لعلّها كانت سنّه متّبعه عند بعض المجتمعات في تلك الازمنه، و قد ذكر المؤرّخون في تاريخ العبوديه أنّ بعض المجتمعات التي كانت تدين بالشرائع الخرافيه، كانوا يعاقبون المدين العاجز عن سداد دينه بالعبوديه للمدين.

ص: ٢٧٠

١- (١) يقول الطبرسي في مجمع البيان- ذيل الآيه- أنّ السنّه المتّبعه لدى بعض المجتمعات في ذلك الزمان هو ان يصير السارق عبدا لمده سنه كامله، و ذكر ايضا أنّ اسره يعقوب كانت ترى عبوديه السارق بمقدار ما سرق (اي يعمل عندهم بذلك المقدار).



يلاحظ في الآيات السابقه انّ الله سبحانه و تعالى يعبر عن الكيل تاره ب(الصواع)و اخرى ب(السقايه)،و الظاهر أنّهما صفتان لشىء واحد،حيث ورد في بعض المصادر أنّ هذا الصاع كان في أوّل الأمر كأسا يسقى به الملك،ثمّ حينما عمّ القحط و الغلاء في مصر و صار الطعام و الحبوب يوزّع على الناس حسب الحصص،استعمل هذا الكأس الثمين لكيل الطعام و توزيعه،و ذلك إظهارا لاهميّه الحبوب و ترغيبا للناس في القناعه و عدم الإسراف في الطعام.

ثمّ انّ المفسّرين ذكروا أوصافا عديده لهذا الصاع،حيث قال بعضهم أنّها كانت من الفضة و قال آخرون:أنّها كأس ذهبيه،و أضاف آخرون أنّ الكأس كان مطعما بالجواهر و الأحجار الكريمه،و قد وردت في بعض التروايات الضعيفه إشاره الى هذه الأمور،لكن ليس لنا دليل قطعى و صريح على صحه كلّ هذه المذكورات،الّا ما قيل من أنّ هذا الصاع كان في يوم من الايام كأسا يسقى به ملك مصر،ثمّ صار كيلا للطعام، و من البديهي أنّه لا بدّ و ان يكون لهذا الصاع صبغه رمزيه و اعتباريه للدلاله على اهميه الطعام و تحريض الناس على عدم الإسراف فيه،إذ لا يعقل ان يكون الجهاز الذى يوزن به كلّ ما يحتاجه البلد من الطعام و الحبوب،هو مجرد كأس كان يستعمله الملك في يوم من الايام.

و أخيرا فقد مرّ علينا خلال البحث أنّ يوسف قد اختير مشرفا على خزائن الدوله،و من الطبيعى ان يكون الصاع الملكى الثمين فى حوزته،فحينما حكم على بنيامين بالعبوديه صار عبدا لمن كان الصاع فى يده(اى يوسف)و هذه هى النتيجة التى كان يوسف قد خطّط لها.

اشاره

قَالُوا إِنَّ يَسْرِقَ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ فَأَسْرَبَهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنْتُمْ شَرٌّ مَكَانًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ (٧٧)  
قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ (٧٨) قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعَنَا  
عِنْدَهُ إِنَّا إِذًا لظَالِمُونَ (٧٩)

التفسير

اشاره

موقف اخوه يوسف:

و أخيرا اقتنع اخوه يوسف بأن أخاهم (بنيامين) قد ارتكب فعلا- شنيعا و قبيحا و إنه قد شوّه سمعتهم و خذلهم عند عزيز مصر، فأرادوا ان يبرّثوا أنفسهم و يعيدوا ماء وجههم قالوا: إِنَّ يَسْرِقَ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ اى انه لو قام بالسرقة فهذا ليس بأمر عجيب منه فإن أخاه يوسف و هو اخوه لأبويه قد ارتكب مثل هذا العمل القبيح، و نحن نختلف عنهما فى النسب، و هكذا أرادوا ان يفصلوا بينهم و بين بنيامين و يربطوه بأخيه يوسف.

و حينما سمع يوسف كلامهم تأثر بشده لكنه كتم ما فى نفسه فَأَسْرَهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَ لَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ لِأَنَّهُ كَانَ عَالِمًا بِأَنَّهُمْ قَدْ افْتَرَوْا عَلَيْهِ وَ اتَّهَمُوهُ كَذِبًا، إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يَرِدْ عَلَيْهِمْ وَ قَالَ لَهُمْ بِاخْتِصَارٍ وَ اقْتِضَابٍ قَالَ أَنْتُمْ شَرُّ مَكَانًا أَى أَنْكُمْ أَحَقَرُ وَ اشْرَرَّ مَكَانًا مَمَّن تَتَّهَمُونَهُ وَ تَنْسُبُونَ إِلَيْهِ السَّرْقَةَ، أَوْ أَنْتُمْ أَحَقَرُ النَّاسِ عِنْدِي.

ثم أضاف يوسف: إِنَّ اللَّهَ سَبْحَانَهُ وَ تَعَالَى اعْلَمْ بِمَا تَنْسُبُونَ وَ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ .

الملاحظ هنا أنه برغم أن اخوه يوسف افتروا عليه زورا و اتهموه بالسرقه لكي يبرئوا أنفسهم، لكن لا بد و ان تكون لهذه التهمه ارضيه قديمه بحيث تمسك بها الاخوه فى تلك اللحظه الحرجه.

و من هنا فقد قام المفسرون بالبحث و التنقيب فى الروايات القديمه و المصادر التاريخيه، و نقلوا ثلاثه نصوص فى هذا المجال:

الاول: ان يوسف بعد ان توفيت امه قضى فتره من طفولته عند عمته، و قد كانت تكن له حبا عميقا، و حينما كبر يوسف و أراد يعقوب ان يفصله عنها، لم تر عمته حيله و وسيله للاحتفاظ بيوسف الا بحيله نسائيه و ذلك بأن ربطت على خاصرتة حزاما او شالا- مميا تركه آل إسحاق، ثم ادعت ان يوسف أراد سرقته، فلا- بد من ان يعاد إليها يوسف- و طبقا للدستور و السنه المتبعه عندهم- عبدا قنا جزاء له.

الثانى: قيل ان امراه من ارحام يوسف من امه يوسف كان لها صنم تعبده، فأخذ يوسف و حطمه و رمى به على الطريق، فاتهموه بالسرقه.

الثالث: قيل ان يوسف كان يأخذ- أحيانا بعض الطعام من المائده و يتصدق به على الفقراء و المساكين، فعلم الاخوه بذلك و اتهموه بالسرقه.

لكن مثل هذه الأعمال لا تعد سرقه، لأن التبيه يعرف ان ربط الحزام على الشخص دون علمه بأنه ملك الغير. او كسر الصنم و رميه على الطريق، او أخذ



اشاره

فَلَمَّا اسْتَيْأَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ آبَاءَكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ وَمَنْ قَبْلُ مَا فَرَّطْتُمْ فِي يُوسُفَ فَلَنْ  
أُبْرِحَ الْمَرُوضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ (٨٠) اِرْجِعُوا إِلَيَّ أَيُّكُمْ فَقُولُوا يَا أَبَانَا إِنَّ إِيَّاكَ سَرَقَ وَمَا  
شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلَّمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ (٨١) وَسَأَلَ الْقُرَيْهَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعَيْرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ (٨٢)

التفسير

اشاره

رجوع الاخوه الى أبيهم خائبين:

حاول الاخوه ان يستنقذوا اخاهم بنيامين بشتى الطرق، إلا- أنهم فشلوا فى ذلك، و رأوا ان جميع سبل النجاه قد سدّت فى  
وجوههم، فبعد ان فشلوا فى تبرئه أخيههم و بعد ان رفض العزيز استعباد أحدهم بدل بنيامين، استولى عليهم اليأس و صمّموا على  
الرجوع و العوده الى كنعان لكى يخبروا أباهم، يقول القرآن واصفا

أَيَّاهُمْ فَلَمَّا اسْتَيْسَأَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا أَي أَنَّهُمْ بَعْدَ أَنْ يَسُؤُوا مِنْ عَزِيزِ مِصْرَ أَوْ مِنْ انْقِاذِ أَخِيهِمْ، ابْتَعَدُوا عَنِ الْآخِرِينَ وَاجْتَمَعُوا فِي جَانِبٍ وَبَدَأُوا بِالتَّشَاوُرِ وَالنَّجْوَى فِيمَا بَيْنَهُمْ.

قوله تعالى (خلصوا) بمعنى الخلوص، وهو كناية عن الابتعاد عن الآخرين و الاجتماع في جلسه خاصه، أما قوله تعالى «نجيا» فهو من مادّه (المناجاه) و أصله من (نجوه) بمعنى الربوه و الأرض المرتفعه، فباعترار أنّ الربوات منعزله عن اراضيهها المجاوره، سميت الجلسات الخاصه البعيده عن عيون الغرباء و الحديث في السرّ قياسا عليها ب (النجوى) فإذا كلمه (النجوى) تطلق على الحديث السرى و الخاص سواء كانت في جلسه خصوصيه او في محاوره خاصه بين اثنين لا يتعدى سمعهما.

ذهب كثير من المفسرين الى أنّ جملة خَلَصُوا نَجِيًّا تعدّ من افصح العبارات في القرآن و أجملها حيث أنّ الله سبحانه و تعالى قد بيّن في كلمتين أمورا كثيره يحتاج بيانها الى عدّه جمل.

و في ذلك الاجتماع الخاص خاطبهم الأخ الكبير قائلا: قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ آبَاءَكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْتَقًا مِنَ اللَّهِ بِأَنْ تَرُدُّوا إِلَيْهِ بِنِيَامِينَ سَالِمًا، فَالآنَ بِمَاذَا تَجِيبُونَهُ؟ وَ قَدْ سَوَدْنَا صَفْحَتَنَا فِي الْمَرَّةِ السَّابِقَةِ بِمَا عَامَلْنَا بِهِ أَخَانَا يُوسُفَ وَ مِنْ قَبْلُ مَا فَرَطْتُمْ فِي يُوسُفَ (١) فَالآنَ وَ الْحَالِ هَكَذَا-فَإِنِّي لَا آغَادِرُ أَرْضَ مِصْرَ وَ سَوْفَ اعْتَصِمُ فِيهَا فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي وَ هُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ وَ الظاهر أنّ قصده بحكم الله، أمّا الموت الذي هو حكم الهى، أى لا- أبرح من هذه الأرض حتى أموت فيها، و أمّا ان يفتح الله سبحانه و تعالى له سبيلا للنجاه، او عذرا مقبولا عند أبيه.

ص: ٢٧٦

١ - ١) (فَرَطْتُمْ) من مادّه تفريط و أصله من (فروط) على وزن شروط، و معناه التقدّم، و لكن حينما يكون من باب التفعيل يأخذ معنى القصور في التقدّم، و حينما يكون من باب الأفعال (افراط) يأخذ معنى الإسراف في التقدّم و التجاوز عنه.

ثم أمرهم الأخ-الأخ-كبر ان يرجعوا الى أبيهم و يخبروه بما جرى عليهم إرْجِعُوا إِلَىٰ أَبِيكُمْ فَقُولُوا يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنِكَ سَرَقَ وَ هَذِهِ شَهَادَةٌ نَشْهَدُهَا بِمَقْدَارِ عِلْمِنَا عَنِ الْوَاقِعِ حَيْثُ سَمِعْنَا بِفَقْدِ صَوَاعِ الْمَلِكِ، ثُمَّ عَثَرَ عَلَيْهِ عِنْدَ أَخِينَا، وَ ظَهَرَ لِلْجَمِيعِ أَنَّهُ قَدْ سَرَقَهَا وَ مَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَ لَكِنْ نَحْنُ لَا نَعْلَمُ إِلَّا مَا شَهِدْنَاهُ بِأَعْيُنِنَا وَ هَذَا غَايَةُ مَعْرِفَتِنَا وَ مَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ .

و قد يرد احتمال فى تفسير هذه الآيه، فلعلهم بقولهم: وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ...

أرادوا ان يخاطبوا أباهم بأننا و ان قطعنا عند الايمان و العهود المغلظه على ان نرجع أخانا سالما، لكننا لا نعرف من الأمور الآ ظواهرها و من الحقائق الآ بعضها، فغيب الأمور عند الله سبحانه و لم نكن نتصور ان يسرق أخونا.

ثم أرادوا ان يزيلوا الشكّ و الريبه عن قلب أبيهم فقالوا يمكنك ان تتحقق و تسأل من المدينه التى كنا فيها وَ سَيَلَّ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا (١) و من القافله التى سافرنا معها الى مصر و رجعنا معها، حيث انّ فيها أناسا يعرفونك و تعرفهم، و بمقدورك ان تسألهم عن حقيقه الحال و واقعها وَ الْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا (٢) و فى كلّ الأحوال كن على ثقه بأننا صادقون و لم نقص عليك سوى الحقيقه و الواقع وَ إِنَّا لَصَادِقُونَ .

يستفاد من مجموع هذه الكلمات و الحوار الذى دار بين الأولاد و الأب انّ قضيه سرقة بنيامين كانت قد شاعت فى مصر، و انّ جميع الناس علموا بأنّ احد افراد العير و القافله القادمه من كنعان حاول سرقة صواع الملك، لكن موظفى الملك تمكنوا بيقظتهم من العثور عليها و القبض على سارقها، و لعلّ قول الاخوه

ص: ٢٧٧

١ - ١) (القريه) لا- تطلق عند العرب على القرى و الأرياف خاصه، بل يشمل جميع الأرياف و المدن و القرى، الصغيره منها و الكبيره- و المقصود منها فى الآيه هى مصر.

٢ - ٢) «عير» كما يقول الراغب فى المفردات- تعنى الجماعه التى تصحب معها الإبل و الدواب المحمله بالغذاء، اى يطلق على المجموع «عير» فعلى هذا يكون السؤال منهم ممكنا لانّ الكلمه تشمل الأشخاص ايضا و لا حاجه للتقدير، و لكن بعض المفسرين ذهب الى انّ «العير» يطلق على الدواب فقط فلا بدّ من التقدير كما هو الحال فى «القريه».

لأبيهم وَ سئلِ الْقَرْيَةَ... اى اسأل ارض مصر، كناية عن ان القضية شاعت بحيث علم بها حتى اراضى مصر و حيطانها.

بحوث

اشاره

## ١- من هو اكبر الاخوه

؟ ذهب بعض المفسرين الى انه كان رويين (روييل) وقال آخرون: انه (شمعون) واحتمل البعض ان يكون أكبرهم هو (يهودا).

و حصل نقاش آخر بين المفسرين فى انه ما المقصود من الكبر، هل هو فى العمر ام فى العقل؟ لكن الاستفادة من ظاهر الآيه ان المقصود به هو اكبر الاخوه فى العمر.

## ٢- الحكم وفق الدلائل الظاهره:

و يستفاد من مدلول الآيه الشريفه انه يحق للقاضى و الحاكم ان يحكم فى الواقعه المرفوعه اليه على ما يستفاده من القرائن و الشواهد القطعيه، و ان يقرّ المتهم او يشهد الشهود عنده، لاننا لاحظنا فى قضيه اخوه يوسف انه بمجرد ان عثر على الصاع فى متاع بنيامين عدّ مذنباً و حكم عليه بالسرقه من دون شهاده او اقرار، لاننا حينما نتحرى عن القضيه نرى ان كل شخص كان مسئولاً عن حمل متاعه من الحبوب بنفسه، او انه كان حاضراً على الأقل عند تحميل العمال لمتاعه، و من جهه اخرى لم يكن يتصور احد ان هناك خطه فى البين، و هؤلاء الاخوه لم يعاديهم احد فى مصر، فجميع القرائن و الشواهد تورث اليقين بانّ هذا الفعل (السرقه) قد صدر عنّ وجد عنده الصاع.

و هذا الموضوع بحاجه الى دراسه عميقه فى الفقه الاسلامى لتأثيره المهم

ص: ٢٧٨



فى قضايانا المعاصره لآن عالم اليوم يعتمد عليه كثيرا فى محاكماته، لكننا تركنا هذا المبحث لآن مجاله كتاب (القضاء).

٣- يستفاد من الآيات السابقه ان اخوه يوسف كانت طبائعهم مختلفه، اما الأخ الأكبر فإنه كان وفيًا بميثاقه و حافظا لوعده الذى واعد به أباه، أمّا بقيّة الاخوه فإنهم بعد ان شاهدوا فشل جميع محاولاتهم فى اقناع العزيز، تراجعوا عن موقفهم و عدّوا أنفسهم معذورين، و من الطبيعى انّ ما قام به الأخ الأكبر كان هو الأسلوب المجدى و الصحيح، لآنه ببقائه فى مصر و الاعتصام بها و على مقربه من بلاط العزيز و قصره كان باعثا للامل فى ان يترحمّ العزيز على الاخوه و على أبيهم الشّيخ الكبير، و يعفو عن هذا الغريب و لا- يجازيه من اجل صاع سرقة ثمّ عثر عليه العمّال، فعلى هذا و املا فى استجداء عطف العزيز، بقى فى مصر و بعث بإخوته الى أبيهم فى كنعان ليبلغوه الخبر و يطلبوا منه ان يدلّهم على الطريق الصحيح لانقاذ أخيهم.

ص: ٢٧٩

اشاره

قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (٨٣) وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسِيفِي عَلَى يُوسُفَ وَإِضْطَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ (٨٤) قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتُنَا تَذَكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضاً أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ (٨٥) قَالَ إِنَّمَا أَشْكُوا بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٨٦)

التفسير

اشاره

يعقوب و الألفاظ الالهيه:

و أخيرا غادروا مصر متجهين الى كنعان فى حين تخلف أخواهم الكبير و الصغير، و وصلوا الى بيتهم منهو كى القوى و ذهبوا لمقابله أبيهم، و حينما رأى الأب الحزن و الألم مستوليا على وجوههم (خلافًا للسفره السابقه و التى كانوا فيها فى غايه الفرح) علم أنهم يحملون اليه اخبارا محزنه و خاصه حينما افتقد بينهم بنيامين و أخاه الأكبر، و حينما اخبروه عن الواقعه بالتفصيل، استولى عليه

الغضب و قال مخاطبا إياهم بنفس العبارة التي خاطبهم بها حينما أرادوا ان يشرحوا له خديعتهم مع يوسف قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً اى ان أهواءكم الشيطانية هي التي استولت عليكم و زينت لكم الأمر بهذه الصورة التي أنتم تصفونه.

السؤال الذى يطرح نفسه هنا، هو ان يعقوب هل اكتفى فى نسبه الكذب و اتباع الهوى لأولاده استنادا الى ما فعلوه فى المره السابقه مع يوسف من سوء الفعل و الحنث باليمين و العهد، مع ان مثل هذا الظنّ و القول و اتهام الآخرين لمجرد تجربه سابقه بعيد عن سيره عامه الناس فضلا عن يعقوب الذى هو نبى معصوم، و على الخصوص إذا استند المدعى فى دعواه على وثائق و مستندات تثبت دعواه، كما ان طريق الفحص و التحقيق عن واقع الحال كان مفتوحا ليعقوب.

او كان يعقوب يقصد بقوله: (بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ... الى آخر) الاشاره الى امور اخرى، منها:

١- لعله عتاب لأولاده لخضوعهم امام الأمر الواقع و تسليمهم لحكم العزيز بمجرد عثور الصاع عند أخيهم، مع ان العثور بمفرده لا يعدّ دليلا منطقيًا على السرقة.

٢- و لعله عتاب لأولاده لما بينوه للعزيز من ان عقوبه السارق عندهم هو استعباده مع ان هذه السنه السائره فى اهل كنعان سنه باطله و لا تعدّ قانونا سماويا (هذا ان قلنا ان هذه السنه لم تكن مأخوذه من شريعه يعقوب كما ذهب اليه بعض المفسرين).

٣- و أخيرا لعله عتاب لأولاده على استعجالهم فى الخضوع لأحكام العزيز و خلق المعاذير و المبررات و الرجوع مستعجلين الى كنعان دون الاقتداء بأخيهم الكبير فى البقاء بمصر برغم العهود و المواثيق المغلظه التي قطعوها مع أبيهم (١).

ص: ٢٨١

(١- ١) احتمال بعض المفسرين ان هذه الآيه لعلها اشاره الى قصه يوسف، لكنه بعيد عن الواقع، لان الآيات السابقه لا

لكن بعد هذا العتاب الملىء بالحزن والاسى رجع يعقوب الى قراره نفسه وقال: فَصَبْرٌ جَمِيلٌ اى اُننى سوف امسك بزمام نفسى، و لا- اسمح لها بأن تطغى على بل اصبر صبرا جميلا على امل بأن الله سبحانه و تعالى سوف يعيد لى اولادى (يوسف و بنيامين و أخوهم الأ-كبر) عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا فَإِنَّهُ هُوَ الْعَالِمُ بِوَأَقِعِ الْأُمُورِ وَ الْخَبِيرُ بِحَوَادِثِ الْعَالَمِ مَا مَضَى مِنْهَا وَ مَا سَوْفَ يَأْتِي، وَ لَا يَفْعَلُ إِلَّا عَنْ حُكْمِهِ وَ تَدْبِيرٍ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ .

ثم بعد هذه المحاورات بين يعقوب و أولاده، استولى عليه الحزن و الألم، و حينما رأى مكان بنيامين خاليا عادت ذكريات ولده العزيز يوسف إلى ذهنه، و تذكر تلك الايام الجميله التى كان يحتضن فيها ولده الجميل ذا الأخلاق الفاضله و الصفات الحسنه و الذكاء العالى فيشم رائحته الطيبه و يستعيد نشاطه، أما اليوم فلم يبق منه اثر و لا عن حياته خبر، كما أن خليفة (بنيامين) ايضا قد ابتلى مثل يوسف بحادث مؤلم و ذهب الى مصير مجهول لا تعرف عاقبته.

حينما تذكر يعقوب هذه الأمور ابتعد عن أولاده و استعبر ليوسف وَ تَوَلَّى عَنْهُمْ وَ قَالَ يَا أَسِيفِي عَلَى يَوْسُفَ أَمَا الْإِخْوَةُ فَإِنَّهُمْ حينما سمعوا باسم يوسف، ظهر على جبينهم عرق الندامه و ازداد خجلهم و استولى عليهم الحزن لمصير اخويهم بنيامين و يوسف، و اشتد حزن يعقوب و بكاؤه على المصائب المتكرره و فقد اعز أولاده وَ ابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ لكن يعقوب كان- فى جميع الأحوال مسيطرا على حزنه و يخفف من آلامه و يكظم غيظه و ان لا يتفوه بما لا يرضى به الله سبحانه و تعالى فَهُوَ كَظِيمٌ .

يفهم من هذه الآيات ان يعقوب لم يكن فاقدًا لبصره، لكن المصائب الاخيره و شدّه حزنه و دوام بكائه افقده بصره، و كما أشرنا سابقا فإن هذا الحزن و الألم و العمى كان خارجا عن قدرته و اختياره، فإذا لا يتنافى مع الصبر الجميل.

(١)

تبحث عن قضيه يوسف و فراقه عن أبويه.

ص: ٢٨٢

أَمَّا الْإِخْوَةُ فَكَانُوا مَتَأَلِّمِينَ مِنْ جَمِيعِ مَا جَرَى لَهُمْ، فَمِنْ جِهَةٍ كَانَ عَذَابُ الْوَجْدَانِ لَا يَتْرَكُهُمْ مِمَّا أَحْدَثُوهُ لِيُوسِفَ، وَفِي قَضِيَّتِهِ بِنِيَامِينَ - شَاهَدُوا أَنْفُسَهُمْ فِي وَضْعِ صَعْبٍ وَامْتِحَانِ جَدِيدٍ، وَ مِنْ جِهَةٍ ثَالِثَةٍ كَانَ يَصْعَبُ عَلَيْهِمْ أَنْ يَشَاهَدُوا آبَاءَهُمْ يَتَجَرَّعُ غَصَصَ الْمَرَارَةِ وَالْأَلَمِ وَيُوَاصِلُ بِكَأْوِهِ اللَّيْلَ بِالنَّهَارِ، تَوَجَّهُوا إِلَى آبَائِهِمْ وَخَاطَبُوهُ مَعَاتِبِينَ قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتُوْنَا تَذَكَّرْ يُوْسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ (١) أَي أَنْكَ تَرَدَّدَ ذَكَرَ يُوْسُفَ وَتَتَأَسَّفُ عَلَيْهِ حَتَّى تَتَمَرَّضَ وَتَشْرَفَ عَلَى الْهَلَاكِ وَتَمُوتَ.

لَكِنَّ شَيْخَ كِنْعَانَ هَذَا النَّبِيَّ الْعَظِيمَ وَالْمَتَّقِيَّ الضَّمِيرِ رَدَّ عَلَيْهِمْ بِقَوْلِهِ: إِنَّمَا أَشْكُوا بَنِيَّ وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ (٢) لَا إِلَيْكُمْ، أَنْتُمْ الَّذِينَ تَخُونُونَ الْوَعْدَ وَتَنْكُثُونَ الْعَهْدَ لِأَنِّي وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ فَهُوَ اللَّطِيفُ الْكَرِيمُ الَّذِي لَا يُطَلَّبُ سِوَاهُ.

ص: ٢٨٣

١- ١) (حرض) على وزن مرض بمعنى الشىء الفاسد و المؤلم، و المقصود منه هنا هو المريض الذى ضعف جسمه و صار مشرفا على الموت.

٢- ٢) (بث) بمعنى التفرقه و الشىء الذى لا يمكن إخفاؤه، و المقصود منه هنا هو الألم و الحزن الظاهر الذى لا يخفى على احد.

اشاره

يٰۤاَيُّهَا بَنِيٓ اِسْرٰٓءِيْلَ اذْهَبُوْا فَتَحَسَّسُوْا مِنْ يُّوسُفَ وَ اٰخِيْهِ وَ لَا تَبۡتَاسُوْا مِنْ رُّوْحِ اللّٰهِ اِنَّهٗ لَا يَبۡتَاسُ مِنْ رُّوْحِ اللّٰهِ اِلَّا الَّذِيۙنَ كَفَرُوْۤا فَلَمَّا دَخَلُوْا عَلَيْهِ قَالُوْۤا يَا اَيُّهَا الْعَزِيْزُ مَسَّنَا وَ اَهْلُنَا الضُّرُّ وَ جِئْنَا بِبِضَاعِنَا بِۤيۡضَاعٍ مُّزۡجَاۤءٍ فَاَوۡفِ لَنَا الْكَيْلَ وَ تَصَدَّقْ عَلَيْنَا اِنَّ اللّٰهَ يَجۡزِي الْمُتَصَدِّقِيۙنَ (٨٨) قَالَ هَلْ عَلِمْتُمۡ مَا فَعَلْتُمۡ بِيُّوسُفَ وَ اَخِيْهِ اِذۡ اَنْتُمْ جَاهِلُوۡنَ (٨٩) قَالُوْۤا اِنَّكَ لَانَتَ يُّوسُفُ قَالَ اَنَا يُّوسُفُ وَ هٰذَا اَخِيۙ قَدْ مَنَّ اللّٰهُ عَلَيْنَا اِنَّهٗ مِنْ يَتِّقِ وَ يَصۡبِرْ فَاِنَّ اللّٰهَ لَا يُضِيْعُ اَجۡرَ الْمُحۡسِنِيۙنَ (٩٠) قَالُوْۤا تَاللّٰهِ لَقَدْ اٰتٰرَكَ اللّٰهُ عَلَيْنَا وَ اِنۡ كُنَّا لَخٰطِئِيۙنَ (٩١) قَالَ لَا تَثۡرِيۙبَ عَلَيۡكُمۡ اَلۡيَوْمَ يَغۡفِرُ اللّٰهُ لَكُمْ وَ هُوَ اَرْحَمُ الرَّاۤحِمِيۙنَ (٩٢) اذْهَبُوْا بِقَمِيصِيۙ هٰذَا فَالۡقُوْهُ عَلٰى وَجِهِ اَبِيۙ يٰٓاَتِ بِصَبۡرًا وَ اٰتُونِيۙ بِاَهۡلِكُمۡ اٰجۡمَعِيۙنَ (٩٣)

التفسير

اشاره

البأس علامه الكفر

! كان القحط و الغلاء و شحّ الطعام يشتدّ يوما بعد آخر في مصر و ما حولها

و منها كنعان، و مرّه اخرى امر يعقوب اولاده بأن يتجهوا صوب مصر للحصول على الطعام، لكنّه هذه المرّه طلب منهم بالدرجه الاولى ان يبحثوا عن يوسف و أخيه بنيامين، حيث قال لهم: يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَ أَخِيهِ .

لكن بما أنّ اولاد يعقوب كانوا مطمئنين الى هلاك يوسف و عدم بقاءه، تعجبوا من توصيه أبيهم و تأكيده على ذلك، لكن يعقوب نهاهم عن اليأس و القنوط و وصّاهم بالاعتماد على الله سبحانه و الاتكال عليه بقوله: وَ لَا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ فَإِنَّهُ الْقَادِرُ عَلَى حَلِّ الصَّعَابِ وَ إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ .

(تحسّس) أصله من (حس) بمعنى البحث عن الشيء المفقود بأحد الحواس، و هنا بحث بين اللغويين و المفسرين في الفرق بينه و بين (تجسّس) و قد نقل عن ابن عباس أنّ التحسّس هو البحث عن الخير، و التجسّس هو البحث عن الشرّ، لكن ذهب آخرون الى أنّ التجسّس هو السعي في معرفه سيره الأشخاص و الأقسام دون التجسّس الذي هو البحث لمعرفه العيوب.

و هنا رأى ثالث في أنّهما متّحدان في المعنى، إلاّ أنّ ملاحظه الحديث الوارد بقوله: «لا تجسّسوا و لا تحسّسوا» يثبت لنا أنّهما مختلفان و أنّ ما ذهب اليه ابن عباس في الفرق بينهما هو الأوفق بسياق الآيات المذكوره، و لعلّ المقصود منهما في هذا الحديث الشريف: لا تبحثوا عن امور الناس و قضاياهم سواء كانت شرّام خيرا.

قوله تعالى «روح» بمعنى الرحمه و الراحة و الفرج و الخلاص من الشدّه.

يقول الراغب الاصفهاني في مفرداته «الروح و الرّوح في الأصل واحد

و جعل الروح اسما للنفس... و الروح التنفس و قد أراح الإنسان إذا تنفس...).

و أخيرا جمع الاخوه متاعهم و توجهوا صوب مصر، و هذه هى المره الثالثه التى يدخلون فيها ارض مصر، هذه الأرض التى سببت لهم المشاكل و جزّت عليهم الولايات.

لكن فى هذه السفره-خلافًا للسفرتين السابقتين- كانوا يشعرون بشيء من الخجل يعذب ضمائرهم فإن سمعتهم عند اهل مصر او العزيز ملوثة للوصمه التى لصقت بهم فى المره السابقه، و لعلهم كانوا يرونهم بمثابة (مجموعه من لصوص كنعان) الذين جاؤوا للسرقة. و من جهه اخرى لم يحملوا معهم هذه المره من المتاع ما يستحق ان يعاوضوه بالطعام و الحبوب، اضافه الى هذه الأمور فإن فقد أخيهم بنيامين و الآلام التى المّت بأبيهم كانت تزيد من قلقهم و بتعبير آخر فإن السكين قد وصلت الى العظم، كما يقول المثل إلا انّ الذى كان يبعث فى نفوسهم الأمل و يعطيهم القدره على تحمّل الصعاب هو وصيه أبيهم لا تفتأوا من روح الله .

و أخيرا استطاعوا ان يقابلوا يوسف، فخاطبوه- و هم فى غايه الشده و الألم- بقولهم: فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسْنَا وَ أَهْلْنَا الضُّرُّ أَيِ أَنْ الْقَحْطَ وَ الْغَلَاءَ وَ الشَّدَّةَ قَدْ مَتَّ بِنَا وَ بَعَائِلَتْنَا وَ لَمْ نَحْمَلْ مَعْنَا مِنْ كَنْعَانَ إِلَّا مَتَاعًا رَخِيسًا وَ جِثًّا بِيضَاعِهِ مُزْجَاهٍ (١) لا قيمه لها و لكن فى كل الأحوال-نعتمد على ما تبذل لنا من كرمك و نأمل فى معروفك فأوف لنا الكيل بمنك الكريم و صدقاتك الوافره وَ تَصَدَّقْ عَلَيْنَا وَ لَا تَطْلُبْ مِنَّا الْأَجْرَ، بل اطلبه من الله سبحانه و تعالى حيث إنَّ اللهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ .

ص: ٢٨٦

١- ١) (البضاعه) أصلها (البضع) على وزن جزء، و هى بمعنى القطعه من اللحم المقطوعه من الجسم، كما يطلق على جزء من المال الذى يقتطع منه ثمنًا لشيء (مزجاه) من (الإزجاء) بمعنى الدفع، و بما أنّ الشيء التافه و القليل الثمن يدفعه الآخذ عن نفسه، اطلق عليه (مزجاه).



و الطريف أنّ اخوه يوسف لم ينفذوا وصيّه أبيهم في البحث عن إخوتهم أوّلاً، بل حاولوا الحصول على الطعام، و لأجل ذلك قابلوا العزيز و طلبوا منه المؤن و الحبوب، و لعلّ السبب في ذلك ضعف أملهم في العثور على يوسف، او لعلّهم أرادوا ان يظهروا أنفسهم امام العزيز و المصريين و كأنّهم أناس جاؤوا لشراء الطعام و الحبوب فقط، فمن ثمّ يطرحوا مشكلتهم امام العزيز و يطلبوا منه المساعدة، فعند ذاك يكون وقع الطلب أقوى و احتمال تنفيذه اكثر.

قال بعض المفسّرين: إنّ مقصود الاخوه من قولهم: تَصَدَّقْ عَلَيْنَا كَانَ طَلَب الْإِفْرَاجِ عَنْ أُخِيهِمْ لِأَنَّهُمْ لَمْ يَطْلُبُوا مِنَ الْعَزِيزِ الطَّعَامَ وَ الْحَبُوبَ مَجَانًا دُونَ عَوْضٍ حَتَّى يَطْلُبُوا مِنْهُ التَّصَدَّقَ عَلَيْهِمْ، فَإِنَّهُمْ يَدْفَعُونَ ثَمَنَهُ.

و نقرا في روايات وردت في هذا المقام، أنّ الاخوه كانوا يحملون معهم رساله من أبيهم الى عزيز مصر، حيث مدح يعقوب في تلك الرساله عزيز مصر و اكبر عدالته و صلاحه و شكره على ما بذله له و لعائلته من الطعام و الحبوب، ثمّ عرّف نفسه و الأنبياء من اهل بيته و أخبره برزاياه و ما تحمله من المصائب و المصاعب من فقده اعزّ أولاده و احتبهم الى نفسه يوسف و أخيه بنيامين، و ما أصابهم من القحط و الغلاء، و في ختام الرساله طلب من العزيز ان يمنّ عليه و يطلق سراح ولده بنيامين، و ذكره أنّ بنيامين سليل بيت النبوه و الرساله و أنّه لا يتلوث بالسرقة و غيرها من الدناءات و المعاصي.

و حينما قدّم الأولاد رساله أبيهم الى العزيز شاهدوا أنّه فضّ الرساله باحترام و قبلها و وضعها على عينيه و بدا يبكي بحيث أنّ الدموع بّلت ثيابه (١) (و هذا ما حير الاخوه، و بداوا يفكّرون بعلاقه العزيز مع أبيهم بحيث جعله يبكي شوقا و شغفا حينما فتحها، و لعلّ فعل العزيز اثار عندهم احتمال ان يكون يوسف هو العزيز، و لعلّ هذه الرساله أثارت عواطف العزيز و شعوره بحيث لم يطق صبرا

ص: ٢٨٧

و عجز عن ان يخفى نفسه بغطاء السلطه و أجبره على كشف نفسه لإخوته).

و فى تلك اللحظه، و بعد ان مضت ايام الامتحان الصعب- و كان قد اشتدت محنه الفراق على يوسف و ظهرت عليه آثار الكآبه و الهم، أراد ان يعرّف نفسه لإخوته فابتدرهم بقوله: هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَ أَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ .

لاحظوا عظمه يوسف و علوّ نفسه حيث يسألهم أوّلا- عن ذنبهم لكن بهذه الكنايه اللطيفه يقول: مَا فَعَلْتُمْ و ثانيا يبيّن لهم طريقه الاعتذار و أنّ ما ارتكبه فى حقّ إخوتهم أنّما صدر عن جهلهم و غرورهم، و أنّه قد مضى ايام الصبى و الطفوله و هم الآن فى دور الكمال و العقل! كما أنّه يفهم من الآيه الشريفه أنّ يوسف لم يكن وحده الذى ابتلى بإخوته و معاملتهم السيئه، بل أنّ بنيامين ايضا كان يقاسى منهم ألوان العذاب، و لعلّه قد شرح لأخيه يوسف فى الفتره التى قضاها فى مصر، جانبا ممّا عاناه تحت أيديهم، و يستفاد من بعض التّروايات أنّ يوسف حينما استفسر عمّا فعلوه معه و مع أخيه ختم استفساره بابتسامه عريضه ليدفع عن أذهانهم احتمال أنّه سوف ينتقم منهم فظهرت لإخوته أسنانه الجميله و لاحظوا و تذكروا الشبه بينه و بين أسنان أخيهم يوسف (1).

أمّا هم، فإنّهم حينما لاحظوا هذه الأمور مجتمعه، و شاهدوا أنّ العزيز يتحدّث معهم و يستفسرهم عمّا فعلوه بيوسف، تلك الأعمال التى لم يكن يعلمها احد غيرهم الا يوسف.

و من جهه اخرى ادهشهم يوسف و ما اصابه من الوجد و الهياج حينما استلم كتاب يعقوب، و احسّوا بعلاقه وثيقه بينه و بين صاحب الرساله.

و ثالثا كلّما أمعنوا النظر فى وجه العزيز و دقّقوا فى ملامحه، لاحظوا الشبه الكبير بينه و بين أخيهم يوسف.. لكنّهم فى نفس الوقت لم يدر بخلدهم و لم

ص: ٢٨٨

(١-١) مجمع البيان فى ذيل الآيه الشريفه.

يتصوّروا أنّه يمكن ان يكون أخوهم يوسف قد ارتقى منصب الوزارة و صار عزيزا لمصر، اين يوسف و اين الوزارة و العزّه؟! لكنّهم تجرّأوا أخيرا و سألوه مستفسرين منه قالوا أ إِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ .

كانت هذه الدقائق أصعب اللحظات على الاخوه، حيث لم يكونوا يعرفون محتوى اجابه العزيز او أنّه هل يرفع الستار و يظهر لهم حقيقته، ام أنّه سوف يعتقد بأنّهم مجانين حيث ظنّوا هذا الظنّ.

كانت اللحظات تمرّ بسرعه و الانتظار الطويل يثقل على قلوبهم فيزيد في قلقهم، لكن يوسف لم يدع اخوته يطول بهم الانتظار و رفع الحجاب بينه و بينهم و اظهر لهم حقيقه نفسه و قالَ أَنَا يُوسُفُ وَ هَذَا أَخِي لَكِن لَكِي يَشْكُرُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى عَلَى مَا أَنْعَمَ مِنْ جَمِيعِ هَذِهِ الْمَوَاهِبِ وَ النِّعَمِ، و لكى يعلم اخوته درسا آخر من دروس المعرفه قال: إِنَّهُ قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَ يَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ .

لا يعرف احد كيف مرّت هذه اللحظات الحساسه على الاخوه كما لا يعرف احد مدى انفعالهم و ما خامرهم من السرور و الفرح و كيف تعانقوا و احتضنوا أخاهم و الدموع الغزيره التى ذرفوها و ذلك حينما التقوا بأخيهم و بعد عشرات السنين من الفراق، لكنّهم فى كلّ الأحوال كانوا لا يطيقون النظر إلى وجه أخيهم يوسف لعلمهم بالذنب و الجريمه التى اقترفوها فى حقّه، فترقبوا اجابه يوسف و أنّه هل يغفر لهم إساءتهم اليه و يعفو عن جريمتهم ام لا؟ فابتدءوا مستفسرين بقولهم: قالوا تَاللّهِ لَقَدْ آتَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا (١) اى انّ الله سبحانه و تعالى قد فضلك علينا بالعلم و الحلم و الحكومه و إنّ كُنَّا لَخَاطِئِينَ (٢) .

ص: ٢٨٩

١ - ١) (آثر ك) أصله من (الإيثار) و فى الأصل بمعنى البحث عن اثر الشىء، و بما أنّه يقال للفضل و الخير: اثر، فقد استعملت هذه الكلمه للدلاله على الفضيله و العلو، فبناء على هذا يكون معنى قوله آتَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا اى انّ الله سبحانه و تعالى قد أكرمك و فضلك علينا لما قمت به من الأعمال الخيره.

٢ - ٢) يرى الفخر الرازى فى تفسيره أنّ الفرق بين الخاطى و المخطى هو أنّ الخاطى يقال لمن تعمد الخطأ، و المخطى لمن

أمّا يوسف الذى كانت نفسه تأبى ان يرى اخوته فى حال الخجل و الندامة- خاصّه فى هذه اللحظات الحسّاسه و بعد انتصاره عليهم- او لعلّه أراد ان يدفع عن أذهانهم ما قد يتبادر إليها من احتمال ان ينتقم منهم، فخاطبهم بقوله: <sup>□□</sup> قَالَ لَا تَثْرِبَ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ (١) اى انّ العتاب و العقاب مرفوع عنكم اليوم، اطمئنوا و كونوا مرتاحى الضمير و لا تجعلوا للآلام و المصائب السابقه منفذا الى نفوسكم، ثمّ لكى يبيّن لهم أنّه ليس وحده الذى أسقط حقّه و عفا عنهم، بل إنّ الله سبحانه و تعالى ايضا عفا عنهم حينما أظهروا الندامة و الخجل قال لهم: يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَ هُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ اى انّ الله سبحانه و تعالى قد قبل توبتكم و عفا عنكم لأنّه ارحم الراحمين.

و هذا دليل على علو قدر يوسف و غايه فضله حيث أنّه لم يعف عن سيئات اخوته فحسب، بل رفض حتّى ان يوبّخ و يعاتب اخوته-فضلا عن ان يجازيهم و يعاقبهم-اضافه الى هذا فإنّه طمأنهم على انّ الله سبحانه و تعالى رحيم غفور و أنّه تعالى سوف يعفو عن سيئاتهم، و استدلّ لهم على ذلك بأنّ الله سبحانه و تعالى هو ارحم الراحمين.

و هنا تذكر الاخوه مصيبيه اخرى قد الّمت بعائلتهم و الشاهد الحى على ما اقترفوه فى حقّ أخيهم الا و هو أبوهم حيث فقد الشيخ الكبير بصره حزنا و فراقا على يوسف، أمّا يوسف فإنّه قد وجد لهذه المشكله حلا حيث خاطبهم بقوله:

إذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَالْقُوهُ عَلَيَّ وَجْهَ أَبِي يَأْتِ بِصِيرًا

ثمّ طلب منهم ان يجمعوا العائله و يأتوا بهم جميعا و أتونى بأهلكم أجمعين .

(٢)

اخطأ عن سهو.

ص : ٢٩٠

---

١- ١) «تثريب» أصله من مادّه (ثرب) و هو شحمه رقيقه تغطى المعده و الأمعاء، و التثريب بمعنى رفع هذا الغطاء، ثمّ بمعنى العتاب و الملامه فكان المعاقب قد رفع بعتابه غطاء الذنب عن وجه المذنب (راجع القاموس و مفردات الراغب و تفسير الرازى و روح المعانى).

## ١- من الذى حمل قميص يوسف

؟ ورد فى بعض الروايات أنّ يوسف قال: إنّ الذى يحمل قميصى المشافى الى أبى لا بدّ و ان يكون هو نفسه الذى حمل قميصى الملطّخ بالدماء اليه، لكى يدخل السرور على قلبه بعد ان ملا قلبه حزنا و ألما من قبل! فأعطى ل(يهودا) قميصه بعد ان اعترف له أنّه هو الذى حمل قميصه الملطّخ بالدماء الى أبيه و أخبره بأنّ الذئب قد أكل يوسف، و هذا التصرّف من يوسف ان لم يدلّ على شيء فإنّه يدلّ على أنّه برغم اعماله الكثيره و متاعبه اليوميّه، فإنّه لم يغفل عن صغائر الأمور المتعلّقه بالسلوك الاخلاقى (١).

## ٢- يوسف و جلاله شأنه:

ورد فى بعض الروايات أنّ اخوه يوسف- بعد هذه القضايا- كانوا يحسّون بالخجل الشديد فأرسلوا اليه من يقول له: يا يوسف أنّك تستضيفنا كلّ يوم صباحا و مساء- على مائدتك فأكل من زادك و هذا ما يزيد فى خجلنا حيث لا نطق النظر الى وجهك بعد ان نتذكّر اساءتنا إليك، فأجابهم بكلمه لطيفه ليبعد عنهم الخجل بأنّ الفضل يعود إليهم، و أنّ جلوسهم على مائدته لهو مكرمه منهم و أنّ الشعب المصرى كانوا ينظرون الى نظره الحزّ الى العبد و يقولون فيما بينهم (سبحان من بلغ عبدا بيع بعشرين درهما ما بلغ!!) اى انظروا الى فعل الله سبحانه و تعالى بهذا العبد فإنّه قد بيع فى السوق بعشرين درهما و هو الآن وصل الى هذه المرتبه الساميه، لكنّهم الآن ينظرون الى مائدتى و أنتم جلوس حولها، فيعرفون قدرى و تثبت لهم منزلتى و أنّى لست بعبد ذليل بيع بعشرين درهما، و أنّما انا سليل بيت النبوّه و الرساله و من أولاد نبى الله ابراهيم الخليل، و هذا ما أباهى

ص: ٢٩١

و افتخر به امام الآخريين (١).

### ٣- الشكر على الانتصار:

انّ الآيات السابقة تعلّمنا بجلاء و وضوح درسا من دروس الأخلاق الاسلاميه، و هو أنّه بعد الانتصار على العدو و كسر شوكته لا بدّ ان لا ننسى العفو و الرحمه، و ان لا نعامله بقساوه، فإنّ اخوه يوسف قد عاملوه اشدّ المعامله أشرفت به على نهايته و أوصلته الى أبواب الموت، و لو لم تشمله عنايه الله سبحانه و تعالى، لعجز عن الخلاص ممّا وقعوه فيه، هذا اضافه الى المصائب و الآلام التي تحملها أبوه، لكنّهم الآن جميعا واقفون امام يوسف و هو السيّد المطاع و بيده القوّه و القدره، لكنّهم عاملهم بلطف و احسان.

كما أنّه يفهم من خلال حديثه معهم أنّه لم يحقد عليهم قطّ، بل الذي يقلقه هو تذكّر الاخوه ماضيهم الأسود و يحسّوا بالخجل! او لذا حاول جاهدا ان يريحهم من هذا القلق و يزيح هذا الكابوس عن صدورهم، بل اكثر من هذا فإنّه حاول ان يفهمهم انّ لهم عليه فضلا في مجيئهم الى مصر و التعرّف عليهم، فإنّهم كانوا السبب في كشف حقيقته امام الشعب في هذا البلد، حيث عرف اهل مصر انّ عزيزهم هو سليل بيت النبوه و الرساله و ليس عبدا بيع في السوق بدراهم معدودات، و من هنا فإنّ يوسف كان يرى لهم في ذلك فضلا و منّه! و من حسن الصدق أنّنا نرى رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم يمتحن بمثل هذه المواقف الحرجه، فمثلا حينما فتح رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم مكّه و اذلّ المشركين و هزمهم و كسر أصنامهم و داس شوكتهم و كبرياءهم، جاء رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم الى جوار الكعبه و أخذ بحلقه بابها و كان المشركون قد التجأوا إليها هم ينتظرون حكم رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم فيهم، و

قال كلمته المشهوره: «الحمد لله الذي صدق وعده

ص: ٢٩٢

و نصر عبده و هزم الأحزاب وحده» ثم توجه الى قريش و خاطبهم بقوله: «ماذا تظنون يا معشر قريش؟ قالوا: خيرا، أخ كريم و ابن أخ كريم، و قد قدرت! قال: و انا أقول كما قال اخي يوسف لا تثريب عليكم اليوم».

أى أنّ اليوم ليس يوم ملامه و انتقام و اظهار الحقد و الضغينه

«أذهبوا فأنتم الطلقاء».

فقال عمر بن الخطاب: ففضت عرقا من الحياء من رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم ذلك أتى قد كنت قلت لهم حين دخلنا مكّة: اليوم ننتقم منكم و نفعل (١).

كما أنه وردت فى كثير من الروايات الاسلاميه أنّ

«زكاه النصر هو العفو».

يقول على عليه السلام: «إذا قدرت على عدوك فاجعل العفو عنه شكرا للقدره عليه» (٢).

ص: ٢٩٣

---

١- ١) تفسير القرطبي، ج ٩، ص ٢٥٨.

٢- ٢) نهج البلاغه-الكلمات القصار-جملة ١١.

اشاره

وَلَمَّا فَصَّيَلَتْ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْ لَا أَن تَفُنَّدُونَ (٩٤) قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ (٩٥) فَلَمَّا أَن جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٩٦) قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ (٩٧) قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٩٨)

التفسير

اشاره

و أخيرا شملتهم رعايه الله و لطفه:

امّا أولاد يعقوب فإنهم بعد ان واجهوا يوسف و جرى لهم ما جرى حملوا معهم قميص يوسف فرحين و مستبشرين و توجهوا مع القوافل القادمه من مصر، و فيما كان الاخوه يقضون اسعد لحظات حياتهم، كان هناك بيت فى بلاد الشام و ارض كنعان-الا و هو بيت يعقوب الطاعن فى السنّ حيث كان يقضى هو و عائلته اخرج اللحظات و اشدها حزنا و بؤسا.



لكن-مقارنا مع حركه القافله من مصر-حدث فى بيت يعقوب حادث غريب بحيث اذهل الجميع و صار مشارا للعجب و الحيره،حيث نشط يعقوب و تحرك من مكانه و تحدت كالمطمئن و الواثق بكلامه قال:لو لم تتحدتوا عني بسوء و لم تنسبوا كلامى الى السفاهه و الجهل و الكذب لقلت لكم: إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ فَإِنِّي احسّ بأنّ ايام المحنه و الآلام سوف تنصرم فى القريب العاجل، و أنّه قد حان وقت النصر و اللقاء مع الحبيب،و ارى انّ آل يعقوب قد نزعوا ثوب العزاء و المصبيه و لبسوا لباس الفرح و السرور-لكن لا تصدقون كلامى وَ لَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْ لَا أَن تَفَنَّدُونَ (١).

و المستفاد من قوله تعالى (فصلت)أنه بمجرد ان تحركت القافله من مصر احسّ يعقوب بالأمر و تغيرت أحواله.

أما الذين كانوا مع يعقوب-و هم عادة أحفاده و ازواج أولاده و غيرهم من الأهل و العشيره-فقد استولى عليهم العجب و خاطبوه بوقاحه مستنكرين: قَالُوا تَاللّٰهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالٍ قَدِيمٍ أ ليس هذا برهانا واضحا على ضلالك حيث مضت سنين طويله على موت يوسف لكنك لا زلت تزعم أنه حى،و أخيرا تقول:أنك تشم رائحته من مصر؟! اين مصر و اين الشام و كنعان؟!و هذا دليل على بعدك عن عالم الواقع و انغماسك فى الأوهام و الخيالات لكنك قد ضللت منذ مدّه طويله،الم تقل لاولادك قبل فتره اذهبوا الى مصر و تحسسوا عن احوال يوسف! يظهر من هذه الآيه الشريفه انّ المقصود ب(الضلال)ليس الانحراف فى العقيدة،بل الانحراف فى تشخيص حقيقه حال يوسف و القضايا المتعلقه به،لكن يستفاد من هذه التعابير أنّهم كانوا يتعاملون مع هذا النّبي الكبير و الشيخ المتيقظ

ص: ٢٩٥

١-١) (تفندون)من مادّه(الفند)على زنه(الرمد)و معناها العجز الفكرى و السفاهه،و مضى بعض اللغويين الى أنّ معناها الكذب و معناها فى الأصل الفساد.فبناء على ذلك فإنّ جملة(لو لا ان تفندون)معناها إذا لم تتهمونى بالسفاهه و فساد العقل.

الضمير بخشونه و قساوه بالغين بحيث كانوا يقولون له مرّه: إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ و هنا قالوا له: إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ لَكُنْهُمْ كَانُوا غَافِلِينَ عَنِ الْحَقِيقَةِ الَّتِي كَانَتْ يَتَحَلَّى بِهَا يَعْقُوبُ و عن صفاء قلبه، و يتصوّرون أنّ قلب يعقوب كقلوبهم القاسيه المظلمه و أنّه لا يطّلع على حقائق الأمور ماضيها و مستقبلها.

و تمضى الليالى و الايام و يعقوب فى حاله الانتظار...الانتظار القاسى الذى يستبطن السرور و الفرح و الهدوء و الاطمئنان، الا أنّ المحيطين به كانوا مشغولين عن هذه الأمور لاعتقادهم بأنّ قضيه يوسف مختومه و الى الأبد.

و بعد عدّه ايام من الانتظار-و التى لا- يعلم الاّ الله كيف قضاها يعقوب-ارتفع صوت المنادى معلنا عن وصول قافله كنعان من مصر، لكن فى هذه المره- و خلافا للمرات السابقة-دخل أولاد يعقوب الى المدينه فرحين مستبشرين، و توجهوا مسرعين الى بيت أبيهم، و قد سبقهم ال(بشير)الذى بشر يعقوب بحياه يوسف و القى قميص يوسف على وجهه.

اما يعقوب الذى أضعفت المصائب بصره و لم يكن قادرا على رؤيه القميص فبمجرد ان احسّ بالرائحه المنبعثه من القميص شعر فى تلك اللحظه الذهبيه بأنّ نورا قد شِعّ فى جميع ذرّات وجوده و أنّ السّماء و الأرض مسروران و نسيم الرحمه يدغدغ فؤاده و يزيل عنه الحزن و الألم، شاهد الجدران و كأنّها تضحك معه، و احسّ يعقوب بتغيّر حالته، و فجأه رأى النور فى عينيه و احسّ بأنّهما قد فتحتا و مرّه اخرى رأى جمال العالم، و القرآن الكريم يصف لنا هذه الحاله بقوله:

فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْفَاهُ عَلَىٰ وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بِصِيرًا

هذه الحاله التى حصلت ليعقوب اسالت دموع الفرح من عيون الاخوه و الأهل، و عند ذلك خاطبهم بقوله: أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ .

هذه المعجزه الغريبه، جعلت الأولاد يعودون الى أنفسهم و يتساءلون عنها و يفكّرون فى ماضيهم الأسود الملىء بالاختفاء و الذنوب، و ما اعتورهم من

الحسد و غيره من الصفات الرذيله البعيده عن الانسانيه، لكن ما أجمل التوبه و العوده الى طريق الصواب حينما ينكشف للإنسان خطأ المسيره التي سار فيها..

و ما احلى تلك اللحظات التي يحاول المذنب ان يطلب العفو مَمِين جنى عليه، ليطهر به نفسه و يبعتها عن جادّه الخطأ و الانحراف، و هذا ما قام به الاخوه حيث وقعوا نادمين على يد أبيهم يقبلونها و يطلبون منه العفو و الاستغفار قالوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ .

أمّا يعقوب هذا الرجل العظيم الذى كانت روحه أوسع من المحيطات، فقد أجابهم دون ان يلومهم على تلك الأفعال التى اقترفوها فى حقّه و حقّ أخيهيم..

أجابهم بقوله: سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي و املى معقود بأن يغفر الله سبحانه و تعالى ذنوبكم إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ .

## ملاحظات

## إشارة

### ١- كيف احس يعقوب برأئحه قميص يوسف

!؟ هذا سؤال اثاره كثير من المفسرين، و اعتبروه معجزه خارقه للعادة من قبل يعقوب او يوسف. الا انه-مع الأخذ بنظر الاعتبار سكوت القرآن عن هذا الأمر- و لم يتناوله على أنه امر اعجازى او غير اعجازى فمن الهين ان نجد له توجيهها علميًا ايضا. إذ ان حقيقة «التليبائي» او انتقال الفكر من النقاط او الأماكن البعيده تعدّ مسأله علميه قطعيه مسلما بها... و أنّها تحدث عند من تكون لديهم علاقة قريبه تربط بعضهم ببعض، او تكون لديهم قدره روحيه عاليه.

و لعلّ كثيرا منّا يواجه مثل هذه المسأله فى حياتنا اليوميّه، و ذلك ان يشعر شخص «من أب، او امّ، او أخ» مثلا بالكآبه و انقباض النفس دون سبب، ثمّ لا يمضى وقت- او فتره- حتّى يبلغه خبر بأنّ أخاه او ولده قد حدث له حادث ما

فى نقطه بعیده عنه.

فالعلماء یوجّهون هذا الاحساس على أنه جرى عن طریق انتقال الفكر.

و ما ورد فى قصّه یعقوب لعلّه من هذا القبیل ایضا، فعلاقته الشدیده بیوسف و عظمه روحه، کلّ ذلك كان سببا لان يشعر بالحاله الحاصله للاخوه نتیجه حمل قمیص یوسف من مسافه بعیده.

و من الممكن ان یتعلّق هذا الأمر بمسأله سعه دائره علم الأنبياء ایضا.

و قد وردت اشاره طریفه- فى بعض الروایات- الى مسأله انتقال الفكر، و هى أنّ بعضهم سأل الامام أبا جعفر الباقر علیه السلام: فقال: جعلت فداك، ربّما حزنّت من دون مصیبه تصیبنی او امر ینزل بى، حتّى یعرف ذلك اهلى فى وجهى و صدیقى.

فقال علیه السلام: «نعم یا جابر، أنّ الله خلق المؤمنین من طینه الجنان و أجرى فیهم من ریح روحه، فلذلك المؤمن أخو المؤمن لأیه و امه، فإذا أصاب روحا من تلك الأرواح فى بلد من البلدان حزن حزنّت هذه لأنّها منها» (١).

و یتستفاد من بعض الروایات ایضا أنّ هذا القمیص لم یکن قمیصا مألوفاً، بل كان ثوبا من ثياب الجنّه، و قد خلفه ابراهیم الخلیل علیه السلام فى آل یعقوب و أسرته لیكون ذكرى له، و أنّ رجلا کیعقوب علیه السلام الذى كانت لديه شامّه من «الجنّه» احسّ برائحه هذا الثوب الذى هو من ثياب الجنّه من بعید (٢).

## ٢- اختلاف حالات الأنبياء:

الاشکال المعروف الآخر هنا هو ما اثاره بعضهم فى شأن یعقوب من سؤال و هو:

ص: ٢٩٨

١- ١) اصول الكافى، ج ٢، ص ١٢٣ (و السائل هو جابر الجعفى).

٢- ٢) لمزيد الاطلاع على هذه الروایات یراجع المجلد الثانی من تفسیر نور الثقلین، ص ٤٦٤.

كيف يمكن ان يكون هذا النبي العظيم قد احسّ بريح قميص يوسف من مسافه قدّرها بعضهم بثمانين فرسخا، و قال بعضهم: من مسافه عشره ايام، مع أنّه لم يطلع على الحوادث القريبه منه التي مرّت على يوسف عند ما القى في الجبّ في ارض كنعان؟ و الجواب على هذا السؤال- مع الالتفات الى ما ذكرناه آنفا في شأن علم الغيب، و حدود علم الأنبياء و الائمّه- يسير لا غبار عليه، لأنّ علمهم بالأمر الغيبّي يستند الى علم الله و ارادته، و ما يشاؤه الله لهم من العلم «او عدمه» حتّى و لو كان ذلك في اقرب نقطه من نقاط العالم.

فيمكن تشبيههم من هذا الوجه بالقافله التي تسير في ليل مظلم في صحراء تغشيها الغيوم و بينا هي على هذه الحال و إذا السماء تومض بالبرق اللامع فتضيء الصحراء الى منتهى أطرافها، فترى القافله بأّم أعينها كلّ شيء امامها، إلا أنّ البرق ينطفئ ثانيه و يستوعب الظلام كلّ مكان فلا يرى احد شيئا.

و لعلّ الحديث الوارد عن الامام الصادق عليه السّلام في شأن علم الامام عليه السّلام اشاره الى هذا المعنى، إذ

جاء عنه عليه السّلام أنّه قال: «جعل الله بينه و بين الامام عمودا من نور، ينظر الله به الى الامام، و ينظر الامام به اليه، فإذا أراد علم شيء نظر في ذلك النور فعرفه» (1).

و مع الالتفات الى هذه الحقيقه، فلا مجال للتعجّب بأن تقتضى مشيئه الله سبحانه- لا بتلاء يعقوب و تمحيصه ان لا يعرف يوما شيئا عن الحوادث في كنعان و هي تجرى قريبا منه، و ان يحسّ برائحه قميص ولده يوسف و هو في مصر في يوم آخر عند ما قدّر له ان تنتهي محنته و بلواه.

ص: ٢٩٩

### ٣- كيف ردّ علي يعقوب بصره؟!

احتمل بعض المفسرين أنّ يعقوب عليه السّلام لم يفقد بصره بصورة كليته، و أنّما ضعف بصره، و عند حصول مقدّمات الوصال تبدّل تبدّلاً بحيث عاد ذلك البصر الى حالته الطبيعيّة الاولى، إلا أنّ ظاهر آيات القرآن يدلّ على أنّه فقد بصره تماما و ابيضّت عيناه من الحزن، و على ذلك فإنّ بصره عاد اليه عن طريق الاعجاز، حيث يقول القرآن الكريم: فَازْتَدَّ بِصِيرًا .

### ٤- الوعد بالاستغفار:

نقرا في الآيات-محل البحث- أنّ يوسف عليه السّلام قال لإخوته عند ما أظهروا له ندامتهم: <sup>□</sup>يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ إِلَّا أَنْ يَعْقُوبَ عَلَيْهِ السّلام قال لهم عند ما اعترفوا عنده بالذنب و أظهروا الندامة: سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ و كان هدفه-كما تقول الروايات- ان يؤخّر استجابته طلبهم الاستغفار الى السحر(من ليله الجمعة)الذي هو خير وقت لاستجابته الدعاء و قبول التوبه (١).

و الآن ينقدح هذا السؤال و هو: كيف أجابهم يوسف بصورة قطعيّه، و أوكل أبوهم ذلك الى المستقبل؟! و لعلّ هذا الاختلاف ناشئ عن أنّ يوسف عليه السّلام كان يتحدّث عن «إمكان المغفرة» و أنّ هذا الذنب من الممكن ان يعفو الله عنه، و يعقوب كان يتحدّث عن «فعليته المغفرة» و أنّه ما الذي ينبغي ان يفعل حتّى تتحقّق التوبه و المغفرة «فلاحظوا بدقّه».

ص: ٣٠٠

---

١- ١) نقرا في تفسير القرطبي أنّ هدفه كان الاستغفار لهم في ليله الجمعة الموافق ليوم عاشوراء «المزيد الاطلاع يراجع تفسير القرطبي، ج ٦، ص ٣٤٩١».

## ٥- التوسل جائز:

يستفاد من الآيات-آنفه الذكر-أن طلب الاستغفار من الآخرين غير مناف للتوحيد، بل هو سبيل الى الوصول الى لطف الله سبحانه، والآ فكيف كان يمكن ليعقوب ان يستجيب لطلب ابنائه في ان يستغفر لهم و ان يجيبهم بالإيجاب على توسلهم به.

و هذا الأمر يدل على ان التوسل بأولياء الله جائز على الإجمال، و الأشخاص الذين يرون ذلك مخالفا لاصل التوحيد غافلون عن نصوص القرآن، او ان التعصب المقيت يحجب ابصارهم عن تلك النصوص.

## ٦- نهاية الليله السوداء

انّ الدرس الكبير الذى نستلهمه من الآيات المتقدمه هو أنّه مهما كانت المشاكل و الحوادث صعبه و عسيره، و مهما كانت الأسباب و العلل الظاهريه غير تامّه و محدوده، و مهما كان النصر او الفرج بطيئا (او غير متحقق فعلا) فإنّ ايا من أولئك لا يمنع من الرجاء و الأمل بلطف الله، فالله الذى أعاد البصر برائه القميص و نقل رائحه ذلك القميص من مسافه بعيده، و ردّ العزيز المفتقد بعد سنين طويله، قادر على ان يضمّد القلوب المجروحه من الفراق، و ان يشفى آلام النفوس.

اجل أنّنا نجد الدرس التوحيدى الكبير ينطوى فى هذا القصص و التاريخ، و هو أنّه لا شىء على الله بعزيز و لا عسير، بل يهون كلّ شىء بأمره و ارادته.

إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ .

اشاره

فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ آوَىٰ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ (٩٩) وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبْتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلْتُ رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (١٠٠) رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَرَبِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ (١٠١)

التفسير

اشاره

عاقبه امر يوسف و آبيه و اخوته:

مع وصول القافلة التي تحمل أعظم بشاره من مصر الى كنعان، و عوده البصر



الى يعقوب، ارتفعت اهازيج في كنعان. فاليبت الذى لم يخلع اهله عنهم ثياب الحزن و الاسى لسنين عديده، أصبح غارقا فى السرور و الحبور، فلم يكتموا رضاهم عن هذه النعم الالهيه ابدا.

و الآن ينبغى على اهل هذا البيت-وفقا لوصيه يوسف- ان يتحرّكوا و يتجهوا نحو مصر، و تهيّأت مقدمات السفر من جميع النواحي، و ركب يعقوب راحلته و شفتاه رطبتان بذكر الله و تمجيدته، و قد منحه عشق يوسف قوه و عزما الى درجه و كأنه عاد شابا من جديد.

و هذا السفر على خلاف الاسفار السابقه-التي كانت مقرونه لدى اخوه يوسف بالقلق و الحزن- كان خاليا من ايّه شائبه من شوائب الهّم و الغمّ. و حتّى لو كان السفر بنفسه متعبا، فهذا التعب لم يكن شيئا ذا بال قبال ما يهدفون اليه فى مسيرهم هذا.

كانوا يطون الليالى و الايام ببطء، لأنّ الشوق كان يحيل كلّ دقيقه الى يوم او سنه، و لكن انتهى كلّ شىء و لاحت معالم مصر و أبنيتها من بعيد بمزارعها الخضر و أشجارها الباسقه السامقه و عماراتها الجميله.

الآن القرآن الكريم-كعادته دائما-حذف هذه المقدمات التى يمكن ان تدرك بأدنى تفكّر و تأمل، فقال فى هذا الشأن: فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يَوْسُفَ آوَىٰ إِلَيْهِ آبُوَيْهِ .

و كلمه «آوى»-كما يقول الراغب فى مفرداته-تعنى فى الأصل انضمّام شىء الى شىء آخر، و ضمّ يوسف أبويه اليه كناية عن احتضانهما و معانقتهما.

و أخيرا تحققت احلى سويحات الحياه ليعقوب، و فى هذا اللقاء و الوصال الذى تمّ بين يعقوب و يوسف بعد سنين من الفراق، مرّت على يعقوب و يوسف لحظات لا- يعلم الله عواطفها فى تلك اللحظات الحلوه، و ايّه دموع انسكبت من عينيها من الفرح.

و عندها التفت يوسف الى اخوته و أبويه و قَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ لِأَنَّ مِصْرَ أَصْبَحَتْ تَحْتَ حُكْمِ يَوْسُفَ فِي أَمْنٍ وَ أَمَانٍ وَ اطْمِئْنَانٍ.

و يستشف من هذه الجملة أنّ يوسف كان قد خرج الى خارج بوابه المدينه لاستقبال والديه و اخوته، و لعلّ التعبير بَدْخُلُوا عَلَيَّ يُؤَسِّفُ يَحْتَمِلُ ان يكون يوسف قد أمر أن تنصب الخيام هناك «خارج المدينه» و ان تهيأ مقدمات الاستقبال لأبويه و اخوته.

فَلَمَّا دَخَلُوا الْقَصْرَ أَكْرَمَهُمْ يَوْسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَ رَفَعَ أَبْوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ .

و كانت هذه العظمه من النعمه الالهيه و اللطف و الموهبه التي منّ الله بها على يوسف قد ادهشت اخوه يوسف و أبويه فذهلوا جميعاً وَ خَرُّوا لَهُ سُجَّدًا .

و عندها التفت يوسف الى أبيه وَ قَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ .

الم يكن أنّي رأيت احد عشر كوكبا و الشمس و القمر رايتهم لى ساجدين؟! فانظر ياأبت كما كنت تتوقع من عاقبه امرى قد جعلها ربّي حقاً .. وَ قَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ .

الطريف هنا أنّ يوسف تكلم هنا عن سجنه فى مصر من بين جميع مشاكله و لم يتكلم على الجبّ مراعاة لإخوته.

ثمّ أضاف يوسف قائلاً: وَ جَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَ بَيْنَ إِخْوَتِي .

و مرّه اخرى يظهر هنا يوسف مثلاً آخر من سعه صدره و عظمته، و دون ان يقول: من هو المقصّر، و أنّما يقول بصوره مجمله أنّ الشيطان تدخل فتزغ بينى و بين اخوتى، فهو لا يريد ان يتشكى من اخطاء اخوته السالفه.

و التعبير عن ارض كنعان بالبدو تعبير طريف و كاشف عن مدى الاختلاف بين تمدن مصر و تخلف كنعان «حضارياً».

و أخير يقول يوسف: أنّ جميع هذه المواهب هى من قبل الله، و لم لا تكون

كذلك ف إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ .

فيتولّى امور عبادته بالتيسير و التدبير..و هو يعلم من هو المحتاج و من هو الجدير بالاستجابه إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ .

ثمّ يلتفت يوسف نحو مالك الملك الحقيقي و ولى النعمه الدائمه فيقول شاكرًا راجيًا: رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَ عَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ .

و هذا العلم البسيط بحسب الظاهر«تأويل الأحاديث» كم كان له من اثر عظيم فى تغيير حياتى و حياه جماعه آخرين من عبادك،و ما أعظم بركه العلم! فأنت يا رب: فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ .

و لذلك فقد خضعت و استسلمت قبال قدرتك جميع الأشياء.

رَبِّاهُ: أَنْتَ وَ لِيَّ فِي الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَ أَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ .

اى ائنى لا- اطلب دوام الملك و بقاء الحكم و الحياه الماديّه منك يا رب،لأنّ هذه الأمور جميعها فانيه و ليس فيها سوى البريق الجذاب.بل اطلب منك يا رب ان تكون عاقبه امرى على خير،و ان اقضى حياتى و أموت مؤمنًا فى سبيلك مسلّمًا لارادتك،و ان أكون فى صفوف الصالحين.فهذه الأمور هى المهمّه لىّ فحسب.

**بحوث**

**اشاره**

### ١- هل السجود لغير الله جائز

!؟ كما بيّنا فى الجزء الاوّل من هذا التفسير عند بحثنا فى شأن سجود الملائكه لآدم، فقلنا: انّ السجود بمعنى العباده يختص بالله تعالى و لا تجوز العباده لاي احد فى اى مذهب الاّ لله سبحانه و هذا هو المراد من توحيد العباده الذى هو قسم مهمّ من التوحيد الذى دعا اليه جميع الأنبياء.

ص: ٣٠٥

فبناء على هذا لم يكن يوسف و هو نبى الله يسمح لأحد ان يسجد له و يعبده من دون الله، و لا النبى العظيم يعقوب كان يقدم على مثل هذا الأمر، و لا القرآن الكريم كان يعبر عنه بأنه عمل جدير او على الأقل عمل مجاز.

فبناء على ذلك فإن السجود المشار اليه فى الآيه-محل البحث-أما أنه كان «سجده الشكر» لله تعالى الذى اولى يوسف هذه المواهب و المقام العظيم، و فرج عن آل يعقوب كربهم و أزال عنهم همومهم، و هذا السجود فى الوقت الذى كان لله، بما أنه كان من اجل عظمه موهبه يوسف، فإنه كان يعتبر تعظيماً و تكريماً ليوسف ايضاً، و من هذا المنطلق فإن الضمير فى (له) الذى يعود على يوسف قطعاً ينسجم و هذا المعنى تماماً.

او ان المراد من السجود هو مفهومه الواسع، اى الخضوع و التواضع، لانّ السجده-او السجود-لا- يأتى اى منهما بمعناه المعروف دائماً، بل ربّما يرد بمعنى الخضوع و التواضع أحياناً، فلذا قال بعض المفسرين: انّ التحيّه او التواضع المتداول آنئذ كان الانحناء و التعظيم، و انّ المراد من السجود فى الآيه هو هذا المعنى.

الأ- أنه مع الالتفات الى جملة «خزوا» التى يعنى مفهومها الهوى نحو الأرض فإنه لا- يستفاد من السجود فى الآيه الانحناء و الخضوع (هنا).

و قال بعض المفسرين العظام: انّ سجود يعقوب و اخوه يوسف و امهم كان لله سبحانه، الا انّ يوسف كان-بمثابه الكعبه-قبله لهم، و لهذا جاء فى بعض تعابير العرب قولهم: فلان صلى للقبلة (1).

الا انّ المعنى الاوّل يبدو اقرب للنظر، و خاصه

انّ بعض الروايات الواردة عن اهل البيت عليهم السلام تقول: «كان سجودهم لله، او عباده لله» (2).

ص: ٣٠٦

١- ١) راجع تفسير الميزان، و تفسير الفخر الرازى ذيل الآيه محل البحث.

٢- ٢) تفسير نور الثقلين، ج ٢، ص ٤٦٧.

كما جاء في بعض الروايات أنّ سجودهم كان طاعه لله و تحيته ليوسف (١).

كما أنّ السجود لآدم كان سجودا لله العظيم الذى خلق مثل هذا الخلق البديع، و هو فى الوقت الذى يعدّ عباده لله فهو دليل على احترام آدم و عظّمته.

و هذا الأمر يشبه تماما ان يؤدّى رجل -مثلا- عملا مهمّا عظيما، فنسجد نحن لله الذى خلق مثل هذا الإنسان، فهذا السجود هو لله كما أنّه فى الوقت ذاته يعدّ احتراماً و تعظيماً للرجل ايضاً.

## ٢- وساوس الشيطان:

انّ جملة نَزَغِ الشَّيْطَانِ بَيْنِي وَ بَيْنَ إِخْوَتِي مع ملاحظه انّ نَزَغَ بمعنى الدخول فى امرٍ ما بقصد الفساد او الإفساد تدلّ على انّ لوساوس الشيطان فى مثل هذه الحوادث أثرا مهمّا دائما، الا أنّنا نوهنا من قبل بأنّ هذه الوساوس لوحدها لا تعمل شيئا، فالمصمّم الأخير هو الإنسان نفسه، بل هو الذى يفتح أبواب قلبه للشيطان و يسمح له بالدخول.

فبناء على ذلك فليس فى الآيه-محلّ البحث- امر خلاف اصل حرّيه الاراده أساسا. غايه ما فى الأمر انّ يوسف عليه السّلام بما لديه من حلم و سعه صدر لم يرغب ان يخرج اخوته و يزيد فى خجلهم، فهم كانوا خجلين الى درجه كافيه، و لهذا لم يشر الى المصمّم النهائى و أنّما ذكر وساوس الشيطان التى تعدّ العالم الثانوى فحسب.

## ٣- الأمن نعمه الله الكبرى

؟ لقد أشار يوسف الى مسأله الأمن من بين جميع المواهب و النعم بمصر، و قال لأبويه و اخوته أُذْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ و هذا الأمر يدلّ على انّ

ص: ٣٠٧

نعمه الأمن أساس جميع النعم، و الحق أنّها كذلك، لأنّه متى ذهب نعمه الأمن، فإنّ سائر مسائل الرفاه و المواهب الماديه و المعنويه يحدق بها الخطر.

ففى جوّ او محيط غير آمن، ليس بالمقدور اطاعه الله فيه و لا- الحياه الحرّه الكريمه، كما ليس بمقدور الإنسان ان يفكر تفكيراً مطمئناً هادئاً، و لا السعى و الجدّ و الجهاد نحو تحقّق الاهداف الاجتماعيه ايضاً.

و هذه الجملة لعلّها اشاره الى هذه اللطيفه، و هى انّ يوسف يريد ان يقول: انّ ارض مصر فى عهدى و حكومتى ليست هى تلك الأرض فى عهد الفراعنه و حكمهم، فأولئك الظالمون المستكبرون المستثمرون الانانيون ولّوا و مضوا كما مضى ذلك التعذيب و الأذى، فالجوّ جو آمن تماماً.

#### ٤- اهميه مقام العلم:

و مرّه اخرى يعول يوسف عليه السّلام فى انتهاء عمله و امره على مسأله علم تعبير الرؤيا، و يجعل هذا العلم البسيط-ظاهراً-الى جانب تلك الحكومه العظمى و من دون منازع، و هذا يكشف عن تأكيد على اهميه العلم مهما كان بسيطاً، فيقول:

رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ

#### ٥- حسن العاقبه:

قد يتقلّب الإنسان فى طول عمره فى اشكال مختلفه متعدده، إلا انّ من المسلم به انّ الصفحات الاخيره من حياته اهمّ من جميع ما مضى عليه، لأنّ سجل عمره ينتهى بانتهائها و يتعلّق الحكم النهائى، لذا فإنّ الرجال المؤمنين يطلبون من الله دائماً ان تكون هذه الصفحات من العمر مشرقه بيّره، و ان يختم لهم بالخير.

و نجد يوسف عليه السّلام يطلب من الله-هنا- هذا الأمر نفسه فيقول: تَوَفَّنِي مُسْلِمًا

و ليس معنى هذا الكلام طلب الموت من الله، كما تصوّره ابن عبّاس فقال: لم يطلب احد من الأنبياء الموت من الله الا يوسف، فعند ما توفّرت له اسباب حكومته تأجّج العشق (و التعلّق بالله) في نفسه فتمنى لقاء الله.

بل طلب يوسف انما كان الشرط و الحاله فحسب، اى انه طلب ان يكون عند الوفاء مؤمنا مسلما، و قد كان ابراهيم و يعقوب يوصيان أبناءهما بهذه الوصيه ايضا بقولهما لهم: فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ . (١)

و قد اختار كثير من المفسرين هذا المعنى.

### ٦- هل جاءت ام يوسف الى مصر

يستفاد من ظاهر الآيات- آنفه الذكر- بصوره جيده ان ام يوسف كانت يومئذ حيه، و قد جاءت مع يعقوب و ابنائها الى مصر، و سجدت شاكره هذه النعمه. الا ان بعض المفسرين يصرون على ان ام يوسف «راحيل» كانت قد انتقلت من الدنيا يومئذ، و انما التي جاءت الى مصر خالته التي تعدّ بمثابه امه.

و نقرا في سفر التكوين من التوراه- الفصل ٣٥ الجملة ١٨- ان راحيل بعد ان ولدت بنيامين رحلت عن الدنيا. و جاء في بعض الروايات عن (وهب بن منبه) و (كعب الأحبار) هذا المعنى ذاته ايضا، و يبدو انه مأخوذ من التوراه.

و على اى حال، فليس بوسعنا ان نغضى عن ظاهر آيات القرآن التي تقول:

ان ام يوسف كانت حيه آنئذ، و نؤول ذلك و نوجّهه دون اى دليل.

### ٧- عدم ذكر القصة للأب:

نقرا

في روايه عن الامام الصادق عليه السلام انه قال عليه السلام: «قال يعقوب ليوسف:

ص: ٣٠٩

يا بنى حدّثنى كيف صنع بك إخوتك؟! قال: يا أبت دعنى.

فقال: أقسمت عليك ألاّ اخبرتنى! فقال له: اخذونى و اقعّدونى على راس الجبّ، ثمّ قالوا لى: انزع قميصك، فقلت لهم انّى أسألكم بوجه أبى يعقوب ان لا تنزعوا قميصى و لا تبدوا عورتى، فرفع فلان السكّين علىّ، و قال: انزل.

فصاح يعقوب فسقط مغشيًا عليه ثمّ أفاق، فقال له: يا بنى كيف صنعوا بك؟! فقال يوسف: انّى أسألك يا إله ابراهيم و إسماعيل و إسحاق ألاّ اعفيتنى.

قال: فتركه، الخ (١).

و هذا الأمر يدلّ على أنّ يوسف لم يرغب بأىّ وجه ابدا ان يعيد فى ذهنه او فى ذهن أبيه الماضى المرير، بالرغم من أنّ رغبه يعقوب فى التقصّى عن الأمر لم تدعه يستقرّ.

ص: ٣١٠



اشاره

ذَلِكَ مِنَ الْبُيُوتِ الَّتِي نُوْحِيهِ إِلَيْكَ وَ مَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَ هُمْ يَمْكُرُونَ (١٠٢) وَ مَا أَكْثَرَ النَّاسِ وَ لَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ (١٠٣) وَ مَا تَسْتَأْذِنُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ (١٠٤) وَ كَذَلِكَ نُنزِّلُ آيَاتِنَا فِي السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ لِيُؤْمِنُوا عَلَيْهَا وَ هُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ (١٠٥) وَ مَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَ هُمْ مُشْرِكُونَ (١٠٦) أَ فَأَمِنُوا أَنْ تَأْتِيَهُمْ غَاشِيَةٌ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً وَ هُمْ لَا يَشْعُرُونَ (١٠٧)

التفسير

اشاره

الأدعاء مشركون غالبا

! بعد ما انتهت قصه يوسف عليه السلام بكل دروسها التربويه و نتائجها الغزيره و القيمه و الخاليه من جزاف القول و الخرافات التاريخيه..انتقل الكلام الى النبي صلى الله عليه و آله و سلم حيث يقول القرآن الكريم: ذَلِكَ مِنَ الْبُيُوتِ الَّتِي نُوْحِيهِ إِلَيْكَ وَ مَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ....

انّ هذه المعلومات الدقيقة لا يعلمها الا الله، او واحد من الذين كانوا حاضرين هناك، و بما أنّك لم تكن حاضرا لديهم فالوحي الالهي فقط هو الذي جاءك بهذه الاخبار.

و من هنا يتّضح انّ قصّه يوسف بما أنّها وردت في التوراه فأهل الحجاز عندهم معلومات تقريبيّه عنها، و لكن كلّ هذه الحوادث لم تطرح بهذه الدقه في جزئياتها ابداء، و حتّى في المحافل الخاصّه السابقه لم تكن تعرف بدون اضافه و خرافه.

و على اى حال كان لزاما على الناس ان يؤمنوا بعد مشاهدتهم لعلائم الوحي و سماعهم لهذه النصائح الالهيه، و ان يتراجعوا عن طريق الغي، و لكن يا ايّها النبي:

وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ

انّ الوصف ب(الحرص) هنا دليل على شوق و لهفه النبي صلّى الله عليه و آله و سلّم لانّ يؤمن الناس، و لكن ما الفائدة، فإصراره و شوقه لم يكونا كافيين، فمن شرط الايمان الاستعداد و القابليه في نفس الشخص.

انّ أبناء يعقوب عليه السّلام كانوا يعيشون في بيت الوحي و النبوه، و مع ذلك نرى كيف عصفت بهم الأهواء حتّى كادوا ان يقتلوا أخاهم، فكيف نتوقّع من جميع الناس ان يتغلّبوا على أهوائهم و شهواتهم مرّه واحده و بشكل جماعي و يؤمنوا بالله؟ و هذه الآيه بالاضافه الى ما ذكرنا هي تسليه لقلب النبي صلّى الله عليه و آله و سلّم حتّى لا ييأس ابداء من إصرارهم على الكفر و الذنوب و لا يستوحش الطريق لقله أصحابه، كما نقرا في آيات اخرى من القرآن الكريم الكهف(٦): فَلَعَلَّكَ بِاِخْتِافِ نَفْسِكَ عَلَىٰ آثَارِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا و قوله تعالى: وَ مَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ فَهَؤُلَاءِ فِي الْوَاقِعِ لَيْسَ لَهُمْ اى عذر او مبرّر لعدم قبول الدعوه بالاضافه الى ما اتّضح من علامات الحق أنّك لم تسألهم اجرا حتّى يكون مبرّرا لمخالفتك:

و هذه الدعوه عامه للجميع، و مائده واسعه للعام و الخاص و كلّ البشريه.

وَ كَأَيُّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَ هُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ

فهذه الدلائل يرونها بأعينهم كلّ يوم! تشرق الشمس عند الصباح لتنشر أشعتها الذهبية على الجبال و الوديان و الصحارى و البحار، و تغرب عند المساء و يعمّ الليل بستاره المظلم كلّ مكان.

إنّ اسرار هذا النظام العجيب و هذا الشروق و الغروب و حياه النباتات و الحشرات و الإنسان، و هدير المياه، و حركه النسيم، و كلّ هذا الفن العجيب للوجود هو من الوضوح بحيث ان لم يتدبّر احد فيه و فى خالقه سيكون كالخشبه المسنّده.

كثيره هي الدلائل التى نعتبرها صغيره و غير مهمه، فنحن نمرّ عليها كلّ يوم و لا- نغير لها اهميه، و فجأه يظهر عالم ذو بصيره فيكتشف بعد دراسته أشهر و سنين اسرار هذه الدلائل و يذهل العالم بها.

المهم ان نعلم انّ كلّ ما فى العالم ليس زخرفا و بدون فائده، لانّها من مخلوقات الله الذى لا نهايه لعلمه و لا حدّ لحكمته. و أنّما الساذج و الزخرف فهم أولئك الذين يعتقدون بأنّ العالم وجود عبث و ليس له غايه و فائده. و لهذا فلا تعجب لعدم ايمانهم بالآيات المنزله عليك، لانّهم لم يؤمنوا بالآيات المحيطه بهم من كلّ مكان و ما يؤمنون أكثرهم بالله إلاّ و هم مشرّكون .

قد يتصوّر هؤلاء أنّهم من المؤمنين المخلصين و لكن غالبا ما توجد جذور الشرك فى افكارهم و أقوالهم و ضمائرهم.

ليس الايمان هو الاعتقاد بوجود الله فقط، فالمؤمن المخلص هو الذى لا يعتقد بأىّ معبود سوى الله، فتكون أقواله و اعماله و كلّ أفعاله خاضعه له. و لا يعترف بغير قانون الله، و لا يضع طوق العبوديه فى رقبتة لغيره، و يمثل بقلبه

و روحه لكل الأوامر الإلهية و لو كانت مخالفة لهواه، و يقدم دائما الإله على الهوى، هذا هو الايمان الخالص من الشرك في العقيدة و القول و العمل، فلو حسبنا حسابا دقيقا في هذا المجال لوجدنا انّ الموحّدين الصادقين و المخلصين قليلون جدًا.

و لهذا السبب نقرا

في الروايات الاسلاميه ما جاء عن الامام الصادق عليه السلام «الشرك أخفى من دبيب النحل» (١).

أو نقرا:

«انّ أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر، قالوا: و ما الشرك الأصغر يا رسول الله؟ قال: الرياء، يقول الله تعالى يوم القيامة إذا جاء الناس بأعمالهم:

«اذهبوا الى الذين كنتم تراؤون في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم من جزاء» (٢).

و نقل

عن الامام الباقر عليه السلام في تفسير الآيه أعلاه حيث يقول «شرك طاعه و ليس شرك عباده، و المعاصي التي يرتكبون و هي شرك طاعه أطاعوا فيها الشيطان فأشركوا بالله في الطاعه لغيره» (٣).

و في بعض الروايات نقرا انّ المقصود من (شرك النعمه) بهذا المعنى انّ الله يهب الإنسان شيئا فيقول: انّ فلانا قد جاءني به فلو لم يكن فلان لكنت من الهالكين! و كانت حياتي هباء منثورا، فهنا قد اعتبر الشريك مع الله الشخص الذي جرت على يده نعمه الله! الخلاصه: انّ ما يفهم من الشرك ليس الكفر و انكار الإله و عباده الأصنام فقط، كما

جاء في حديث عن الامام الرضا عليه السلام «شرك لا يبلغ به الكفر» و لكن الشرك بمعناه الواسع يشمل جميع هذه الأمور.

ص: ٣١٤

١-١) سفينه البحار، المجلد الأوّل، صفحه ٦٩٧.

٢-٢) في ظلال القرآن، المجلد الخامس، صفحه ٥٣.

٣-٣) نور الثقلين، ج ٢، صفحه ٢٧٥-٢٧٥-٢٧٥، المجلد الثاني، صفحه ٢٩٢.

و فى آخر آيه يحذّر القرآن الكريم أولئك الذين لم يؤمنوا بعد و يمرّوا على الآيات الواضحه مرّ الكرام و يشركون فى اعمالهم حيث يقول: أَفَأَمِنُوا أَنْ تَأْتِيَهُمْ غَاشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ اللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً وَ هُمْ لَا يَشْعُرُونَ .

«الغاشيه»:الغطاء او الستار،و يقال للثوب الكبير الذى يغطى سرج الجواد.

و معناه هنا البلاء و الجزاء الذى يعمّ المفسدين (١).

«و الساعه»:القيامه،و قد وردت بهذا المعنى فى كثير من الآيات.

و يحتمل ان تكون كناية عن الوقائع العظيمه التى تحدث قبل يوم القيامه مثل الزلازل و العواصف و الصواعق،او اشاره الى ساعه الموت،و لكن التفسير الاوّل اقرب الى المعنى كما نرى.

ص: ٣١٥

---

١- ١) غاشيه مؤنثه لأنها صفة «للعقوبه» التى هى مقدّره.

اشاره

قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٠٨) وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ أَلَمْ يَسْأَلُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَمَّا آخَرَهُ خَيْرٌ لِّذِينَ اتَّقَوْا أَلَّا تَعْقِلُونَ (١٠٩) حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّى مَنْ نَشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ (١١٠) لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولَى الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (١١١)

التفسير

اشاره

اصدق الدروس و العبر:

فى الآيه الاولى من هذه المجموعه يتلقى النبى صلى الله عليه و آله و سلم الأوامر لتحديد الطريق

و المنهج الذى يتبعه، فيقول القرآن الكريم: قُلْ لِهَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يَضِيفُ: عَلَيَّ بِصِيرِهِ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي .

و هذه الجملة توضح أنّ كلّ فرد مسلم مقتد بالرّسول صلّى الله عليه وآله و سلّم له نفس الدور فى الدعوه الى الحقّ، و لا بدّ من دعوه الآخرين الى الله، من خلال أفعالهم و أقوالهم، و كذلك تؤكّد هذه الجملة على أنّ القائد يجب ان تكون له بصيره و معرفه كافيّه، و الاّ فإنّ دعوته ليست الى الحقّ، و للتأكيد على ذلك يضيف القرآن الكريم:

وَ سُبْحَانَ اللَّهِ وَ مَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ

فهو يؤكّد على نزاهه الخالق الذى يدعو اليه و كماله المطلق الخالى من النقصان و أنّه لا يتخذ معه شريكا.

هذه فى الواقع من خصائص القائد الصادق، ان يعلن بصراحه عن اهدافه و خططه، و ان يسير هو و التابعين له على منهج واضح و سليم، لا ان تسودهم هاله من الإبهام فى الهدف و الطريقه. او ان يسير كلّ واحد منهم فى جهه معينه.

فواحد من الطرق التى نتعرّف بها على القيادات الصادقه من الكاذبه هو أنّ القيادة الصادقه تتميز بصراحه القول و وضوح الطريق اما الاخرى فهى لكى تحاول التغطية على سلوكها و تلتجئ الى الحديث المبهم و المتعدّد الجوانب.

انّ وقوع هذه الآيه بعد الآيات المتعلّقه بيوسف تشير الى أنّ طريقه و منهج النبى لا يختلفان عن طريقه و منهج يوسف النبى. فهو كان يدعو الى «الله الواحد القهار» حتّى فى زوايا السجن، اما غيره فكان يدعو الى اسماء انتقلت اليه بسبب التقليد من جاهل الى جاهل آخر. اما سيره الأنبياء و الرسل كلّها واحده.

و بما أنّ الأقسام الضالّه و الجاهله كانت دائما تثير هذا الاعتراض على الأنبياء و هو أنّكم بشر؟! و لماذا لا تكلف الملائكه لهذا الأمر؟ و بما أنّ الناس فى الجاهليه كانوا يثيرون نفس الاعتراض بالنسبه الى الرّسول صلّى الله عليه وآله و سلّم و دعوته العامه، فإنّ القرآن الكريم يجيب مرّه ثانيه على هذا الاعتراض فيقول: وَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ

قَبْلِكَ إِلَّا رَجُلًا نُوحِيَ إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ

هؤلاء الرسل هم كباقي الناس يعيشون في المدن و القرى، و يتجولون بين الناس و يشعرون بالأمهم و احتياجاتهم و مشاكلهم.

فالوصف هنا بـ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ بالاضافه الى ما تشمله القرية في اللغة من معنى المدينة او الرّيف في مقابل «البدو» التي تطلق على اهل الصحراء، فإنّها قد تشير الى أنّ أنبياء الله لم ينهضوا من بين سكنه الصحراء- كما صرح بذلك بعض المفسرين- لأنّ سكّان البادية يتصفون بالجهل و عدم المعرفة و قلوبهم قاسيه و يمتازون بقله معلوماتهم عن الحياه و متطلّباتها.

صحيح أنّ اكثر سكّان ارض الحجاز كانوا من البدو، و لكن الرسول من اهل مكّه التي تعتبر مدينة كبيره نسبتًا، و صحيح ايضا أنّ مدينة كنعان لو قيست بأرض مصر التي كان يوسف يحكم فيها لكانت صغيره و غير مهمه و لذلك كان يعبر عنها بالبدو. و لكن نحن نعلم أنّ يعقوب و أبناءه لم يكونوا من اهل البادية ابدًا، فهم كانوا يعيشون في هذه المدينة الصغيره كنعان.

ثمّ يبيّن القرآن الكريم: إذا ما أراد هؤلاء ان يعلموا عاقبه مخالفتهم لدعوتك التي هي الدعوه الى الله فإنّ عليهم ان يسيروا ليروا آثار السابقين: أ فَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ .

انّ السير و التجوال في الأرض لمشاهده آثار الماضين و خراب دورهم و مدنهم بسبب العذاب الالهى، أفضل درس لهم، درس حى و ملموس للجميع.

وَ لَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا أَ فَلَا تَعْقِلُونَ

لماذا؟ لأنّ الدنيا دار مليئه بالمصائب و الآلام و غير باقيه، اما الآخره فدار خالده و خاليه من الآلام و العذاب.

حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ وَ ظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّى مَنْ نَشَاءُ



تشير هذه الآية الى ادق و أصعب لحظه فى حياه الأنبياء فنقول: انّ الأنبياء يواجهون دائما مقاومه عنيفه من قبل اقوامهم و طواغيت زمانهم حتّى يصل الحال بالأنبياء الى اليأس الى حدّ يظنّون انّ اتباعهم المؤمنين القليلين قد كذبوا عليهم و تركوهم وحدهم فى مسيرتهم فى الدعوه الى الحق، و فى هذه الأثناء حيث انقطع أملهم فى كلّ شىء اتاهم نصرنا. و فى نهايتها تشير الى عاقبه المجرمين و لا يُرَدُّ بِأَسْنًا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ .

فهذه سنّه الله فى الذين اصروا على اعمالهم و أغلقوا باب الهدايه على أنفسهم، فهم و بعد إتمام الحجّه عليهم ينالهم العذاب الالهى فلا تستطيع اى قوه ان تردّه.

فى تفسير هذه الجملة من الآية: ظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا و من المقصود بها، هناك عدّه آراء للمفسرين:

١- انّ كثيرا من علماء التفسير يرون ما قلناه سابقا، و خلاصته: انّ عمل الأنبياء يصل الى درجه يعتقدون فيها انّ كلّ الناس سوف يكذبوهم، حتّى تلك المجموعه التى تظهر ايمانها و لكنّها غير راسخه فى عقيدتها.

٢- و يحتمل فى تفسير الآية انّ فاعل «ظنّوا» هم المؤمنون، و انّ المشاكل و الاضطرابات تصل الى حدّ بأن يسوء ظنّهم بما وعدهم الأنبياء من النصر و يخيل إليهم أنّه خلاف الواقع؟ و ليس بعيدا سوء الظنّ هذا من الافراد الذين آمنوا حديثا.

٣- و بعض آخر اعطى تفسيراً ثالثاً للآيه، و خلاصته: انّ الأنبياء- بدون شك- كانوا بشرا، فحين يزلزلوا زلزالا شديدا و تبدوا جميع الأبواب امامهم موصده ظاهرا، و لا يرى فى الأفق فرج، و الحوادث المتتاليه تعصف بهم، و صرخات المؤمنين الذين نفذ صبرهم تصل الى اسماعهم، نعم فى هذه الحاله و بمقتضى الطبع البشرى قد يتبادر الى أذهانهم انّ الوعد بالنصر بعيد عن الصّحّه! او انّ النصر الموعود له شروطه التى لم تتحقّق بعد، و لكن سرعان ما يتغلّبون

على هذه الأفكار و يبعدونها عن أذهانهم و يشع في قلوبهم بصيص الأمل، و من ثم تتضح لهم بشائر النصر.

و شاهدهم على هذا التفسير الآيه (٢١٤) سورة البقره: ...حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرُ اللَّهُ... □

و لكن مجموعه اخرى من المفسرين أمثال العلامة «الطبرسى» فى مجمع البيان و«الرازى» فى تفسيره الكبير، بعد ما ذكروا هذا الاحتمال قالوا بطلانه لأنه حتى هذا المقدار من التوهم ليس من مقام الأنبياء، و على آيه حال فالأصح هو التفسير الاوّل.

و آخر آيه من هذه السوره ذات محتوى شامل و جامع لكلّ الأبحاث التى ذكرناها فى هذه السوره، و هى: لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ . □

فهى مرآه يستطيعون من خلالها ان يروا عوامل النصر و الهزيمة، الهناء و الحرمان، السعاده و الشقاء، العزّ و الذلّه، و الخلاصه كلّ ما له قيمه فى حياه الإنسان و ما ليس له قيمه. و هى مرآه لكلّ تجارب المجتمعات السابقه و الرجال العظام. و مرآه نشاهد فيها ذلك العمر القصير للإنسان كيف يطول بمقدار عمر كلّ البشر. و لكن اولى الألباب و ذوى البصائر فقط باستطاعتهم ان يشاهدوا العبر فى صفحه المرآه العجيبه هذه: □ ما كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى □ وَ لَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ . □

فهذه الآيات التى أنزلناها عليك و التى أزاحت الستار عن التاريخ الصحيح للأمم السابقه ليست من العلم البشرى الذى يمكن معرفته عن العلماء، بل انّ الكتب السماويه السابقه تشهد على ذلك و تصدّقه و تؤيّدّه و بالاضافه الى ذلك ففى هذه الآيات كلّ ما يحتاجه الإنسان فى تأمين سعاده و تكامله: وَ تَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ . □

و لهذا السبب فهى وَ هُدًى وَ رَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ فالظاهر من الآيه أعلاه

أنها تريد ان تشير الى هذه النقطه المهمه و هي: انّ للقصص المصنوعه ذات الاثاره كثيره في اوساط الأمم و هي من الأساطير الخياليه، و لكن لا يتوهم احد بأن سيره يوسف او سير بقيه الأنبياء التي ذكرها القرآن الكريم من ذلك القبيل.

المهمّ أنّ هذه القصص المثيره و ذات العبر هي عين الواقع و لا تحتوى على ادنى انحراف عن الواقع الموضوعي، و لهذا السبب يكون تأثيرها كبيرا جداً، لأننا نعلم أنّ الأساطير مهما تكن شيقه و مثيره فإنّ تأثيرها قليل إذا ما قورنت مع سيره واقعيه لأنّ:

١- عند ما يصل القارئ او المستمع للقصه الى أقصى لحظات الاثاره يتبادر الى ذهنه فجأه أنّ هذا وهم و خيال ليس اكثر! ٢- أنّ هذه القصص في الواقع هي من هندسه الإنسان، فهو يحاول ان يجسّم أفكاره في سلوك بطل القصه، و لذلك فهي ليست اكثر من فكر الإنسان، و هذه القصه بالمقارنه مع السير الواقعيه بينهما فرق شاسع و لا تستطيع القصه البشريه ان تكون اكثر من موعظه لصاحب المقاله. و لكن التاريخ الواقعي للبشر ليس كذلك، فهو اكثر ثمرًا و نفعًا و اكثر برکه.

نهايه سوره يوسف اللهم! امنحنا البصر في أعيننا و السمع في آذاننا و العلم في قلوبنا، حتّى نستطيع ان نحصل من سيره السابقين على طرقا للنجاه من المشاكل التي نغوص الآن فيها.

ربنا! اللهمنا بصرا حادًا حتّى نرى عاقبه الذين اختلفوا و تشتتوا فيما بينهم فكان عاقبتهم الهزيمه و الخسران، و حتّى لا نسير في نفس الطريق الذي سلكوه.

اللهم! ارزقنا تلك النيه الخالصه لكى نتغلّب بها على نفوسنا، و تلك المعرفه

حتى لا يصيبنا الغرور بالنصر، و تلك السِّماحه و نكران الذات بحيث إذا رأينا من هو أفضل منا على انجاز المسؤوليه تركناها و تنازلنا عنها اليه.

فإن منحتنا هذا فسوف نستطيع ان نتغلب على جميع المشاكل، و ان نحفظ نور الإسلام و القرآن في هذه الدنيا.

ص: ٣٢٢

## سوره الرعد

### اشاره

مكّيه و عدد آياتها مائه و ثلاث و أربعون آيه

ص: ۳۲۳



## محتوى السوره

كما قلنا سابقا، بما أنّ السور المكيه كان نزولها فى بدايه دعوه النبى صلى الله عليه وآله وسلم و أثناء محاربه للمشركين، فإنها غالبا ما كانت تتحدّث عن المسائل العقائديه و خصوصا الدعوه الى التوحيد و المعاد و محاربه الشرك. فى الوقت الذى نرى فيه أنّ السور المدنيه نزلت بعد انتشار الإسلام و قيام الحكومه الاسلاميه، فقد تناولت الأحكام و المسائل المتعلقة بالنظام الاجتماعى و احتياجات المجتمع.

فهذه السوره (سوره الرعد) التى هى من السور المكيه لها نفس الخصائص السابقه، فبعد ما تشير الى احقيه القرآن و عظمته، تنطرق الى آيات التوحيد و اسرار الكون التى هى من دلائل ذات الله المقدسه. فتارة تتحدّث عن رفع السّماوات بغير عمد، و اخرى عن تسخير الشمس و القمر، و مرّه عن مدّ الأرض و خلق الجبال و الأشجار و الثمار، و مرّه عن ستار الليل المظلم الذى يغشى النهار.

و مرّه اخرى تأخذ بأيدي الناس و تنقلهم الى جنّات النخيل و الأعناب و الزروع، و تحصى لهم عجائبها.

ثمّ تنطرق الى المعاد و بعث الإنسان من جديد و محكمه العدل الالهى، و هذه المجموعه من اصول المبدأ و المعاد تكمل ما أوضح من مسئوليّه و وظائف الناس و أنّ اى تحوّل فى قضاياهم المصيريّه يجب ان يبدأ من داخل أنفسهم.

ثمّ تعود مرّه اخرى الى فكره التوحيد، و تسييح الرعد و خوف الناس من البرق و الصاعقه، و سجود السّماوات و الأرضين فى مقابل عظمه الربّ. و لأجل

ان تتعقل القلوب و الأسماع و توقظ الأفكار، و لإيضاح انّ الأوثان ليس لها اى ميزه او فائده، تدعوهم الى التفكر و التعلم، و تضرب لهم الأمثال لمعرفة الحق من الباطل. الأمثال الحيه و القابله للإدراك.

و من هنا فالحصيله النهائيه للايمان بالتوحيد و المعاد هي تلك التطبيقات العمليه و الحيه لها، فالقرآن فى هذه السوره يدعو الناس الى الوفاء بالعهد و صله الأرحام و الصبر و الاستقامه و الإنفاق فى السرّ و العلانيه و النهى عن الانتقام.

و يوضح لهم انّ الدنيا فانيه، و الطمأنينه و الراحة لا تحصلان الا فى ظلّ الايمان بالله.

و فى النهايه يأخذ بأيدي الناس و يغور بهم فى اعماق التاريخ، و يريهم العواقب السيئه للذين طغوا و عصوا و ابعدوا الناس عن الحق، و يختم السوره بتهديد الكفار بعبارات و جمل لاذعه.

اذن فالسوره تبتدىء بالعقائد و الايمان و تنتهى بالبرامج التربويه للإنسان.



اشاره

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الْمَر تَلَمَكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ (١) اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ أَسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ (٢) وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشَى اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (٣) وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُّتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزُرُوعٌ وَنَخِيلٌ صَوَّانٌ وَغَيْرُ صَوَّانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفِضَ بَعْضُهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (٤)

التفسير

اشاره

آيات الله في السماء و الأرض و عالم النبات:

مره اخرى نواجه الحروف المقطعه في بدايه هذه السوره،و التي وردت في

(٢٩)سوره اخرى،و لكن الحروف المقطعه المذكوره هنا تتكوّن من الم التي وردت في بدايه عدّه سور،و الر و التي وردت في بدايه سور اخرى،و في الواقع أنّ هذه السوره تنفرد عن غيرها من السور ب المر .

و من المعتقد في تفسير الحروف المقطعه أنّ لها ارتباطا مباشرا بمعانى نفس السوره،فمن المحتمل أنّ هذا التركيب في بدايه سوره الرعد يشير الى جمعها لمحتوى مجموعتين من السور التي تبتدى ب الم و الر .

و إذا ما امعنا النظر في محتوى هذه السور نجدها مطابقه لما قلناه، و بخصوص تفسير الحروف المقطعه كانت لنا شروح مفصّله عنها في بدايه سوره البقره و آل عمران و الأعراف فلا ضروره في التكرار.

و على ايه حال فالآيه الاولى من هذه السوره تتحدّث عن عظمه القرآن **تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنَ رَبِّكَ الْحَقُّ** (١).

و لا يوجد اى شك أو ترديد في هذه الآيات،لأنها تبين عين الحقيقه للكون و نظامه المرتبط بالإنسان.فهو حقّ لا يشوبه باطل،و لهذا السبب فإنّ علائم الحقّ واضحه فيه لا تحتاج الى براهين **وَ لَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ** .

لأنّ الناس إذا ما تركوا و شأنهم و لم يتبعوا معلما صادقا يهديهم و يريهم في حياتهم و كانوا أحرارا في اتباع أهوائهم فإنّهم سوف يتيهون في الطريق و يضلّون عن الحقّ.

و أمّا إذا كان الرسل و هداه الحقّ هم الائمه و القاده حيث يضع الفرد نفسه في تصرّفهم،فإنّ الاكثريه تسير في طريق الحقّ.

ثمّ تتطرّق السوره الى شرح القسم المهمّ من ادلّه التوحيد و آيات الله في الكون،و تتجوّل بالإنسان في عرض السّماوات و تريه الكواكب العظيمة و اسرار هذا النظام و حركته،حتّى يؤمن بالقدره المطلقه و الحكمه اللامتناهيه

ص: ٣٢٨

(١ - ١) استخدام تلك للبعيد-و كما قلنا سابقا-كنايه عن عظمه القرآن و اعجازه.

الجملة بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا لها تفسيران:

١- فكما ترون أنّ السماء مرفوعة بدون عمد (أي أنّها في الأصل بلا عمد كما ترونها فعلا).

٢- والثانيه ان (ترونها) صفة للعمد فيكون المعنى: أنّ السماء مرفوعة بعمد و لكن لا ترونها لأنها غير مرئية! وهذا هو الذي يراه الامام على بن موسى الرضا عليه السلام،

ففي حديث رواه الحسين بن خالد قال: سألت الامام أبا الحسن الرضا عليه السلام: ما المقصود في قوله تعالى: وَ السَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ قال: هذه السماء لها طرق الى الأرض، فقلت له:

كيف تكون لها طرق الى الأرض في الوقت الذي يقول سبحانه و تعالى: رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ فَأَجَابَهُ الامام: «سبحان الله، أليس الله يقول بغير عمد ترونها؟ قلت بلى، فقال: ثم عمد و لكن لا ترونها» (٢).

انّ هذه الآيه بالرغم من وجود هذا الحديث الذي يفسرها، فإنّها تكشف عن حقيقه علميه لم تكن معروفه عند نزول الآيات الكريمه، لأنّه في ذاك الوقت كانت نظريه «ببليوس» في الهيئه تتحكّم بكلّ قواها في المحافل العلميه في العالم و على أفكار الناس، و طبقا لهذه النظرية فإنّ السماءات عباره عن اجرام متداخله تشبه قشور البصل، و أنّها لم تكن معلقه و بدون عمد، بل كلّ واحده منها تستند الى الاخرى.

و لكن بعد نزول هذه الآيات بألف سنه تقريبا توصل علم الإنسان الى أنّ هذه الفكره غير صحيحه، فالحقيقه أنّ الاجرام السماويه لها مقرّ و مدار ثابت، و لا

ص: ٣٢٩

١ - ١) (عمد) على وزن (صمد) «و عمد» على وزن (زحل) و الاثنان جمع عمود، فالأول جمع، و الثاني اسم الجمع (مجمع البيان ذيل الآيه).

٢ - ٢) الحديث في تفسير البرهان، عن على بن ابراهيم عن العياشي (البرهان، المجلد الثاني، ص ٢٧٨).

تستند الى شىء، فالشىء الوحيد الذى يجعلها مستقره و ثابتة فى مكانها هو تعادل قوه التجاذب و التنافر، فالاولى تربط الاجرام فيما بينها، و الاخرى لها علاقه بحركتها.

هذا التعادل للقوتين الذى يشكّل اعلمه غير مرئيه يحفظ الاجرام السماويه و يجعلها مستقره فى مكانها.

و

فى الحديث عن الامام امير المؤمنين عليه السلام بخصوص هذا الموضوع قال:

«هذه النجوم التى فى السماء مدائن مثل المدائن التى فى الأرض مربوطه كلّ مدينه الى عمود من نور» (١).

و هل نجد أوضح من هذا الوصف «عمود غير مرئيه» او «عمود من نور» فى ادب ذلك العصر لبيان أمواج الجاذبيه و تعادل قوتى الجذب و الدفع. و للاطلاع اكثر راجع كتاب [القرآن و آخر الرسل]

صفحه ١٦٦ و ما بعدها.

ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ

فى خصوص معنى العرش و الاستواء عليه هناك شرح واف عنه فى ذيل الآيه ٥٤ من سوره الأعراف.

و بعد ان بين خلق السماوات و هيمنه الخالق عليها، تحدّث عن تسخير الشمس و القمر و سَخَّرَ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ .

ما أعظم هذا التسخير الذى يقع تحت اراده و مشيئه الخالق، و فى خدمه الوجود الانسانى و الكائنات الحيه حيث يشع نورهما و تضيئان العالم، و تحافظان على دفء الكائنات و تساعدانها على النمو، و تخلقان ظاهره الجزر و المدّ فى البحار، و خلاصه القول أنّهما منشأ لجميع البركات، و لكن هذا النظام المادى ليس ابدى، بل كُلُّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى .

ثمّ يضيف بعد ذلك: انّ هذه الحركات و التغيرات فى الأحوال ليست بدون حساب و كتاب، و بدون فائده و نتيجه، بل يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ .

ص : ٣٣٠

(١ - ١) سفينه البحار، المجلد الثانى، ص ٥٧٤ نقلا من تفسير على بن ابراهيم القمى.

و تعقيبا للآيات السابقة التى نقلت الإنسان الى السَّمَاء لثريه الآيات الالهيه هناك، تنقله الآيه الثانيه من آيات التوحيد الى كتاب الكون اى الأرض و الجبال و الأنهار و انواع الثمار و شروق الشمس و غروبها، حتى يتفكر فى محل استقراره فى البدايه ماذا كان؟ و كيف أصبح الآن بهذه الصوره؟ قوله تعالى: وَ هُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَ بَسَطَهَا بالشكل الذى تنهياً فيه لحياء الإنسان و نمو النباتات و الحيوانات، و ملا الاوديه و المنحدرات الصعبه بالتراب من خلال تفتت الصخور الجبلية، و جعل الأرض مسطحه و قابله للسكن، بعد ان كانت التضاريس مانعه من سكن الإنسان عليها.

و قد يحتمل فى تفسير هذه الجمله مَدَّ الْأَرْضَ الاشاره الى ما يقوله علماء الطبيعه من انّ الأرض كانت مغطاه بالماء. ثم استقرت المياه فى الوديان ظهرت اليابسه، و بمرور الوقت اتسعت حتى أصبحت على ما نراه اليوم.

ثم يشير القرآن الكريم الى ظهور الجبال وَ جَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ فهى تلك الجبال التى عبرت عنها فى آيات اخرى ب(الأوتاد) و لعل ذلك اشاره الى أنّها متشابكه فيما بينها من الأسفل مثلها مثل الدرع الواقى و تغطى سطح الأرض، فهى تبطل الضغوط الداخليه فى الأسفل و الضغط الخارجى المتمثل بجاذبيه القمر و المدّ و الجزر. و كذلك تقضى على الاضطرابات و الزلازل، و تجعل الأرض مستقره و ساكنه و صالحه لحياء الإنسان.

انّ ذكر القرآن الكريم الجبال بعد مَدَّ الْأَرْضَ يحتمل ان يكون المراد منه انّ الأرض ليست منبسطة بشكل تامّ بحيث تنعدم فيها المرتفعات، ففى هذه الصوره لا تستقرّ فيها الأمطار و المياه، او تتحوّل الى مستنقعات و تجرى فيها السيول و تتعرض للطوفانات الدائمه، فخلق الجبال لتأمن البشره من هذين الأمرين.

و ليست الأرض كلها جبالا و وديانا فتكون غير قابله للسكن، بل تحتوى

على مناطق منبسطة و مناطق جبلية و وديان، و هذه أفضل صيغه لحياء الإنسان و الكائنات الحيّه. ثمّ تضيف الآيه بعد ذلك الأنهار وَ أَنْهَارًا .

رائع جدّا نظام سقى الأرض بواسطة الجبال، و علاقته الأنهار بالجبال، لأنّ كثيرا من الجبال تحتزن المياه بشكل ثلوج على قممها و فى شقوق الوديان، ثمّ تذوب تدريجيّا، و طبقا لقانون الجاذبيه تأخذ طريقها من المناطق المرتفعه الى المناطق المنخفضه بدون ان تحتاج الى قوّه اخرى لمساعدتها، فهى تقوم بسقى كثير من المناطق و بشكل طبيعى على مدار السنه.

فلو لم يكن للأرض انحدار كاف و لم تحتزن الجبال المياه بهذا الشكل، لكان سقى كثير من المناطق اليابسه صعبا، و فى حاله الإمكان كنّا نحتاج الى صرف مبالغ هائله لإيصال الماء إليها.

ثمّ يذكر القرآن بعد ذلك النباتات و الأشجار التى تتكوّن من الأرض و المياه و اشعه الشمس، و التى هى أفضل و سيله لإمرار الإنسان بالغذاء: وَ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا رُزُقَيْنِ أَنْثِينَ .

و الآيه تشير هنا الى أنّ الفاكهه كائنات حيّه فيها الذكر و الأنثى، و بواسطه التلقيح تتكوّن الثمار.

فإذا كان العالم السويدي «لينه»المختص بعلم النبات هو الذى توضّيل الى هذه الحقيقه فى حوالى منتصف القرن الثامن عشر الميلادى و هى أنّ التزويج فى عالم النباتات يعتبر قانونا عاما تقريبا كالحوانات و لها نطف ذكرية و انثويه و أنّ الثمره تتكوّن من التلقيح. فالقرآن الكريم قبل الف و مائه عام من ذلك كشف لنا عن هذه الحقيقه، و هذه واحده من معاجز القرآن العلميه التى تبين عظمه هذا الكتاب السماوى الكبير.

و ليس من شكّ أنّ ما قبل «لينه» كان كثير من العلماء يعتقدون بوجود المذكور و الإناث فى بعض الأشجار، حتّى الناس العاديين كانوا يعلمون بذلك،

و لكن لم يكن يعلم اى واحد ان هذا القانون عام، حتى كشفه «لينه» و من قبله القرآن الكريم.

و بما ان حياه الإنسان و كل الكائنات- و خصوصا النباتات- لا يمكن لها الاستمرار الا بوجود نظام دقيق لليل و النهار، فإن القرآن يشير الى ذلك فى القسم الآخر من الآيه يُعْشَى اللَّيْلَ النَّهَارَ .

و لو لا- ظلمه الليل و هدوؤه، لأ- حرقت الشمس بنورها المستمر كل النباتات، و لم تبق فاكهه و لا- اى كائن حى على وجه الأرض، فسطح القمر ليس له نهار دائم و مع هذا نجد ان حتى هذا المقدار من نهاره الذى يعادل خمسه عشر يوما من ايام الأرض. نرى ان درجه فيها مرتفعه جدا بحيث لو وضعنا هناك ماء او اى سائل آخر فسوف يغلى و يتبخّر، و لا يمكن لاي موجود حى فى الأرض ان يتحمل هذه الحراره.

و تبين الآيه فى النهايه ان فى ذلك لآياتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ أولئك الذين يتفكرون فى هذا النظام الرائع، فى نظام النور و الظلام، و حركه الاجرام السماويه، و تسخير الشمس و القمر و جعلها فى خدمه الإنسان، و فى نظام مدّ الأرض و اسرار خلق الجبال و الأنهار و النباتات، نعم! فهم يرون بوضوح فى هذه الآيات الحكمة المطلقة و القدره اللامتناهيه للخالق العلام.

و فى الآيه الاخيره من هذه المجموعه يشير القرآن الكريم الى عدّه نقاط حول علم الأرض و علم النبات، و التى تعبّر عن النظام الدقيق للخلق، يقول اولا وَ فِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُّتَجَاوِرَاتٌ (١) فبالرغم من ان هذه القطع متصله مع بعضها البعض، فإن لكل واحد منها بناءه و تركيبه الخاص به، فبعضها قوى و الآخر ضعيف، و بعضها مالح و الآخر حلو، و كل قطع لها الاستعداد فى تربيته نوع خاص

ص: ٣٣٣

(١-١) متجاور بمعنى الجار و ما يكون قريبا، فقوله: (قِطْعٌ مُّتَجَاوِرَاتٌ) يقصد منه ان هذه القطع مختلفه و ليست متساويه، و الا لم يكن للجمله معنى.

من النباتات و أشجار الفاكهه و الزراعه، لائن احتياجات الإنسان و الحيوان كثيره و متفاوته، و قد تكون لكل قطعته من الأرض المسئوليه فى تلبيه احدى هذه الحاجات. و اما إذا كانت فى مستوى واحد، او لم تكن استعداداتها مقسمه بالشكل المطلوب، لكان الإنسان يمرّ بأزمه و نقص فى موادّه الغذائيه و الطيبه و سائر الاحتياجات الاخرى، و لكن هذا التقسيم المناسب للمسئوليه و توزيعها على القطعات المختلفه للأرض سوف يسدّ الاحتياجات اللازمه للإنسان.

قوله تعالى: وَجَنَاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزُرْعٌ وَنَخِيلٌ (١) صِنَوَانٌ وَغَيْرُ صِنَوَانٍ (٢).

«صنوان» جمع «صنو» بمعنى الغصن الخارج من اصل الشجره، و عليه فالكلمه تعنى الاغصان المختلفه الخارجه من اصل الشجره. و الملفت للنظر انه يمكن ان يكون لكل واحد من هذه الاغصان نوع خاص من الثمر، و هذه قد تشير الى قابليه الأشجار للتركيب. ففى بعض الأحيان يتم تركيب عدّه أغصان مختلفه على ساق واحده، و بعد نمو هذه التراكيب تعطى كل واحد منها نوعا خاصا من الثمر، فالتربيه واحده و الساق و الجذر واحد و لكن الثمر مختلف.

و الأعجب من ذلك انها تسقى بماء واحد يُسقى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَ نُفِضَ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأُكْلِ .

و قد نرى كثيرا انه فى الشجره الواحده او فى غصن واحد توجد ثمار من نفس الصنف و لكن لها اطعمه و ألوان مختلفه، و فى العالم نشاهد اورادا كثيره، و قد يحمل الغصن الواحد اورادا مختلفه الألوان.

ص: ٣٣٤

١- ١) «أعناب» جمع عنب و«النخيل» جمع نخله، و يحتمل انهما ذكرتا بصيغه الجمع للدلاله على الأنواع المختلفه للعنب و التمر و التى قد تصل الى مئات الأنواع فى العالم.

٢- ٢) و قد ذكروا معنى آخر لصنو، و هو الشبيه، و لكن يحتمل ان هذا المعنى مأخوذ من نفس المعنى الذى ذكرناه آنفا.



ای مختبر للأسرار هذا الذى يعمل فى أغصان الأشجار، و الذى ينتج من مواد قليلة متحده، تركيبات مختلفه تؤمن احتياجات الإنسان.

أليست هذه الأسرار تدلّ على وجود من يقود هذا النظام بالعلم و الحكمة.

و هنا فى آخر الآيه يقول تعالى: إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ .

**هناك عدّه نقاط:**

**إشارة**

**١- ما هي وجه العلاقة بين التوحيد و المعاد**

؟ كان الحديث فى بدايه الآيه عن التوحيد و اسرار الكون، و لكن نقرا فى نهايتها يُفصّلُ الآياتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ فما هي وجه العلاقة بين التوحيد و المعاد حتّى تكون الواحده نتيجه للأخرى؟ للإجابة على هذا السؤال لا بدّ من ملاحظه ما يلي:

١- أنّ قدره الله على إيجاد الكون دليل على قدرته فى إعادته كما نقرا فى الآيه (٢٩) من سوره الأعراف كَمَا يَدَأُكُمْ تَعُودُونَ او نقرا فى أواخر سوره «يس» قوله تعالى: أَوْ لَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ .

ب- و كما قلنا فى بحثنا عن المعاد، فإنّه لا فائده من خلق العالم إذا لم تكن الآخرة حقيقه، لأنّه لا يمكن ان تكون هذه الحياه هي الهدف من خلق هذا العالم الواسع. يقول القرآن الكريم ضمن آياته المتعلّقه بالمعاد من سوره الواقعه آيه (٦٢): وَ لَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ (١) .

ص: ٣٣٥

(١-١) للمطالعه اكثر راجع كتاب [المعاد و العالم بعد الموت].

## ٢- الاعجاز العلمى للقرآن

هناك آيات كثيرة فى القرآن المجيد أزاحت الستار عن مجموعه من الأسرار العلميه التى كانت خافيه على العلماء فى ذلك الوقت. وهذه واحده من دلائل اعجاز و عظمه القرآن، و غالبا ما كان يشير إليها كثير من المحققين فى مسأله الاعجاز.

فمن جمله هذه الآيات ما ذكرناه آنفا و هى الآيه التى تذكر الزوجيه فى النباتات، فكما قلنا سابقا: إن ظاهره الزوجيه فى النباتات كانت معروفه للناس منذ القديم و لو بشكلها الجزئى، و لكن لم تكن تعرف بشكل قانون عام حتى أواسط القرن الثامن عشر حين استطاع العالم «لينه» و الأول مره ان يكشف عن هذه الحقيقه، و لكن القرآن الكريم اخبر بذلك قبل اكثر من الف عام.

كما أشار القرآن الى هذا الموضوع فى سوره لقمان الآيه ١٠ قوله تعالى:

وَ أَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ .

كما اشارت إليها آيات اخرى.

## ٣- تسخير الشمس و القمر

قرانا فى الآيات السابقه ان الله سخر الشمس و القمر، كما نقرا فى آيات كثيره اخرى عن تسخير السماء و الأرض و الليل و النهار للإنسان.

فنقرا فى آيه وَ سَخَّرَ لَكُمْ الْأَنْهَارَ (١) و فى آيه اخرى وَ سَخَّرَ لَكُمْ الْفُلُكَ (٢) سَخَّرَ لَكُمْ اللَّيْلَ وَ النَّهَارَ (٣) وَ سَخَّرَ لَكُمْ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ (٤)

ص: ٣٣٦

١-١) ابراهيم، ٣٢.

٢-٢) ابراهيم، ٣٢.

٣-٣) النحل، ١٢.

٤-٤) ابراهيم، ٣٣.

وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا

(١)

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مِمَّا فِي الْأَرْضِ

(٢)

وَسَخَّرَ لَكُمْ مِمَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمِمَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ

(٣)

من مجموع هذه الآيات يمكن ان نستفيد ما يلي:

أولاً: إنَّ الإنسان أكمل من جميع الموجودات في هذا العالم، فمن وجهه اسلاميه نرى انَّ الشريعة الاسلاميه تعطى للإنسان القيمه الكبيره بحيث تسخّر له كلّ ما في الكون، فهو خليفه الله، وقلبه مستودع نوره! ثانياً: ويتضح انَّ التسخير ليس المقصود منه انّ جميع هذه الكائنات هي تحت امره الإنسان، بل هي بقدر معين تدخل ضمن منافعه وخدمته، و على سبيل المثال فإنّ تسخير الكواكب السماويه من اجل ان يستفيد الإنسان من نورها او لفوائد اخرى.

فلا يوجد اى مبدا يقيم الإنسان بهذا الشكل، و لا يوجد فى ايه فلسفه هذا المقام لشخصيته، فهذه من خصائص المدرسه الاسلاميه التى ترفع من قيمه الإنسان بهذا الشكل الكبير، فالمعرفه بها لها اثر عميق على تربيته، لانه حينما يفكر الإنسان بتعظيم الله له، و تسخير السحاب و الهواء و الشمس و القمر و النجوم و جعلها فى خدمته، فمثل هذا الإنسان لا- تعتريه الغفله و لا يكون عبدا للشهوات و أسيراً للمال و المقام، بل يحطم القيود و يتطلّع الى آفاق السماء.

كيف يمكن القول: إنَّ الشمس و القمر غير مسخّرين للإنسان فى الوقت الذى نرى انّ فى اشعتها نور يضىء حياه الإنسان و يحافظ على دفئه، و لولا- اشعه الشمس لما وجدت اى حركه او نشاط على الكره الارضيه، و من جهه اخرى فإنّ جاذبيتها تنظم حركه الأرض حول مدارها، و توجد ظاهره المدّ و الجزر فى

ص: ٣٣٧

١-١) النحل، ١٤.

٢-٢) الحجّ، ٦٥.

٣-٣) الجاثيه، ١٣.

البحار بمساعده القمر و هى بالتالى منبع لكثير من الفوائد و البركات.

فالبهار و الأنهار، و الليل و النهار، و الفلك، كل واحد هى فى خدمه الإنسان و مصالحه. و الدقه فى هذا التسخير و النظام دليل واضح على عظمه و قدره و حكمه الخالق المتعال.

ص: ٣٣٨

اشاره

وَإِنْ تَعَجَّبْتَ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَ إِذَا كُنَّا تُرَابًا أَوْ إِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ الْأَغْلَالُ فِي أَعْتَابِهِمْ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٥) وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثَلَاتُ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ (٦)

التفسير

اشاره

تعجب الكفار من المعاد:

بعد ما انتهينا من البحث السابق عن عظمه الله و دلائله، تتطرق الآيه الاولى من هذه المجموعه الى مسأله المعاد التي لها علاقه خاصه بمسأله المبدأ، و يؤكد القرآن الكريم هذا المعنى حيث يقول: وَإِنْ تَعَجَّبْتَ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَ إِذَا كُنَّا تُرَابًا أَوْ إِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ (١) اي إذا أردت ان تتعجب من قولهم هذا فتعجب لقولهم في

ص: ٣٣٩

١- ١) و يحتمل في تفسير جمله إن تَعَجَّبْتَ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ ان المقصود منه ان تعجب من عبادتهم للأصنام فالأعجب ان ينكروا المعاد، و لكن هذا الاحتمال غير وارد، و الصحيح ما هو ظاهر الآيه المذكور في المتن.

هذا التعجب من المعاد كان موجودا عند جميع الأتوام الجاهله، فهم يظنون أنّ الحياه بعد الموت امر محال، و لكننا نرى أنّ الآيات السابقه و آيات اخرى من القرآن الكريم تجيب على هذا التساؤل، فما هو الفرق بين بدء الخلق و البعث من جديد؟ فالقادر الذى خلقهم أول مرّه باستطاعته ان يبعث الروح فيهم مرّه ثانيه، و هل نسى هؤلاء بدايه خلقهم حتى يجادلوا فى بعثهم؟! ثمّ يبين حالهم الحاضر و مصيرهم فى ثلاث جمل:

يقول أولا: **أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ لِأَنَّهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْتَقِدُونَ بِرَبِّيهِ اللَّهُ لَمَا كَانُوا يتردّدون فى قدره الله على بعث الإنسان من جديد، و على هذا فسوء ظنّهم بالمعاد هو نتيجة لسوء ظنّهم بالتوحيد و ربوبيه الله.**

و الأمر الآخر أنّه بكفرهم و عدم ايمانهم و خروجهم من ساحه التوحيد قيّدوا أنفسهم بالاغلال، أغلال عباده الأصنام و الأهواء و الماده و الجهل و الخرافه، و جعلوها فى أعناقهم **وَ أُولَئِكَ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ .**

و مثل هؤلاء الأشخاص ليس لهم عاقبه سوى دخول النار **وَ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ .**

و فى الآيه الثانيه يشير الى دعوى اخرى للمشركين حيث يقول:

**وَ يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ**

بدلا من طلب الرحمه ببركه وجودك بينهم.

لماذا يصرّ هؤلاء القوم على الجهل و العناد؟ لماذا لم يقولوا: لو كنت صادقا لأنزلت علينا رحمه الله، او لرفعت العذاب عنا؟! و هل يعتقدون بكذب العقوبات الالهيه؟ **وَ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثَلَاتُ (١).**

ثمّ تضيف الآيه **وَ إِنَّ رَبَّكَ لَدُوٌّ مَغْفِرَةٌ لِلنَّاسِ عَلَيَّ ظَلْمِهِمْ وَ إِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ**

ص: ٣٤٠

إنّ العذاب الشديد غير مخالف لرحمته الواسعه، كما لا يتوهم أحدا أنّ رحمته العامه هي إعطاء الفرصه للظالمين ان يفعلوا ما يريدون. لأنّه في هذه الموارد يكون شديد العقاب، والحصول على نتائج هذه الصفتين للربّ يعني لذو مغفره و لشديد العقاب مرهون بسلوك الإنسان نفسه.

## ملاحظات

## اشاره

### ١- لماذا التعبّب في الخلق الجديد

؟ استفاد من خلال آيات متعدده في القرآن الكريم أنّ من جمله مشاكل الأنبياء مع المشركين اثبات «المعاد الجسماني» لأنهم كانوا يتعجبون دائما من هذا الموضوع و هو: كيف يبعث الإنسان من جديد بعد ان صار ترابا؟ كما اشارت اليه الآيه السابقه أ إذا كُنَّا تُرَابًا أَوْ إِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ و هناك سبع آيات اخرى تشير الى هذا الموضوع (الآيه ٣٥ و ٨٢ من سوره المؤمنون ٧-٢ النمل ٦-١ و ٥٣ الصافات-٣ ق ٧-٤ الواقعه).

و من هنا يتضح أنّ هذا التساؤل كان مهمًا بالنسبه إليهم حيث كانوا يكرّرونه في كلّ فرصه، و لكن القرآن الكريم يجيبهم بعبارات قصيره و قاطعه، فمثلا الآيه (٢٩) من سوره الأعراف: كَمَا يَدَّأكُمْ تَعُودُونَ تتكوّن من كلمات قليله و لكنها مفحمه لهم، و في مكان آخر يقول تعالى: وَ هُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ لَإِنَّكُمْ فِي الْخَلْقِ الْأَوَّلِ لَمْ تَكُونُوا شَيْئًا مِّنْ شَيْءٍ الْآنَ فَتَجِدُ عَلَى الْأَقْلَامِ عِظَامَ نَخْرِهِ مَعَ التُّرَابِ الْمَتَّبِقِيِّ مِنْكُمْ.

و في بعض الأحيان يأخذ بأيدي الناس و يدعوهم الى التفكّر و الإمعان في عظمه و قدره الخالق أ وَ لَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ بِقَادِرٍ عَلَيَّ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ .

## ٢- هل ان الله يعفو عن الظالمين

؟ قرانا فى الآيات المتقدمه ان الله يعفو و يغفر للذين ظلموا، و هذا الغفران غير لازم لمن يصرّ على ظلمه، و لكنّه من باب إعطاء الفرصه لهم لان يصلحوا أنفسهم، و الا فهو تعالى شديد العقاب.

و يمكن ان نستفيد من هذه الآيه انّ الذنوب الكبيره-و من جملتها الظلم- قابله للغفران(و لكن بتحقق شروطها)، و هو ردّ على قول المعتزله بأنّ الذنوب الكبيره لا يغفرها الله ابدا.

و على ايه حال ف«المغفره الواسعه» و«العقاب الشديد» فى الواقع تجعل كل المعترفين بوجود الله بين «الخوف» و«الرجاء» الذى يعتبر من العوامل المهمه لتربيته الإنسان، فلا ييأس من رحمه الله لكثره الذنوب، و لا يأمن من العذاب لقلتها.

و لهذا

جاء فى الحديث عن الرسول الأعظم صلى الله عليه و آله و سلم «لو لا عفو الله و تجاوزه ما هنى احد العيش، و لولا وعيد الله و عقابه لا تكلم كل واحد» (١).

و من هنا يتضح انّ الذين يقولون-أثناء ارتكابهم المعاصى- انّ الله كريم، يكذبون فى اتكالهم على كرم الله، فهم فى الواقع يستهزون بعقاب الله.

ص: ٣٤٢

---

١- (١) مجمع البيان، المجلد ٥ و ٦، ص ٢٧٨-تفسير القرطبي، المجلد السادس، ص ٣٥١٤.



اشاره

وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ (٧)

التفسير

اشاره

ذريعه اخرى

! بعد ما أشرنا في الآيات السابقة الى مسأله «التوحيد» و«المعاد»، تتطرق هذه الآيه الى واحده من اعتراضات المشركين المعاندين حول مسأله النبوه:

وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ

و من الواضح ان احدي وظائف النبي صلى الله عليه و آله و سلم اظهار معاجزه لكي يدل على صدقه و صلته بالوحي الالهي، و الذي يبحث عن الحقيقه له الحق في المطالبه بالمعجزه أثناء شكّه و تردده في تصديق الدعوه، او تتضح له دلائل النبوه عن طريق آخر.

و لكن يجب ان نلتفت الى هذه النقطه و هي: ان اعداء الأنبياء لم يكن لديهم حسن نيه او اتباع للحق عند طلبهم المعجزه، بل لعنادهم و عدم تسليمهم للأمر الواقع و لذلك كانوا يقترحون بين فتره و اخرى معاجز عجيبه و غريبه. و هذه ما

يسمى بـ«المعجزات الاخلاقيه».

اقتراحهم للمعاجز لم يكن لكشف الحقيقه، و لهذا لم يستجب الأنبياء لمطالبهم، و فى الحقيقه كانت هذه الفئه من الكفار المعاندين يعتقدون انّ النبى صلى الله عليه و آله و سلم يدعى القدره على انجاز اى عمل خارق للعادة، و اى واحد منهم يقترح عليه انجاز عمل ما سوف يلبنى مطالبه.

و لكن الأنبياء كانوا يقولون لهم الحقيقه و هى انّ المعاجز بيد الله، و رسالتنا هدايه الناس.

و لذلك نقرا فى تكمله الآيه قوله تعالى: **إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَ لِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ**.

**بحثان**

**اشاره**

**هنا يرد سؤالان:**

**اشاره**

**١- هل الآيه «انما أنت منذر...» جواب للكفار؟**

كيف يمكن لجمله **إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَ لِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ** ان تكون جوابا للكفار عند طلبهم المعجزه؟ الجواب: بالاضافه الى ما قلناه سابقا فإنّ النبى صلى الله عليه و آله و سلم ليست له القدره الغيبيه المطلقه كى يطلبوا منه الاعجاز، لانّ الوظيفه الاولى له هى إنذار أولئك الذين يسيرون فى طريق الضلال، و الدعوه الى الصراط المستقيم، و إذا ما احتاجت هذه الدعوه الى المعجزه فسوف يأتى بها النبى، و لكن لا يأتى بها للمعاندين البعيدين عن هذه المسيره.

فمعنى الآيه: انّ الكفار نسوا انّ هدف الأنبياء الإنذار و الدعوه الى الله، و اعتقدوا انّ وظيفتهم القيام بالمعاجز.

ص: ٣٤٤

؟ قال بعض المفسرين: أنّ هاتين الصفتين (منذر) و(هاد) صفتان للرسول، فأصل الجملة تكون (أنت منذر و هاد لكل قوم).

و لكن هذا التفسير خلاف الظاهر، لأنّ الواو في جملة وَ لِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ تفصل بين جملة إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ و لو كانت كلمه «هاد» قبل «لِكُلِّ قَوْمٍ» كان المعنى السابق صحيحا. و لكن الأمر ليس كذلك.

و الشيء الآخر هو أنّ هدف الآية بيان أنّ هناك قسمين من الدعوه الى الله:

أحدهما ان يكون عمل الداعي هو الإنذار فقط. و الآخر: ان يكون العمل هو الهدايه.

و سوف تسألون حتما: ما هو وجه التفاوت بين (الإنذار) و(الهدايه)؟ نقول في جواب هذا السؤال: أنّ الإنذار للذين اضلّوا الطريق و دعوتهم تكون الى الصراط المستقيم، و لكن الهدايه و الاستقامه للذين آمنوا.

و في الحقيقة أنّ المنذر مثل العله المحدثه، أمّا الهادي فبمنزله العله الباقيه و هذه هي التي تعبّر عنها بالرسول و الامام، فالرسول يقوم بتأسيس الشريعه و الامام يقوم بحفظها و حراستها. (ليس من شكّ أنّ الهدايه في آيات اخرى مطلقه للرسول، و لكن بقرينه المنذر في هذه الآية نفهم أنّ المقصود من الهادي هو الشخص الحافظ و الحامي للشريعه).

هناك روايات عديده تؤكد ما قلناه سابقا، فقد

قال الرسول الأعظم صلّى الله عليه و آله و سلّم:

«انا المنذر و على الهادي».

و لا بأس ان نشير الى عدّه من هذه الروايات:

١- في ذيل هذه الآية

من تفسير الفخر الرازي مرفوعا عن ابن عباس قال:

وضع رسول الله يده على صدره فقال: «انا المنذر» ثمّ اوما الى منكب على عليه السلام و قال: (أنت الهادي بك يهتدى المهتدون من بعدى) هذه الروايه ذكرها العلامة

«ابن كثير» في تفسيره، و«العلامة» ابن الصبّاح المالكي» في الفصول المهمّة، و«الكنجي» الشافعي في كفاية الطالب و«الطبري» في تفسيره، و«ابو حيان الاندلسي» في تفسيره البحر المحيط، وكذلك «العلامة النيسابوري» في تفسيره الكشاف، و عدد آخر من المفسرين.

٢- نقل «الحمويني» و هو من علماء اهل السنّة المعروفين في كتابه فرائد السمطين عن ابو هريره قال «ان المراد بالهادي على عليه السلام».

٣- «مير غياث الدين» مؤلف كتاب (حبيب السيد) كتب يقول في المجلد الثاني صفحه ١٢: «قد ثبت بطرق متعدده انه لما نزل قوله تعالى: **إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَ لِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ**

قال لعلّي: «انا المنذر و أنت الهادي بك يا على يهتدى المهتدون من بعدى».

كما نقل هذا الحديث «الألوسي» في (روح المعاني) و«الشبلنجي» في (نور الأبصار) و الشيخ «سليمان القندوزي» في (ينابيع المودّه).

و بما ان اكثر هذه الروايات مسنده الى ابن عباس فإنه لم يكن الشخص الوحيد الذي روى ذلك، فأبو هريره نقل ذلك فيما ذكره الحمويني، و حتى على نفسه-طبقا لما نقله الثعلبي -

قد قال: «المنذر النبي و الهادي رجل من بنى هاشم» يعني نفسه (١).

لا شك ان هذه الأحاديث لا تصرّح بالخلافه، و لكن بالنظر الى ما تحويه هذه الكلمه (الهدايه) من المعنى الواسع، فإنها غير منحصره بعلى عليه السلام بل تشمل جميع العلماء و اصحاب الرسول صلى الله عليه و آله و سلم الذين كانوا يقومون بنفس المهمّه، فإنه يتضح لنا تخصيص على بن أبي طالب عليه السلام في هذه الروايات بهذا العنوان يدلّ على أنه المصداق البارز له، و ذلك لما يمتاز به من الخصوصيات، و هذا المطلب لا يكون منفصلا عن خلفه الرسول صلى الله عليه و آله و سلم حتما.

ص: ٣٤٦

١- ١) للمزيد من الاطلاع راجع كتاب احقاق الحق، المجلد الثالث، ص ٨٧ و ما بعدها.

اشاره

اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامَ وَمَا تَزِدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ (٨) عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرِ الْمُتَعَالِ (٩)  
سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسْرَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ (١٠)

التفسير

اشاره

علم الله المطلق:

نقرا فى هذه الآيات قسما من صفات الخالق، و التى تكمل بحث التوحيد و المعاد، فالحديث عن علمه الواسع و معرفته بكل شىء، هو ذاك العلم الذى يقوم عليه نظام التكوين و عجائب الخلقه و آيات التوحيد، و هو العلم الذى يكون أساسا للمعاد و العدالة الالهيه يوم القيامة و هذه الآيات استندت الى هذين القسمين: (العلم بنظام التكوين، و العلم بأعمال العباد).

تقول الآيه اولاً: اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَىٰ فِي رَحْمِهَا، سواء من أنثى الإنسان او الحيوان و مَا تَغِيضُ الْأَرْحَامَ اى تنقص قبل موعدها المقرر و مَا

اي يعلم بما تزيد عن موعدها المقرّر.

### في تفسير هذه الجمل الثلاث هناك آراء مختلفة بين المفسرين:

يعتقد البعض -أنها تشير- كما ذكرنا آنفا- الى وقت الولادة، وهي على ثلاثة انواع: فمّرّه يولد المولود قبل موعده. و مّرّه في موعده، و اخرى بعد الموعد المقرّر. فالله يعلم كلّ ذلك و يعلم لحظه الولادة بالتحديد، و هذه من الأمور التي لا يستطيع اي احد او جهاز ان يحدّد موعده، و هذا العلم خاص بذات الله المنزّهه، و سببه واضح لأنّ استعدادات الأرحام و الاجنّه مختلفه، و لا احد يعلم بهذا التفاوت.

و قال بعض آخر: أنّها تشير الى ثلاث حالات مختلفه للرحم ايام الحمل، فالجمله الاولى تشير الى نفس الجنين الذي تحفظه، و الجمله الثانيه تشير الى دم الحيض الذي ينصب في الرحم و يمضّه الجنين، و الجمله الثالثه اشاره الى الدم الاضافي الذي يخرج أثناء الحمل أحيانا، او دم النفاس أثناء الولادة (٢).

و هناك عدّه احتمالات اخرى في تفسير هذه الآيه دون ان تكون متناقضه فيما بينها، و يمكن ان يكون مراد الآيه اشاره الى مجموع هذه التفاسير، و لكن الظاهر أنّ التفسير الاول اقرب، بدليل جمله (تحمل) المقصود منها الجنين و الجمل (تغيض) و (تزداد) بقرينه الجمله السابقه تشير الى الزيادة و النقصان في فترات الحمل.

روى الشيخ الكليني في الكافي عن الامام الصادق عليه السلام او الامام الباقر عليه السلام

ص: ٣٤٨

١- ١) «تغيض» أصلها الغيض بمعنى ابتلاع السائل و هبوط مستوى الماء. و تأتي بمعنى النقصان و الفساد، و «الغيضه» المكان الذي يقف فيه الماء فيبتلعه، و «ليله غائضه» اي مظلمه.

٢- ٢) يقول صاحب الميزان مؤيدا هذا الراي: إنّ بعض روايات ائمّه اهل البيت يؤيد هذا الراي. و ابن عباس ممّن يؤيد هذا الراي ايضا، و لكن بالنظر الى الروايات المنقوله في تفسير نور الثقلين في ذيل الآيه فإنّ أكثرها يؤيد ما قلناه في الراي الاول.

فى تفسير الآيه أنّ «الغيض كلّ حمل دون تسعه أشهر، و ما تزداد كلّ شىء حمل على تسعه أشهر». و فى تكمله الحديث

يقول: «كلما رأت المراه الدم الخالص فى حملها فإنها تزداد و بعدد الايام التى زاد فيها فى حملها من الدم» (١).

وَ كُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ

و لكى لا يتصوّر احد أنّ هذه الزيادة و النقصان بدون حساب و دليل، بل أنّ كلّ ساعه و ثانيه و لحظه لا تمرّ دون حساب، كما أنّ للجنين و دم الرحم حساب و كتاب ايضا. فالآيه التى بعدها تؤكد ما قلناه فى الآيه السابقه حيث تقول: **عَالِمُ الْغَيْبِ وَ الشَّهَادَةِ** فعلمه بالغيب و الشهاده لهذا السبب **الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ** فهو يحيط بكلّ شىء، و لا يخفى عنه شىء.

و لتكميل هذا البحث و تأكيد علمه المطلق يضيف القرآن الكريم: **سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسِرَّ الْقَوْلَ وَ مَنْ جَهَرَ بِهِ وَ مَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَ سَارِبٌ بِالنَّهَارِ** (٢) و هذا هو الحقّ فالذى يوجد فى كلّ مكان لا معنى للغيب و الشهاده او الليل و النهار عنده، فهو محيط بها و عالم بأخبارها بشكل متساو.

**بحوث**

**اشاره**

### **١- القرآن و علم الاجنه**

أشار القرآن المجيد مرارا الى مسأله الجنين و عجائب تكوينه ليكون احد الادلّه على التوحيد و معرفه الله و علمه المطلق، و بالطبع فإنّ علم الاجنه واحد من العلوم الحديثه و كان سابقا عباره عن معلومات اولئيه محدوده ثمّ توسعت فى هذا العصر. و لكن بتقدّم العلم و معرفه حدثت قفزه فى هذا المجال كشف عن

ص: ٣٤٩

١- ١) نور الثقلين، ج ٢، صفحه ٤٨٥.

٢- ٢) «سارب» من سرب على وزن ضرر، بمعنى الماء الجارى، و يقال للشخص الذاهب الى عمل ايضا.

كثير من اسرار هذا العالم الساكن والهادىء و عن كثير من عجائبه بحيث نستطيع ان نقول: ان اكبر درس للتوحيد و معرفه الله كامن فى تكوين الجنين و مراحل تكامله.

فمن هذا الذى يرمى هذا الكائن المخفى و بتعبير القرآن واقع «فى ظلمات ثلاث» الذى يمتاز بالظرافه و دقه التكوين و ان يوصل له المقدار اللازم من الغذاء و يرشده مراحل حياته؟ و عند ما تقول الآيه السابقه: **اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَىٰ** فليس المقصود من علمه بالذكر و الأنتى فقط، بل بكل خصائصه و الطاقه الكامنه فيه، هذه الأشياء لا يستطيع احد و بأى وسيله ان يتعرف عليها، و على هذا فإن وجود هذا النظام الدقيق و المعقد للجنين و مراحل تكامله لا يمكن ان يكون بدون صانع عالم و قدير.

## ٢- كل شىء له مقدار

نحن نقرا فى آيات مختلفه من القرآن الكريم ان كل شىء له حد محدود و لا يتجاوزه، ففي الآيه (٣) من سوره الطلاق يقول تعالى: **قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا** و فى الآيه ٢١ سوره الحجر يقول تعالى: **وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزَلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ** و الآيه التى نحن بصدددها **وَ كُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ**.

كل هذه تشير الى انه ليس هناك شىء فى العالم بدون حساب، حتى الموجودات فى الطبيعه التى نعتبرها فى بعض الأحيان غير مهمه، فإن وجودها على أساس حساب دقيق، علمنا بذلك ام لم نعلم، و أساسا فإن معنى حكمه الله هو ان يجعل لكل ما فى الكون حدا و مقدارا و نظاما.

و كل ما حصلناه اليوم من اسرار الكون بواسطه العلوم يؤكد هذه الحقيقه، فمثلا نرى ان دم الإنسان-الذى هو الماده الحياتيه لوجود الإنسان و الذى يقوم



بنقل المواد الضروريه اللانزمه لخلايا الجسم-يتركب من عشرين مادّه او اكثر، و بنسب ثابتة دقيقه بحيث لو تمّ اى تغيير فيها لتعرّضت سلامه الإنسان للخطر، و لهذا السبب و لمعرفة النقص الحاصل فى الجسم يقومون بتحليل الدم و قياس نسبه السكر و الدهن و سائر مركبات الدم الاخرى، و يتمّ تشخيص العله بواسطه معرفه زياده او نقصان هذه النسب، و ليس دم الإنسان وحده له هذه الميزه، بل كلّ ما فى الوجود له نفس هذه الدقه فى النظام.

و لا-بدّ هنا من التنبيه على أنّ ما يظهر لنا فى بعض الأحيان من عدم النظام فى عالم الوجود هو فى الواقع ناتج من قصور فى علومنا و معرفتنا، فالإنسان الذى يؤمن بالله لا يمكن ان يتصوّر ذلك، و بتطوّر العلوم تتأكد لنا هذه الحقيقه.

و كى نستطيع ان نتعلّم هذا الدرس و هو أنّ المجتمع الانسانى الذى هو جزء من عالم الوجود إذا أراد له العيش بسلام، فعليه ان يجعل شعاره كُلاً شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمَقْدَارٍ يسود جميع جوانبه، و يجتنب الإفراط و التفريط فى اعماله و تخضع جميع مؤسساته الاجتماعيه للحساب و الموازين.

### ٣- الغيب و الشهاده سواء عند الله

استندت هذه الآيات الى أنّ الغيب و الشهاده معلومان عند الله، فهما مفهومان نسيان و تستخدمان للكائن الذى علمه و وجوده محدود، و على سبيل المثال نحن نمتلك حواسا ذات مدى نسبى، فمتى ما كان الشىء داخل فى هذا المدى فهو شاهد بالنسبه لنا، و ما كان خارجا عنه فهو غيب، فلو فرضنا أنّ أبصارنا لها قدره غير محدود و يمكنها النفوذ فى باطن الأشياء و إدراكها، فإنّ كلّ شىء يعتبر شاهد عندنا.

و بما أنّ كلّ شىء له حدّ محدود غير الذات الالهيه، فإنّ لغير الله تعالى غيب و شهاده، و لأنّ ذات الله غير محدود و وجوده عام و مطلق فإنّ كلّ شىء بالنسبه

اليه شهادته، ولا معنى للغيب بالنسبه اليه، و إذا ما قلنا- إنَّ الله عالم الغيب و الشهاده فهو ما نعتبره نحن غيب و شهادته، أمّا هو فهما عنده سواء. لنفترض أنّنا ننظر ما في أيدينا في النهار، فهل نجعل ما فيها؟! جميع الكون في مقابل علم الله أوضح من هذا و اظهر.

#### ٤- الآثار التربويه في إدراكنا لعلم الله

أثناء قراءتنا للآيات الماضيه التي تقول: إنَّ الله يعلم السرّ و الجهر من القول و حركاتكم في الليل و النهار و كلّها مشهوده عنده، هل نجد في أنفسنا ايماننا بهذه الحقيقه؟.. لو كنّا مؤمنين بذلك حقًا و نشعر بأنَّ الله تعالى مطلع علينا فإنّ هذا الايمان و الاحساس الباطني يبعث على تغيير عميق في روحنا و فكرنا و قولنا و ضمائرنا؟.

نقل عن الامام الصادق عليه السلام في جوابه لمن سأله عن طريقتهم في الحياه قال:

«علمت أنّ الله مطلع عليّ فاستحييت».

كما نشاهد كثيرا من المواقف من تأريخ المسلمين و حياتهم تتجلّى فيها هذه الحقيقه، يقال: دخل أب و ابنه في بستان، فتسلّق الأب شجره ليقطف ثمارها دون اذن صاحبها، بينما بقي الابن أسفل الشجره لمراقبه الأوضاع. و فجأه صاح الابن الذي كان مؤمنا و متعلّما و نادى أباه بأن ينزل بسرعه، عندها خاف الأب و نزل فورا و سأل من الذي رآني؟ قال: الذي هو فوقنا، فنظر الأب الى الأعلى فلم يجد أحدا، و سأل من الذي رآني؟ قال: الذي هو فوقنا، فنظر الأب الى الأعلى فلم يجد أحدا، فقال الابن: كان قصدي هو الله المحيط بنا جميعا، كيف يمكن ان تخاف ان يراك الإنسان، و لا تخاف ان يراك الله؟! اين الايمان؟!

اشاره

لَهُ مُعَقَّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ (١١)

التفسير

اشاره

المعقبات الغيبه

! علمنا فى الآيات السابقه انّ الله بما انه عالم الغيب و الشهاده فانه يعلم أسرار الناس و خفاياهم، و تضيف هذه الآيه انه مع حفظ و حراسه الله لعباده فإنّ له مُعَقَّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ (١).

و لكى لا يتصوّر احد انّ هذا الحفظ بدون شروط و ينغمس فى المزلّات، او يرتكب الذنوب الموجه للعقاب، و مع كلّ ذلك ينتظر من الله او الملائكه ان يحفظوه، يعلل القرآن ذلك بقوله: إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ

ص: ٣٥٣

١ - ١) هناك حديث بين المفسرين فى ان الضمير (له) لمن يعود، و كما تشير الآيه فانه يعود للإنسان كما تؤكد عليه الآيات السابقه، و لكن بعضهم قال: يعود للنبي او لله. و هذا يخالف ما جاء فى ذيل الآيه [فتأمل].

و كى لا يتبادر الى الأذهان أنه مع وجود الملائكة الحافظه فأى معنى للعذاب او الجزاء؟ هنا تضيف الآيه وَ إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ و لهذا السبب فإنه حين صدور العذاب الالهى على قوم او امه، فسوف ينتهى دور المعقبات و يتركون الإنسان عرضه للحوادث

## بحوث

## اشاره

### ١- ما هي المعقبات

؟ «المعقبات» كما جاء فى مجمع البيان للعلامة الطبرسى و كما قاله بعض المفسرين جمع (معقبه) و هى بدورها جمع (معقب) و معناه المجموعه التى تعمل بشكل متناوب و مستمر. و الظاهر من الآيه انّ الله سبحانه و تعالى امر مجموعه من الملائكة بأن يحفظوا الإنسان فى الليل و النهار و من بين يديه و من خلفه.

انّ الإنسان- بدون شك- معرّض فى حياته الى كثير من الحوادث الروحيه و الجسميه، فالامراض و المتغيرات فى السماء و الأرض محيطه بالإنسان، و خصوصا فى مرحله الطفوله التى لا يدرك فيها ما يجرى حوله و يكون هدفا سهلا للإصابة بها، فقد يتعجب الإنسان كيف ينجو الطفل و ينمو من بين جميع هذه الحوادث، و خصوصا فى العوائل التى لا تدرك هذه المسائل و تعانى من قلّه الامكانيات كأبناء الريف الذين يعانون من الحرمان و الفقر و هم معرضون للامراض اكثر من غيرهم.

و إذا ما امعنا النظر فى هذه المسائل فسوف نجد انّ هناك قوى محافظه، تحفظ الإنسان فى مقابل هذه الحوادث كالدرع الواقى.

و كثيرا ما يتعرّض الإنسان الى حوادث خطره و يتخلّص منها بشكل

اعجازى تجعله يشعر أنّ كلّ ذلك ليس صدفة و أنّما هناك قوى محافظه تحميه.

و هناك كثير من الأحاديث المنقوله عن ائمه المسلمين تؤكّد ذلك و من جملتها:

الحديث المروى عن الامام الباقر عليه السلام فى تفسير هذه الآيه يقول: «يحفظ بأمر الله من ان يقع فى ركى او يقع عليه حائط او يصيبه شىء، حتّى إذا جاء القدر خلوا بينه و بينه يدفعونه الى المقادير، و هما ملكان يحفظانه بالليل و ملكان من نهار يتعاقبانه».

و

فى حديث آخر عن الامام الصادق عليه السلام يقول: «ما من عبد الاّ و معه ملكان يحفظانه فإذا جاء الأمر من عند الله خليا بينه و بين امر الله».

و نقرا

فى نهج البلاغه عن امير المؤمنين عليه السلام «انّ مع كلّ انسان ملكين يحفظانه فإذا جاء القدر خليا بينه و بينه».

كما نقرا فى نهج البلاغه فى وصف الملائكه من الخطبه الاولى

«و منهم الحفظه لعباده».

انّ عدم إدراكنا لوجود المعقبات عن طريق الحسّ او التجربه العلميه ليس دليلا- على عدم وجودهم، لانه غير منحصر فى هذا المجال فقط، فالقرآن الكريم و المصادر المعرفيه الاخرى اشارت الى امور كثيره وراء الحسّ و التى لا- يمكن إثباتها بالطرق العاديه. و اكثر من ذلك ما قلنا سابقا من أنّنا نتعرّض فى حياتنا الى كثير من المخاطر و التى لا يمكن النجاه منها الاّ بوجود هذه القوى المحافظه (و رأيت فى حياتى بعض من هذه النماذج المحيّر، و التى كانت بالنسبه لى كشخص صعب التصديق دليلا على وجود هذا المعقّب اللامرئى).

## ٢- التغيير يبدأ من النفس (قانون عام)

تبيّن الجمله إنّ الله لا يُعَيِّرُ ما بِقَوْمٍ و التى جاءت فى موردين متفاوتين فى القرآن الكريم، أنّها قانون عام، قانون حاسم و منذر!

ص: ٣٥٥

هذا القانون الذى هو واحد من القوانين الاساسيّه لعلم الاجتماع فى الإسلام، يقول لنا: انّ ما يصيبكم هو من عند أنفسكم، و ما أصاب القوم من السعاده و الشقاء هو ممّا عملت أيديهم، و ما يقال من الحظّ و الصدفة و ما يحتمله المنجّمون ليس له أساس من الصّحّه، فالأساس و القاعده هى اراده الامّه إذا أرادت العزّه و الافتخار و التقدّم، او العكس ان أرادت هى الذلّه و الهزيمه، حتّى اللطف الالهى او العقاب لا يكون الاّ بمقدّمه. فتلك اراده الأمم فى تغيير ما بأنفسهم حتّى يشملهم اللطف او العذاب الالهى.

و بتعبير آخر: انّ هذا الأصل القرآنى الذى يبيّن واحدا من اهمّ المسائل الاجتماعيه فى الإسلام، يؤكّد لنا ان اى تغيير خارجى للأمم مرتبط بالتغيير الداخلى لها، و اى نجاح او فشل يصيب الامّه ناشئ من هذا الأمر، و الذين يبحثون عن العوامل الخارجيه لتبرير اعمالهم و تصرفاتهم و يعتبرون القوى المستعمره و المتسلطه هى السبب فى شقائهم يقعون فى خطأ كبير، لأنّ هذه القوى الجهنميّه لا تستطيع ان تفعل شيئا إذا لم تكن لديها قدره و مركز فى داخل المجتمع.

المهمّ ان نظهر مجتمعاتنا من هذه المقرّات و المراكز للمستعمرين و لا نجعلها تنفذ فى داخل مجتمعنا، فهؤلاء بمنزله الشياطين، و نحن نعلم انّ الشيطان ليس له سبيل على عباد الله المخلصين، فهو يتسلط على الذى مهّد له السبيل فى داخله.

يقول هذا الأصل القرآنى: انّنا يجب ان نثور من الداخل كى ننهى حاله الشقاء و الحرمان، ثوره فكريه و ثقافيه، ثوره ايمانيه و أخلاقيه، و أثناء وقوعنا فى مخالبا الشقاء يجب ان نبحت فورا عن نقاط الضعف فينا، و نظهر أنفسنا منها بالتوبه و الرجوع الى الله و نبدأ حياه جديده مفعمه بالتور و الحركه، كى نستطيع فى ظلّها ان نبذل الهزيمه الى نصر، لا ان نخفى نقاط الضعف و عوامل الهزيمه هذه و نبحت عنها فى خارج المجتمع و نطلّ ندور فى الطرق الملتويه.

هناك كتب و مؤلفات كثيره كتبت عن عوامل انتصار المسلمين الأوائل ثم تضعض سلطانهم بعد حين، و كثير من تلك الأبحاث ظلت تتعثر في الطرق الملتويه، و لكن إذا ما أردنا ان نستلهم من الأصل أعلاه و المصادر من منبع الوحي فيجب ان نبحت عن ذاك النصر او تلك الهزيمه و عن عواملها الفكرية و العقائديه و الاخلاقيه في المسلمين. ففي الثورات المعاصره و من جملتها الثورة الاسلاميه في ايران، او ثوره الجزائر او ثوره المسلمين الافغان، نشاهد بوضوح انطباق هذا الأصل القرآني عليها. فقبل ان تغيّر الدول المستعمره و المستكبره طريققتها في التعامل معنا، غيّرنا نحن ما بأنفسنا فتغيّر كلّ شيء.

و على اية حال فهذا درس ليومنا و لغدنا و لمستقبلنا و لكلّ المسلمين و الأجيال القادمه. و نحن نرى أنّ القيادات المنتصره فقط هي التي استطاعت ان تقود و تغيّر شعوبها على أساس هذا الأصل الخالد، و في تاريخ المسلمين و الإسلام شواهد على ذلك كثيره.

اشاره

هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ الْبُرُوقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ (١٢) وَيَسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ (١٣) لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا كِبَاسٌ كَفَيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ (١٤) وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ (١٥)

التفسير

اشاره

قسم آخر من دلائل عظمه الله:

يتطرق القرآن الكريم مره ثانيه الى آيات التوحيد و علامئ العظمه و اسرار الخلقه.فهذه الآيات تحاول ان تقرب العلاقه بين الإنسان و ربّه من خلال الاشاره الى بعض الظواهر الطبيعيه بشكل موجز و عميق المعنى لكي يشع نور الايمان فى



قلوب الناس، فتشير أولاً إلى البرق هو الذي يُريكم البرق خوفاً وطمعاً فالبرق بشعاعه يبهر العيون من جانب، ويحدث صوتاً مخيفاً وهو الرعد من جانب آخر، وقد يسبب أحيانا الحرائق للناس وخصوصاً في المناطق الصحراوية فيبعث على خوفهم و من جانب آخر فإنه يسبب هطول الأمطار و يروى ظمأ الصحراء و يسقى المزروعات فيطمع فيه الناس، و بين هذا الخوف و الرجاء تمرّ عليهم لحظات حساسه. ثم تضيف الآية و يُنشئ السحاب الثقال القادره على ارواء ظمأ الاراضى الزراعيه.

### بركات الرعد و البرق:

نحن نعلم أنّ ظاهره البرق فى المفهوم العلمى هى اقتراب سحابتين إحداهما من الاخرى، و هما تحملا-ن شحنتا سالبه و موجبه، فيتمّ تفريغ الشحنتا بين السحابتين فتحدث شراره عظيمه، و يحدث مثل ذلك عند اقتراب سلكين أحدهما سالب و الآخر موجب، و إذا كنا قريبين منهما فإننا نسمع صوتاً خفيفاً، و لكن لاحتواء الغيوم على شحنتا هائله من الالكترونات فإنهما تحدثان صوتاً شديداً يسمّى الرعد.

و إذا ما اقتربت سحابه تحمل الشحنة الموجبه من الأرض التى تحتوى على شحنتا سالبه فستحدث شراره تسمى بالصاعقه، و خطورتها تكمن فى أنّ الأرض و المناطق المرتفعه تعتبر راس السلك السالب، حتّى الإنسان فى الصحراء يمكن ان يمثّل هذا السلك فيحدث تفريغ للشحنتا يحوّل الإنسان الى رماد فى لحظه واحده، و لهذا السبب عند وقوع البرق و الرعد فى الصحراء يجب ان يلجأ الإنسان الى شجره او حائط او الى الجبال او الى اى مرتفع آخر، او ان يستلقى فى ارض منخفضه.

و على اية حال فإنّ للبرق-الذى يسمّى فى بعض الأحيان مزاح الطبيعه-

فوائد جمّه عرفت من خلال ما كشفه العلم الحديث. و نشير هنا الى ثلاثه منها:

١-السقى:-من الطبيعى أنّ البرق تتولّد منه حراره عاليه جدًا قد تصل بعض الأحيان الى (١٥)الف درجه مئويه،و هذه الحراره كافيه لان تحرق الهواء المحيط بها،و فى النتيجة يقلّ الضغط الجوى،فيسبّب سقوط الأمطار.و لهذا السبب نرى هطول الأمطار الغزيره بعد حدوث البرق.

و هذه فى الواقع واحده من وظائف البرق(السقى).

٢-التعقيم:-و نتيجة للحراره العاليه التى يسببها البرق فسوف يزداد مقدار الاوكسجين فى قطرات الماء،و يسمّى هذا الماء بالماء الثقيل او الماء المؤكسد (  $2O_2H$  )و من آثاره قتل المكروبات،و لهذا السبب يستعمل لغسل الجروح،فعند نزول هذه القطرات الى الأرض سوف تبيد بيوض الحشرات و الآفات الزراعيه، و لهذا السبب يقال أنّ السنه الكثيره الآفات الزراعيه هى السنه القليله البرق و الرعد.

٣-التغذيه و التسميد:-تتفاعل قطرات الماء مع الحراره العاليه للبرق لتنتج حامض الكاربون،و عند نزولها الى الأرض و تركيبها مع محتوياتها تضع نوعا من السّماد النباتى،فتتمّ تغذيه النبات من هذا الطريق.

يقول بعض العلماء: أنّ مقدار ما ينتجه البرق من الاسمده فى السنه يصل الى عشرات الملايين من الاطنان،و هذه كمّيّه كبيره جدًا.

و على ايّيه حال نرى من خلال ظاهره طبيعّيه صغيره كلّ هذه المنافع و البركات،فهى تقوم بالسقى و رشّ السموم و التغذيه،فيمكن ان تكون دليلا-واضحا لمعرفة الله، كلّ ذلك من بركات البرق. كما أنّه يمكن ان يكون البرق عاملا- مهمّا فى إشعال الحرائق من خلال الصاعقه،و قد تحرق الإنسان او الأشجار، و مع أنّها نادره الحدوث و يمكن الوقايه منها،فهى مع ذلك عامل خوف للناس، فمفهوم الخوف و الطمع للبرق قد يكون اشاره الى جميع هذه الأمور.

و يمكن ان تكون الجملة وَ يُنْشِئُ السَّحَابَ الثَّقَالَ لها علاقه بالبرق الذى يصنع هذه الغيوم المليئه بالمياه.

الآيه الاخرى تشير الى صوت الرعد الذى يتزامن مع البرق وَ يُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ (١).

نعم، فهذا الصوت المدوّى فى عالم الطبيعه يضرب به المثل، فهو مع البرق فى خدمه هدف واحد و لهما منافع متعدده كما أشرنا إليها، و يقومان بعملية التسييح، و بعبارة اخرى فالرعد لسان حال البرق يحكى عن عظمه الخالق و عن نظام التكوين. فهو كتاب معنوى، و قصيده غزّاء، و لوحه جميله و جذّابه، نظام محكم و منظم و محسوب بدقّه، و بلسان حاله يتحدّث عن علم و مهاره و ذوق الكاتب و الرسام و المعمار و يحمده و يثنى عليه، كلّ ذرّات هذا العالم لها اسرار و نظام دقيق. و تحكى عن تنزيه الله و خلوّه من النقص و العيوب (و هل التسييح غير ذلك؟!).

و تتحدّث عن قدرته و حكمته (و هل الحمد غير بيان صفات الكمال؟!).

و قد احتمل بعض الفلاسفه أنّ لكلّ ذرّات هذا العالم نوعا من العقل و الشعور، فهى من خلال هذا العقل تسبح الله و تقدّسه، ليس بلسان الحال فقط، بل بلسان المقال ايضا.

و ليس الرعد و سائر اجزاء العالم تسبح بحمده تعالى، بل حتّى الملائكه وَ الْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ (٢) فهم يخافون من تقصيرهم فى تنفيذ الأوامر الملقاه على عاتقهم، و بالتالى فهم يخشون العقاب الالهى، و نحن نعلم أنّ الخوف يصيب أولئك الذين يحسّون بمسؤولياتهم و وظائفهم.. خوف بناءً يحثّ الشخص على

ص: ٣٤١

١ - ١) للتوضيح اكثر فى معنى التسييح و التقديس للكائنات سيأتى فى ذيل الآيه وَ إِنَّ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَ لَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ الاسراء، ٤٤.

٢ - ٢) يقول الشيخ الطوسى رحمه الله فى تفسيره التبيان: الخيفه بيان لحاله الشخص اما الخوف فمصدر.

و للتوضيح اكثر فى مجال البرق و الرعد تشير الآيه الى الصاعقه وَ يُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَاءُ و مع كل ذلك - و بمشاهده آيات العظمه الالهيه فى عالم التكوين من السماء و الأرض و النباتات و الأشجار و البرق و الرعد و أمثالها، و فى قدره الإنسان الحقيه تجاه هذه الحوادث، حتى فى مقابل واحده منها مثل شراره البرق - نرى ان هناك جماعه جاهله تجادل فى الله وَ هُمْ يُجَادِلُونَ فى الله وَ هُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ .

«المحال» فى الأصل «الحيله» بمعنى التدبير السرى و غير الظاهر، فالذى له القدره على هذا التدبير يمتلك العلم و الحكمه العالیه، و لهذا السبب يستطيع ان ينتصر على أعدائه و لا يمكن الفرار من حكومته.

و ذكر المفسرون وجوها عديده فى تفسير شديد المِحَالِ فتاره بمعنى «شديد القوه»، او «شديد العذاب»، او «شديد القدره»، او «شديد الأخذ» (١) .

الآيه الاخيره تشير الى مطلبين:

الأول: قوله تعالى: لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ فهو يستجيب لدعواتنا، و هو عالم بدعاء العباد و قادر على قضاء حوائجهم، و لهذا السبب يكون دعاؤنا آياه و طلبنا منه حقاً، و ليس باطلا.

و لكن دعاء الأصنام باطل وَ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ نعم هكذا فى دعوه الباطل ليست اكثر من وهم، لأن ما يقولونه من علم و قدره الأصنام ما هو الا أوهام و خيال، او ليس الحق هو عين الواقع و اصل الخير و البركه؟ و الباطل هو الوهم و اصل الشر و الفساد؟ و لتصوير هذا الموضوع يضر ب لنا القرآن الكريم مثالا حيا و رائعا يقول: إِلَّا كَبَّاسِطٍ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَ مَا هُوَ بِبَالِغِهِ

ص: ٣٦٢

١ - ١) فسر البعض «المحال» من «المحل، الماحل» بمعنى المكر و الجدل و التصميم على العقوبه، و لكن ما أشرنا اليه أعلاه هو الصحيح، و التفسيران قريبا المعنى.

فهل يستطيع احد ان يجلس على بثر و يطلب الماء بإشاره يد ليبلغ الماء فاه؟ هذا العمل لا يصدر إلا من انسان مجنون! و تحتمل الآية تفسيراً آخر، فهي تشبّه المشركين كمن بسط كفه في الماء ليتجمع فوقها الماء، و عند خروجها من الماء لم يجد فيها شيئاً منه لأن الماء يتسرّب من بين أصابع الكفّ المفتوحه.

و هناك تفسير ثالث و هو أنّ المشركين -لحلّ مشاكلهم- كانوا يلجأون الى الأصنام، فمثلهم مثل الذي يحتفظ بالماء في يده، هل يحفظ الماء في يده؟! و هناك مثل معروف بين العرب لمن يسعى بدون فائده يقال له: هو كقباض الماء باليد، و يقول الشاعر:

فأصبحت فيما كان بيني و بينها

من الودّ مثل القباض الماء باليد

و لكننا نعتقد أنّ التفسير الأوّل أوضح! و للتأكيد على هذا الحديث يأتي في نهايه الآية قوله تعالى: **وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ** و أيّ ضلال أكبر من ان يسعى الإنسان و يجتهد في السبيل الضالّ... و لكنّه لا يصل الى مقاصده. و لا يحصل على شيء نتيجة تعب و جهده.

الآيه الأخيره من هذه المجموعه، و لكي تبرهن كيف أنّ المشركين ضلّوا الطريق تقول: **وَلِلَّهِ يَسْتَجِذُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُم بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ**.

**بحوث**

**اشاره**

**١- ما هو المقصود من سجود الكائنات**

؟ السجده في هذه الموارد تعني الخضوع و التسليم، فإنّ جميع الملائكه

ص: ٣٦٣

و الناس ذوى العقول و الأفكار متواضعين لله و خاضعين لأوامره، و هناك نوعان من السجود، سجود تكوينى و هو أنّ الكلّ خاضعون و مسلمون للقوانين الطبيعّيه مثل الحياه و الممات و المرض و..و..، و البعض منهم له سجود تشريعى بالاضافه الى السجود التكوينى، فهم بميلهم و إرادتهم يسجدون لله.

## ٢- ما هو معنى طَوْعاً وَ كَرْهاً

؟ عباره طَوْعاً وَ كَرْهاً يمكن ان تكون اشاره الى أنّ المؤمنين خاضعون لله بميلهم و إرادتهم، و امّا غير المؤمنين فهم خاضعون كذلك للقوانين الطبيعّيه التى تسير بأمر الله ان شاؤوا و ان أبوا.

و(الكره) بضم الكاف تعنى الكراهيه فى داخل الإنسان، و(كره) بفتح الكاف ما حمل عليه الإنسان من خارج نفسه، و بما أنّ الأشخاص غير المؤمنين مقهورون للعوامل الخارجيه و للقوانين الطبيعّيه، استعمل القرآن(كره) بفتح الكاف.

و يحتمل فى تفسير طَوْعاً وَ كَرْهاً أنّ المقصود من «طوعاً» هو التوافق و الميل الفطرى و الطبيعى بين الإنسان و الأسباب الطبيعّيه (مثل حبّ اى انسان للحياه) و المقصود من «كرها» هو ما فرض على الإنسان من الخارج مثل موت أحد الأشخاص بسبب المرض او اى عامل طبيعى آخر.

## ٣- ما هو معنى كلمه الظلال

؟ «الظلال» جمع «ظل» و استعمال هذه الكلمه فى الآيه يشير الى أنّ المقصود فى السجود ليس فقط السجود التشريعى، فظلال الكائنات ليست خاضعه لآرادتهم و اختيارهم، بل هو تسليم لقانون الضوء، و على هذا يكون سجودهم تكوينى، يعنى التسليم لقوانين الطبيعّيه.

و طبيعى ليس المقصود من «الظلال» أنّ جميع ما فى السّماوات و الأرض لها وجود مادى كى يكون لها ظلال، و لكن الآيه تشير الى تلك الأشياء التى لها ظلال، فمثلا يقال: أنّ جمعا من العلماء و أبنائهم شاركوا فى المجلس الكذائى، و ليس المقصود هنا أنّ لكلّ العلماء أبناء «فتدبر».

و على اية حال فإنّ الظلّ امر عدمى، و هو ليس اكثر من فقدان النور، و لكن له آثارا و وجودا بسبب النور المحيط به، و لعلّ الآيه تشير الى هذه النقطة، و هى أنّه حتّى الظلال خاضعه لله.

#### ٤- ما هو معنى كلوه أنّصال ؟

«الآنصال» جمع «اصل» و هى جمع «اصيل» و معناه آخر وقت من النهار، و لذلك يعتبر أوّل الليل، و الغدو جمع غداه بمعنى أوّل النهار.

و رغم أنّ السجود و الخضوع للأشياء الكونيه فى مقابل الأوامر الإلهيه دائمه و مستمره فى كلّ وقت، و لكن ذكرها هنا فى موقعين (الصبح و العشاء) أمّا أنّه كناية عن دوام الوقت، فمثلا تقول: إنّ فلانا يطلب العلم صباحا و مساء، فالمقصود و هو أنّه فى كلّ وقت يطلب العلم، و أمّا ان يكون المقصود من الآيه ما جاء فى الكلام عن الظلال و التى تكون واضحه اكثر فى أوّل النهار و آخره.

اشاره

قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ (١٦)

التفسير

اشاره

لماذا عباده الأصنام

؟ كان البيان في الآيات السابقة عن معرفه الله و اثبات وجوده، و هذه الآيه تبحث عن ضلال المشركين و الوثنيين و تتناوله من عدّه جهات، حيث تخاطب- أولا- النبي صلى الله عليه و آله و سلم حيث تقول: قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ تَأْمُرُ النَّبِيَّ أَنْ يَجِيبَ عَلَى السُّؤَالِ قَبْلَ أَنْ يَنْتَظِرَ جَوَابَهُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ أَنَّهُ يُلَوِّمُهُمْ وَيُوَبِّخُهُمْ بِهَذِهِ الْجُمْلَةِ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا .

لقد بين-أولا-عن طريق ربوبيته أنه المدبّر و المالك لهذا العالم، و لكلّ خير



و نفع من جانبه، وقادر على دفع أى شرّ و ضرّ، وهذا يعنى أنّكم بقبولكم لربوبيته يجب ان تطلبوا كلّ شىء من عنده لا- من الأصنام العاجزه عن حلّ آيه مشكله لكم. ثمّ يذهب الى ابعاد من ذلك حيث يقول: إنّ هذه الأصنام لا تملك لنفسها نفعا و لا ضرّا فكيف يمكنها ان تنفعكم او تضرّكم؟ و هم و الحال هذه لا يحلّون اى عقده لكم حتّى لو قمتم بعبادتهم، فهؤلاء لا يستطيعون تدبير أنفسهم فما ذا ينتظر منهم؟ ثمّ يذكر مثالين واضحين و صريحين يحدّد فيها وضع الافراد الموحّدين و المشركين، فيقول أوّلا: قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَ الْبَصِيرُ فَمَا لَآ يَسْتَوِي الْمُؤْمِنُ وَ الْكَافِرُ، و لا يصحّ قياس الأصنام على الخالق جلّ و علا.

و يقول ثانيا: أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَ النُّورُ كيف يمكن ان نساوى بين الظلام الذى يعتبر قاعده الانحراف و الضلال، و بين النور المرشد و الباعث للحياه، و كيف يمكن ان نجعل الأصنام التى هى الظلمات المحضه الى جنب الله الذى هو النور المطلق، و ما المناسبه بين الايمان و التوحيد اللذان هما نور القلب و الروح، و بين الشرك اصل الظلام؟! ثمّ يدلل على بطلان عقيدته المشركين عن طريق آخر فيقول: أَمْ جَعَلُوا لِلّٰهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ وَ الْحَالُ لَيْسَ كَذَلِكَ، فَإِنَّ الْمَشْرِكِينَ أَنفُسَهُمْ لَا يَعْتَقِدُونَ بِهَا، فَهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ، وَ هُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ .

## ١- الخالقيه و الربوبيه يتطلبان العباده

يمكن ان يستفاد من الآيه أعلاه أنّ الخالق هو الربّ المدبّر، لأنّ الخلقه امر مستمر و دائمى، و ليس من خلق الكائنات يتركهم و شأنهم، بل أنّه تعالى يفيض بالوجود عليهم باستمرار و كلّ شىء يأخذ وجوده من ذاته المقدّسه، و على هذا فنظام الخلقه و تدبير العالم كلّها بيد الله، و لهذا السبب يكون هو النافع و الضارّ.

و غيره لا يملك شىء الاّ منه، فهل يوجد احد غير الله احقّ بالعباده؟

## ٢- كيف يسأل و يجيب بنفسه

؟ بالنظر الى الآيه أعلاه يطرح هذا السؤال: كيف امر الله نبيّه ان يسأل المشركين: من خلق السماوات و الأرض؟ و بعدها بدون ان ينتظر منهم الجواب يأمر النبي ان يجيب هو على السؤال... و بدون فاصله يوبّخ المشركين على عبادتهم الأصنام، اى طراز هذا فى السؤال و الجواب؟ و لكن مع الالتفات الى هذه النقطة يتّضح لنا الجواب و هو أنّه فى بعض الأحيان يكون الجواب للسؤال واضح جدّا و لا يحتاج الى الانتظار. فمثلا نسأل أحدا: هل الوقت الآن ليل ام نهار؟ و بلا فاصله نجيب نحن على السؤال فنقول:

الوقت بالتأكيد ليل. و هذه كنايه لطيفه، حيث أنّ الموضوع واضح جدّا و لا يحتاج الى الانتظار للجواب، بالاضافه الى أنّ المشركين يعتقدون بخلق الله للعالم و لم يقولوا ابدا أنّ الأصنام خالقه السّماء و الأرض، بل كانوا يعتقدون بشفاعتهم و قدرتهم على نفع الإنسان و دفع الضرر عنه، و لهذا السبب كانوا يعبدوهم. و بما أنّ الخالقيه غير منفصله عن الربوبيه يمكن ان نخاطب المشركين بهذا الحديث و نقول: أنتم الذين تقولون بأنّ الله خالق، يجب ان تعرفوا أنّ الربوبيه لله كذلك،

و يختصّ بالعباده ايضا لذلك.

### ٣- العين المبصره و نور الشمس شرطان ضروريان

يشير ظاهر المثالين (الأعمى و البصير) و (الظلمات و النور) الى هذه الحقيقه، و هى أنّ النظر يحتاج الى شيئين: العين المبصره، و شعاع الشمس، بحيث لو انتفى واحد منهما فإنّ الرؤيه لا تتحقّق، و الآن يجب ان نفكّر: كيف حال الافراد المحرومين من البصر و النور؟ المشركون المصدقون الواقعي لهذا، فقلوبهم عمى و محيطهم ملىء بالكفر و عباده الأصنام، و لهذا السبب فهم فى تيه و ضياع. و على العكس فالمؤمنون بنظرهم الى الحقّ، و استلهمهم من نور الوحي و ارشادات الأنبياء عرفوا مسيره حياتهم بوضوح.

### ٤- هل ان خلق الله لكلّ شيء دليل على الجبر

؟ استدللّ جمع من اتباع مدرسه الجبر انّ جملة الله خالق كلّ شئ في الآيه أعلاه لها من السعه بحيث تشمل حتّى عمل الافراد، فالله خالق اعمالنا و نحن غير مختارين.

يمكن ان نجيب على هذا القول بطريقتين:

أولاً: الجمل الاخرى للآيه تنفى هذا الكلام، لأنّها تلوم المشركين بشكل اكيد فإذا كانت اعمالنا غير اختياريه، فلما ذا هذا التوبيخ؟ او إذا كانت اراده الله ان نكون مشركين فلما ذا يلومنا؟! و لماذا يسعى بالأدله العقلية لتغيير مسيرتهم من الضلاله الى الهدايه؟ كلّ هذا دليل على أنّ الناس أحرار فى انتخاب طريقهم.

ثانياً: إنّ الخالقيه بالذات من مختصات الله تعالى. و لا يتنافى مع اختيارنا فى الأفعال، لأنّ ما نمتلكه من القدره و العقل و الشعور، و حتّى الاختيار و الحريره، كلّها

من عند الله، و على هذا فمن جهه هو الخالق (بالنسبه لكل شىء و حتى أفعالنا) و من جهه اخرى نحن نفعل باختيارنا، فهما فى طول واحد و ليس فى عرض و أفق واحد، فهو الخالق لكل وسائل الأفعال، و نحن نستفيد منها فى طريق الخير او الشر.

فمثلا الذى يؤسس معملا لتوليد الكهرباء او لإنتاج أنابيب المياه، يصنعها و يضعها تحت تصرفنا، فلا يمكن ان نستفيد من هذه الأشياء إلا بمساعدته، و لكن بالنتيجه يكون التصميم النهائى لنا، فيمكن ان نستفيد من الكهرباء لامداد غرفه عمليات جراحيه و انقاذ مريض مشرف على الموت، او نستخدمها فى مجالس اللهو و الفساد، و يمكن ان نروى بالماء عطش انسان و نسقى وردا جميلا، او نستخدم الماء فى إغراق دور الناس و تخريبها.

ص : ٣٧٠

اشاره

أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَهُ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلَهُ  
كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ

(١٧)

التفسير

اشاره

وصف دقيق لمنظر الحقّ و الباطل:

يستند القرآن الكريم-الذى يعتبر كتاب هدايه و تربيته-فى طريقته الى الوقائع العيئيه لتقريب المفاهيم الصعبه الى أذهان الناس من خلال ضرب الأمثال الحسيه الرائعه من حياه الناس، و هنا-ايضا-لأجل ان يجسّم حقائق الآيات السابقه التى كانت تدور حول التوحيد و الشرك، الايمان و الكفر، الحقّ و الباطل، يضرب مثلا واضحا جدّا لذلك..

يقول اولاً: أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً الْمَاءَ عماد الحياه و اصل النمو و الحركه،

ص: ٣٧١

تتقارب السواقي الصغيره فيما بينها،و تتكوّن الأنهار و تتّصل مع بعضها البعض،فتسيل المياه من سفوح الجبال العظيمه و الوديان و تجرف كلّ ما يقف امامها،و فى هذه الأثناء يظهر الزّبَد و هو ما يرى على وجه الماء كـرغوه الصابون من بين أمواج الماء حيث يقول القرآن الكريم: فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا .

«الرابى» من «الربو» بمعنى العالى او الطافى،و الربا بمعنى الفائده مأخوذ من نفس هذا الأصل.

و ليس ظهور الزبد منحصرًا بهطول الأمطار،بل وَ مِمَّا يُوقَدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حُلِيِّهِ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ (١) اى الفلزات المذابه بالنّار لصناعه أدوات الزينه منها او صناعه الوسائل اللازمه فى الحياه.

بعد بيان هذا المثال بشكله الواسع لظهور الزبد ليس فقط فى الماء بل حتّى للفلزات و للمتاع،يستنتج القرآن الكريم كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ ثم يتطرّق الى شرحه فيقول: فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَ أَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ .

فأمّا الزبد الذى لا فائده فيه فيذهب جفاء و يصير باطلا متلاشيا،و أمّا الماء الصافى النقى المفيد فيمكث فى الأرض او ينفذ الى الاعماق و تتكوّن منه العيون و الآبار تروى العطاش،و تروى الأشجار لثمر،و الازهار لتفتّح،و تمنح لكلّ شىء الحياه.

و فى آخر الآيه-للمزيد من التأكيد فى مطالعه هذه الأمثال-يقول تعالى:

كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ

ص: ٣٧٢

١- ١) تشير هذه الآيه الى الافران التى تستعمل لصهر الفلزان،فهذه الافران تتميز بوجود النّار من تحتها و من فوقها يعنى نار تحت الفلز و نار فوقه،و هذه من أفضل انواع الافران حيث تحيط بها النّار من كلّ جانب.

هذا المثال البليغ الذى عبر عنه القرآن الكريم بألفاظ موزونه و عبارات منظمه. و صور فيها الحقّ و الباطل بأروع صورته، فيه حقائق مخفيته كثيره و نشير هنا الى قسم منها:

### ١- ما هي علائم معرفه الحقّ و الباطل

؟ يحتاج الإنسان فى بعض الأحيان لمعرفة الحقّ و الباطل- إذا أشكل عليه الأمر- الى علائم و أمثال حتّى يتعرّف من خلالها على الحقائق و الأوهام. و قد بيّن القرآن الكريم هذه العلامات من خلال المثال أعلاه:

الف:- الحقّ مفيد و نافع دائماً، كالماء الصافى الذى هو اصل الحياه. أما الباطل فلا فائده فيه و لا نفع، فلا الزبد الطافى على الماء يروى ظمآنًا أو يسقى أشجاراً، و لا الزبد الظاهر من صهر الفلزات يمكن ان يستفاد منه للزينة او للاستعمالات الحياتيه الاخرى، و إذا استخدمت لغرض فيكون استخدامها رديثاً و لا يؤخذ بنظر الاعتبار.. كما نستخدم نشاره الخشب للإحراق.

باء:- الباطل هو المستكبر و المرفّه كثير الصوت، كثير الأقوال لكنّه فارغ من المحتوى، أمّا الحقّ فمتواضع قليل الصوت، و كبير المعنى، و ثقيل الوزن (١).

جيم:- الحقّ يعتمد على ذاته دائماً، أما الباطل فيستمدّ اعتباره من الحقّ و يسعى للتلبس به، كما أنّ (الكذب يتلبس بضياء الصدق) و لو فقد الكلام الصادق من العالم لما كان هناك من يصدق الكذب. و لو فقدت البضاعه السليمه من العالم لما وجد من يخدع ببضاعه مغشوشه. و على هذا فوجود الباطل راجع الى شعاعه الخاطف و اعتباره المؤقت الذى سرقه من الحقّ، أما الحقّ فهو مستند الى نفسه و اعتباره منه.

ص: ٣٧٣

١- ١) يقول الامام على عليه السّلام فى وصفه أصحابه يوم الجمل «و قد ابرعدوا و ابرقوا و مع هذين الأمرين الفشل، و لسنا نرعد حتّى نوقع و لا نسيل حتّى نمطر».

؟ «الزبد» بمعنى الرغوه التي تطفوا على السائل، و الماء الصافى اقل رغوه، لأنّ الزبد يتكوّن بسبب اختلاط الأجسام الخارجيه مع الماء، و من هنا يتّضح أنّ الحقّ لو بقى على صفائه و نقائه لم يظهر فيه الخبث ابداء، و لكن لامتزاجه بالمحيط الخارجى الملوّث فإنّه يكتسب منه شيئاً، فتختلط الحقيقه مع الخرافه، و الحقّ بالباطل، و الصافى بالخابط. فيظهر الزبد الباطل الى جانب الحقّ.

و هذا هو الذى يؤكّده

الامام على عليه السّلام حيث يقول: لو أنّ الباطل خالص من مزاج الحقّ لم يخف على المرتادين، و لو أنّ الحقّ خالص من لبس الباطل انقطعت عنه السن المعاندين». (١).

يقول بعض المفسّرين أنّ للآيه أعلامه ثلاث امثله: «نزول آيات القرآن» تشبيهه بنزول قطرات المطر للخير، «قلوب الناس» شبيهه بالأرض و الوديان و بقدر وسعها يستفاد منها، «وساوس الشيطان» شبيهه بالزبد الطافى على الماء، فهذا الزبد ليس من الماء، بل نشأ من اختلاط الماء بمواد الأرض الاخرى، و لهذا السبب فوساوس النفس و الشيطان ليست من التعاليم الالهيه، بل من تلوث قلب الإنسان، و على ايّه حال فهذه الوسوس تزول عن قلوب المؤمنين و يبقى صفاء الوحي الموجب للهدايه و الإرشاد.

### ٣- الاستفاده تكون بقدر الاستعداد و اللياقه

! استفاد من هذه الآيه -ايضا- أنّ مبدا الفيض الالهى لا يقوم على البخل و الحدود الممنوعه، كما أنّ السحاب يسقط امطاره فى كلّ مكان بدون قيد او

ص: ٣٧٤



شرط، و تستفيد الأرض و الوديان منها على قدر وسعها، فالأرض الصغيره تستفيد اقل و الأرض الواسعه تستفيد اكثر، و هكذا قلوب الناس فى مقابل الفيض الالهى.

#### ٤- الباطل و الأوضاع المضطربه

عند ما يصل الماء الى السهل او الصحراء و يستقرَ فيها، تبدا المواد المختلطه مع الماء بالترشح و يذهب الزبد فيظهر الماء النقى مرّه ثانيه، و على هذا النحو فالباطل يبعث عن سوق مضطربه حتى يستفيد منها، و لكن بعد استقرار السوق و جلوس كل تاجر فى مكانه المناسب و تحقق الالتزامات و الضوابط فى المجتمع، لا يجد الباطل له مكانا فينسحب بسرعه!

#### ٥- الباطل يتشكل بأشكال مختلفه

ان واحده من خصائص الباطل هى انه يغير لباسه من حين لآخر، حتى إذا عرفوه بلباسه يستطيع ان يخفى وجهه بلباس آخر، و فى الآيه أعلاه اشاره لطيفه لهذه المسأله، حيث تقول: لا- يظهر الزبد فى الماء فقط، بل يظهر حتى فى الافران المخصوصه لصهر الفلزات بشكل و لباس آخر، و بعبارة اخرى فإنّ الحقّ و الباطل موجودان فى كل مكان كما يظهر الزبد فى السوائل بالشكل المناسب لها. و على هذا يجب ان لا نخدع بتنوع الوجوه و ان نعرف أوجه الباطل و نطرحه جانبا.

#### ٦- ارتباط البقاء بالنفع

تقول الآيه: **وَ أَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمُكُّهُ فِي الْأَرْضِ لَيْسَ الْمَاءُ فَقَطْ يَبْقَى وَ يَذْهَبُ الزَّبَدُ الطَّافِي عَلَيْهِ، بَلْ حَتَّى الْفَلَزَاتُ تَلْكُ الَّتِي تَسْتَعْمَلُ لِلزَّيْنَةِ أَوْ لِلْمَتَاعِ**

يبقى الخالص منها و يذهب خبثه. و على هذا النحو فالناس و المدارس و المبادئ لهم حقّ الحياه على قدر منفعتهم، و إذا ما رأينا بقاء اصحاب المبادئ الباطله لفتهر فإنّ ذلك بسبب وجود ذلك المقدار من الحقّ الذى اختلط فيه، و بهذا المقدار له حقّ الحياه.

## ٧- كيف يطرد الحقّ الباطل

؟ «الجفاء» بمعنى الإلقاء و الإخراج، و لهذا نكنه لطيفه و هى أنّ الباطل يصل الى درجه لا يمكن فيها ان يحفظ نفسه، و فى هذه اللحظه يلقي خارج المجتمع، و هذه العمليه تتمّ فى حاله هيجان الحقّ، فعند غليان الحقّ يظهر الزبد و يطفو على سطح ماء القدر و يقذف الى الخارج، و هذا دليل على أنّ الحقّ يجب ان يكون فى حاله هيجان و غليان دائما حتّى يبعد الباطل عنه.

## ٨- الباطل مدين للحقّ ببقائه

كما قلنا فى تفسير الآيه، فلو لم يكن الماء لما وجد الزبد، و لا يمكن له ان يستمر، كما أنّه لولا وجود الحقّ فإنّ الباطل لا معنى له و لو لم يكن هناك اشخاص صادقون لما وقع احد تحت تأثير الافراد الخونه و لما صدّق بمكرهم، فالشعاع الكاذب للباطل مدين فى بقاءه لنور الحقّ.

## ٩- صراع الحقّ و الباطل مستمر

المثال الذى ضربه لنا القرآن الكريم فى تجسيم الحقّ و الباطل ليس مثالا محدودا فى زمان و مكان معينين، فهذا المنظر يراه الناس فى جميع مناطق العالم المختلفه، و هذا يبيّن أنّ عمل الحقّ و الباطل ليس مؤقتا و آنيا. و جريان الماء

العذب و المالح مستمر الى نفخ الصور، إلا إذا تحوّل المجتمع الى مجتمع مثالي (كمجتمع عصر الظهور و قيام الامام المهدي عليه السلام) فعنده ينتهي هذا الصراع، و ينتصر الحقّ و يطوى بساط الباطل، و تدخل البشريه مرحله جديده من تاريخها، و الى ان نصل الى هذه مرحله فالصراع مستمر بين الحقّ و الباطل، و يجب ان نحدّد موقفنا في هذا الصراع.

## ١٠- تزامن الحياه مع السعي و الجهاد

المثال الرائع أعلامه يوضح هذا الأساس لحياه الناس، و هو أنّ الحياه بدون جهاد غير ممكنه، و العزّه بدون سعي غير ممكنه ايضا، لأنّه يقول: يجب ان يذهب الناس الى المناجم لتهيئه مستلزمات حياتهم في المتاع و الزينه إِنْغَاءَ حَلِيهِ أَوْ مَتَاعٍ. و للحصول على هذين الشيئين يجب تنقيه المواد الخام من الشوائب بواسطه نيران الافران للحصول على الفلز الخالص الصالح للاستعمال، و هذا لا يتمّ إلا من خلال السعي و المجاهده و العناء.

و هذه هي طبيعه الحياه حيث يوجد الى جانب الورد الشوك، و الى جانب النصر توجد المصاعب و المشكلات، و قالوا في القديم: (الكنوز في الخرائب و فوق كلّ كنز يوجد ثعبان نائم)، فإنّ هذه الخربه و الثعبان تمثّلان المشاكل و الصعوبات للحصول على الموفقيه في الحياه.

و يؤكّد القرآن الكريم هذه الحقيقه و هي أنّ التوفيق لا يحصل إلا بتحمّل المصاعب و المحن، يقول جلّ و علا في الآيه (٢١٤) من سوره البقره: أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَ لَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسْتَهْمِبًا وَالضَّرَاءُ وَ زُلْزَلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرَ اللَّهُ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ .

### إشاره

إنّ دور المثل في توضيح و تفسير الغايات له اهمية كبيره غير قابله للإنكار، و لهذا السبب لا يوجد اى علم يستغنى عن ذكر المثل لاثبات و توضيح الحقائق و تقريب معناها الى الأذهان، و تاره ينطبق المثل مع المقصود بشكل يجعل المعانى الصعبه تنزل من السماء الى الأرض و تكون مفهومه للجميع، فيمكن ان يقال: إنّ المثل له دور مؤثّر في مختلف الأبحاث العلميه و التربويه و الاجتماعيه و الاخلاقيه و غيرها، و من جمله تأثيراته:

### ١- المثل يجعل المسائل محسوسه:

من المعلوم أنّ الإنسان يأنس بالمحسوسات أكثر، أمّا الحقائق العلميه المعقّده فهي بعيدة المنال. و الأمثال تقرّب هذه الفواصل و تجعل الحقائق المعنويه محسوسه، و إدراكها يسير و لذيد.

### ٢- المثل يقرب المعنى:

تاره يحتاج الإنسان لاثبات مسأله منطقيه او عقليه الى ادلّه مختلفه، و مع كلّ هذه الادلّه تبقى هناك نقاط مبهمه محيطه بها، و لكن عند ذكر مثال واضح منسّق مع الغايه يقرب المعنى و يعزّز الادلّه و يقلّل من كثرتها.

### ٣- المثل يعتمّ المفاهيم

كثير من البحوث العلميه بشكلها الاصلى يفهمها الخواص فقط، و لا يستفيد منها عامّه الناس، و لكن عند ما يصحبها المثل تكون قابله للفهم، و يستفيد منها الناس على اختلاف مستوياتهم العلميه، و لهذا فالمثل و سيله لتعميم الفكر

#### ٤-المثال، يزيد في درجه التصديق:

مهما تكن الكليات العقلية منطقيه، فإنها لا- تخلق حاله اليقين الكافيه في ذهن الإنسان، لأن الإنسان يبحث عن اليقين في المحسوسات، فالمثال يجعل من المسأله الذهنيه واقعا عييا، و يوضّحها في العالم الخارجى، و لهذا السبب فإن له اثره في زياده درجه تصديق المسائل و قبولها.

#### ٥-المثال يخرس المعاندين:

كثيرا ما لا تنفع الادله العقلية و المنطقية لاسكات الشخص المعاند حيث يبقى مصرّا على عناده و لكن عند ما نصب الحديث فى قالب المثال نوصد الطريق عليه بحيث لا يبقى له مجال للتبرير و لا لاختلاق الاعذار.

و لا بأس ان نطرح هنا بعض الامثله حتى نعرف مدى تأثيرها:

نقرا فى القرآن الكريم انّ الله سبحانه و تعالى يرد على الذين اشكلوا على ولاده السيد المسيح عليه السلام كيف انه ولد من امّ بغير أب إنّ مثل عيسى عند الله كمثّل آدم خلقه من تراب . (١)

لاحظوا جيدا، فنحن مهما حاولنا ان نقول للمعاندين: انّ هذا العمل بالنسبه الى قدره الله المطلقه لا شىء، فمن الممكن ان يحتجوا ايضا، و لكن عند ما نقول لهم هل تعتقدون انّ آدم خلقه الله من تراب؟ فإنّ الله الذى له هذه القدره كيف لا يستطيع إيجاد شخص بدون أب؟!

ص: ٣٧٩

و بالنسبه الى المنافقين الذين يقضون في ظل نفاقهم اياما مريحه ظاهرا، فإن القرآن الكريم يضرب مثلا- رائعا عن حالهم، فيشبههم بالمسافرين في الصحراء فيقول يكاد البرق يخطف أبصارهم كلما أضاء لهم مشوا فيه و إذا أظلم عليهم قاموا و لو شاء الله لذهب بسمعهم و أبصارهم إن الله على كل شئ قدير. (١).

فهل يوجد أوضح من هذا الوصف للمنافق التائه في الطريق، ليستفيد من نفاقه و عمله كي يستمر في حياته؟ و عند ما تقول لافراد: إن الإنفاق يضاعفه لكم الله عدّه مرات قد لا يستطيعون ان يفهموا هذا الحديث، و لكن يقول القرآن الكريم: مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٍ (٢)، و هذا المثال الواضح اقرب للإدراك.

و غالبا ما نقول: إن الرياء لا- ينفع الإنسان، فقد يكون هذا الحديث ثقيلًا- على البعض، كيف يمكن لهذا العمل ان يكون غير مفيد، فبناء مستشفى او مدرسه حتى لو كان بقصد الرياء.. لماذا ليست له قيمه عند الله؟! و لكن يضرب الله مثلا رائعا حيث يقول: فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا. (٣)

و لكي لا- نتعد كثيرا فالآيه التي نحن بصدد تفسيرها تبحث في مجال الحقّ و الباطل و تجسيم هذه المسأله بشكل دقيق، المقدمات و النتائج، و الصفات و الخصوصيات و الآثار، و جعلها قابله للفهم للجميع و تسكت المعاندين، و اكثر

ص: ٣٨٠

١- (١) البقره، ٢٠.

٢- (٢) البقره، ٢٤١.

٣- (٣) البقره، ٢٤٤.

من ذلك تكفينا تعب البحوث المطوّله.

و

في مناظره للإمام الصادق عليه السّلام مع احد الزنادقه حول قوله تعالى: **كَلَّمَا نَضَّ بَحْتٌ جُلُودُهُمْ يَدَلُّنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ** قال: فما بال الغير؟ أجابه الامام: «ويحك هي هي و هي غيرها!» قال: فمثّل لي ذلك شيئا من امر الدنيا! قال: «نعم، أ رأيت لو أنّ رجلا أخذ لبنه فكسرها ثم ردّها في ملبنها، فهي هي و هي غيرها» (١).

و لا بدّ هنا من ملاحظه هذه اللفظه و هي أنّ المثال و ما له من تأثير كبير و دور فعّال يجب ان يكون مطابقا و موافقا للمقصود، و الأيّكون ضالا و منحرفا.

و لهذا السبب يستفيد المنافقون من هذه الامثله المنحرفه ليضلّوا بها الناس البسطاء، فهم يستعينون بشعاع المثال ليصدق الناس اكاذيبهم، فيجب ان نحذر من هذه الامثله المنحرفه و نلاحظها بدقّه.

ص: ٣٨١

١-١) الاحتجاج، ص ٣٥٤.

اشاره

لِّلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمُ الْحُسْنَىٰ وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ أُورِثَكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ (١٨)

التفسير

اشاره

الذين استجابوا لدعوه الحق:

بعد ما كشفت الآيات السابقه عن وجهى الحقّ و الباطل من خلال مثال واضح و بليغ، اشارت هذه الآيه الى مصير الذين استجابوا لرّبهم و الذين لم يستجيبوا لهذه الدعوه و اتجهوا صوب الباطل. تقول اولاً: لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمُ الْحُسْنَىٰ .

«الحسنى» فى معناها الواسع تشمل كلّ خير و سعادته، بدءاً من الخصال الحسنه و الفضائل الاخلاقيه الى الحياه الاجتماعيه الطاهره و النصر على الأعداء و جنّه الخلد.

ثمّ تضيف الآيه و الَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا



لا توجد صيغته أوضح من هذه الآية في بيان شدّة عذابهم و عقابهم، يمتلك الإنسان كلّ ما فى الأرض و ضعفه ايضا و يفتدى به للنجاه و لا يحصل النجاه.

تشير هذه الجملة فى الواقع الى آخر امنيته و التى لا- يمكن ان يتصوّر اكثر منها، و هى ان يمتلك الإنسان كلّ ما فى الأرض، و لكن شدّة العذاب للظالمين و مخالفى الحقّ تصل بهم الى درجه ان يفتدوا بكلّ هذه الامنيه او أكثر منها لنجاتهم. و لنفرض أنّها قبلت منهم فتكون نجاتهم من العذاب فقط، و لكن الثواب العظيم يكون من نصيب الذين استجابوا لدعوه الحقّ.

و من هنا يتّضح أنّ العبارة وَ مِثْلُهُ مَعَهُ ليس المقصود منها ان يكون لهم ضعف ما فى الأرض، بل أنّهم مهما ملكوا اكثر من ذلك فإنّهم مستعدّون للتنازل عنه مقابل نجاتهم من العذاب. و دليله واضح، لأنّ الإنسان يطلب كلّ شىء لمنفعته، و لكن عند ما يجد نفسه غارقا فى العذاب فما فائده تملكه للدنيا كلّها؟ و على اثر هذا الشقاء (عدم قبول ما فى الأرض مقابل نجاتهم) يشير القرآن الكريم الى شقاء آخر <sup>□</sup>أَوْلَيْتَكَ لَهُمْ سُوءَ الْحِسَابِ .

فما هو المقصود من سوء الحساب؟ للمفسّرين آراء مختلفه حيث يعتقد البعض أنّ الحساب الدقيق بدون اى عفو او مسامحه، فسوء الحساب ليس بمفهوم الظلم، لأنّ الله سبحانه و تعالى هو العدل المطلق، و يؤيد هذا المعنى الحديث الوارد

عن الامام الصادق عليه السّلام أنّه قال لرجل: «يا فلان مالك و لأخيك؟» قال: جعلت فداك كان لى عليه حقّ فأستقصيت منه حقّى الى آخره، و عنده سماع الامام لهذا الجواب غضب و جلس ثمّ قال:

«كأنّك إذا استقصيت حقّك لم تسيء اليه! رأيت ما حكى الله عزّ و جلّ وَ يَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ أ تراهم يخافون الله ان يجور عليهم؟! لا و الله ما خافوا الا الاستقصاء

فَسَمَاهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ سَوْءَ الْحِسَابِ، فَمَنْ اسْتَقْصَى فَقَدْ أَسَاءَ» (١).

وقال البعض: المقصود من سوء الحساب، أنه يلزم حسابهم التوبيخ و الملامه و غيرها، فبالإضافة الى خوفهم من العذاب يؤلمهم التوبيخ.

و يقول البعض الآخر: المقصود هو الجزء الذى يسوؤهم، كما نقول: إن فلان حسابه نقى، أو لآخر: حسابه مظلم، و هذا يعنى نتيجة حسابهم جيدة أو سيئه، أو تقول: (ضع حسابه فى يده) يعنى حاسبه طبقا لعمله.

هذه التفاسير الثلاثه غير متضاده فيما بينها، و يمكن ان يستفاد منها فى تفسير الآيه، و هذا يعنى ان هؤلاء الافراد يحاسبون حسابا دقيقا، و أثناء حسابهم يوبخون و يلامون و من ثم يستقصى منهم.

و فى نهايه الآيه اشاره الى الجزء الثالث او النتيجة النهائيه لجزائهم و مَاوَاهُمْ جَهَنَّمَ وَ بُئْسَ الْمِهَادُ .

«المهاد» جمع مهد، بمعنى التهيؤ، و يستفاد منها معنى السرير الذى يستخدم لراحة الإنسان، هذا السرير يهيأ للاستراحه، و قد ذكر القرآن الكريم هذه الكلمه للاشاره الى ان هؤلاء الطغاه بدلا من ان يستريحوا فى مهدهم يجب ان يحرقوا بلهيب النار.

## بحث

يستفاد من الآيات القرآنيه ان الناس فى يوم القيامة ينقسمون الى مجموعتين، فمجموعه يحاسبهم الله بيسر و سهوله و بغير تدقيق فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا . (٢)

ص: ٣٨٤

١- (١) تفسير البرهان، المجلد الثانى، صفحه ٢٨٨.

٢- (٢) الانشقاق، ٨.

و على العكس من ذلك هناك مجموعه يحاسبون بشده حتى الذره و المثقال من الأعمال يحاسبون عليه، كما حدث لبعض البلاد التي كان أهلها من العصيين، فَحَاسِبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَ عَذَّبْنَاهَا عَذَابًا نَكْرًا (١).

انّ هذا الحساب الشديد هو نتيجة لما كان يقوم به هؤلاء في حياتهم من استقصاء الآخرين حتى الدينار الأخير، و إذا ما حدث خطأ من احد فإنهم يعاقبون بأشد ما يمكن، و لم يسامحوا أحدا حتى أبناءهم و إخوانهم و أصدقائهم، و بما انّ الآخره انعكاس لحياه الدنيا فإنّ الله سبحانه و تعالى يحاسبهم حسابا شديدا على اى عمل عملوه بدون ادنى سماح، و على العكس فهناك اشخاص سهلون و مسامحون و من اهل العفو، خصوصا في مقابل أصدقائهم و اقربائهم و ذوى الحقوق عليهم او الضعفاء، و يغضون النظر عنهم و عن كثير من زلاتهم الشخصيه، و في مقابل ذلك فإنّ الله سبحانه و تعالى يشملهم بعفوه و رحمته الواسعه و يحاسبهم حسابا يسيرا.

و هذا درس كبير لكل الناس و خصوصا أولئك الذين يتصدرون الأمور.

ص: ٣٨٥

١-١) الطلاق، ٨.

اشاره

أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ (١٩) الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ (٢٠) وَالَّذِينَ يَصْتَلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ (٢١) وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ رِزْقًا هُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيُدْرُونَ بِالحَسَنَةِ السَّيِّئَةِ أُولَئِكَ لَهُمْ عِزٌّ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَذُرِّيَّاتُهُمْ وَزَوَّاجُهُمْ وَذُرِّيَّاتُهُمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ (٢٣) سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ (٢٤)

التفسير

اشاره

الأبواب الثمانية للجنة و صفات اولى الأبواب:

تتحدث هذه الآيات عن سيره اولى الأبواب و صفاتهم الحسنه، و فيها تكميل

فى الآيه الاولى من هذه المجموعه استفهام انكارى: أَمْ مَنْ يَعْلَمُ أَنَّ أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى .

و هذا وصف رائع، فهو لم يقل: أَمْ مَنْ يَعْلَمُ أَنَّ هذا القرآن على الحق كمن لا يعلم؟ بل قال: كمن هو أعمى؟ و هذه اشاره لطيفه الى أنه من المحال ان لا يعلم احد بهذه الحقيقه الأ- ان يكون أعمى القلب، فكيف يمكن لإنسان يمتلك عينا سليمه و لا يرى نور الشمس، و هذا القرآن كالشمس. و لذلك يجىء فى نهايه الآيه قوله تعالى: **إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ .**

«الألباب» جمع لب بمعنى جوهر الشىء، و يقابل اولى الألباب اولوا الجهل و العمى.

انّ هذه الآيه- و كما يذهب اليه بعض المفسرين- تحثّ الناس على طلب العلم و محاربه الجهل، لأنها تعدّ الفرد الفاقد للعلم كمن هو أعمى. ثم بين سيره اولى الألباب من خلال ذكر صفاتهم الحميده، و اول ما أشار القرآن اليه و فإوهم بالعهد و عدم نقضهم له و الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَ لَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ .

انّ «عهد الله» له معنى واسع، و يشمل العهود الفطريه التى عاهدوا بها ربهم كالفطره على التوحيد و حبّ الحقّ و العداله، و المواثيق العقليّه التى يدركها الإنسان من خلال التفكير و التعقل لعالم الوجود، و المبدأ و المعاد، و تشمل كذلك العهود الشرعيّه، و هى ما عاهدوا الرسول صلى الله عليه و آله و سلم عليه من الطاعه للأوامر الالهيه و ترك المعاصى و الذنوب.

و تشمل هذه المجموعه كذلك الوفاء بالعهد بين الافراد، لأنّ الله سبحانه و تعالى اوصى بها، بل تدخل ضمن الوفاء الشرعى و الميثاق العقلى.

الصفه الثانيه من صفات اولى الألباب هى وَ الَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ .

لا نجد صيغته أوسع من هذه في هذا المجال، فالإنسان له صلوات وروابط كثيرة، صله مع ربه، ومع الأنبياء والقادة، وروابطه مع الأصدقاء والجيران والأقرباء ومع كل الناس، والآية تأمر ان تحترم هذه الصلوات، وتنتهي عن اي عمل يؤدي الى قطع هذه الصلوات والروابط.

والإنسان في الحقيقه ليس منزويا او منفكاً من عالم الوجود، بل تحكّم كلّ وجوده الصلوات والروابط، ومن جمله هذه الصلوات:

١-صلته باللّه سبحانه و تعالی، والتي إذا ما قطعها الإنسان تؤدي الى هلاكه كما في انطفاء نور المصباح في حالة قطع التيار الكهربائي عنه، وعلى هذا فإنّ هذه الصلة التكوينية بين الإنسان و ربه يجب ان تتبعها صله بأوامره و احكامه من حيث الطاعة و العبوديه.

٢-صلته بالأنبياء و الائمه عليهم السلام على أساس أنّهم قادة للبشرية و قطعها يؤدي بالإنسان الى الضلال و الانحراف.

٣-صلته بالمجتمع كآفه و خصوصا بذوى الحقوق عليه أمثال الأب و الامّ و الأقرباء.

٤-صلته بنفسه، من حيث أنّه مأمور بحفظها و إصلاحها و تكاملها.

انّ اقامه اي صله من هذه الصلوات، هي في الواقع مصداق للآيه **يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ** و قطعها قطع لما امر الله به ان يوصل، لانّ الله سبحانه و تعالی امر بأن توصل و لا تقطع.

و بالاضافه الى ما قلناه، فهناك أحاديث وارده بخصوص هذه الآيه يتّضح منها أنّ المراد القرابه مرّه، و مرّه الامامه او آل الرّسول صلّى الله عليه و آله و سلّم، و مرّه اخرى كلّ المؤمنين!

فقد جاء عن الامام الصادق عليه السّلام في تفسير الآيه قال: «قرابتك» و عنه ايضا عليه السّلام قال: «نزلت في رحم آل محمّد و قد يكون في قرابتك» (١) و من الطريف

ص: ٣٨٨

أنه عليه السلام يقول في نهايه الحديث: «فلا تكونن ممن يقول للشيء أنه في شيء واحد» و هذه الجملة اشاره واضحه الى المعانى الواسعه للقرآن الكريم.

و

عن الامام الصادق عليه السلام في حديث ثالث يقول: «هو صله الامام في كل سنه (اي بالمال) بما قل او اكثر، ثم قال: و ما أريد بذلك الا تزكيتكم» (١).

الصفه الثالثه و الرابعه من سيره اولى الألباب هي قوله تعالى: وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ .

لمعرفه الفرق بين «الخشيه» و «الخوف» المتقاربان في المعنى يقول البعض:

«الخشيه» هي حاله الخوف مع احترام الطرف المقابل و مع العلم و اليقين، و لذلك عدّها القرآن الكريم من خصوصيات العلماء حيث يقول: إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ .

و لكن بالنظر الى استخدام القرآن الكريم لكلمه الخشيه مرّات كثيره يتّضح لنا انها تأتي بمعنى الخوف و تستعمل معها بشكل مترادف.

هنا يطرح هذا السؤال: إذا كان الخوف من الخالق هو نفس الخوف من حسابه، فما هو الفرق بين يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ ؟ الجواب: أنّ الخوف من الله سبحانه و تعالى ليس ملزما دائما ان يكون خوفا من حسابه و عقابه، بل أنّ العظمه الالهيه و الاحساس بالعبوديه له توجد حاله من الخوف في قلوب المؤمنين (بغضّ النظر عن الجزاء و العقاب)، و الآيه (٢٨) من سوره فاطر قد تشير الى هذا المعنى.

و هناك سؤال آخر يتعلّق بسوء الحساب، و هو: هل من الصحيح أنّ هناك ظلم في محاسبه الافراد؟ و قد تقدّم الجواب على هذا السؤال قبل عدّه آيات من هذه الآيه و قلنا أنّ المراد هو التدقيق الشديد في الحساب من دون عفو او تسامح و ذكرنا ايضا

ص: ٣٨٩

حديثاً في هذا الصدد.

الصِّفه الخامسه من صفات اولى الألباب الاستقامه فى مقابل جميع المشاكل التى يواجهها الإنسان فى مسيره الطاعه و ترك المعصيه، و جهاد الأعداء و محاربه الظلم و الفساد (1)، و الصبر فى مرضاه الخالق، و لذلك يقول تعالى: وَ الَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ لَقَدْ أَشْرْنَا مَرَارًا إِلَى مَفْهُومِ اسْتِقَامَةِ التَّى هِىَ الْمَعْنَى الْوَاسِعَ لِلصَّبْرِ.

أما معنى العبارة وَجْهِ رَبِّهِمْ فقد تشير الى احد معنيين:

أولاً: كلمه الوجه فى هذه الموارد تعنى العظمه، كما نقول للرأى الصائب و المهمم «هذا وجه الرأى» باعتبار انّ الوجه يمثّل الشكل الظاهر و المهمم للشئ، كما فى وجه الإنسان الذى يعتبر اهمّ جزء من جسده، و فيه يقع السمع و البصر و النطق.

ثانياً: الوجه هنا بمعنى رضا الخالق، فهم يصبرون على المحن و المشاكل لجلب مرضاه الله، فاستعمال الوجه بهذا المعنى بسبب انّ الإنسان عند ما يريد ان يجلب رضا شخص يعنى النظر فى وجهه (و على ذلك فهو يستعمل للكنايه عن الشئ). و على ايه حال فإنّ هذه الجملة تبين انّ كلّ صبر و عمل خير تكون له قيمه عند ما يصبح لوجه الله، و اى عمل آخر يقع تحت تأثير الرياء و الغرور لا قيمه له مطلقاً.

يقول بعض المفسرين: انّ الإنسان يصبر مرّه لكى يقول عنه الناس: انّ هذا كثير الاستقامه. و اخرى لخشيته ان يقولوا عنه انه قليل الصبر، او يصبر حتّى لا يشمت به الأعداء، او يعلم ان لا فائده من الجزع.. كلّ هذه الأمور و التيات لا تدخل ضمن الكمال الانسانى الاّ إذا كانت خالصه لوجه الله. فهو يصبر و يستقيم لانه يعلم انّ اى فاجعه او مصيبه لها حكمه و دليل، و لا يقول ما يسخط الربّ،

ص: ٣٩٠

---

(١-١) ليس الصبر على الطاعه و المعصيه و المصيبه فقط بل الصبر على النعم كذلك حتّى لا يصيب الإنسان الغرور.



فهذا الصبر هو المعنى بقوله تعالى: **إِيتِغَاءٌ وَجْهِ اللَّهِ** .

الصفة السادسة من صفاتهم هي **وَ أَقَامُوا الصَّلَاةَ** . رغم أنّ اقامه الصلاه هي مصادق للوفاء بعهد الله و كذلك المصادق البارز لحفظ ما امر الله به ان يوصل، و مصادق للصبر و الاستقامه، و لكن هناك بعض مصاديق تلك المفاهيم الكليه اكثر اهميته في مصير الإنسان، فهذه الجملة و الجمل التي ما بعدها تشير الى ذلك.

اي شىء اهم من هذا؟! انّ الإنسان يجدّد عهده و صلته بالله سبحانه و تعالى صباحا و مساء، و يتفكّر بعظمه الخالق و يدعوه، و يطهر نفسه من الذنوب، و يرتبط بالحق المطلق، نعم.. فإنّ الصلاه لها كلّ هذه الآثار و البركات.

ثمّ يبيّن الصفة السابعة لدعاه الحقّ حيث يقول تعالى: **وَ أَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَ عَلَانِيَةً** .

و هذه الآيه ليست الوحيدة التي تشير الى مسأله الإنفاق او الزكاه بعد ذكر الصلاه، فكثير من الآيات تشير الى هذا الترادف، فواحدة تحكم الصله بين العبد و ربه و الثانيه بين العباد.

و الجملة **مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ** تشمل كلّ العطايا من الأموال و العلوم و القوه و الجاه، و الإنفاق كذلك يشمل جميع هذه الابعاد. و العبارة **سِرًّا وَ عَلَانِيَةً** اشاره اخرى الى هذه الحقيقه و هي انّ إنفاقهم يتمّ بشكل مدروس، فتاره يكون سراً و يترتب عليه اثر كبير، و ذلك في الحالات التي توجب ان يحفظ فيها ماء الوجه للطرف الآخر او تصون الطرف المنفق من الرياء، و مره يكون الإنفاق العلني اكثر تأثيرا و ذلك في الحالات التي تدعو الآخرين لكي يتأسوا بهذا العمل الخير و يقتدوا به، فيكون سببا لكثير من اعمال الخير.

و من هنا يتّضح أنّ القرآن الكريم يدقّق في اعمال الخير بشكل كبير، ليس فقط في اصل العمل، بل حتّى في كيفيته تنفيذه.

الصفة الثامنة و الاخيريه هي قوله تعالى: **وَ يَدْرُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ** .

و معنى هذه العبارة أنهم لم يكتفوا بالتوبه و الاستغفار فقط عند ارتكابهم الذنوب، بل يدفونها كذلك بالحسنات على مقدار تلك الذنوب، حتى يطهروا أنفسهم و المجتمع بماء الحسنات.

«يدرءون» مضارع «درأ» على وزن «زرع» بمعنى دفع.

و يحتمل فى تفسير الآيه أنهم لا يقابلون السىء بالسىء، بل يسعون من خلال إحسانهم للمسيئين ان يجعلوهم يعيدون النظر فى مواقفهم، كما نقرا فى الآيه (٣٤) من سوره فصلت قوله تعالى: **إِذْفَعِ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَ بَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ**

و فى نفس الوقت ليس هناك مانع من ان الآيه تشير الى هذين المعنيين، كما اشارت إليها الأحاديث الاسلاميه.

ففى الحديث عن الرسول صلى الله عليه و آله و سلم قال لمعاذ بن جبل: «إذا عملت سيئه فاعمل بجنبها حسنه تمجها» (١).

و

عن الامام على عليه السلام قال «عاب أخاك بالإحسان اليه و اردد شره بالانعام عليه» (٢).

و لا بد هنا من الالتفات الى هذه النقطه، و هى ان هذه الأحكام أخلاقيه تخصّ الحالات التى يحصل فيها تأثير على الآخرين، و هناك قوانين و احكام جزائيه واردة فى التشريع الاسلامى لمعاقبه المسيئين.

و بعد ما ذكر القرآن الكريم الصفات الثمانيه لاولى الألباب، أشار فى نهايه الآيه الى عاقبه أمرهم حيث يقول تعالى: **أُولَئِكَ لَهُمْ عَقَبَى الدَّارِ** (٣).

الآيه الاخرى توضح هذه العاقبه **جَنَاتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَ مَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَ أَرْوَاجِهِمْ وَ ذُرِّيَّاتِهِمْ**.

ص: ٣٩٢

١-١) مجمع البيان ذيل الآيه أعلاه.

٢-٢) الكلمات القصار فى نهج البلاغه، الكلمه ١٥٨.

٣-٣) «العقبى» بمعنى العاقبه او نهايه العمل خيرا كان او شرا، و لكن بالنظر الى قرينه الحال فى الآيه أعلاه تشير الى العاقبه الحسنه.

وَالشَّيْءَ الَّذِي يَكْمَلُ هَذِهِ النِّعْمَ الْكَبِيرَةَ وَاللَّامْتِنَاهِيَةَ وَالْمَلَائِكَةَ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ فهذه السلامه جاءت بعد ما صبرتم على الشدائد و تحمّلتم المسؤوليات الجسام و المصائب، و لكم هنا كامل الطمأنينه و الامان، فلا حرب و لا نزاع، و كلّ شيء يبتسم لكم، و الراحة الخاليه من المتاعب-هنا-معده لكم.

## بحوث

## اشاره

### ١- لماذا ذكر الصبر فقط

؟ جمله سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ تشير الى مسأله الصبر فقط، في الوقت الذي نرى فيه الآيات السابقه اشارت الى ثمانيه صفات لاولى الألباب، فما هو السرّ في ذلك؟ للاجابه على هذا الاستفهام نورد ما

جاء عن الامام على عليه السّلام في حديث قيم و ذي مغزى كبير، حيث قال: «انّ الصبر من الايمان كالرأس من الجسد، و لا خير في جسد لا راس معه، و لا في ايمان لا صبر معه».

في الحقيقه انّ كلّ الأفعال الحيه و الصفات الحميده للافراد و المجتمعات تستند الى الصبر و الاستقامه، و بدونها لا يمكن ان نحصل على اى شيء من هذه الصفات، لأنّ في مسيره عمل الخير عقبات و موانع لا يمكن ان نتصر عليها الا بالاستقامه، فلا الوفاء بالعهد يمكن تنفيذه بدون الصبر و الاستقامه و لا- الصلوات الالهيه، و لا- الخوف من الله، و لا اقامه الصلاه و لا الإنفاق يمكن بلوغها بغير الصبر و الاستقامه.

يستفاد من آيات القرآن الكريم و الأحاديث الشريفه انّ للجنه عدّه أبواب، و لكن هذا التعدّد للأبواب ليس لكثيره الداخلين الى الجنه فيضيق عليهم الباب الواحد، و ليس كذلك للفتاوت الطبقي حتى تدخل كلّ مجموعه من باب، و لا لبعده المسافه او قربها، و لا لجمال الأبواب و كثرتها، فأبواب الجنه ليست كأبواب القصور و البساتين في الدنيا، بل تعدّدت هذه الأبواب بسبب الأعمال المختلفه للأفراد. و لذا نقرا في بعض الاخبار انّ للأبواب اسماء مختلفه، فهناك باب يسمّى باب المجاهدين، و المجاهدون يدخلون بسلاحهم من ذلك الباب الى الجنه، و الملائكه تحييهم (١) ! و

روى عن الامام الباقر عليه السلام «و اعلموا انّ للجنه ثمانيه أبواب، عرض كلّ باب مسيره أربعين سنه» (٢).

و من الظريف انّ القرآن الكريم يذكر لجهنّم سبعة أبواب لها سبعه أبواب (٣) و طبقا للروايات فإنّ للجنه ثمانيه أبواب، و هذه اشاره واضحه الى انّ طرق الوصول الى السعاده و جنه الخلد اكثر من طرق الوصول الى الشقاء و الجحيم. و رحمه الله سبقت غضبه «يا من سبقت رحمته غضبه».

و من الطف ما في الأمر انّ الآيات السابقه اشارت الى ثمان صفات من صفات اولي الألباب، و كلّ واحده منها في الواقع -هي باب من أبواب الجنه و طريق للوصول الى السعاده الابديه.

ص: ٣٩٤

١- ١) منهاج البراعه في شرح نهج البلاغه، المجلد الثالث، ص ٩٩٥.

٢- ٢) الخصال للصدوق، الباب الثاني.

٣- ٣) الحجر، ٤٤.

### ٣- يلحق بأهل الجنة اقرباؤهم

الآيه أعلاه و آيات اخرى من القرآن الكريم تصرّح أنّ من بين اهل الجنة آباؤهم و أزواجهم و أبنائهم الصالحون، و هذا أنّما هو لإتمام النعمه عليهم، و كى لا يشعروا بفراق أحبائهم، و بما أنّ تلك الدار متكامله و كلّ شىء يتجدّد فيها، فإنّ أصحابها يدخلون فيها بوجوه جديده و اكثر محبّه و الفه. المحبّه التى تضاعف من نعم الجنة لهم.

لا شكّ أنّ الآيه أعلاه اشارت الى الآباء و الأزواج و الأبناء، و لكن فى الواقع كلّ الأقرباء سيجتمعون هناك، لأنّه من غير الممكن وجود الأبناء و الآباء بدون إخوانهم و أخواتهم.. و حتّى جميع اقربائهم، فالأب الصالح يلحق به ابناءؤه و اخوته، و على هذا الأساس يكون حضور الأقرباء معهم بشكل طبيعى.

### ٤- ما هى جنّات عدن

؟ «العدن» الاستقرار، و هنا جاءت الكلمه بمعنى الخلود، و منه المعدن لمستقرّ العناصر الفلزيه. و يستفاد من مختلف آيات القرآن أنّ الجنّه دار خلود لأهلها، و لكن- كما قلنا فى ذيل الآيه (٧٢) من سوره التوبه- جنّات عدن هى محلّ خاص فى الجنّه، و لها صفات و منازل عاليه، و لا يدخلها الاّ ثلاثه: الأنبياء و الصديقون و الشهداء (١).

### ٥- التطهير من آثار الذنوب

ممّا لا شكّ فيه أنّ الحسنات و السيئات لها اثر متقابل فى النفس و نحن نرى فى حياتنا اليوميّه كثيرا من النماذج بخصوص هذا الموضوع، فمّرّه يتحمّل الإنسان مشاق سنين كثيره و يسعى للحصول على الثروه، و لكن يفقدها بعمل

ص: ٣٩٥

(١-١) للتوضيح اكثر راجع ما ذكر ذيل الآيه (٧٢) من سوره التوبه.

بسيط ناتج عن اللامبالاه، او ليس هذا احباطا للحسنات الماديه. و مرّه اخرى على العكس حيث يرتكب الإنسان كثيرا من الاخطاء فى حياته و يتحمّل الخساره الكبيره، و لكن يسترجعها من خلال عمل شجاع و محسوب.

و الآيه وَ يَذُرُّونَ بِالْحَسَنَاتِ السَّيِّئَةَ اشاره الى هذا الموضوع، لأنّ الإنسان غير معصوم، و هو معرّض للخطأ و المعصيه، فعليه ان يفكر بإصلاح ما فسد، فأعمال الخير لا تمحو الآثار الاجتماعيه للذنوب، بل كذلك تمحو من قلبه الظلمه و تعيده الى النور و الصفاء الفطرى. و هذه الحاله تسمى فى القرآن الكريم ب«التكفير» (كما تقدّم فى ذيل الآيه ٢١٧ من تفسير سوره البقره إشارات كثيره فى هذا المجال).

و لكن كما قلنا فى تفسير الآيه أعلاه-يمكن ان تكون اشاره الى الفضيله الاخلاقيه لاولى الألباب، و ذلك أنّهم لا يواجهون السيئه بالسيئه، بل العكس يقابلون الانتقام بالإحسان و السيئه بالحسنه.

اشاره

وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ  
الدَّارِ (٢٥) اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ (٢٦)

التفسير

اشاره

المفسدون في الأرض

! بعد ما ذكرت الآيات السابقة صفات اولى الألباب و دعاه الحق، اشارت هذه الآيات الي قسم من الصفات الاصلية للمفسدين الذين فقدوا حظهم من العلم و المعرفة حيث يقول جلّ و علا: وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ .

في الحقيقة يتلخص فساد عقيدتهم في الجمل الثلاث الآتية:

١-نقض العهود الالهيه:و تشمل المواثيق الفطريه و العقليه و التشريعيه.

٢-قطع الصلات:و تشمل الصلحه مع الله و الرسل و الناس و مع أنفسهم.

٣-الإفساد فى الأرض:و هو نتيجة حتميه لنقض العهود و قطع الصلات.

او ليس المفسد هو الذى ينقض عهد الله و يقطع الصلات؟! فهذا السعى من قبل هذه المجموعه من الافراد بهدف الوصول الى الأغراض الماديه،و عوضا ان تصل بهم هذه الجهود المبذوله الى الاهداف النبيله تبعدهم عنها،لأنّ اللعن هو عباره عن الابتعاد من رحمه الله (١).

و من الظريف أنّ الدار هنا و فى الآيه السابقه جاءت بصيغه مطلقه،و هذه اشاره الى أنّ الدار الحقيقيه هى الدار الآخره،و اى دار ما عداها فانيه و زائله.

قوله تعالى: **اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ** و هذه اشاره لأولئك الذين يسعون للحصول على دخل اكثر فهم يفسدون فى الأرض و ينقضون عهد الله و يقطعون ما امر الله به ان يوصل لكى يزيدوا من دخلهم المادى،و هم غافلون عن هذه الحقيقه و هى أنّ الرزق-فى زيادته و نقصه-بيد الله سبحانه و تعالى.

و بالاضافه الى ذلك يمكن ان تكون هذه الجمله جوابا على سؤال مقدر، و هو:كيف أنّ الله سبحانه و تعالى يرزق كلّ هؤلاء الناس الصالح منهم و الطالح من فيض كرمه.

و الآيه تجيب على هذا السؤال و تقول: **اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ** و مع ذلك فهو متاع قليل و زائل،و ما ينبغى السعى اليه هو الآخره و السعاده الابدنيه.

و على ايه حال فإنّ المشيئه الالهيه فى مجال الرزق هى أنّ الله سبحانه و تعالى لا يبسط الرزق لأحد بدون الاستفاده من الأسباب الطبيعيه له«ابى الله ان يجرى الأمور الآ بأسبابها».

ص: ٣٩٨

١-١) يقول الراغب فى مفرداته:اللعن بمعنى الطرد مع الغضب،و اللعن فى الآخره تشير الى العقوبه و فى الدنيا الابتعاد من رحمه الله،و إذا كان من قبل الناس فمعناه دعاء السوء.



ثم تضيف الآية وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ .

و قد ذكر «متاع» بصيغه النكره لبيان تفاهه الدنيا بالمقارنه مع الآخره.

## بحثان

### اشاره

#### ١- من هو المفسد فى الأرض

؟ الفساد يقابله الإصلاح، و يطلق على كل عمل تخريبي، و يقول الراغب فى مفرداته: «الفساد خروج الشيء عن الاعتدال قليلا كان او كثيرا، و يضاده الصلاح، و يستعمل ذلك فى النفس و البدن و الأشياء الخارجه عن الاستقامه» و على ذلك فكل عمل فيه نقص، و كل افراط و تفريط فى المسائل الفرديه و الاجتماعيه هو مصداق للفساد! و فى كثير من موارد القرآن الكريم ذكر الفساد فى مقابل الإصلاح الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ (١)، و قوله تعالى: وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ ، (٢) و قوله تعالى: وَ أَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ (٣).

كما ذكر الايمان و العمل الصالح فى مقابل الفساد، و حيث يقول جلّ و علا- أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ . (٤)

و من جانب آخر ذكر الفساد، مع كلمه «فى الأرض» فى كثير من آيات القرآن الكريم نحو عشرين آيه و نيف، و هى توضّح الجوانب الاجتماعيه للمسأله.

ص: ٣٩٩

١- (١) الشعراء، ١٥٢.

٢- (٢) البقره، ٢٢٠.

٣- (٣) الأعراف، ١٤٢.

٤- (٤) سوره ص، ٢٨.

و من جانب ثالث ذكر الفساد و الإفساد مع ذنوب اخرى، و يحتمل ان يكون مصداقا لها، و بعض هذه الذنوب كبيره و بعضها الآخر أصغر فمثلا قوله تعالى:

إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ وَ يَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا ، (١) و قوله تعالى وَ إِذَا تَوَلَّى سَيْفًا فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَ يُهْلِكَ الْحَرْثَ وَ النَّسْلَ ، (٢) النَّسْلَ ، و قوله تعالى: الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَ يَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ ، (٣) و قوله تعالى: تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَ لَا فَسَادًا . (٤)

و مره يعتبر فرعون من المفسدين، و أثناء توبته عند غرقه في النيل يقول:

الآن وَ قَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَ كُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ . (٥)

و قد استعمل «الفساد في الأرض» تعبيرا عن السرقة كما في قصه يوسف عليه السلام تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْتُمْ لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَ مَا كُنَّا سَارِقِينَ . (٦)

و مره اخرى كناية عن قله البيع، كما في قصه شعيب حيث نقرا قوله تعالى:

وَ لَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَ لَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ . (٧)

و أخيرا استخدم القرآن الكريم الفساد في التعبير عن اضطراب النظام الكوني لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا . (٨)

نستفيد من مجموع هذه الآيات ان الفساد-بشكل عام-او الفساد في الأرض، له معنى واسع جدًا، بحيث يشمل اكبر الجرائم مثل جرائم فرعون و سائر

ص: ٤٠٠

١-١ (١) المائدة، ٣٣.

٢-٢ (٢) البقره، ٢٠٥.

٣-٣ (٣) البقره، ٢٧.

٤-٤ (٤) القصص، ٨٣.

٥-٥ (٥) يونس، ٩١.

٦-٦ (٦) يوسف، ٧٣.

٧-٧ (٧) هود، ٨٥.

٨-٨ (٨) الأنبياء، ٢٢.

الطواغيت، كما يشمل الأعمال الأقل اجرا ما منها مثل بخرس الناس أشرافهم، و يشمل كذلك اى خروج عن حالة الاعتدال كما أشرنا الیه سابقا. و بالنظر الى أنّ العقوبه يجب ان تكون مطابقه للجريمه يتضح لنا أنّ كلّ مجموعه من هؤلاء المفسدين لها عقوبه معينه و جزاء خاص.

و نرى فى الآيه (٣٣) من سوره المائده التى ذكرت «الفساد فى الأرض مع محاربه الله و رسوله» أنّ هناك اربع عقوبات و يجب على الحاكم الشرعى ان يختار العقوبه المناسبه على مقدار الجريمه (القتل-الصلب-قطع الايدى و الأرجل-النفى) كما بين فقهاؤنا فى كتبهم شروط و حدود المفسد فى الأرض و عقوباته (١).

و لأجل ان نجتّ هذه المفسد، يجب ان نستخدم الوسائل الكافيه فى كلّ مرحله من مراحلها، ففى المرحله الاولى نستخدم أسلوب الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر عن طريق النصائح و التذكير، و لكن إذا ما استوجب الأمر نستعمل الشدّه حتّى لو ادى ذلك الى القتال.

و بالاضافه الى ما أشرنا اليه، فإنّ الجملة و يُفَسِّدُونَ فى الأرض ترشدنا الى هذه الحقيقه فى حياه المجتمع الانسانى، و هى أنّ الفساد الاجتماعى لا يبقى فى مكان معين و لا يمكن حصره فى منطقه معينه، بل ينتشر بين اوساط المجتمع و فى كافه بقاع الأرض و يسرى من مجموعه الى اخرى.

و يستفاد من الآيات القرآنيه أنّ واحده من اهداف بعثه الأنبياء هو إنهاء حالة الفساد فى الأرض (فى معناه الواسع) كما نقرا فى سوره هود الآيه (٨٨) قول النبى شعيب عليه السلام إنّ أريدُ إلاّ الإصلاح ما استطعت .

ص: ٤٠١

١-١) و نحن أشرنا اليه بشكل مفصّل فى ذيل الآيه (٣٣) من سوره المائده.

! لا- نستفيد من الآيه أعلاه فقط أنّ الرزق في زيادته و نقصانه بيد الله، بل نستفيد من آيات أخر أنّ الله سبحانه وتعالى يبسط الرزق لمن يشاء و ينقصه لمن يشاء، و لكن ليس كما يعتقد بعض الجهلاء من عدم الكسب و الجلوس في زاويه البيت حتّى يبعث الله لهم الرزق، ان هؤلاء الافراد-الذين يعتبر تفكيرهم السلبي ذريعه لمن يقول بأنّ الدين افيون الشعوب-قد غفلوا عن نقطتين اساسيتين هما:

أولاً: أنّ الاراده و المشيئه الالهيه التي اشارت إليها الآيات القرآنيه ليست مسأله اعتباريه و غير محسوبه، بل-و كما قلنا سابقا- أنّ المشيئه الالهيه غير منفصله عن حكمته جلّ و علا و تدخل فيها الاستعدادات و التوفيقات.

ثانياً: أنّ هذه المسأله لا تعنى نفى الأسباب، لأنّ عالم الأسباب هو عالم الوجود، و هذه العوالم وجدت بإرادته الله و هي غير منفصله عن المشيئه التشريعيه.

و بعباره اخرى: أنّ اراده الله في مجال بسط الرزق نقصه مشروطه بشرائط تتحكّم في حياه الناس، فالسعى و الإخلاص و الإيثارة، و بعكس ذلك الكسل و البخل و سوء التيه، لها دور فعّال و كبير، و لهذا السبب نرى القرآن الكريم يثّير مرارا الى أنّ الإنسان رهين بسعيه و ارادته و عمله، و ما يستفیده من حياته أنّما هو بمقدار هذا السعى و الاجتهاد لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى .

و لهذا فإنّ هناك بابا في السعى لتحصيل الرزق يذكره المحدّثون في موسوعاتهم الحديثه «كوسائل الشيعة» في باب التجاره، و يوردون أحاديث كثيره في هذا المجال، كما أنّ هناك أبوابا اخرى تدمّ البطاله و الكسل، و من جملتها

الحديث المروى عن الامام على عليه السّلام حيث يقول: «انّ الأشياء لما ازدوجت ازدوج الكسل و العجز فنتجا بينهما الفقر» (١)

و

عن الامام الصادق عليه السّلام «لا تكسلوا في طلب معاشكم فإنّ آباءنا كانوا

ص: ٤٠٢

يركضون فيها و يطلبونها» (١).

و

عن الامام الباقر عليه السلام قال: «اننى لابغض الرجل ان يكون كسلانا عن امر دنياه، و من كسل عن امر دنياه فهو عن امر آخرته أكسل» (٢).

و

عن الامام موسى بن جعفر عليه السلام «ان الله تعالى ليغض العبد التوام، ان الله ليغض العبد الفارغ» (٣).

ص: ٤٠٣

---

١-١) وسائل الشيعة المجلد ١٢ صفحه ٣٧ و ٣٨.

٢-٢) وسائل الشيعة المجلد ١٢ صفحه ٣٨.

٣-٣) وسائل الشيعة المجلد ١٢ صفحه ٣٧ و ٣٨.

اشاره

وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَرَادَ (٢٧) الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ (٢٨) الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ (٢٩)

التفسير

اشاره

الا بذكر الله تطمئن القلوب:

في سوره الرعد- كما أشرنا سابقا- بحوث كثيره حول التوحيد و المعاد و النبوه، فالآيه الاولى من هذه المجموعه تبحث مره اخرى في دعوه الرسول صلى الله عليه و آله و سلم و تبين واحدا من اعدار المشركين المعاندين حيث يقول تعالى:

وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ

جمله «يقول» فعل مضارع للدلاله على ان هذا العذر كان يجرى على ألسنتهم كثيرا، رغم ما يروونه من معجزات الرسول (فعلى كل نبي ان يظهر المعجزه كدليل على صدقه) و مع ذلك كانوا يحتجون عليه و لا يؤمنون بالمعجز

السابقه، و يطلبون منه معاجز جديده ثلاثم افكارهم.

و بعباره اخرى إنّ هؤلاء و جميع المنكرين لدعوه الحق كانوا دائما يطلبون «المعاجز الاقتراحيه»، و يتوقعون من النبي ان يجلس فى زاويه الدار و يظهر لكل واحد منهم المعجزه التى يقترحها، فإن لم تعجبهم لم يؤمنوا بها!.

فى الوقت الذى نرى فيه أنّ الوظيفه الرئيسيه للأنبياء هى التبليغ و الإرشاد و الإنذار و هدايه الناس، و أمّا المعجزه فهى امر استثنائى و تكون بأمر من الله لا من الرسول، و لكن نحن نقرا فى كثير من الآيات القرآنيه أنّ هذه المجموعه المعانده لا تأخذ هذه الحقيقه بنظر الاعتبار، و كانت تؤذى الأنبياء دائما بهذه الطلبات.

و يجيبهم القرآن الكريم حيث يقول: قُلْ إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَ يَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أُنَابَ .

و هذه اشاره الى أنّ العيب ليس من ناحيه الاعجاز، لأنّ الأنبياء قد أظهروا كثيرا من المعاجز، و لكن النقص من داخل أنفسهم. و هو العناد و التعصّب و الجهل و الذنوب التى تصدّ عن الايمان.

و لأجل ذلك يجب ان ترجعوا الى الله و تنبوا اليه و ترفعوا عن عيونكم و افكاركم ستار الجهل و الغرور كى يتّضح لكم نور الحق المبين.

تشير الآيه الثانيه بشكل رائع الى تفسير مَنْ أُنَابَ حيث يقول تعالى:

الَّذِينَ آمَنُوا وَ تَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ

.ثم يذكر القاعده العامه و الأصل الثابت حيث يقول تعالى: أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ .

و تبحث الآيه الاخيريه مصير الذين آمنوا حيث تقول: الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَ حُسْنُ مَا بٍ .

كثير من المفسرين قالوا: إنّ كلمه «طوبى» مؤنث «أطيب»، و بما أنّ المتعلق محذوف فإنّ للكلمه مفهوما واسعا و غير محدود، و نتيجه طوبى لهم هو ان تكون لهم أفضل الأشياء: أفضل الحياه و المعيشه، و أفضل النعم و الراحة، و أفضل

الألطف الالهيته، و كل ذلك نتيجة الايمان و العمل الصالح لأولئك الراسخين في عقيدتهم و المخلصين في عملهم.

و ما ذكره جمع من المفسرين في معنى هذه الكلمه و أوصلها صاحب مجمع البيان الى عشره معانى،فإنها فى الحقيقه تصبّ كلّها فى هذا المعنى الواسع و الشامل الذى ذكرناه.

و نقرا فى روايات متعدده انّ «طوبى» شجره أصلها فى بيت النبى صلّى الله عليه و آله و سلّم او الامام على عليه السلام فى الجنه،و تنتشر أغصانها على رؤوس جميع المؤمنين و على دورهم،و لعلّ هذا تجسيما لقيادتهم و إمامتهم و الصلات القويّه التى تربط بين هؤلاء القاده و أصحابهم،و تكون ثمرتها كلّ هذه النعم المختلفه.

(و إذا ما رأينا انّ طوبى جاءت مؤنثه لاطيب الذى هو مذكّر،فإنّ ذلك بسبب أنّها صفة للحياه و المعيشه او النعمه و كلّ هذه مؤنثه).

## بحوث

## اشاره

### ١- كيف يطمئن القلب بذكر الله

؟ انّ الاضطراب و القلق من اكبر المصاعب فى حياه الناس،و النتائج الحاصله منهما فى حياه الفرد و المجتمع واضحه للعيان،و الاطمئنان واحد من اهمّ اهتمامات البشر،و إذا حاولنا ان نجتمع سعى و جهاد الانسانيه على طول التاريخ فى بحثهم للحصول على الاطمئنان بالطرق الصحيحه غير الصحيحه،فسوف تتكوّن لدينا كتب كثيره و مختلفه تعرض تلك الجهود.

يقول بعض العلماء:عند ظهور بعض الأمراض المعديه-كالطاعون-فإنّ من بين العشره الافراد الذين يموتون بسبب المرض-ظاهرا- أكثرهم يموت بسبب القلق و الخوف،و عدّه قليله منهم تموت بسبب المرض حقيقه. و بشكل



عام «الاطمئنان» و«الاضطراب» لهما دور مهم في سلامه و مرض الفرد و المجتمع و سعادته و شقاء الانسانيه، و هذه مسأله لا يمكن التغافل عنها، و لهذا السبب ألفت كتب كثيره في موضوع القلق و طرق التخلص منه، و كيفيه الحصول على الراحة، و التاريخ الانساني مليء بالمواقف مؤسفه لتحصيل الراحة، و كيف أن الإنسان يتشبث بكل وسيله غير مشروعه كأنواع الاعتياد على المواد المخدّره لنيل الاطمئنان النفسى.

و لكن القرآن الكريم يبين اقصر الطرق من خلال جمله قصيره و لكنّها كبيره المعنى حيث يقول: **أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ** ! و لتوضيح هذا المعنى و معرفه عوامل القلق و الاضطراب لا بدّ من ملاحظه ما يلى:

أولاً: يحدث الاضطراب مرّه بسبب ما يجول في فكر الإنسان عن المستقبل المظلم، فيحتمل زوال النعمه، او الأسر على يد الأعداء، او الضعف و المرض، فكلّ هذه تؤلم الإنسان، لكن الايمان بالله القادر المتعال الرحمن الرحيم، الله الذى تكفل برحمه عباده.. هذا الايمان يستطيع ان يمحو آثار القلق و الاضطراب و يمنحه الاطمئنان فى مقابل هذه الاحداث و يؤكّد له أنك لست وحيداً، بل لك ربّ قادر رحيم.

ثانياً: و مرّه يشغل فكر الإنسان ماضيه الأسود فيمسى قلقاً بسبب الذنوب التى ارتكبها و بسبب التقصير و الزلّات، و لكن بالنظر الى أنّ الله غفّار الذنوب و قابل التوبه و غفور رحيم، فإنّ هذه الصفات تمنح الإنسان الثقه و تجعله اكثر اطمئناناً و تقول له: اعتذر الى الله من سوائف أعمالك السيئه و اتّجه اليه بالتيه الصادقه.

ثالثاً: ضعف الإنسان فى مقابل العوامل الطبيعیه، او مقابل كثره الأعداء يؤكّد فى نفسه حاله القلق و أنّه كيف يمكن مواجهه هؤلاء القوم فى ساحه الجهاد او فى

المبادئ الاخرى؟ و لكنّه إذا تذكّر الله، و استند الى قدرته و رحمته..هذه القدره المطلقه التي لا يمكن ان تقف امامها ايّه قدره اخرى، سوف يطمئن قلبه، و يقول في نفسه: نعم اننى لست وحيدا، بل فى ظلّ القدره الالهيه المطلقه! فالمواقف البطوليّه للمجاهدين فى ساحات القتال، فى الماضى او الحاضر، و شجاعتهم النادره حتّى فى المنازله الفرديه لهم، كلّها تبين حاله الاطمئنان التي تنشأ فى ظلّ الايمان.

نحن نشاهد او نسمع أنّ احد الضباط المؤمنين فقد بصره مثلا او اصابته جراحات كثيره بعد قتال شديد مع اعداء الإسلام و لكن عند ما يتحدّث كأنّه لم يكن به شىء، و هذه نتيجه الاستقرار و الطمأنينه فى ظلّ الايمان بالله.

رابعا: و من جانب آخر يمكن ان يكون اصل المشقّه هي التي تؤذى الإنسان، كالحساس بتفاهه الحياه او اللاهدهفيه فى الحياه، و لكن المؤمن بالله الذي يعتقد أنّ الهدف من الحياه هو السير نحو التكامل المعنوى و المادى، و يرى أنّ كلّ الحوادث تصبّ فى هذا الإطار، سوف لا يحسّ باللاهدهفيه و لا يضطرب فى المسيره.

خامسا: و من العوامل الاخرى أنّ الإنسان مرّه يتحمّل كثيرا من المتاعب للوصول الى الهدف، و لكن لا يرى من يقيم اعماله و يشكر له هذا السعى، و هذه العمليه تؤلمه كثيرا فيعيش حاله من الاضطراب و القلق، و اما إذا علم أنّ هناك من يعلم بهذا السعى و يشكره عليه و يثيبه، فليس للاضطراب و القلق هنا محل من الاعراب.

سادسا: سوء الظنّ عامل آخر من عوامل الاضطراب و الذى يصبّ كثيرا من الناس فى حياتهم و يبعث فيهم الألم و الهمّ، و لكنّ الايمان بالله و لطفه المطلق و حسن الظنّ به التي هي من وظائف الفرد المؤمن سوف تزيل عنه حاله العذاب



## ٢- الطمأنينه و الخوف من الله

طرح بعض المفسرين هنا هذا السؤال، و خلاصته: نحن قرانا في الآيه أعلاه **أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ** و من جانب آخر فإن الآيه ٢ من سوره الأنفال تقول: **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ** فهل ان هاتين الآيتين متناقضتين؟ الجواب: ان الطمأنينه المحموده هي ما كانت في مقابل العوامل الماديه التي تقلق الإنسان- كما أشرنا اليه سابقا- لكن المؤمنين لا بد و ان يكونوا قلقين في مقابل مسؤولياتهم، و بعبارة اخرى: ان المؤمنين لا يشكون من الاضطراب المدمر الذي يشكّل غالبية أشكال القلق و الاضطرابات، و لكن القلق البناء الذي يحسّ به الإنسان تجاه مسؤولياته امام الله فهو المطلوب و لا بد منه، و هذا هو الخوف من الله (١).

## ٣- ما هو ذكر الله، و كيف يتم

؟ «الذكر» كما يقول الراغب في مفرداته: حفظ المعانى و العلوم، و يستعمل الحفظ للبدء به، بينما الذكر للاستمرار فيه، و يأتي في معنى آخر هو ذكر الشيء باللسان او القلب، لذلك قالوا: ان الذكر نوعين «ذكر القلب» و «ذكر اللسان» و كلّ واحد منها على نوعين: بعد النسيان او بدونه.

و على اية حال ليس المقصود من الذكر- في الآيه أعلاه- هو ذكره باللسان فقط فنقوم بتسيححه و تهليله و تكبيره، بل المقصود هو التوجّه القلبي له و ادراك علمه و بآئه الحاضر و الناظر، و هذا التوجّه هو مبدا الحركة و العمل و الجهاد و السعى نحو الخير، و هو سدّ منبع عن الذنوب، فهذا هو الذكر الذي له كلّ هذه الآثار و البركات كما اشارت اليه عدّه من الروايات.

ص: ٤١٠

١- (١) و قد أشرنا الى هذه المسأله من تفسير الأمثل ذيل الآيه (٢) من سوره الأنفال.

فمن وصايا النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لِلْإِمَامِ عَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ

يقول له: «يا علي، ثلاث لا تطيقها هذه الأمة: المواساة للأخ في ماله، و انصاف الناس من نفسه، و ذكر الله على كل حال، و ليس هو سبحانه الله و الحمد لله و لا اله الا الله و الله اكبر، و لكن إذا ورد على ما يحرم عليه خاف الله عزّ و جلّ عنده و تركه» (١).

و

قال الامام على عليه السّلام: «الذكر ذكران: ذكر الله عزّ و جلّ عند المصيبة، و أفضل من ذلك ذكر الله عند ما حرّم الله عليك فيكون حازماً» (٢).

و لهذا السبب اعتبرت بعض الروايات الذكر وقايه و وسيله دفاعيه، كما

ورد عن الامام الصادق عليه السّلام قال: «انّ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ خاطب أصحابه يوماً فقال لهم: اتّخذوا جننا، فقالوا يا رسول الله امن عدو و قد أظننا؟ قال: لا، و لكن من النار، قولوا:

سبحان الله و الحمد لله و لا اله الا الله و الله اكبر» (٣).

و إذا ما رأينا أنّ بعض الروايات تتحدّث عن «ذكر الله» أنّه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فذلك لانه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يذكّر الناس بالله تعالى، و

قد روى عن الامام الصادق عليه السّلام في تفسير الآيه <sup>□</sup>أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ <sup>□</sup>تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ قال: «بمحمّد تطمئن القلوب و هو ذكر الله و حجاب».

ص: ٤١١

١- ١) سفينه البحار، المجلد الأوّل، صفحه ٤٨٤.

٢- ٢) المصدر السابق.

٣- ٣) المصدر السابق.

اشاره

كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ لِيَتْلُوا عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ (٣٠) وَ لَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى بَلِ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا أَفَلَمْ يَنبَأْسِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَوْ شَاءَ اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعًا وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصَِّبُهُمْ بِمَا صَيَّعُوا فَرِيعَةً أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِنْ دَارِهِمْ حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِعَادَ (٣١) وَ لَقَدْ أُسْرِيَ بُرْسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ (٣٢)

اسباب النزول

قال بعض المفسرين: إن الآيه الاولى نزلت في صلح الحديبيه في السنه السادسه للهجره، و ذلك عند ما أرادوا كتابه معاهده الصلح،

قال النبي صلى الله عليه و آله و سلم لعلی

ص: ٤١٢

عليه السلام: «اكتب: بسم الله الرحمن الرحيم...» قال سهيل بن عمرو و معه المشركون:

نحن لا- نعرف الرحمن! و إنما هناك رحمان واحد في اليمامة «و كان قصدهم مسيلمه الكذاب» بل اكتب «باسمك اللهم» كما كانوا يكتبونه في الجاهليه، ثم

قال النبي صلى الله عليه و آله و سلم لعلي عليه السلام: «اكتب: هذا ما اتفق عليه محمد رسول الله...» فقال المشركون: إذا كنت رسول الله فإنه لظلم كبير ان نقاتلك و نمنعك من الحج، و لكن اكتب: هذا ما اتفق عليه محمد بن عبد الله!...

و في هذه الأثناء غضب صحابه الرسول صلى الله عليه و آله و سلم و قالوا: دعنا نقاتل هؤلاء المشركين، و لكن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم قال: «لا- اكتب كما يشاءون» و في هذه الأثناء نزلت الآيه أعلاه، و هي توبيخ المشركين على عنادهم و مخالفتهم في اسم الرحمن الذي هو واحد من صفات الله جلّ و علا.

هذا السبب في النزول يمكن ان يكون صحيحا في حاله اعتقادنا بأن السوره مدنيه حتى توافق حادثه صلح الحديبيه، و لكن المشهور أنها مكيه. إلا إذا اعتبرنا ان سبب النزول هو ردّ على المشركين كما في الآيه (٦٠) من سوره الفرقان أسجدوا للرحمن قالوا وَمَا الرَّحْمَنُ .

و على أيه حال، و بغض النظر عن سبب النزول، فإن الآيه لها مفهوم واضح سوف نتطرق اليه في تفسيرنا لها.

و قال بعض المفسرين في سبب نزول الآيه الثانيه: أنها جواب لمجموعه من مشركي مكه، حيث كانوا جالسين خلف الكعبه و طلبوا النبي صلى الله عليه و آله و سلم، فجاءهم صلى الله عليه و آله و سلم «على امل هدايتهم» قالوا: إذا كنت تحب ان نكون من أصحابك فأبعد هذه الجبال قليلا الى الورا حتى تتسع لنا الأرض! و شق الأرض لكي تتفجر العيون و الأنهار حتى نغرس الأشجار و نقوم بالزراعه! الم تعتقد بأنك لا تقلّ عن داود الذي سخر الله له الجبال تسبح معه؟ او انّ تسخر لنا الريح حتى نساfer عليها الى الشام و نحلّ مشاكلنا التجاريه و ما نحتاج اليه ثم نعود في نفس

ذلك اليوم! كما كانت مسخره لسليمان عليه السلام، الم تعتقد أنك لا تقل عن سليمان، أو احبى لنا جدك «قصي» او اى واحد من موتانا كى نسأله هل انّ ما تقوله حق ام باطل، او ليس عيسى كان يحيى الموتى! و فى هذه الأثناء نزلت الآيه الثانيه تذكرهم بأنّ كلّ ما يقولونه سببه الخصومه و العناد لا لكى يؤمنوا، و الا فهناك معجزه كثيره حصلت لهم.

## التفسير

## اشاره

### لا امل فى ايمان اهل العناد:

تبحث هذه الآيات مره ثانيه مسأله النبوه، و الآيات اعلاه تكشف عن قسم آخر من جدال المشركين فى النبوه و جواب القرآن عليهم فيقول الآيه: كما أنّنا أرسلنا رسلا الى الأقسام السالفه لهدايتهم: كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّهٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ وَ الْهَدَفِ مِنْ ذَلِكَ لِيُتْلَوْا عَلَيْهِمْ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ. فى الوقت الذى وَ هُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ الَّذِي عَمَّتْ رَحْمَتُهُ كُلَّ مَكَانٍ، و شمل فيضه المؤمن و الكافر.

ثم قل لهم: انّ الرحمن الذى عمّ فضله هو ربى قل هو ربى لا إله إلا هو عليه توكلت و إليه متاب .

ثمّ يجيب أولئك الذين يتشبّهون دائما بالحجج الواهيه فيقول: لو أنّ الجبال تحرّكت من مكانها بواسطه القرآن: وَ لَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كَلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى . فمع ذلك لا يؤمنون به.

و لكنّ كلّ هذه الأفعال بيد الله و يفعل ما يريد متى يشاء بلّ لله الأمر جميعاً .

و لكنكم لا- تطلبون الحقّ، و إذا كنتم تطلبونه فهذا المقدار من المعجزه التى صدرت من الرّسول صلّى الله عليه و آله و سلّم كاف لايمانكم.

ثمّ يضيف القرآن الكريم أَلَمْ يَنَاسِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهَدَى



و هذه اشاره الى ان الله سبحانه و تعالى يستطيع ان يجبر الناس و حتى المعاندين على ان يؤمنوا، لأنه القادر على كل شيء، و لكنه لا يفعل ذلك ابدًا، لأن هذا الايمان الاجباري لا قيمه له و هو فاقد للمعنى و التكامل الذى يحتاجه الإنسان فى حياته.

ثم تضيف الآيه وَ لَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ وَ هَذِهِ مَصَائِبُ نَزَلَ عَلَيْهِمْ بِشُكْلِ ابْتِلَاءَاتٍ مُخْتَلِفَةٍ أَوْ عَلَى شَكْلِ هَجُومِ الْمُسْلِمِينَ عَلَيْهِمْ. وَ هَذِهِ الْمَصَائِبُ أَنْ لَمْ تَنْزَلْ فِي دَارِهِمْ فَهِيَ أَوْ تَحِلُّ قَرِيباً مِنْ دَارِهِمْ لِكَيْ يَعْتَبِرُوا بِهَا وَ يَرْجِعُوا إِلَى اللَّهِ جَلًّا وَ عِلًّا.

وَ هَذَا الْإِنذَارُ مُسْتَمِرٌّ حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ .

و هذا الوعد الأخير قد يشير الى الموت، او الى يوم القيامة، او على قول البعض الى فتح مكه التى سحقت آخر معقل للعدو.

وَ عَلَى آيَةِ حَالٍ فَالْوَعْدُ الْإِلَهِيُّ الْكَامِلُ: إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ .

الآيه الاخيره من هذه المجموعه تخاطب النبى صلى الله عليه و آله و سلم فتقول له: لست الوحيد من بين الأنبياء تعرّض لطلب المعاجز الاقتراحيه و الاستهزاء من الكفار، بل وَ لَقَدْ اسْتَهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ . و لكن لم نعاقب هؤلاء الكفار فوراً، بل فَأَثَلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِكَيْ يَسْتَيْقِظُوا وَ يَعُودُوا إِلَى طَرِيقِ الْحَقِّ، او نلقى عليهم الحجة الكافيه على الأقل. لأن هؤلاء إذا كانوا مذنبين فإن لطف الله و كرمه و حكمته لا تتأثر بأفعال هؤلاء.

ص: ٤١٥

١-١) «يأس» مأخوذه من مادّه اليأس، و لكن يقول جمهور من المفسرين: أنها جاءت هنا بمعنى العلم، و أما ما يقوله البعض [طبقاً لما نقله الفخر الرازى] ان «يئست» لا- تأتي بمعنى «علمت» إطلاقاً، و يرى الراغب فى مفرداته ان اليأس هنا هو نفس معناه، و لكن يحتاج لتحققه الى العلم بعدم تحقق الموضوع، و على هذا يكون ثبوت يأسهم يتوقف على علمهم و تكون نتيجته ان اليأس هنا ليس العلم بالوجود، بل العلم بالعدم، و هو مخالف لمفهوم الآيه، و على ذلك فالحق ما قاله جمهور المفسرين، و ما ذكره من شواهد فى قول العرب على ذلك، و قد ذكر الفخر الرازى فى تفسيره امثله من هذه الشواهد [دققوا النظر].

و على آيه حال فهذا التأخير ليس بمعنى نسيان العقاب، بل **ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ** و هذا المصير ينتظر قومك المعاندين ايضا.

## بحوث

## اشاره

### ١- لماذا التركيز على كلمه «الرحمان»

؟ توضّح الآيه أعلاه، و ما ذكرناه فى اسباب النزول، أنّ كفّار قريش لم يوافقوا على وصف الله بالرحمن، و بما أنّ ذلك لم يكن سائدا لديهم، فإنّهم كانوا يستهزئون به، فى الوقت الذى نرى فيه الآيات السابقه تصرّ و تؤكد على ذلك، لأنّ فى هذه الكلمه لطفًا خاصيًا، و نحن نعلم أنّ صفه الرحمانيه تعمّ و تشمل المؤمن و الكافر، الصديق و العدو، فى الوقت نفسه فإنّ صفه الرحيم خاصيه بعباده المؤمنين.

فكيف لا تؤمنون بالله الذى هو اصل اللطف و الكرم حتى شمل أعداءه بلطفه و رحمته، فهذا منتهى الجهل.

### ٢- لماذا لم يستجب النبى لمطالبهم

و مرّه اخرى نواجه هنا ما يقوله البعض من أنّ النبى صلّى الله عليه و آله و سلّم لم تكن لديه معجزه غير القرآن الكريم، و يستندون فى ذلك الى الآيه أعلاه و أمثالها، لأنّ ظاهر هذه الآيات أنّ النبى لم يستجب الى طلبهم فى اظهار المعاجز المختلفه من قبيل تسيير الجبال او شقّ الأرض و اظهار العيون و احياء الموتى و التكلم معهم.

و لكن - كما قلنا مرارا - الاعجاز يتمّ لإظهار الحقيقه فقط، و لأولئك الذين يطلبون الحقّ، فليس النبى صلّى الله عليه و آله و سلّم رجل سحر حتى ينفذ لهم كلّ ما يطلبونه منه او

يقترحونه عليه ثم بعد ذلك لا يقبلون منه.

إنّ مثل هذا الطلب للمعاجز (المعاجز الاقتراحية) كان يصدر فقط- من الافراد المعاندين و الجاهليين الذين لم يستجيبوا لايّ حقّ. و الآيات أعلاه تشير الى ذلك بوضوح، ففي الآيه الاخيرہ تتحدّث عن استهزائهم بالنبي صلّى الله عليه و آله و سلّم، و هذا يعنى أنّهم لم يطلبوا المعجزه من اجل الحقّ، بل كان طلبهم استهزاء بالرّسول صلّى الله عليه و آله و سلّم.

و بالاضافه الى ما ذكرناه من اسباب النزول فى بدايه التفسير لهذه الآيات، يمكن ان نستفيد من خلال طلبهم من النبي صلّى الله عليه و آله و سلّم احياء واحد من أجدادهم لكى يسألوه: هل انّ ما تقوله حقّ ام باطل؟ فلو استجاب لهم النبي هذا الطلب فما معنى سؤالهم انّ النبي على حقّ ام باطل؟ و هذا يوضّح انّ هؤلاء هم افراد متعصّيون و معاندون و هدفهم ليس البحث عن الحقيقه، (و لنا توضيح آخر من هذا الموضوع فى ذيل الآيه ٩٠ من سوره الاسراء).

### ٣- ما هي القارعه

؟ «القارعه» مأخوذه من مادّه «قرع» بمعنى طرق، و على ذلك تكون القارعه بمعنى الطارقه، و تشير هنا الى الاحداث التى تفرع الإنسان و تنذره و إذا كان مستعدّاً للنهوض أيقظته.

و فى الحقيقه انّ للقارعه معنى واسعاً، فهى تشمل كلّ مصيبه و مشكله و حادثه تحيط بالإنسان.

و لذلك يعتقد بعض المفسّرين أنّها تعنى الحروب و الجفاف و القتل و الأسر، و يرى آخرون أنّها تشير الى الحروب التى كانت تقع فى صدر الإسلام تحت

عنوان «السريه» التي لم يكن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يشترك فيها، بل كان يأمر أصحابه بها، و لكن معنى القارعه يشمل جميع هذه الاحداث.

و من الطريف ان الآيات أعلاه تشير الى ان الحوادث هذه اما ان تنزل عليهم او تقع قريبا من دارهم، و هذا يعني: إذا لم تصيبهم هذه الحوادث في دارهم، فأنها سوف تقع قريبه منهم، فهل لا تكفى هذه الحوادث ليقاظهم؟

ص: ٤١٨

اشاره

أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلُوبًا قَلِيلٌ سَمُّوهُمْ أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ أَمْ بَيِّنٌ مِنَ الْقَوْلِ بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ (٣٣) لَهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَقُّ وَمَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَّاقٍ (٣٤)

التفسير

اشاره

كيف تجعلون الأصنام شركاء مع الله

؟! نعود مرّة اخرى في هذه الآيات الى البحث حول التوحيد و الشرك، و هي تخاطب الناس من خلال دليل واضح حيث يقول تعالى: أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ (١) و هذه الجملة تريد ان تقول بوضوح انّ الله سبحانه و تعالى و كأنه واقف على راس كلّ شخص و يعلم بما يفعلونه و يجازى عليه و بيده تدبير الأمور، و لذلك فإنّ كلمه «قائم» لها معنى واسع يشمل كلّ هذه الأمور، مع انّ

ص: ٤١٩

١- (١) الجملة أعلاه مبتدا لخبر محذوف تقديره أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ كمن ليس كذلك.

مجموعه من المفسرين يرى لها ابعادا خاصه.

و لإتمام البحث السابق، و مقدمه للبحث الآتي، يقول تعالى: **وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ** .

ثم يجيبهم بلا فاصله و بعده طرق:

يقول أولا: **قُلْ سَمُّوهُمْ** .

و المقصود من تسميتهم هو اما ان يكونوا ليست لهم ايه قيمه بحيث لا تستطيعون تسميتهم، فكيف تجعلون هذه الموجودات التي لا- تستحق حتى الأسماء و التي لا- قيمه لها، في عداد الخالق القادر المتعال؟ او يكون المقصود: بينوا صفاتهم لكي نرى هل يستحقون العباده، فنحن نقول في صفات الله جلّ و علا- بأنه الخالق، و الرازق، و المحيي و العالم و القادر، فهل تستطيعون ان تمنحوا هذه الصفات للأصنام؟! او بالعكس إذا أردنا تسميتها نقول بأنها أحجار و أخشاب ساكنه و فاقده للعقل و الشعور، و محتاجه لمن يعبدها، و خلاصه القول أنّها فاقده لكلّ شيء! فكيف نجعلها سواء مع الله؟ أ فلا تعقلون؟! او يكون المقصود: عدّوا لنا اعمالهم، فهل كشفوا الضرّ لأحد او منحوا الخير لأحد؟ و هل حلّوا العقد و المشاكل؟! و مع هذا الوضع فأى عقل يجيز لكم ان تجعلوهم قرناء مع الله جلّ و علا و هو مصدر الخير و البركه و النافع و الضارّ و المثير و المعاقب!.

طبعاً لا مانع من ان تجتمع كلّ هذه المعاني في جمله سَمُّوهُمْ! و يقول ثانيا: **أَمْ تُبْتِئُونَهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ** .

و هذا التعبير في الحقيقه أفضل أسلوب للجواب على حديثهم الواهي، و كمثال على ذلك يقول لك احد الأشخاص: انّ فلانا كان ضيفا عندكم البارحه، فتقول له: هل تخبرني عن ضيف لا علم لي به؟! يعني هل من الممكن ان أحدا

يكون ضيفى و لا- اعلم به و أنت تعلم بذلك؟! ثالثا: حتى أنتم فى الواقع لا تؤمنون بذلك فى قراره أنفسكم، بل أم بظاهر من القول .

و لهذا السبب نرى المشركين عند ما تضيق بهم المشاكل الحياتيه يلوذون بالله، لأنهم يعلمون فى قلوبهم أن الأصنام لا يمكن ان تعمل لهم شيئا، كما بين القرآن الكريم حالهم فى الآيه (٦٥) من سوره العنكبوت حيث يقول تعالى: فَأِذَا رَكَبُوا فِي الْفُلْكِ دَعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ .

رابعا: ان المشركين ليس لهم ادراك صحيح، و بما أنهم تابعين لاهوائهم و تقليدهم الأعمى، فإنهم غير قادرين على ان يقضوا بالحق و بشكل صحيح، و لهذا السبب ضلوا الطريق، يقول تعالى: بَلْ زَيْنَ الدِّينِ كَفَرُوا مَكْرَهُمْ وَ صُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ وَ مَنْ يَضِلِّ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ .

و قد قلنا مرارا: ان هذا الضلال ليس جبرا، و لا هو اعتباطا و بدون حساب، بل الإضلال الالهى انعكاس لما يقوم به الإنسان من الأعمال السيئه التى تجره الى الضياع، و بما ان هذه الخاصيه قد جعلها الله سبحانه و تعالى لمثل هذه الأعمال فلذلك نسب هذا العمل اليه.

و يشير القرآن الكريم فى الآيه الاخيره من هذه المجموعه الى العقاب الأليم الذى يشملهم فى الدنيا و الآخرة، الشقاء و الهزيمة و الحرمان و غيرها، حيث تقول: لَهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ لَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَقُّ لَأَنَّهُمْ دَائِمُهُ وَ مُسْتَمِرَّهُ، جسديه و روحيه، و فيها انواع الآلام.

و إذا اعتقدوا بأن لهم طريقا للفرار او سبيلا للدفاع فى مقابل ذلك، فإنهم فى اشتباه كبير، لان و ما لهم من الله من و اق .

اشاره

مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ (٣٥)

التفسير

بالنظر الى تناوب آيات هذه السوره فى بيان التوحيد و المعاد و سائر المعارف الاسلاميه الاخرى، تحدثت هذه الآيه مره اخرى حول المعاد و خصوصا نعم الجنه و عذاب الجحيم. يقول تعالى اولاً: مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ (١).

قد يكون التعبير ب«مثل» اشاره الى هذه النكته، و هى انّ الجنه و سائر النعم الاخرويه غير قابله للوصف بالنسبه الى الساكنين فى هذا العالم المحدود الذى هو فى مقابل عالم بعد الموت يعتبر صغيراً جداً، و لذلك نستطيع ان نضرب لهم مثلاً او صورته عن ذلك، كما انّ الجنين فى بطن امه لو كان يعقل لا يمكن ان نصور له كلّ نعم الدنيا، الا من خلال أمثال ناقصه و شاحبه!

ص: ٤٢٢

---

١ - ١) هناك نقاش بين المفسرين حول تركيب هذه الجملة فقال البعض: انّ «مثل» مبتدا و «تجرى» خبرها، و قال بعض آخر: انّ «مثل» مبتدا و خبره محذوف تقديره «فيما نقص عليكم مثل الجنه».



الوصف الثاني للجنة هو أَكُلُّهَا دَائِمٌ .

فهى ليست كفاكهة الدنيا فصليه و تظهر فى وقت معيّن من السنه،بل فى بعض الأحيان و بسبب الآفات الزراعيه تنقطع تماما،لكن ثمار الجنة ليست فصليه و لا موسميّه و غير مصابه بآفه،بل كإيمان المؤمنين المخلصين دائمه و ثابتة.

و كذلك وَ ظِلُّهَا ليس كظلّ أشجار الدنيا التى يظهر ظلّها إذا كانت الشمس افقيه و يزول او يقل إذا صارت عموديه،او يظهر فى الربيع و الصيف عند ما تكون الأشجار مورقه،و يزول فى الخريف و الشتاء عند تساقط الأوراق،(بالطبع هناك أشجار قليلة تعطى ثمارا و ازهارا على مدار السنه،و هذه تكون فى المناطق المعتدله التى ليس فيها شتاء).

الخلاصه:ظلال الجنة كبقية النعم الاخرى خالده،و دائمه،و من هذا يتّضح ان ليس فى الجنة فصل لتساقط الأوراق،و نعلم من ذلك-ايضا-ان شعاع الشمس موجود فى الجنة،و الا كان التعبير بالظل هناك بدون شعاع الشمس ليس له اى مفهوم،و اما ما جاء فى الآيه (١٣) من سوره الدهر لا يَرُونَ فِيهَا شَمْسًا وَ لا زَمْهَرِيرًا قد تكون اشاره الى اعتدال الهواء،فلا الشمس محرقه و لا البرد قارس،و هذا لا يعنى ان لا تكون هناك شمس أصلا.

ان انطفاء الشمس ليس دليلا على زوالها ابداء،لان القرآن الكريم يقول:

يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَ السَّمَاوَاتُ

(١)

تكون أوسع و بهيئه جديده.

و إذا قيل:ان كانت شمس الجنة غير محرقه،فعلام الظلّ؟ نقول فى جوابهم:انّ الظلّ ليس مانعا لحراره الشمس فقط،بل انّ الرطوبه المعتدله الصادره من الأوراق باتحادها مع الاوكسجين تعطى نشاطا و لطافه خاصه للظلّ،و لذلك كان ظلّ الأشجار مختلفا عن ظلّ السقوف الجافه.

ص: ٤٢٣

و بعد بيان هذه الصفات الثلاث قال تعالى في آخر الآية: تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ .

لقد بين و فصل في هذه العبارة نعم الجئه، و لكن بالنسبه الى اصحاب النار ذكر جمله قصيره و بعنف حيث ذكر ان عاقبه امرهم الى النار!

ص: ٤٢٤

اشاره

وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ الْأَحْزَابِ مَنْ يُنْكِرُ بَعْضَهُ قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ إِلَيْهِ  
أَدْعُوا وَإِلَيْهِ مآبِ (٣٦)

التفسير

اشاره

المؤمنون و الأحزاب

! اشارت هذه الآيه الى ردّ الفعل المتفاوت للناس في مقابل نزول الآيات القرآنيه، فالأفراد الذين يبحثون عن الحقيقه يفرحون بما  
انزل على الرسول، بينما المعاندون يخالفون ذلك.

يقول تعالى أولاً: وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ .

انّ الوصف ب آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ اشاره الى اليهود و النصارى و أمثالهم ممّن لهم كتاب سماوى و قد ذكرهم القرآن في مواطن  
كثيره، فكان الأشخاص الطالبون للحقّ من اليهود و النصارى و أمثالهم يفرحون عند نزول الآيات على الرسول صلّى الله عليه و  
آله و سلّم، لأنهم كانوا من جهه يرونها مطابقه لما فى أيديهم من العلامات، و من جهه اخرى كان سببا لحريرتهم و نجاتهم من شرّ  
الخرافات و من علماء اليهود

والمسيحيه الذين كانوا يستعبدونهم، وكانوا محرومين من حرية الفكر والتكامل الانساني.

و اما ما قاله بعض المفسرين الكبار من ان المقصود من الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ هم اصحاب النبي محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَ سَلَّمَ فبعيد جدا، لان هذا الوصف ليس معهودا بالنسبه للمسلمين، بالاضافه الى ذلك فانها غير موافقه مع جمله بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ (١)

و بما ان سورة الزعد مكيه فهي غير منافيه لما قلناه آنفا، مع ان المركز الاصلى لليهود فى الجزيره العربيه كان المدينه و خيبر، و المركز الاصلى للمسيحيين هو نجران و أمثالها، و لكنهم كانوا يترددون على مكه و يعكسون افكارهم و معتقداتهم فيها، و لهذا السبب كان اهل مكه يعرفون علامات آخر نبي مرسل و كانوا ينتظرونه (قصه ورقه بن نوفل و أمثالها معروفه).

و هناك شواهد لهذا الموضوع فى آيات اخرى من القرآن الكريم و التى كان يفرح المؤمنون من اهل الكتاب عند نزول الآيات على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَ سَلَّمَ، فمثلا الآيه (٥٢) من سورة القصص تقول: الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ .

ثم تضيف الآيه وَ مِنَ الْأَحْزَابِ مَنْ يُنْكِرُ بَعْضَهُ الْمَقْصُودُ مِنْ هَذِهِ الْمَجْمُوعَةِ هِيَ نَفْسُ جَمَاعَةِ الْيَهُودِ وَ النَّصَارَى الَّذِينَ غَلِبَهُمُ التَّعَصُّبُ الطَّائِفَى وَ أَمْثَالُهُ، و لذلك لم يعبر القرآن الكريم عنهم بأهل الكتاب، لانهم لم يتبعوا كتبهم السماويه. بل كانوا فى الحقيقه أحزابا و كتلا تابعين لخطهم الحزبى، و هذه المجموعه كانت تنكر كل ما خالف ميلهم و لم يطابق أهواءهم.

و يحتمل ايضا ان كلمه «الأحزاب» اشاره الى المشركين، لان سورة

ص: ٤٢٤

١- ١) لانه يلازم هذا الحديث ان يكون ما انزل إليك هو نفس «الكتاب» فالاثان يشيران الى القرآن، فى الوقت الذى نرى فيه من قرينه المقابله ان المقصود من «الكتاب» غير ما انزل إليك.

الأحزاب ذكرتهم بهذا التعبير، وهؤلاء في الحقيقة ليس لهم دين ولا مذهب بل كانوا على شكل احزاب و كتل متفرقة اتحدوا في مخالفتهم للقرآن و الإسلام.

و نقل العلامة الطبرسي و بعض آخر من المفسرين الكبار عن ابن عباس، أنّ هذه الآية اشاره الى المشركين الذين كانوا يخالفون وصف الله بالرحمن، و اهل الكتاب-خصوصا اليهود-يفرحون بهذا الوصف «الرحمان» في الآيات القرآنية، و مشركي مكه كانوا يسخرون منه بسبب عدم معرفتهم به.

و في آخر الآية يأمر الله النبي صلى الله عليه و آله و سلم ان لا يعتنى بهذا و ذلك من المخالفين، بل يدعوه الى الثبات على الخطّ الأصيل و الصراط المستقيم حيث يقول تعالى: قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَ لَا أُشْرِكَ بِهِ إِلَيْهِ أَدْعُوا وَ إِلَيْهِ مَأْبٍ وَ تِلْكَ دَعْوَةُ الْمُوَحِّدِينَ الصَّادِقِينَ وَ الْمُؤْمِنِينَ الرَّسَالِيِّينَ ان يَسْلَمُوا امام الأوامر الالهية، فالرسول صلى الله عليه و آله و سلم كان خاضعا لكلّ ما انزل عليه، فلا يأخذ ما كان يوافق ميله و يترك غيره.

## بحث

## اشاره

## الايمان و الائتلاف الحزبي:

رأينا في الآية كيف أنّ الله سبحانه و تعالى عبّر عن المؤمنين من اليهود و النصارى بأهل الكتاب، و عبّر عن أولئك التابعين للعصبيه و الأهواء بالأحزاب، و هذا غير منحصر في تاريخ صدر الإسلام، بل أنّ هذا التفاوت موجود دائما بين المؤمنين الحقيقيين و الذين يدعون الايمان، فالمؤمنون الحقيقيون يقولون بالتسليم المطلق لكلّ الأوامر الالهية، و لا يقولون بالتبعيض، و يجعلون ميلهم تحت ذاك الشعاع، فهم اهل لان يسميهم القرآن اهل الكتاب و الايمان.

بينما أولئك فهم مصداق الآية تُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَ نَكْفُرُ بِبَعْضٍ و معناه كلّ ما

طابق خطهم الفكري و ميلهم الشخصى و أهواءهم يقبلونه، و كل ما خالف منافعهم الشخصيه ينكرونه، فهؤلاء ليسوا بمسلمين و لا مؤمنين، بل احزاب و كتل يبحثون عن مصالحهم فى الدين، و لذلك كانوا يقولون بالتبعيض فى التعاليم الاسلاميه.

ص: ٤٢٨

اشاره

وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا وَ لَئِنْ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعِيدَ مَا لِيَأْتِيَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ (٣٧) وَ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَ جَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَ ذُرِّيَّةً وَ مَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ (٣٨) يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَ يُمْسِكُ وَ عِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ (٣٩) وَ إِنْ مَا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَ عَلَيْنَا الْحِسَابُ (٤٠)

التفسير

اشاره

الحوادث «الثابتة» و«المتغيره»:

تتابع هذه الآيات المسائل المتعلقة بالنبوه، ففي الآيه الاولى يقول تعالى:

وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا

«العربي» كما يقول الزاغب في مفرداته «الفصيح البين من الكلام» و لذلك يقال للمراه العفيفه و الشريفه: أنها «امراه عربيه» ثم تضيف الآيه حُكْمًا عَرَبِيًّا

قيل معناه مفصحا يحقّ الحقّ و يبطل الباطل.

و يحتمل في «العربي» أنّ معناه «الشريف» لأنّها جاءت في اللغة بهذا المعنى. و على هذا فوصف القرآن بالعربي لأنّ احكامه واضحه و بيّنه. و لذلك وردت في عدّه آيات اخرى بعد «عربيا» مسأله الاستقامه و عدم الاعوجاج او العلم، منها في الآية (٢٨) من سوره الزمر قوله تعالى قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ و في الآية (٣) من سوره فصلت يقول تعالى: كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ. و على هذا فما قبل هذه الآية و ما بعدها يؤيّدان أنّ المراد من «عربيا» هو الفصاحه و الوضوح في البيان و خلوّه من الاعوجاج و الالتواء.

و هذه العبارة وردت في سبع سور من القرآن الكريم، و لكن ذكرت في عدّه موارد بشكل لِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ و التي يمكن ان يكون لها نفس المعنى. و يمكن ان يكون هذا الموضوع الخاص اشارته الى اللسان العربي، لأنّ الله سبحانه و تعالى بعث كلّ نبي بلسان قومه، حتّى يهدى قومه أوّلا، ثمّ تنتشر دعوته في المناطق الاخرى.

ثمّ يخاطب القرآن النّبي صلّى الله عليه و آله و سلّم بلحن التهديد و بشكل قاطع حيث يقول:

وَلَيْنِ اتَّبَعَتْ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ

و بما أنّ احتمال الانحراف غير موجود إطلاقا في شخصيّة الرّسول صلّى الله عليه و آله و سلّم لما يتميّز به من مقام العصمه و المعرفة، فهذا التعبير -أوّلا- يوضّح أنّ الله سبحانه و تعالى ليس له ارتباط خاص مع اى احد حتّى لو كان نبيا، فمقام الأنبياء الشامخ أنّما هو بسبب عبوديتهم و تسليمهم و استقامتهم.

و ثانيا: تأكيد و إنذار للآخرين، لأنّ النّبي صلّى الله عليه و آله و سلّم إذا لم يكن مصونا من العقوبات الالهية في حاله انحرافه عن مسيره الحقّ و اتّجاهه صوب الباطل، فما بال الآخرين؟ و لا بدّ من ذكر هذه النقطة، و هي أنّ «ولى» و «واق» مع أنّهما متشابهان في



المعنى، و لكن هناك تفاوت بينهما و هو أنّ أحدهما بيّن جانب الإثبات و الآخر جانب النفي، فواحد بمعنى النصره و الدعم، و الآخر بمعنى الدفاع و الحفظ.

الآيه الاخرى- فى الواقع-جواب لما كان يستشكله اعداء الرّسول صلّى الله عليه و آله و سلّم.

و من جمله هذه الإشكالات:

أولاً: كان البعض يقول: هل من الممكن ان يكون الرّسول من جنس البشر، يتزوّج و تكون له ذريه؟ فالآيه تجيبهم و تقول ليس هذا بالأمر الغريب: **وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَ جَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَ ذُرِّيَّةً (١)**.

و يتبيّن من اشكالهم أنّهم اّما ان يكونوا غير عالمين بتاريخ الأنبياء، او أنّهم يتجاهلون ذلك و الّا لم يوردوا هذا الاشكال.

ثانياً: كان ينتظر هؤلاء من الرّسول ان يجيبهم على كلّ معجزه يقتضونها عليه بما تقتضيه احوالهم، سواء آمنوا او لم يؤمنوا، و لكن يجب ان يعلم هؤلاء أنّ **وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ**.

ثالثاً: لماذا جاء نبي الإسلام صلّى الله عليه و آله و سلّم و غير احكام التوراه و الإنجيل، و ليست هذه كتب سماويه؟ و هل من الممكن ان ينقض الله أوامره؟ (هذا الاشكال كان يطابق ما يقوله اليهود من عدم نسخ الأحكام).

و تجيب الجملة الاخير من الآيه فتقول: **لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ**، كما تبلغ البشريه المرحله النهائيه من الرّشد و التكامل فليس من العجيب ان ينزل يوما التوراه، و يوما آخر الإنجيل، ثمّ القرآن، لأنّ البشريه فى تحوّلها و تكاملها بحاجه الى البرامج المتغيّره و المتفاوته.

و يحتمل أنّ جمله **لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ** جواب لمن كان يقول: إذا كان الرّسول صادقا، لماذا لا- ينزل الله عذابه و سخطه على المخالفين و المعاندين؟ فيجيبهم

ص: ٤٣١

١-١) يقول بعض المفسّرين فى سبب نزول هذه الآيه: أنّها جواب لما كان يورده البعض من تعدّد ازواج الرّسول، فى الوقت الذى نرى أنّ سوره الرّعد مكّيه و تعدّد الزوجات لم يكن حينذاك.

القرآن بأنَّ لِكُلِّ كِتَابٍ و ليس بدون حساب و كتاب، و سوف يصل الوقت المعلوم للعقاب (١).

الآيه الاخرى بمنزله التأكيد و الاستدلال لما ورد فى ذيل الآيه السابقه، و هو انَّ لِكُلِّ حَدْثٍ و حكم زمن مَعِينٍ كما يقال: انَّ الأُمُورَ مَرهُونَةٌ بِأَوْقَاتِهَا، و إذا رأيت انَّ بعض الكتب السِّماويه تأخذ مكان البعض الآخر و ذلك بسبب يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَ يُثَبِّتُ وَ عِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ فيحذف بعض الأمور بمقتضى حكمته و ارادته و يثبت أموراً اخرى، و لكن الكتاب الأصل عنده.

و فى التَّهْيِئَةِ و للتأكيد اكثر بالنسبه للعقوبات التى كان يوعدهم النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ بِهَا و كانوا ينتظرونها حتَّى أَنَّهُمْ يَقُولُونَ: لِمَاذَا لَا- تصبِح هذه الوعود عمليه؟ يقول تعالى وَ إِنِّ مَا نُزِّينُكَ بِعَظْمِ الَّذِى نَعِدُهُمْ (من انتصارك عليهم و هزيمتهم و تحرير اتباعك و أسر اتباعهم فى حياتك) أَوْ نَتَوَفِّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَ عَلَيْنَا الْحِسَابُ .

## نقطتان

### اشاره

يجب الانتباه الى هاتين النقطتين:

### ١- لوح المحو و الإثبات و أم الكتاب

مع انَّ جمله يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ... نزلت فى مجال المعاجز و الكتب السِّماويه الى الأنبياء، لكنَّها تبين قانوناً عامّاً و شاملاً و قد أُشير اليه فى مختلف المصادر الاسلاميه، و هو انَّ تحقُّق و صيروره الحوادث المختلفه للعالم لها مرحلتين: الاولى المرحله القطعيه او الثابته، و لا سبيل للتغيير فيها(و التى

ص: ٤٣٢

١- ١) و لتطابق هذا المعنى يجب ان يكون هناك تقديم و تأخير فى الجملة أعلاه، و يقال فى تقديره لكل كتاب اجل كما قاله بعض المفسرين.

اشارت إليها الآية أعلاه بأم الكتاب) والآخرى المرحلة المتغيره او بعبارته اخرى «المشروطه» والتي يجد التغيير سبيلا إليها، وقد عبر عنها بالمحو والإثبات.

و أحيانا يقال عن المرحلتين: «اللوح المحفوظ» و«لوح المحو و الإثبات» كأن ما كتب في اللوح الاوّل محفوظ لا يتغير، أما الثاني فمن الممكن محو ما كتب فيه و تغييره.

و أما حقيقه الأمر فإننا-أحيانا-ننظر الى الحوادث بأسباب و علل ناقصه، فمثلا إذا أخذنا بنظر الاعتبار السّم الذى بمقتضى طبعه يؤدى الى قتل الإنسان و كلّ من يتناوله سوف يموت، بدون علم مسبق أنّ لهذا السّم ترياق آخر ضده لو شربناه بعده سوف يبطل مفعول الاوّل (و قد نكون على علم به لكن لا- نريد ان نتحدّث لسبب او لآخر عن الترياق) لاحظوا هنا أنّ هذه الحادثة (الموت بسبب استعمال السّم) ليس لها جانب قطعى، و بيان آخر أنّ مكانها فى (لوح المحو و الإثبات) و يجد التغيير سبيلا اليه بالنظر الى الأسباب الاخرى المرتبطه به.

و لكن لو نظرنا الى الحادثة من خلال العله التامه لها، يعنى توفرّ الشروط اللازمه و ازاله الموانع (استعمال السّم بدون استعمال الترياق) تكون الحادثة هنا قطعيه و بيان آخر: أنّ مكانها فى [اللوح المحفوظ و أم الكتاب]

و لا سبيل للتغيير فيها.

و يمكن ان نوضّح هذا الحديث بشكل آخر، و هو: أنّ للعلم الالهى مرحلتين (علم بالمقتضيات و العلل الناقصه) و (علم بالعلل التامه) فما ارتبط بالمرحله الثانيه نعبر عنها ب(أم الكتاب و اللوح المحفوظ) و ما ارتبط بالمرحله الاولى نعبر عنها ب(لوح المحو و الإثبات) و الأ فليس اللوح موضوعا فى زاويه من السماء حتى يكتبوا او يمحووا فيه شيئا و يثبتوا بدله شيئا آخر.

و من هنا تتضح الاجابه على كثير من الاسئله فى ضوء ما ورد فى المصادر الاصلية فى الإسلام، لأننا نقرا مرّه فى الزوايات او بعض الآيات القرآنيه، أنّ

العمل الفلاني له الأثر الكذائي، لكننا في بعض الأحيان لا نرى هذه النتيجة، وذلك بسبب أنّ تحقق تلك النتيجة يعتمد على شرائط او موانع لم تتحقق.

و هناك روايات كثيره فى باب (اللوح المحفوظ) و(لوح المحو و الإثبات) و علم الأنبياء و الائمه عليهم السلام، و على سبيل المثال نذكر قسما منها:

-١

اخرج ابن مردويه و ابن عساکر عن على عليه السلام انه سأل رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم عن هذه الآية فقال له: «لاقرن عينيك بتفسيرها و لاقرن عين امتى بعدى بتفسيرها، الصدقه على وجهها، و برّ الوالدين، و اصطناع المعروف، يحول الشقاء سعاده و يزيد فى العمر و يقى مصارع السوء» (١).

و هذه اشاره الى أنّ الشقاء و السيّء عاده ليست أموراً حتميه، حتى إذا ارتكب الإنسان إثماً و عدّ من الأشقياء فإنّ باستطاعته ان يغيّر من سلوكه و يتّجه صوب الخير، و خصوصاً مساعدته و خدمه عباد الله، لأنّ هذه الأمور مكانها فى (لوح المحو و الإثبات) لا(أم الكتاب).

و يجب الالتفات الى أنّ ما جاء فى هذا الحديث يبيّن قسماً من مفهوم الآية.

-٢

عن الفضيل بن يسار قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: «من الأمور امور محتومه كائنه لا محاله، و من الأمور امور موقوفه عند الله يقدم فيها ما يشاء و يمحو ما يشاء و يثبت ما يشاء» (٢).

و

عن الامام على بن الحسين عليه السلام قال: «لولا آيه فى كتاب الله لحدّثتكم بما كان و ما يكون الى يوم القيامة، فقلت له: آيه آيه؟ فقال: قال الله يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَ عِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ (٣).

و هذا الحديث دليل على أنّ اللوح المحفوظ و لوح المحو و الإثبات بكلّ

ص: ٤٣٤

(١-١) تفسير الميزان، المجلد ١١، ص ٤١٩.

(٢-٢) المصدر السابق.

(٣-٣) نور الثقلين، ج ٢، صفحہ ٥١٢.

خصوصياتها مختصه بالله جلّ و علا، و هناك قسم منها يعلم بها الخواص من عباده إذا اقتضت ضروره.

و نقرا في ادعيه ليالى شهر رمضان المبارك:

«و ان كنت من الأشقياء فاكتبني عندك من السعداء».

و على ايه حال فالمحو و الإثبات بهذا الشكل الذى قلناه له معنى جامع يشمل كلّ تغيير فى الحال بسبب تغيير الشروط و حدوث الموانع، و اما ما قاله بعض المفسرين من أنّ هذه الجملة اشاره الى مسأله محو الذنوب بسبب التوبه، او زياده و نقصان الرزق على اثر تغيير الشروط، ليس صحيحا، إلا إذا اعتبروها واحدا من مصاديقها.

## ٢- ما هو البداء

؟ «البداء» احد البحوث العويصه بين الشيعة و السنه.

يقول الرازى فى تفسيره الكبير فى ذيل الآيه- محلّ البحث-: «يعتقد الشيعة أنّ البداء جائز على الله، و حقيقه البداء عندهم أنّ الشخص يعتقد بشيء ثم يظهر له خلاف ذلك الاعتقاد، و لاثبات ذلك يتمسكون بالآيه **يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَ يُثَبِّتُ** ثم يضيف الرازى: أنّ هذه العقيدته باطله، لأنّ علم الله من لوازم ذاته، و محال التغيير و التبديل فيه».

و ممّا يؤسف له حقّا عدم المعرفه بعقيدته الشيعة فى مسأله البداء أدّت الى ان ينسب كثيرون تهما غير صحيحه الى الشيعة الاماميّه.

و لتوضيح ذلك نقول:

«البداء» فى اللغه بمعنى الظهور و الوضوح الكامل، و له معنى آخر هو الندم، لأنّ الشخص النادم قد ظهرت له -حتمًا- امور جديده.

لا شك، أنّ هذا المعنى الأخير بالنسبه الى الله تعالى مستحيل، و لا يمكن لاي

عاقِل و عارف ان يحتمل انّ هناك أموراً خافيه على الله ثمّ تظهر له بمرور الايام، فهذا القول هو الكفر بعينه، و لازمه نسبه الجهل و عدم معرفه الى ذاته المقدسه، و انّ ذاته محلاً للتغيير و الحوادث.

و حاشا للشيعه الاماميه ان يحتملوا ذلك بالنسبه لذات الله المقدسه! انّ ما يعتقد الشيعه من معنى البداء و يصرون عليه، هو طبقاً لما

جاء في روايات اهل البيت عليهم السلام: ما عرف الله حق معرفته من لم يعرفه بالبداء.

كثيراً ما يكون -و طبقاً لظواهر العلل و الأسباب- ان نشعر انّ حادثه ما سوف تقع او انّ وقوع مثل هذه الحادثه قد اخبر عنه النبي، في الوقت الذي نرى انّ هذه الحادثه لم تقع، فنقول حينها: انّ «البداء» قد حصل، و هذا يعنى انّ الذي كنّا نراه بحسب الظاهر سوف يقع و اعتقدنا تحققه بشكل قاطع قد ظهر خلافه.

و الأصل في هذا المعنى هو ما قلناه في بحثنا السابق، و هو انّ معرفتنا مرّه تكون فقط بالعلل الناقصه، و لا نرى الشروط و الموانع و نقضى طبقاً لذلك، و لكن بعد ان نواجه فقدان الشرط او وجود المانع و يتحقق خلاف ما كنّا نتوقعه سوف ننتبه الى هذه المسائل. و كذلك قد يعلم النبي او الامام بأمر مكتوبه في لوح المحو و الإثبات القابل للتغيير طبعاً، فقد لا- تتحقق أحياناً لمواجهتها بالموانع و فقدان الشروط.

و لكي تتضح هذه الحقيقه لا بدّ من مقايسه بين «النسخ» و «البداء»: نحن نعلم انّ النسخ جائز عند جميع المسلمين، يعنى من الممكن ان ينزل حكم في الشريعه فيتصوّر الناس انّ هذا الحكم دائمى، لكي بعد مدّه يعلن الرسول صلّى الله عليه و آله و سلّم عن تغيير هذا الحكم و ينسخه، و يحلّ محلّه حكماً آخر (كما قرانا في حادثه تغيير قبله).

انّ هذا في الحقيقه نوع من «البداء» و لكن في القضايا التشريعيه و القوانين و الأحكام يسمونه بـ «النسخ» و في الأمور التكوينيّه يسمّى بـ «البداء» و يقال

أحياناً: (النسخ في الأحكام نوع من البداء، و البداء في الأمور التكوينية نوع من النسخ).

فهل يستطيع احد ان ينكر هذا الأمر المنطقي؟ الآ- إذا كان لا- يفرّق بين العله التامه و العلل الناقصه، او كان واقعا تحت تأثير الدعايات المغرضه ضدّ شيعة اهل البيت عليهم السّلام، و لا يجيز له تعصّبه الأعمى ان يطالع عقائد الشيعة من نفس كتبهم، و العجيب أنّ الرازى قد ذكر مسأله «البداء» عند الشيعة في ذيل الآيه يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ بَدُونَ ان يلتفت الى أنّ البداء ليس اكثر من المحو و الإثبات، و هجم على الشيعة بعصبيته المعروفه و استنكر عليهم قولهم بالبداء.

اسمحو لنا هنا ان نذكر امثله مقبوله عند الجميع:

١-نقرا في قصّه «يونس» أنّ عدم طاعه قومه أدت الى ان ينزل العذاب الالهى عليهم، و قد تركهم النّبى لعدم هدايتهم و استحقاتهم العذاب، لكن فجأه وقع البداء حيث رأى احد علمائهم آثار العذاب، فجمعهم و دعاهم الى التوبه، فقبل الجميع و رفع العذاب فَلَوْ لَا كَانَتْ قَرْبِيَّةً آمَنْتُ فَفَعَلْتُهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ مَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ (١).

٢- و جاء في التاريخ الاسلامى أنّ السيّد المسيح عليه السّلام اخبر عن عروس أنّها سوف تموت فى ليله زفافها، لكنّها بقيت سالمه! و عند ما سأله عن الحادثه قال:

هل تصدّقتم فى هذا اليوم؟ قالوا: نعم. قال: الصدقه تدفع البلاء المبرم (٢)!

لقد اخبر السيّد المسيح عليه السّلام عن هذه الحادثه بسبب ارتباطه بلوح المحو و الإثبات، فى الوقت الذى كانت هذه الحادثه مشروطه (مشروطه بأن لا يكون هناك مانع مثل الصدقه) و بما أنّها واجهت المانع أصبحت النتيجة شيئاً آخر.

٣- و نقرا فى قصّه ابراهيم عليه السّلام -محطّم الأصنام- فى القرآن الكريم أنّه امر

ص: ٤٣٧

١- (١) يونس، ٩٨.

٢- (٢) بحار الأنوار الطبعه القديمه المجلد الثّانى صفحه ١٣١- عن امالى الصدوق.

بذبح إسماعيل، و ذهب بابنه الى المذبح و تله للجبين، فعند ما اظهر إسماعيل استعداداه للذبح ظهر البداء الالهي و ظهر أنّ هذا الأمر امتحان لكي يرى الله تعالى مستوى الطاعه و التسليم عند ابراهيم عليه السلام.

٤- و نقرا في سيره موسى عليه السّلام أنّه امر ان يترك قومه أوّلا ثلاثين يوما و يذهب الى مكان الوعد الالهي لاستلام احكام التوراه، لكن المده زادت عليها عشره ايام اخرى (و ذلك امتحانا لبنى إسرائيل).

هنا يأتي هذا السؤال: ما هي الفائده من هذه البداءات؟ الجواب على هذا السؤال ليس صعبا بالنظر الى ما قلناه سابقا، لأنّه تحدث مسائل مهمه-أحيانا-مثل امتحان شخص مع قومه، او تأثير التوبه و الرجوع الى الله (كما في قصه يونس) او تأثير الصدقه و مساعده المحتاجين و عمل الخير، كلّ ذلك يؤدّي الى دفع الحوادث المفجعه و أمثالها، و هذا يعني أنّ الحوادث المستقبلية قد نظمت بشكل خاص ثمّ تغيّرت الشروط فأصبحت شيئا آخر، حتّى يعلم الناس أنّ مصيرهم بأيديهم، و هم قادرون ان يغيروا مصيرهم من خلال تغيير سيرتهم و سلوكهم، و هذه اكبر فائده نلمسها من البداء «فتدبر».

فما ورد من أنّ أحدا إذا لم يعرف الله بالبداء لم يعرفه معرفه كامله، فهي اشاره لتلك الحقائق.

عن الامام الصادق عليه السّلام قال: «ما بعث الله عزّ و جلّ نبيا حتّى يأخذ عليه ثلاث خصال: الإقرار بالعبوديه، و خلع الأنداد، و أنّ الله يقدم ما يشاء و يؤخر ما يشاء» (١).

و في الحقيقه أنّ أوّل عهد مرتبط بالطاعه و التسليم لله. و ثاني عهد محاربه الشرك، و الثالث مرتبط بمسأله البداء، و نتيجته أنّ مصيره بيده، فيستطيع ان يغيّر الشروط فيشمله اللطف او العذاب الالهي.

الملاحظه الاخيريه في هذا المجال.. يقول علماء الشيعة: أنّنا حينما ننسب

ص: ٤٣٨



البداء الى الله جلّ و علا فإنه يكون بمعنى «الإبداء» بمعنى اظهار الشيء الذى لم يكن ظاهرا لنا من قبل و لم يكن متوقّعا.

و أنّ ما ينسب الى الشيعة بأنهم يعتقدون أنّ الله يندم على عمله أحيانا، او يخبر عن شيء لم يعلمه سابقا، فهذه من اكبر التّهم و لا يمكن الصفح عنها ابدا.

لذلك

نقل عن الائمه عليهم السلام أنّهم قالوا: «من زعم ان الله عزّ و جلّ يبدو له فى شيء لم يعلمه أمس فابراء منه» (1).

ص: ٤٣٩

---

١-١) سفينه البحار، المجلد الاوّل، صفحه ٦١.

اشاره

أَ وَ لَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ۗ وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا يُعْقَبُ لِحُكْمِهِ وَ هُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (٤١) وَ قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا يَعْلَمُ كُلُّ نَفْسٍ وَ سَيَعْلَمُ الْكُفَّارُ لِمَنْ عَقَّبَى الْدَارِ (٤٢) وَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسِيًّا قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَ بَيْنَكُمْ وَ مَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ (٤٣)

التفسير

اشاره

البشريه فانيه و وجه الله باق:

بما ان الآيات السابقه كانت تتحدّث مع منكرى رساله النبي صلى الله عليه و آله و سلم، فقد تابعت هذه الآيات كذلك نفس البحث. و الهدف هو دعوتهم الى التفكير، ثم الإصلاح عن طريق الإنذار و الاستدلال و غيرها.

يقول تعالى اولاً: أ وَ لَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ۗ من الواضح ان المقصود من الأرض هنا هم اهل الأرض، يعنى ان هؤلاء لا ينظرون الى هذا الواقع من ان الأقوام و الحضارات و الحكومات فى حال الزوال و الابداه،

الأقوام الذين كانوا أكثر منهم قوه و آثارا قد ألدوا تحت الثرى حتى العلماء و العظماء-الذين هم قوام الأرض-التحقوا بالرفيق الأعلى.

فهل انّ هذا القانون العامّ للحياه الذى يسرى على جميع الافراد و كلّ المجتمع البشرى صغيره و كبيره، غير كاف لايقاظهم و تفهيمهم انّ هذه الايام القلائل للحياه ليست ابدية؟! ثمّ يضيف: وَ اللّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقَّبَ لِحُكْمِهِ وَ هُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ و لذلك فإنّ قانون الفناء مكتوب على جبين كلّ الافراد و الأمم من جهه، و من جهه اخرى لا يستطيع احد ان يغيّر هذا الحكم و لا الأحكام الاخرى، و من جهه ثالثه انّ حساب العباد سريع جدّا، و بهذا الترتيب يكون جزاؤه قاطعا.

و قد جاءت فى روايات متعدده فى تفسير «البرهان» و «نور الثقلين» و سائر منابع الحديث، انّ تفسير الآيه أعلاه هو «فقدان العلماء» لأنّ فقدهم نقصان الأرض و نقص المجتمع الانسانى.

و

نقل المفيد الكبير الطبرسى عن الامام الصادق عليه السّلام فى تفسير هذه الآيه قال: «نقصها بذهاب علمائها و فقهاءها و خيارها» (١).

و نقرا فى حديث آخر انّ «عبد الله بن عمر» تلا هذه الآيه حين استشهد امير المؤمنين على عليه السّلام أنّا نأتى الأرض ننقصها من أطرافها.

ثمّ قال: «يا امير المؤمنين، لقد كنت الطرف الأكبر فى العلم، اليوم نقص علم الإسلام و مضى ركن الايمان».

انّ للآيه-بدون شك-معنى واسع كما قلنا، و هى تشمل كلّ نقص فى ذهاب الافراد و المجتمع و اهل الأرض، و إنذار لكلّ الناس، الصالح منهم و الطالح، حتى العلماء الذين يشكّلون اركان المجتمع البشرى يكون موت أحدهم أحيانا نقصانا للدنيا، فهذا إنذار بليغ و ساطع.

ص: ٤٤١

و اما ما احتمله بعض المفسرين من ان المقصود بالنقصان هو نقص ارض الكفار و اضافتها الى ارض المسلمين، فلا نراه صحيحا  
إذا ما أخذنا بنظر الاعتبار ان السوره مكّيه، لانّ الفتوحات في ذلك الوقت لم تكن موجوده حتى يراها الكفار او يشير إليها  
القرآن الكريم.

و امّا ما قاله بعض المفسرين الذين غرقوا في العلوم الطبيعّيه، من ان الآيه أعلاه تشير الى نقص الأرض من ناحيه القطبين و  
استواؤها في خط الاستواء، فهذا كذلك نراه بعيدا عن الواقع، لانّ القرآن الكريم ليس في مقام الاشاره الى ذلك.

ثمّ يستمرّ البحث في الآيه الثانيه و يقول: ليست هذه الفئه فقط نهضت بمكرها و محاربتها لك، بل وَ قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ  
لكن خططهم كشفت، و أجهضت مؤامرتهم بأمر من الله، لانه اعلم الموجودات بهذه المسائل فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعاً ذاك هو العالم  
بكلّ شيء و يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ. ثمّ يحذرهم بصيغه التهديد من عاقبه عملهم و يقول: وَ سَيَعْلَمُ الْكُفَّارُ لِمَنْ عَقَّبَى الدَّارِ .

الآيه الاخيره من هذا البحث (كما بدأت هذه السوره بكتاب الله و القرآن) تنهى سوره الرعد في التأكيد اكثر على معجزه القرآن  
يقول تعالى: وَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا .

فهم يصطنعون كلّ يوم عذرا، و يطلبون في كلّ وقت المعاجز، ثمّ آخر الأمر يقولون: لست بنبي! قل في جوابهم قُلْ كَفَى بِاللَّهِ  
شَهِيداً بَيْنِي وَ بَيْنَكُمْ وَ مَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ فَاللَّهُ سَبْحَانَهُ و تعالى يعلم بأنّي رسوله، و كذلك هؤلاء لهم المعرفه الكافيه بأنّ  
القرآن هو كتاب سماوى، فهم يعلمون جيّدا انّ هذا الكتاب ليس من صنع البشر، و لا يمكن نزوله الا من قبل الله.

و هذا تأكيد جديد على اعجاز القرآن بمختلف جوانبه و قد ذكرنا ذلك في أماكن اخرى.

و بناء على ما قلناه أعلاه فإنَّ المقصود ب مَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ هم العالمون بمحتوى القرآن الكريم.

و احتمال بعض المفسرين أنَّها تشير الى علماء اهل الكتاب الذين قرءوا علائم نبي الإسلام صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ فى كتبهم السماويه، و من جهة حُبِّهم و معرفتهم آمنوا به.

لكن التفسير الاوّل نراه اقرب الى الصحّح.

و قد ذكرت كثير من الروايات انّ المقصود ب مَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ هو على بن أبى طالب عليه السّلام و ائمّه الهدى، و هذه الروايات جمعت فى تفسير نور الثقلين و البرهان.

و هذه الروايات غير دالّه على الحصر، و كما قلنا مرارا فإنّها تشير الى مصداق او مصاديق تامّه و كامله، و على ايه حال فالتفسير الاوّل الذى ذكرناه يؤيد ذلك.

و من المناسب ان ننهى حديثنا هنا بهذه الروايه

عن النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ:

عن أبى سعيد الخدرى قال: سألت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ عن قول الله جَلَّ ثَنَاؤُهُ:

قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ قَالَ: «ذَاكَ وَصِي اخِي سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ» فَقُلْتُ لَهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ: قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَ بَيْنَكُمْ وَ مَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ قَالَ: «ذَاكَ عَلَى بَنِي طَالِبٍ» (١).

اللهم افتح لنا أبواب رحمتك و ألهمنا من علم الكتاب.

ربّنا أنر قلوبنا بمعرفه القرآن و احبس افكارنا على الحاجه إليك حتّى لا نتوجه لغيرك فى مسائلنا، أنك موضع الحاجات.

ص: ٤٤٣



مكّيه و عدد آياتها اثنان و خمسون آيه

ص: ۴۴۵





سوره ابراهيم تحتوى على (٥٢) آيه، السوره مكّيه باستثناء الآيات (٢٨) و(٢٩) طبقا لما قاله كثير من المفسرين أنّها نزلت بالمدينه فى قتلى المشركين فى بدر.

## محتوى السوره

المعلوم من اسم السوره أنّ قسما منها نازل بشأن بطل التوحيد و محطّم الأصنام سيدنا ابراهيم عليه السّلام (قسم من ادعيته).  
و القسم الآخر من هذه السوره يشير الى تاريخ الأنبياء السابقين أمثال نوح و موسى، و قوم عاد و ثمود، و ما تحتوى من دروس و عبر فيها.

و تكمل هذه المجموعه من البحوث فى السوره آيات الموعظه و النصيحه و البشاره و الإنذار.

كما نقرا فى اغلب السور المكّيه أنّ قسما كبيرا منها ايضا يبحث مواضيع «المبدأ» و «المعاد» و التى تعمق الايمان فى قلب الإنسان و فى روحه و نفسه ثمّ فى قوله و فعله، فيظهر له نور آخر فى مسيره الحقّ و الدعوه الى الله.

و خلاصه هذه السوره أنّها تبين عقائد و نصائح و مواعظ سيره الأقبام الماضيه، و الهدف من رساله الأنبياء و نزول الكتب السماويه.

ص: ٤٤٧

روى عن النبى الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم قال: «من قرأ سورة ابراهيم والحجر اعطى من الأجر عشر حسنات بعدد من عبد الأصنام و بعدد من لم يعيدها» (١).

و كما أسلفنا مرارا فإن ما ورد من الثواب حول قراءة السور القرآنيه يلانزمه التفكر و من ثم العمل، و لما كانت هذه السوره و سورة الحجر تبحثان موضوع التوحيد و الشرك و أصولهما و فروعهما، فإن من البديهي أنّ العمل بمضمونهما له نفس الفضيله، أى أنّهما تصيغان الإنسان بصياغتهما حتى توصلاه الى مثل هذا الثواب.

ص: ٤٤٨

---

١-١) مجمع البيان، و نور الثقلين، فى بدايه السوره.

اشاره

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الر كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ (١) اللَّهُ  
الَّذِي لَهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فِي الْمَآرِضِ وَوَيْلٌ لِلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ (٢) الَّذِينَ يَسْتَجِبُونَ الْحِجَابَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَ  
يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ (٣)

التفسير

اشاره

الخروج من الظلمات الى النور

! شرعت هذه السوره-ك بعض السور القرآنيه الاخرى-بالحروف المقطعه، التي ذكرنا تفسيرها في بدايه سوره البقره و آل عمران،و النقطه التي يجب ملاحظتها هنا ان من بين ٢٩ موردا لسور القرآن التي ابتدأت بالحروف المقطعه هناك ٢٤ مورد ذكر بعدها مباشره القرآن الكريم،و التي تبين ان هناك علاقه بين

الاثنين، اى بين الحروف المقطعه و القرآن، و لعل هذه العلاقه هى نفسها التى ذكرناها فى بدايه سوره البقره، فالله سبحانه و تعالى يريد ان يوضح من خلال هذا البيان ان هذا الكتاب السماوى العظيم المتعبد لقياده الانسانيه يتكون من مواد بسيطه تسمى بحروف الالفباء، و هذه تشير الى اهميه هذا الاعجاز، حيث يوجد اصدق بيان من ابسط بيان.

و على ايه حال فبعد ذكر الحروف (الف لام راء) يقول تعالى: **كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ .**

فى الواقع ان جميع الاهداف التربويه و الانسانيه، المعنويه و الماديه من نزول القرآن قد جمعت فى هذه الجمله (الخروج من الظلمات الى النور) اى الخروج من ظلام الجهل الى نور المعرفة، و من ظلام الكفر الى نور الايمان، من ظلم الظالمين الى نور العدالة، و من الفساد الى الصلاح، و من الذنوب الى الطهاره و التقوى، و من التفرقه و النفاق الى نور الوحده.

و من الطريف ان «الظلمات» هنا (كما فى بعض السور الاخرى) جاءت بصيغه الجمع و «النور» بصيغه المفرد، و هذه اشاره الى ان كل الحسنات و الطيبات و الايمان و التقوى لها حاله واحده فى ظل التوحيد و نوره، فهى مترابطه و متحده فيما بينها، فتصنع مجتمعا واحدا متحدا و طاهرا من كل جهه.

بينما الظلمات تعنى التشتت و تفرقه الصفوف، و حتى الطواغيت و المذنبين و المفسدين و المنحرفين فى مسيرتهم الانحرافيه نراهم غير متوحدين غالبا، و فى حاله حرب فيما بينهم.

و من هنا لما كان مصدر كل الخير هى الذات الالهيه المقدسه، و الشرط الأساس لدرك التوحيد هو الالتفات الى هذه الحقيقه، فإنه يضيف بلا فاصله **يَا ذُنِ رَبَّهُمْ .**

و لكي يبين اكثر ما هو النور يقول تعالى: **إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ (١)** فعزته داله على قدرته،لانه لا يستطيع احد ان يغلبه،و الحميد داله على نعمه و مواهبه غير المتناهيه،لان الحمد و الثناء دائما تكون في مقابل النعم و المواهب.

الآيه الثانيه و لكي تعرّف الله بصفاته،تبين درسا من دروس التوحيد حيث تقول: **اللَّهُ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ (٢)** فله كل شيء،لانه خالق جميع الموجودات،و لهذا السبب هو القادر و العزيز و واهب النعم و الحميد.

ثم يتطرّق في نهايه الآيه الى مسأله المعاد(بعد ان ذكر المبدأ)فتقول الآيه:

**وَوَيْلٌ لِلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ**

ثم يعرف القرآن الكريم الكفار في الآيه الاخرى،و يذكر لهم ثلاث صفات كيما نستطيع ان نعرفهم من اول وهله،يقول تعالى **أُولَ الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ (٣)** فهم يضحون بالايمان و الحق و العداله و الشرف التي هي من خصائص محبي الآخره،من اجل منافعهم الشخصيه و شهواتهم.

ثم يبين تعالى ان هؤلاء غير قانعين بهذا المقدار من الضلال،بل يسعون في ان يضلوا الآخرين و يصدون عن سبيل الله فهم في الواقع يوجدون الموانع المختلفه في طريق الفطره الالهيه فيزينون الهوى،و يدعون الناس الى الذنوب، و يخوفونهم من الصدق و الإخلاص.

و لا يقتصر عملهم على ذلك فحسب،بل و يبغونها عوجاً ثم يحاولون ان يصبغوا الآخرين بصبغتهم،و يسعون في ان يحرفوا السبيل للوصول الى هدفهم من خلال نشر الخرافات و ابتداء السنن الخبيثه أولئك في ضلال بعيد .

ص: ٤٥١

١- ١) «الى صراط الله» في الواقع بدل من «الى النور» فالمقصود من الهدايه الى النور هو الهدايه الى صراط العزيز الحميد،و«كتاب أنزلناه» خبر لمبتدأ محذوف تقديره: هذا كتاب أنزلناه.

٢- ٢) (الله): بالكسر لانه بدل من (العزيز الحميد) .

٣- ٣) يقول الراغب في مفرداته: استحب الكفر على الايمان،و الاستحباب هو سعى الإنسان لان يحب شيئا،و إذا ما تعدى ب(على)فسوف يصرف عنه المعنى المتقدم كما في **أَمَّا تَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى .**

و هذا الضلال قد أوجد بعد المسافه بينهم و بين الحق فكان من العسير جدًا عودتهم الى طريق الحق، و لكن ذلك كان نتيجه لاعمالهم.

## ملاحظات

### اشاره

#### ١- مثل الإيمان و طريق الله مثل النور

بالنظر الى أنّ النور الطف الموجودات الماديّه فى العالم، و سرعه مسيره أعلى سرعه، و بركنه من اكبر البركات، و يمكن ان يقال أنّه اصل لكلّ المواهب و البركات، فإنّه يتّضح الى اى مدى يشتمل النور على معنى كبير بحيث أنّ القرآن شبه الايمان و السير فى طريق الله بالنور.

و النور اصل التجمع بينما الظلمه عامل للتفرق، النور علامه الحياه و الظلمه علامه الموت.

و لهذا السبب شبه القرآن الكريم كثيرا من الأمور القيمه بالنور، و من جملتها العمل الصالح يوم تَرى الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَ بِأَيْمَانِهِمْ (١).

و كذلك الايمان و التوحيد، قال تعالى: اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ (٢).

و قد شبه القرآن الكريم بالنور فى قوله تعالى: فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَ عَزَّوْهُ وَ نَصَرُوهُ وَ اتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِى أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٣).

و كذلك الذين يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ (٤).

ص: ٤٥٢

١-١ الحديد، ١٢.

٢-٢ البقره، ٢٥٧.

٣-٣ الأعراف، ١٥٧.

٤-٤ التوبه، ٣٢.

بل اكثر من ذلك عبّر عن ذاته المقدّسه التي هي أفضل و اسمى ما فى الوجود بالنور اللهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ . (١)

و مع أنّ كلّ هذه الأمور تعود الى تلك الحقيقه، لأنها من الله، و من الايمان به، فإنّها وردت بصيغه المفرد، و على عكس الظلمات التي هي عامل التشتت لذلك وردت بصيغه الجمع التي تبيّن الكثره و التعدّد.

و بما أنّ الايمان بالله و السير فى طريقه باعث على الحرکه و موجبا لليقظه، و عامل للاجتماع و الوحده، و وسيله للتقدّم و الكمال، فإنّ هذا التشبيه على كلّ حال اكثر محتوى و دلالة تربويه.

٢-التعبير ب«لتخرج» فى الآيه الاولى تشير الى نقطتين:

الاولى: بما أنّ القرآن الكريم كتاب هدايه و نجاه للبشر، لكنّه بحاجه الى من يطبقه و يجريه، فيجب ان يكون هناك قائد كالرّسول لكي يستطيع ان يخرج الضالّين عن الحقيقه من ظلمات الشقاء و هدايتهم الى نور السعاده، و لهذا فالقرآن الكريم بعظمته لا يمكن له ان يحلّ جميع المشاكل بدون وجود القائد و المنقذ لهذه الأحكام.

الثانيه: أنّ صيغه الإخراج فى الواقع دليل على التحرّك المشفوع بالتغيّر و التحوّل، و كأنّ غير المؤمنين موجودون فى محيط مغلق و مظلم، و الرّسول-او القائد- يأخذ بأيديهم و يدخلهم الى جوّ واسع و منير.

٣-الملفت للنظر أنّ بدايه هذه السوره شرعت بمسأله هدايه الناس من الظلمات الى النور، و نهايتها ختمت بمسأله إبلاغ و إنذار الناس، و هذه توضّح أنّ الهدف الاصلى فى كلّ الأحوال هو الناس و مصيرهم و هدايتهم، فإنزال الكتب السماويه و بعث الأنبياء فى الواقع هو للوصول الى هذا الهدف.

ص: ٤٥٣

اشاره

وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٤) وَ لَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَ ذَكِّرْهُمْ بِآيَاتِ اللَّهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ (٥) وَ إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنْجَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَ يُدَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَ يُسَيِّتُونَ نِسَاءَكُمْ وَ فِي ذَلِكَ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ (٦) وَ إِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَ لَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ (٧)

التفسير

اشاره

الايام الحساسه فى الحياه:

كان الحديث فى الآيات السابقه عن القرآن الكريم و آثاره الروحيه، و تتابع



الآيه الاولى من هذه المجموعه نفس الموضوع، لكن فى بعد خاص و هو انّ دعوه الأنبياء و كتبهم السماويه نزلت بلسان أوّل قوم بعثوا إليهم. يقول تعالى:

وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ

لأنّ الأنبياء يرتبطون فى الدرجه الاولى مع قومهم، و أوّل نور الوحي يشعّ من بينهم، و أوّل الصحابه و الأنصار ينتخبون منهم، لذلك فإنّ الرّسول يجب ان يحدثهم بلغتهم و بلسانهم ليبيّن لهم .

و فى الحقيقه فإنّ هذه الجملة تشير الى أنّ دعوه الأنبياء لا- تنعكس فى قلوب اتباعهم بأسلوب مرموز و غير معروف، بل كانت توضّح لهم من خلال التبيين و التعليم و التريه و بلسانهم الرائج.

ثمّ يضيف القرآن الكريم بعد ان بيّن لهم الدعوه الالهيه فيضّل الله من يشاء و يهدى من يشاء فليست الهدايه و الضلال من عمل الأنبياء، بل عملهم الإبلاغ و التبيين، الله سبحانه و تعالى هو الموجه و الهادى الحقيقى لعباده.

و لكى لا يتصوّر احد أنّ هذا القول بمعنى الجبر و سلب الحريّات، فيضيف القرآن مباشره و هو العزير الحكيم و بمقتضى عزّته و قدرته فإنّه قادر على كلّ شىء، و لا احد له قدره على المقاومه فى مقابل ارادته تعالى، و لكن بمقتضى حكمته لا يهدى و لا يضلّ أحدا بدون سبب و دليل، بل الخطوه الاولى تبدأ من قبل العباد و بكامل الحريه فى السير الى الله، ثمّ يشعّ نور الهدايه و فيض الحقّ فى قلوبهم، كما فى سوره العنكبوت الآيه (٦٩) و الذين جاهدوا فينا لنهديتهم سبّلنا .

و كذلك حال الذين تاهوا فى وادى الضلاله و حرموا من فيض الهدايه، فهو نتيجة لتعصّبهم الأعمى و محاربتهم للحقّ، و غرقهم فى الشّهوات، و تلوّثهم بالظلم و الجور. كما يقول تعالى: كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ ، (١) و يقول

ص: ٤٥٥

ايضا: وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ ، (١) وقوله تعالى: وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ (٢) .

و على هذا النحو فإنّ محور الهدايه و الضلال فى ايدى الناس أنفسهم.

تشير الآيه الأخرى الى واحده من نماذج إرسال الأنبياء فى مقابل طواغيت عصرهم، ليخرجوهم من الظلمات الى النور: وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ (٣) .

و كما قرانا فى الآيه الاولى من هذه السوره فإنّ خلاصه دعوه رسول الإسلام صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ هى إخراج الناس من الظلمات الى النور، فهذه دعوه كلّ الأنبياء، بل جميع القاده الروحيين للبشر، فهل الظلم غير الضلال و الانحراف و الذلّ و العبوديّة و الفساد و الظلم؟! و هل النور غير الايمان و التقوى و الحريه و الاستقلال و العزّه و الشرف؟! لذلك فإنّها تمثّل الخطّ المشترك و الجامع بين كلّ دعوات القاده الإلهيين.

ثم يشير القرآن الكريم الى واحده من اكبر مسئوليات موسى عليه السلام حيث يقول تعالى: وَذَكَرْهُمْ بِآيَاتِ اللَّهِ .

من المتيقّن أنّ كلّ الايام هى ايام الله، كما أنّ كلّ الأماكن متعلّقه بالله جلّ و علا، و إذا كانت هناك نقطه خاصه تسمّى (بيت الله) فذلك بدليل ميزاتها، كذلك ايام الله تشير الى ايام مميّزه لها خصائص منقطعه النظير.

و لهذا السبب اختلف المفسّرون فى تفسيرها:

قال البعض: أنّها تشير الى ايام النصر للأنبياء السابقين و أممهم و الايام التى شملتهم النعم الإلهيه فيها على اثر استحقاقهم لها.

و قال البعض الآخر: أنّها تشير الى العذاب الإلهي الذى شمل الأقوام الطاغين

ص: ٤٥٦

١ - ١) البقره، ٢٦.

٢ - ٢) ابراهيم، ٢٧.

٣ - ٣) المعجزات التى ظهرت من موسى بن عمران اشارت إليها الآيه أعلاه بلفظ الآيات، و هى ٩ معاجز مهمّه طبقا للآيه (١٠١) من سوره الاسراء، و التى سوف تأتى ان شاء الله فى تفسير تلك الآيه.

و العاصين لأمر الله.

و قال آخرون: أنها تشير الى المعنيين السابقين معا.

لكننا-حقاً-لا- نستطيع ان نجعل هذه العبارة البليغه و الواضحة محدوده، فأَيام الله هي جميع الايام العظيمه فى تاريخ الانسانيه. فكل يوم سطعت فيه الأوامر الالهيه و جعلت بقيه الأمور تابعه لها، هي من ايام الله، و كل يوم يفتح فيه فصل جديد من حياه الناس فيه درس و عبره، او ظهور نبي فيه، او سقوط جبار و فرعون- او كل طاغ- و محوه من الوجود. خلاصه القول: كل يوم يعمل فيه بالحق و العداله و يقع فى الظلم و تطفأ فيه بدعه، هو من ايام الله.

و كما سوف نرى ان روايات الائمه عليهم السلام فى تفسير هذه الآيه تشير الى هذه الايام الحساسه.

و فى آخر الآيه يقول تعالى: **إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ**.

«صَبَّارٍ» و «شَكُورٍ» صيغه مبالغه فأحدهما تشير الى شدّه الصبر، و الاخرى الى زياده الشكر، و تعنى انّ المؤمنين كما لا يستسلمون للحوادث و المشاكل التى تصيبهم فى حياتهم، كذلك لا يغترون و لا يغفلون فى ايام النصر و النعم، و ذكر هاتين الصفتين بعد الاشاره الى ايام الله دليل على ما قلناه.

تشير الآيه الاخرى الى احد هذه الايام التى كانت ساطعه و مثمره فى تاريخ بنى إسرائيل، و ذكرها تذكره للمسلمين حيث يقول تعالى: **وَ إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنْجَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ هَؤُلَاءِ الْفِرَاعِنَ الَّذِينَ كَانُوا يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَ يُدْبِحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَ يَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَ فِي ذَلِكَ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ**.

اي يوم اكثر بركه من ذلك اليوم حيث أزال الله عنكم فيه شرّ المتكبرين و المستعمرين، الذين كانوا يرتكبون أفظع الجرائم بحقكم، و اى جريمه أعظم من ذبح أبنائكم كالحيوانات (انتبه الى انّ القرآن عبّر بالذبح لا بالقتل) و اهمّ من ذلك

فإن نواميسكم كانت خدما في ايدي الطامعين.

و ليس هذا المورد خاصّ بنى إسرائيل، بل في جميع الأمم و الأقوام. فإنّ يوم الوصول الى الاستقلال و الحريه و قطع ايدي الطواغيت يوم من ايام الله الذي يجب ان نتذكره دوما حتّى لا نعود الى ما كنّا عليه فى الايام الماضيه.

«يسومونكم» من مادّه (سوم) على وزن (صوم) بمعنى البحث عن الشىء، و تأتي بمعنى فرض عمل على الآخرين (1)، و لهذا فإنّ معنى جمله يسومونكم سوء العذاب: انّ أولئك كانوا يفرضون عليكم اسوا الأعمال و أكثرها تعذيبا. و هل انّ تجميد و اباده الكتله الفعّاله فى المجتمع و استخدام نسائهم و اذلالهنّ على يد فئه ظالمه و طاغيه يعتبر امرا هيناً؟! ثمّ انّ التعبير بفعل المضارع «يسومون» اشارة الى انّ هذا العمل كان مستمرّاً لمده طويله.

و جمله يُذَبِّحُونَ أَبْدَاءَكُمْ... معطوفه على «سوء العذاب» و فى عين الوقت هى من مصاديق سوء العذاب، و ذلك بسبب اهميته هذين العذابين، و هذا توضيح انّ فرعون و قومه الظالمين فرضوا على بنى إسرائيل احكاما جائره اخرى، الا انّ هذين العذابين كانا اشدّ و أصعب.

ثمّ يضيف القرآن الكريم و اذ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ و لَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ (2) يمكن ان تكون هذه الآيه من كلام موسى لبنى إسرائيل التى دعاهم فيها الى الشكر فى مقابل ذلك النجاه و النصر و النعم الكثيره، و وعدهم بزياده النعم، و فى حاله كفرهم هدّدهم بالعذاب، و يمكن ان تكون جمله مستقلّه و خطابا للمسلمين، و لكن على ايه حال فالنتيجه واحده، لانه حتّى إذا كان الخطاب موجّها لبنى إسرائيل و روده فى القرآن الكريم ليكون درسا بناء لنا.

ص: ٤٥٨

١- ١) راجع المفردات للراغب، و تفسير المنار، [المجلد الاول، ص ٣٠٨] و تفسير الرازى [المجلد السابع، ص ٧].

٢- ٢) «تأذّن» من باب «تفعل» بمعنى الاعلام للتأكيد، لانّ ماده افعال من (إيدان) بمعنى اعلام، و لمّا يصبح من باب تفعل يستفاد منه الاضافه و التأكيد.

و من الطريف أنه في حاله الشكر يقول بصراحه لَأَزِيدَنَّكُمْ آمِيَا في حاله كفران النعم فلا- يقول (اعذبكم) بل يقول: إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ و هذا التفاوت دليل على سمو اللطف الالهي.

بحوث

اشاره

### ١- التذکر لایام الله

كما قلنا في تفسير الآيه أعلاه، فإنّ اضافه «ایام» الى «الله» اشاره الى الايام المصيريّه و المهمّه في حياه الناس، فإنّها بسبب عظمتها أضيفت إليها كلمه «الله»، و كذلك لاینّ واحده من النعم الالهيه الكبيره شملت حال قوم او امه، او احدى العقوبات الكبرى أصابت قوما طاغين بالعذاب الالهي، و قد أراد الله تعالى ان يجعل هذه الايام تذکره باقيه للناس.

الزوايات الوارده من اهل البيت عليهم السّلام تشير أنّهم فسّروا «ایام الله» بأیام مختلفه،

فعن الامام الباقر عليه السّلام قال «ایام الله، يوم يقوم القائم عليه السّلام و يوم الكثره (١)، و يوم القيامه» (٢).

و

جاء في تفسير على بن ابراهيم «ایام الله ثلاثه ایام، يوم قیام المهدي عليه السّلام و يوم الموت، و يوم القيامه».

و

عن النبی صلی الله علیه و آله و سلّم قال «ایام الله نعمائوه و بلاؤه ببلائه سبحانه» (٣).

و كما قلنا سابقا فإنّ مثل هذه الأحاديث غير دالّه على الحصر إطلاقا، بل هي بيان لقسم من مصاديقها.

ص: ٤٥٩

١- ١) يوم الكثره- ای يوم الرجعه.

٢- ٢) نور الثقلين، ج ٢، ٥٢٦.

٣- ٣) المصدر السابق.

و على آيه حال فتذكر الايام العظيمة (من ايام النصر او من ايام الشده) له دور مؤثر في يقظه الشعوب، و بالالهام من هذا النداء السياموى سوف نحى الايام العظيمة فى التاريخ الاسلامى، و نخصيص لها اياما معينه فى السنه لتجديد ذكراها، لكى نتعلم منها الدروس التى لها اثر مهم فى يومنا هذا.

و فى تاريخنا المعاصر -خصوصا فى تاريخ الثورة الاسلاميه فى ايران- توجد ايام مثيره جدا و التى هى بحق مصداق ل«ايام الله» و يجب ان نذكرها فى كل سنه، و هى التى امتزجت بذكرى الشهداء، المقاتلين، المجاهدين الكبار، و من ثم نستلهم منها و نحفظ ميراثهم الكبير.

و على هذا الأساس يجب ان ندخل هذه الايام العظام ضمن برامج الكتب الدراسيه فى مدارسنا، و ضمن التعليم و التربيه لابنائنا، و لكى نعلم مسئوليتنا «و ذكرهم» فى مقابل الأجيال القادمه.

لقد أشار القرآن الكريم مرارا الى «ايام الله» فنسبها لبنى إسرائيل مره، و اخرى للمسلمين، و ذكرهم بأيام النعم و العذاب.

## ٢- طريقه الجبارين فى التعامل

نقرا مرارا فى آيات القرآن الكريم انّ الفراعنه كانوا يذبحون أبناء بنى إسرائيل و يحتفظون بنسائهم، و هذا العمل لا يقتصر على فرعون، بل كان على طول التاريخ طريقه كل المستعمرين حيث كانوا يبيدون قسما من القوى الفاعله و المقاومه، و يضعفون قسما آخر منها و يستخدمونها فى منافعهم الخاصه، و بدون هذا العمل لا يمكنهم الاستمرار فى استعمارهم.

و المهم يجب ان نعلم انهم كانوا يذبحون الأبناء مباشره مره (كالفراعنه) و أحيانا يبيدوهم بالادمان على المخدرات و المشروبات الكحوليه، و إغراقهم فى دواهه الفحشاء لذلك يجب ان ينتبه المسلمون الى هذه المسأله، فإذا سلك

جيل الشباب هذه المسالك المهلكة و فقد سلاح الايمان و مقدرته الجسديه، فيجب ان يعلم عبوديته للأجانب حتميه.

### ٣- الحريه من أفضل النعم

من الطريف أنّ الآيه أعلاه بعد ان ذكرت «أيام الله» اشارت بصراحه الى يوم واحد منها، و هو يوم نجاه بنى إسرائيل من قبضه الفراعنه إذ أنجأكم من آل فرعون أنّ تاريخ بنى إسرائيل ملئ بالأيام العظيمه التي وهبهم الله فيها النعم الكبيره تحت ظلّ هدايه موسى، و لكن ذكر (يوم النجاه) في الآيه أعلاه دليل على اهميه الحريه و الاستقلال في مصير الأمم.

نعم لا- تستطيع اى امه ان تظهر نبوغها و استعدادها الا من خلال قطع التبعية للاجنى و التحرر من قبضه الاستعمار و اسره. و لا يمكن ان ترفع قدما في سبيل الله الا من خلال محاربه الشرك و الظلم.

و لهذا السبب كان العمل الاوّل للقاده الإلهيين هو تحرير الشعوب من التبعية الفكرية و الثقافيه و السياسيه و الاقتصاديه، ثم العمل في إيجاد البرامج التوحيديه و الانسانيه لهم.

### ٤- الشكر سبب لزياده النعم و الكفر سبب للفناء

مما لا شكّ فيه أنّ الله سبحانه و تعالى ليس بحاجه الى شكرنا في مقابل نعمه علينا، و إذا أمرنا بالشكر فذاك لنستوجب نعمه اخرى و هى واحده من المبادئ الساميه في الترييه.

المهم ان نعرف ما هى حقيقه الشكر؟ لكى يتّضح علاقته في زياده النعمه من اين؟ و كيف تستطيع ان تكون عاملا مهما للترييه؟ أنّ حقيقه الشكر ليس فقط ما يقوله الإنسان (الحمد لله) او الشكر اللفظي، بل

هناك ثلاث مراحل للشكر:

الأولى: يجب ان نعلم من هو الواهب للنعم؟ هذا العلم و الايمان الركن الأول للشكر.

و الثانية: الشكر باللسان.

و الثالثة: و هي الأهمّ الشكر العملي، أي ان نعلم الهدف من منحنا للنعمه، و في أيّ مورد نصرّفها، و ألاّ كفرنا بها، كما قال العظماء: (الشكر صرف العبد جميع ما أنعمه الله تعالى فيما خلق لأجله).

لماذا أعطانا الله تعالى العين؟ و لماذا وهبنا السمع و النطق؟ فهل كان السبب غير ان نرى عظمته في هذا العالم، و نتعرّف على الحياه؟ و بهذه الوسائل نخطو الى التكامل، ندرك الحقّ و ندافع عنه و نحارب الباطل، فإذا صرفنا النعم الالهيه في هذا المسير كان ذلك هو الشكر العملي له، و إذا أصبحت هذه الأدوات و سبله للطغيان و الغرور و الغفله و الابتعاد عن الله فهذا هو عين الكفران!

يروى عن الامام الصادق عليه السلام أنّه قال: «ادنى الشكر رؤيه النعمه من الله من غير علّه يتعلّق القلب بها دون الله، و الرضا بما أعطاه، و أنّ لا تعصيه بنعمه و تخالفه بشيء من امره و نهيه بسبب من نعمته» (١).

و هنا يتّضح أنّ شكر العلم و المعرفه و الفكر و المال و السلامه، كلّ واحد منها من اي طريق يتمّ؟ و كيف يكون كفرانها؟

الحديث الوارد عن الامام الصادق عليه السلام دليل واضح على هذه التفسيرات حيث يقول: «شكر النعمه اجتناب المحارم» (٢).

و تتّضح ايضا هذه العلاقه بين الشكر و زياده النعمه، لأنّ الناس لو صرفوا

ص: ٤٦٢

١-١) سفينه البحار، المجلد الأول، ٧١٠.

٢-٢) نور الثقلين، ج ٢، ٥٢٩.



النعم الالهيّ في هدفها الحقيقي، فسوف يشبتون عمليًا استحقاقهم لها و تكون سببا في زياده الفيوضات الالهيّ عليهم.

من الثابت أنّ هناك نوعين من الشكر، (شكر تكويني) و(شكر تشريعي).

«الشكر التكويني» هو ان يستفيد الكائن الحي من مواهبه في نموّه و رشده، فمثلا يرى المزارع أنّ القسم الفلاني من مزرعته تنمو فيه الأشجار بشكل جيد، و كلّما يخدمها اكثر تنتج اكثر، فهذا الأمر سوف يؤدّي الى ان يقوم المزارع على خدمه و تربيته ذلك القسم بشكل اكبر، و يوصى مساعديه بها، لأنّ الأشجار تناديه بلسان حالها: ايها المزارع، نحن لاثقون مناسبون، افض علينا من النعم، و هو يجيبهم بالاثبات.

أمّا إذا رأى في قسم آخر أشجارا ذابله و يابسه و ليس لها ثمر، فكفران النعمه من قبلها بهذه الصوره يسبّب عدم اعتناء المزارع بها، و إذا استمرّ الوضع بهذا الحال سوف يقوم بقلعها.

و هذه الحاله موجوده في عالم الانسانيه بهذا التفاوت، و هو أنّ الأشجار ليس لها الاختيار، بل هي خاضعه للقوانين التكوينيّه، أمّا الإنسان فباستفادته في ارادته و اختياره و تربيته التشريعيّه يستطيع ان يخطو في هذا المجال خطوات واثقه.

و لذلك فمن يستخدم نعمه القوّه في الظلم، ينادى بلسان حاله: الهى، انا غير لائق لهذه النعمه، و من يستخدمها لاقامه الحقّ و العداله يقول بلسان حاله: الهى، انا مناسب و لائق فزد نعمتك علىّ! و هناك حقيقه غير قابله-ايضا-للتريد، و هي أنّنا في كلّ مرحله من مراحل الشكر الالهي-ان كان باللسان او العمل-سوف نحتاج الى شكر جديد لمواهب و عطايا جديده، و لذلك فلسنا قادرين ان نوّدّى حقّ الشكر، كما نقرا

في مناجاه الشاكرين للإمام زين العابدين على بن الحسين عليه السّلام: «كيف لى بتحصيل

الشكر و شكرى اياك يفتقر الى شكر، فكلما قلت لك الحمد وجب علىّ لذلك ان أقول لك الحمد! و لهذا فإنّ أعلى مراحل الشكر ان يظهر الإنسان عجزه امام شكر نعمائه تعالى، كما

جاء فى الحديث عن الامام الصادق عليه السّلام قال: «فيما اوحى الله عزّ و جلّ الى موسى: اشكرنى حقّ شكرى، فقال: يا ربّ، و كيف أشكرك حقّ شكرك، و ليس من شكر أشكرك به الاّ و أنت أنعمت به علىّ؟ قال: يا موسى، الآن شكرتني حين علمت أنّ ذلك مني» (١).

هناك عدّه نقاط فى مجال شكر النعمه:

-١

قال الامام على عليه السّلام فى احدى حكمه: «إذا وصلت إليكم أطراف النعم فلا تنفروا أقصاها بقّله الشكر» (٢).

٢- يجب الالتفات الى هذا الموضوع، و هو أنّ الشكر و الحمد ليس كافيا فى مقابل نعمائه تعالى، بل يجب ان نشكر- كذلك- الأشخاص الذين كانوا وسيله لهذه المواهب و نوّدى حقوقهم من هذا الطريق، و نشوّقهم اكثر بالخدمه فى هذا السبيل، كما نقرا

فى الحديث عن الامام على بن الحسين عليه السّلام قال: «و أنّ الله يحبّ كلّ قلب حزين و يحبّ كلّ عبد شكور، يقول الله تبارك و تعالى لعبده من عبيده يوم القيامة: أ شكرت فلانا؟ فيقول: بل شكرتك يا ربّ، فيقول: لم تشكرنى إذ لم تشكره، ثمّ قال: أشكركم لله أشكركم للناس» (٣).

٣- أنّ الوعد فى زياده نعم الشاكرين لا ينحصر فى النعم الماديه فقط، بل الشكر نفسه مصحوبا بالتوجّه الخاص لله و الحبّ لساحته المقدّسه هو واحد من النعم الالهيه الروحانيه الكبيره، و التى لها تأثير كبير فى تربيته نفوس الناس،

ص: ٤٦٤

١-١) اصول الكافى، المجلّد الرابع، صفحہ ٨٠ باب الشكر.

٢-٢) نهج البلاغه الكلمات القصار، رقم ١٣.

٣-٣) اصول الكافى، الجزء الثانى- ص ٩٩-ح ٣٠.

و دعوتهم لطاعه الأوامر الالهيه، بل الشكر ذاته طريق الى معرفه الله، و لهذا السبب ورد عن علماء العقائد فى علم الكلام أنّ  
وجوب شكر المنعم طريق الى اثبات وجوب معرفه الله.

٤- أنّ احياء روح الشكر فى المجتمع و تقديمه الى مستحقّيه و تقديرهم و حمدهم و ثنائهم على خدمتهم فى طريق تحقيق  
الاهداف الاجتماعيه بعلمهم و معرفتهم و إثارتهم و استشهادهم، هو عامل مهمّ فى حركه و رقىّ المجتمع.

ففى المجتمع الفاقد للشكر و التقدير نجد القليل جدّا ممّن يريد الخدمه، و على العكس فالمجتمع الذى يقيّم و يثنى على  
خدمات الأشخاص، يكون اكثر نشاطا و حيويه.

و الالتفات الى هذه الحقيقه ادى الى ان تقام فى عصرنا مراسيم احتفال لتقدير و شكر الأساطين فى الذكرى المئويه، او الذكرى  
الالفيه، و ضمن هذا الشكر لخدماتهم يدعى الناس الى الحركه و السعى بشكل اكبر.

احياء هذه الذكريات يساعد على ترشيد الإيثار و التفانى لدى الآخرين، فيرتفع المستوى الثقافى و الاخلاقى لدى الناس، و بتعبير  
القرآن فإنّ شكر هذه النعمه سوف يبعث على الزياده، و من دم شهيد واحد يبعث آلاف المجاهدين، و يكون مصداقا حيّال  
لَأَزِيدَنَّكُمْ .

أشاره

وَقَالَ مُوسَىٰ إِنَّ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ (٨) أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبُؤُا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَ ثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَقْفَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ (٩) قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَ يُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى قَالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ (١٠)

التفسير

أشاره

أفي الله شك

؟ الآيه الاولى من هذه المجموعه تؤيد و تكمل البحث السابق في الشكر

والكفران، و ذلك ضمن الكلام الذى نقل عن لسان موسى عليه السلام وَقَالَ مُوسَىٰ إِنَّ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ (١).

انّ الشكر و الايمان بالله-فى الواقع-سبب فى زياده النعم و التكامل الانسانى، و الا فالله عزّ و جلّ ليس بحاجة الى اى شىء، و لو كفرت جميع الكائنات و لم تحمده لا تمسّ كبرياءه بأدنى ضرر، لانه حميد فى ذاته.

و لو كان محتاجا لم يكن واجب الوجود، و على هذا فمفهوم الغنى هو اشتماله لجميع الكمالات، و إذا كان كذلك فهو محمود فى ذاته، لانّ «الحميد» من استحقّ الحمد.

ثمّ يشرح مصير الفئات من الأقوام السابقه ضمن عدّه آيات، الفئات التى كفرت بأنعم الله و خالفت الدعوه الالهيه، و هى تأكيد للآيه السابقه يقول تعالى:

أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ

يمكن ان تكون هذه الجمله تعقيبا على كلام موسى، او بيان مستقلّ يخاطب به المسلمين، لكن النتيجة غير متفاوته كثيرا، ثمّ يضيف تعالى: قَوْمِ نُوحٍ وَ عَادٍ وَ ثَمُودَ وَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ فَهَؤُلَاءِ لَمْ يَطَّلِعْ عَلَىٰ آخِبَارِهِمْ إِلَّا اللَّهُ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ (٢).

مما لا شكّ فيه انّ قسما من اخبار قوم نوح و عاد و ثمود و الذين من بعدهم قد وصلتنا، و لكن لم يصلنا القسم الأكبر منها و لا يعلمها الا الله، فتاريخ الأقوام الماضيه ملئ بالاسرار و الخصوصيات بحيث لم يصل إلينا منها الا القليل. و لكى يوضّح القرآن الكريم مصيرهم يقول: جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ أَيْ وَضَعُوا أَيْدِيَهُمْ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ مِنَ التَّعَجُّبِ وَ الْإِنْكَارِ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ

ص: ٤٦٧

١-١) «إِنَّ تَكْفُرُوا» جملته شرطيه تقديرها محذوف، و جملته «انّ الله لغنى حميد» تدلّ على ذلك و كان التقدير «ان تكفروا... لا تضروا الله شيئا».

٢-٢) -جمله لا يعلمهم إلا الله قد تكون معطوفه على ما قبلها و الواو محذوفه، و قد تكون جملته وصفيه للجمله السابقه.

. لماذا؟ بسبب وَإِذَا لَفِيَ شَكٌّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٌ . و معه كيف يمكننا ان نؤمن بما تدعوننا اليه؟ و يرد هنا سؤال، و هو أنهم أظهروا الكفر و عدم الايمان بالرّسول في البدايه، و لكن بعد ذلك أظهروا الشكّ و الريب، فكيف ينطبق الاثنان؟ الجواب: انّ بيان الشكّ و التردد- في الحقيقه- علّه لعدم الايمان، لانّ الايمان بحاجه الى اليقين، و الشكّ مانع لذلك.

و بما انّ الآيه السابقه بينت قول المشركين و الكفّار في عدم ايمانهم بسبب شكّهم و ترديدهم، فالآيه بعدها تنفى هذا الشكّ من خلال دليل واضح و عباره قصيره حيث يقول تعالى: **قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَ فِي اللَّهِ شَكٌّ فَأَطِرِ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ .**

مع انّ «فاطر» من «فطر» و هي في الأصل بمعنى «شقّ» الاّ انه هنا كناية عن «الخلق» فالخالق هو الموجد للأشياء على أساس نظام دقيق ثمّ يحفظها و يحميها، كأنّ ظلمه العدم شقّت بنور الوجود، و كما يطلع الفجر من عتمه الليل، و كما يتشقق التمر من غلافه.

و لعلّ «فاطر» تشير الى تشقق المادّه الاوّلويه للعالم. كما نقرأ في العلوم الحديثه انّ مجموع مادّه العالم كانت واحده مترابطه ثمّ انشقت الى كراه مختلفه.

و على ايّه حال، فالقرآن الكريم هنا- كما في اغلب الموارد الاخرى- يستند لاثبات وجود الخالق و صفاته الى نظام الوجود و خلق السّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ، و نحن نعلم انه ليس هناك أوضح من هذا الدليل لمعرفة الله، لانّ هذا النظام العجيب ملئ بالاسرار في كلّ زواياه، و ينادى بلسان حاله: ليس هناك من له القدره على هذه الهندسه الاّ القادر الحكيم و العالم المطلق، و لهذا السبب فكّما تقدّمت العلوم ظهرت اسرار تدلّ على الخالق اكثر من السابق و تقربنا من الله في كلّ لحظه.

و ما اكثر العجائب في القرآن؟ فكّل بحوث معرفه الله و التوحيد- و التي

وردت بصيغته الاستفهام الانكاري-اشارت إليها هذه العبارة: أ فِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَ هَذِهِ الْعِبَارَةُ إِذَا أَرَدْنَا تَجْزِئَتَهَا وَ تَحْلِيلَهَا بِشَكْلِ مُوسِعٍ لَا تَكْفِيهَا آلَافُ الْكُتُبِ.

انَّ مَطَالَعَتَنَا لِأَسْرَارِ الْوُجُودِ وَ نِظَامِ الْخَلْقِ لَا تَهْدِينَا إِلَى وَجُودِ اللَّهِ فَحَسَبَ، بَلْ إِلَى صِفَاتِهِ الْكَمَالِيَةِ أَيْضًا كَعَلْمِهِ وَ قُدْرَتِهِ وَ حِكْمَتِهِ.

ثمَّ يَجِبُ الْقُرْآنُ الْكَرِيمَ عَلَى ثَانِي عِتْرَاضٍ لِلْمُخَالَفِينَ، وَ هُوَ عِتْرَاضُهُمْ عَلَى مَسْأَلَةِ الرَّسَالَةِ (لَا نَّ شَكَّهُمْ كَانَ فِي اللَّهِ وَ فِي دَعْوِهِ الرَّسُولِ) وَ يَقُولُ أَنَّ مِنَ الْمُسْلِمِ أَنَّ اللَّهَ الْقَادِرُ وَ الْحَكِيمُ لَا يَتْرَكُ عِبَادَهُ بِدُونِ قَائِدٍ، بَلْ أَنَّهُ بِإِرْسَالِ الرَّسْلِ: يَدْعُوكُمْ لِيُغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ (١).

وَ زِيَادَهُ عَلَى ذَلِكَ فَإِنَّهُ وَ يُؤَخَّرُكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى كَيْمَا تَسْلُكُوا سَبِيلَ التَّكَامُلِ وَ تَسْتَفِيدُوا مِنْ مَوْهَبِ الْحَيَاةِ بِأَقْصَى مَا يُمْكِنُكُمْ.

انَّ غَايَةَ دَعْوَةِ الْأَنْبِيَاءِ أَمْرَانِ: أَحَدُهُمَا غُفْرَانُ الذُّنُوبِ، بِمَعْنَى تَطْهِيرِ الرُّوحِ وَ الْجِسْمِ وَ الْمَحِيطِ الْإِنْسَانِي، وَ الثَّانِي اسْتِمْرَارُ الْحَيَاةِ إِلَى الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ، وَ الْإِثْنَانِ عَلَيْهِ وَ مَعْلُولِ، فَالْمَجْتَمَعُ الَّذِي يَسْتَمِرُّ فِي وَجُودِهِ هُوَ الْمَجْتَمَعُ النَّقِيُّ مِنَ الظُّلْمِ وَ الذُّنُوبِ.

فَفِي طُولِ التَّارِيخِ أُبِيدَتْ مَجْتَمَعَاتٌ كَثِيرَةٌ بِسَبَبِ الظُّلْمِ وَ الذُّنُوبِ وَ اتِّبَاعِ الْهَوَى، وَ بِتَعْبِيرِ الْقُرْآنِ لَمْ يَصِلُوا إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى .

رَوَى فِي حَدِيثٍ جَامِعٍ عَنِ الْإِمَامِ الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: «مَنْ يَمُوتُ بِالذُّنُوبِ أَكْثَرَ مِمَّنْ يَمُوتُ بِالْأَجَالِ، وَ مَنْ يَعِيشُ بِالْإِحْسَانِ أَكْثَرَ مِمَّنْ يَعِيشُ بِالْأَعْمَالِ» (٢).

ص: ٤٦٩

١- ١) هُنَاكَ جَدَلٌ بَيْنَ الْمَفْسِّرِينَ فِي مَعْنَى «مَنْ»، فَقَالَ بَعْضُهُمْ بِالتَّبْعِيضِ، أَيِ يَغْفِرُ قِسْمًا مِنْ ذُنُوبِكُمْ، وَ هَذَا الْإِحْتِمَالُ ضَعِيفٌ لِأَنَّ الْإِيمَانَ يُؤَدِّي إِلَى غُفْرَانِ الذُّنُوبِ كُلِّهَا (الْإِسْلَامُ يَجِبُ مَا قَبْلَهُ) وَ احْتِمَالُ الْبَعْضِ الْآخَرَ أَنَّ «مَنْ» بَدَلٌ، فَيَكُونُ مَعْنَى الْجُمْلَةِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ ذُنُوبَكُمْ بَدَلِ الْإِيمَانِ، وَ قَالَ آخَرُونَ: أَنَّ «مَنْ» هُنَا زَائِدَةٌ لِلتَّأْكِيدِ، وَ مَعْنَاهُ: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَدْعُوكُمْ لِلْإِيمَانِ لِيَغْفِرَ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ، وَ هَذَا التَّفْسِيرُ نَرَاهُ أَقْرَبَ إِلَى الصَّحِّحِ.

٢- ٢) سَفِينَةُ الْبَحَارِ، الْمَجْلَدُ الْأَوَّلُ، ص ٤٨٨.

عن الامام الصادق ايضا: «انّ الرجل يذنب فيحرم صلاه الليل، و انّ العمل السيء اسرع في صاحبه من السكين في اللحم» (١).

و نستفيد من هذه الآيه-ضمنيا-انّ الايمان بدعوه الأنبياء و العمل بأحكامها يأخذ طابع الأجل المعلق، و تستمرّ حياه الإنسان الى «اجل مسمّى» (لأننا نعلم انّ للإنسان نوعين من الآجال، اجل محتوم و يكون بانتهاء الحياه في جسم الإنسان، و أجل معلق و يكون بفناء الإنسان على اثر عوامل و موانع في وسط العمر، و هذا غالبا ما يكون بسبب اللامبالاه و ارتكاب الذنوب، و قد بحثنا هذا الموضوع في ذيل الآيه (٢) من سوره الانعام).

و مع كلّ ذلك لم يقبل الكفّار المعاندون دعوه الحقّ المصحوبه بوضوح منطق التوحيد، و من خلال بيانهم المشوب بالعناد و عدم التسليم كانوا يجيبون الأنبياء بهذا القول: **قَالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا عَلَاوَهُ عَلَى ذَلِكَ تُرِيدُونَ أَنْ تَضِيدُونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَ أَكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ فَأَتُونَا بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ .**

و قد ذكرنا مرارا (كما صرّح القرآن بذلك) انّ كون الأنبياء بشرا ليس مانعا لنبوتهم، بل هو مكمل لها، و لكن أولئك الأقوام يوردون هذه الحجّه دليلا لانكار رساله، و الهدف-غالبا-هو التبرير و العناد.

و كذلك الحال في الاستئان بسنّه الأجداد، فإنّها و بالنظر الى هذه الحقيقه و هي انّ معرفه الأجيال القادمه اكثر من الماضين، لا تعدو سوى خرافه و جهل.

و يتّضح من هنا انّ طلبهم لم يكن لاقامه البرهان الواضح، بل لهروبهم من الحقيقه، لأنّ القرآن الكريم-كما قرانا مرارا-انّ هؤلاء المعاندين أنكروا الآيات الواضحه و الدلائل البينه، و كانوا يقترحون في كلّ مرّه معجزه و دليلا للتهرّب من الأمر الواقع.

و على كلّ حال نقرا في الآيات القادمه كيف أجابهم الأنبياء.

ص: ٤٧٠



اشاره

قَالَ لَهُمْ رَسُولُهُمْ إِنَّا نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَىٰ اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (١١) وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَا آذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ (١٢)

التفسير

اشاره

التوكل على الله وحده:

نقرا فى هاتين الآيتين جواب الرسل على حجج المخالفين المعاندين، و اعتراضهم على بشرية الرسل، فكان جوابهم: قَالَتْ لَهُمْ رَسُولُهُمْ إِنَّا نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ يعنى لو افترضنا ان الله تعالى أرسل لكم ملائكة بدل البشر، فهى لا تمتلك شيئا لذاتها، فكل المواهب و من جملتها موهبه الرساله و القيادة هى من عند الله، فالذى يستطيع ان يهب الملائكة هذا المقام قادر ان يعطيها للإنسان.

و بديهى ان هذه المنح من قبل الله ليست بدون حساب، و قد قلنا مرارا: انّ

المشيئه الالهيه تساير حكمته تعالى، فعند ما نسمع قول القائل: «انّ الله إذا أراد بعبد خيرا...» يكون المراد العبد المستعدّ لهذه الموهبه. و من المعلوم أنّ مقام الرساله موهبه الهيئه، ونحن نرى أنّ الأنبياء بالاضافه الى الرساله الالهيه لهم استعداد و اهليه لتحملها.

ثمّ يجيب على السؤال الثالث دون ان يجيب على الثاني، و كأنّ الاعتراض الثاني الذي هو الاستئان بسنّه الأجداد ليس له اى اهميه و فارغ من المحتوى بحيث أنّ اى انسان عاقل - بأقلّ تأمل - يفهم جوابه، بالاضافه الى أنّ القرآن الكريم قد أجاب عنه فى آيات أخر.

و جواب السؤال الثالث هو أنّ عملنا ليس الإتيان بالمعاجز، فنحن لا - نجلس فى مكان و نلبي لكم المعاجز الاقتراحيه و كلّ ما سوّلت لكم أنفسكم، بل ما كان لنا أنّ نأتيكم بسُلطانٍ إلاّ بإذنِ الله .

و مع ذلك فإنّ كلّ نبى كان يظهر لقومه المعاجز بمقدار كاف بدون ان يطلبها الناس منه، و ذلك لكى يثبت الأنبياء احقيتهم و لتكون المعاجز سندا لصدقهم، مع أنّ مطالعه دعوتهم وحدها اكبر اعجاز لهم، و لكن المعترضين غالبا لم يصغوا لذلك، و هم يقترحون كلّ يوم شيئا جديدا، فإن لم يستجب لهم الرسول، يقيموا الدنيا و يقعدوها. و لكى يردّ الرسل على تهديداتهم المختلفه يقولون: وَ عَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ .

و بعد ذلك استدللّ الأنبياء على مسأله التوكّل حيث قالوا: وَ مَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَ قَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا فالذى منحنا أفضل المواهب، يعنى موهبه الهدايه الى طرق السعاده، سوف يقوم بحمايتنا فى مقابل اى هجوم او مشكله تعترضنا.

ثمّ أضافوا: إنّ ملاذنا هو الله، ملاذ لا يقهر و هو فوق كلّ شىء: وَ لَنْصَبِرَنَّ عَلَىٰ مَا آذَيْتُمُونَا و أخيرا انهوا كلامهم بهذه الجملة: وَ عَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ .

### ١- ما هو معنى التوكّل

؟ قرانا في الآيه الاولى فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ و في الآيه الثانيه فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ و كأنّ الجمله الثانيه تشير الى مرحله أوسع و اعمّ من الجمله الاولى، يعنى أنّ توكّل المؤمنون ممّا لا شكّ فيه-لأنّ الايمان بالله غير منفصل عن الايمان بقدرته و حمايته و التوكّل عليه-بل حتّى غير المؤمنين ملجأهم الى الله و لا- يجدون سبيلا- غيره،لانّ غيره فاقد للأشياء،و كلّ ما فى الوجود ملك لذاته المقدّسه،و لذلك يجب ان يجعلوه وليا لهم،و يطلبوا منه ان يهديهم توكلهم هذا للايمان بالله.

### ٢- المعاجز بيد الله تعالى

أجابت الآيات أعلاه-بشكل واضح-الأشخاص الذين كانوا ينكرون اعجاز الرسل.او ينكرون معاجز رسول الإسلام غير القرآن،و تعلّمنا هذه الآيات أنّ الرسل لم يقولوا ابدا:نحن لا نأتى بالمعاجز،بل أنّ الأوامر الالهيه كانت تمنعهم من ذلك،لأنّ الاعجاز بيده و فى اختياره،و كلّ ما يراه مصلحه يأمرنا به.

### ٣- ما هي حقيقه و فلسفه التوكّل

؟ «التوكّل» فى الأصل من «الوكاله»و كما قال الراغب:التوكيل ان تعتمد على غيرك و تجعله نائبا عنك.و نحن نعلم أنّ الوكيل الصالح له اربع خصال رئيسيه:

العلم الكافى،و الامانه،و القدره،و المبالغه فى رعايه مصلحه موكله.فانتخاب الوكيل المحامى يتمّ فى الأعمال التى لا يستطيع الإنسان نفسه ان يدافع عنها، فيستفيد من مساعده قوّه الآخرين فى حلّ مشكله.

و على ذلك فالتوكّل على الله يتمّ فى حاله عدم استطاعه الإنسان من حلّ

المشاكل الحياتيه و فى مقابل الأعداء و إصرار المخالفين، و أحيانا فى الطرق المسدوده التى تواجهه فى مسيره اهدافه. و لذلك فهو يستند الى الله جلّ و علا- و يستمر فى سعيه، بل حتّى لو كان مستطيعا فى أداء اعماله، فيجب ان يعلم أنّ الله هو المؤثر الاصلى، لأنّ الله تعالى فى نظر المؤمن هو منبع لكلّ القدرات.

و النقطه التى تقابل التوكّل على الله هى التوكّل على غيره، يعنى الاتكاليه فى الحياه و التبعية للآخرين، و عدم الاستقلاليه، يقول علماء الأخلاق: التوكّل الثمره المباشره لتوحيد افعال الله، لأنّه- و كما قلنا- من وجهه نظر المؤمن يرتبط كلّ ما فى الكون بالنهايه بذات الله المقدّسه، و لذلك فالموحد يرى أنّ جميع اسباب القدره و النصر من عند الله.

## فلسفه التوكّل

نستفيد ممّا ذكرناه أنّه:

أولاً: إنّ الإنسان سوف تزداد مقاومته للمشاكل الصعبه لتوكّله على الله الذى هو منبع جميع القدرات و الاستطاعات.

و لهذا السبب فعند ما انهزم المسلمون فى «احد» يقول تعالى: الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ . (١) .

و هناك نماذج اخرى للمقاومه و الثبات فى ظلّ التوكّل، و من جملتها الآيه ١٢٢ من آل عمران يقول تعالى: إِذْ هَمَّتْ طَائِفَةٌ مِّنْكُمْ أَنْ تَفْشَلُوا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ .

و فى الآيه (١٢) من سوره ابراهيم يقول تعالى: وَلَنصَبِرَنَّ عَلَىٰ مَا آذَيْتُمُونَا .

ص: ٤٧٤

و فى الآيه (١٥٩) آل عمران فاعف عنهم و استغفر لهم و شاورهم فى الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين .

و كذلك يقول القرآن الكريم: إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ . (١)

نستفيد من مجموع هذه الآيات أنّ القصد من التوكل ان لا يحس الإنسان بالضعف فى مقابل المشكلات العظيمه، بل بتوكله على قدره الله المطلقه يرى نفسه فاتحا و منتصرا، و بهذا الترتيب فالتوكل عامل من عوامل القوه و استمداد الطاقه و سبب فى زياده المقاومه و الثبات. و إذا كان التوكل يعنى الجلوس فى زاويه و وضع احدى اليدين على الاخرى، فلا معنى لأن يذكره القرآن بالنسبه للمجاهدين و أمثالهم.

و إذا اعتقد البعض أنّ التوكل لا ينسجم مع التوجه الى العلل و الأسباب و العوامل الطبيعیه، فهو فى خطأ كبير، لأنّ فصل العوامل الطبيعیه عن الاراده الالهيه يعتبر شركا بالله، او ليست هذه العوامل تسير بأوامر و مشيئه الله؟ نعم إذا اعتقدنا أنّ العوامل مستقله عن ارادته فهى لا تتناسب مع روح التوكل. فهل من الصحيح ان نفسير التوكل بهذا التفسير، مع أنّ الرسول الأكرم صلى الله عليه و آله و سلم الذى هو راس المتوكلين لم يغفل من استخدام الخطط الصحيحه و الاستفاده من الفرص المتاحه و انواع الوسائل و الأسباب الظاهريه لتحقيق اهدافه، أنّ هذا يثبت أنّ التوكل ليس له مفهوم سلبى.

ثانيا: أنّ التوكل ينبجى الإنسان من التبعية التى هى اصل الذلّ و العبوديه، و يمنحه الحريه و الاعتماد على النفس.

«التوكل» و «القناعه» لهما جذور مشتركه، و فلسفتهما متشابهه، و فى نفس الوقت متفاوته، و لا بأس هنا ان نذكر عدّه روايات فى مجال التوكل و أصله

ص: ٤٧٥

(١ - ١) النحل، ٩٩.

و جذوره:

عن الامام الصادق عليه السلام قال: «انّ الغنا و العزّ يجولان، فإذا ظفرا بموضع التوكّل أوطنا» (١) و قد عرّف الامام التوكّل بأنّه موطن العزّه و عدم الحاجه للآخرين.

و

عن النّبي صلّى الله عليه و آله و سلّم قال: سألت جبرئيل: ما هو التوكّل؟ قال: (العلم بأنّ المخلوق لا يضرّ و لا ينفع، و لا يعطى و لا يمنع، و استعمال اليأس من الخلق فإذا كان العبد كذلك لم يعمل لأحد سوى الله و لم يطمع فى احد سوى الله فهذا هو التوكّل) (٢).

و

سئل الامام الرضا عليه السلام: ما حدّ التوكّل؟ فقال: «ان لا تخاف مع الله أحدا» (٣).

ص: ٤٧٤

- 
- ١- ١) اصول الكافي، المجلد الثاني، باب التفويض الى الله و التوكّل عليه حديث-٣.
  - ٢- ٢) بحار الأنوار، ج ١٥ القسم الثاني فى الأخلاق، ص ١٤ الطبعه القديمه.
  - ٣- ٣) سفينه البحار، المجلد الثاني، ص ٦٨٢.

اشاره

وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ (١٣) وَ لَنُسَكِّنَنَّكُمْ  
الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ذَلِكُمْ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَ خَافَ وَعِيدِ (١٤) وَ اسْتَفْتَحُوا وَ خَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ (١٥) مِنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَ يُسْقَى  
مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ (١٦) يَتَجَرَّعُهُ وَ لَا يَكَادُ يُسِغُهُ وَ يُأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَ لَمَّا هُوَ بِمَيِّتٍ وَ مِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ (١٧)

التفسير

اشاره

خطط الجبارين المعاندين و مصيرهم

! عند ما يعلم الظالمون بضعف منطقتهم و عقيدتهم، يتركون الاستدلال، و يلجأون الى القوه و العنف، و نقرا هنا انّ الأقوام الكافره  
العنيدة عند ما سمعوا منطق الأنبياء المتين و الواضح قالوا لرسولهم: وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي  
مِلَّتِنَا وَ كَأَنَّ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ يَعتَبِرُونَ جميع ما

فى الأرض ملكهم، حتى أنهم لم يمنحوا لرسلم حقوق المواطنة، و لذلك يقولون «أرضنا». و فى الحقيقة فإن الله سبحانه و تعالى خلق الأرض و كل مواهبها للصالحين، و هؤلاء الجابره فى الواقع ليس لهم أى حق فيها.

و قد يتوهم البعض أن جملة لتعودن فى ملتنا اشاره الى أن الأنبياء السابقين كانوا من أنصار عباده الأصنام، مع أن الحقيقة ليست كذلك، لأنهم - و بصرف النظر عن كونهم معصومين حتى قبل نبوتهم - فعلهم و درايتهم كان أكبر من أن يفعلوا هذا العمل غير الحكيم، فيسجدوا امام الأحجار و الأخشاب.

و يمكن أن يكون هذا التعبير بسبب أن الأنبياء قبل بعثهم لم يؤمروا بالتبليغ، فسكوتهم أو وجد هذا الوهم بأنهم من المشركين.

بالإضافة الى أن الخطاب و ان كان موجها للرسل، إلا أنه فى الواقع يشمل حتى الأصحاب، و نعلم أنهم كانوا مع المشركين من قبل، فنظر المشركين كان منصرفا الى الأصحاب فقط، و تعبير «لتعودن» من باب التغليب (يعنى حكم الأكثرية يسرى على العموم).

و هناك جواب آخر لهذا الوهم و هو أن «عود» إذا عدت ب «الى» يكون معناها الرجوع، و إذا عدت ب «فى» فتفيد تغيير الحال.. لذلك فمعنى الآية لتعودن فى ملتنا يكون مفهومها ان تغيروا من حالكم و تدخلوا فى ملتنا، و قد اختار هذا المعنى العلامة الطباطبائى فى الميزان، و لكن عند مراجعتنا لبعض الآيات و منها كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيديا فيها تبين أن «عود» حتى لو عدت ب «فى» فمعناها الرجوع أيضا (فتدبر).

ثم يضيف القرآن الكريم لتسليه قلوب الأنبياء فأوحى إليهم ربهم لنهلك الظالمين فلا تخافوا من وعيدهم، و لا تظهروا الضعف فى ارادتهم.

و بما أن الظالمين كانوا يهددون الأنبياء بالتباعد عن أرضهم، فإن الله فى مقابل ذلك كان يعد الأنبياء و لنسيكنكم الأرض من بعدهم و لكن هذا النصر



والتوفيق لا- يناله إلا- ذلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ لطفه و منه ليس بدون حساب و دليل، و لا- يناله إلا من احس بمسؤوليته في مقابل العدل الالهي، لا الظالمين و المعاندين لطريق الحق.

و حين انقطعت الأسباب بالأنبياء من كل جانب، و ادوا جميع وظائفهم في قومهم، فأمن منهم من آمن، و بقي على الكفر من بقي، و بلغ ظلم الظالمين مداه، في هذه الأثناء طلبوا النصر من الله تعالى وَ اسْتَفْتَحُوا... و قد استجاب الله عزّ و جلّ دعاء المجاهدين المخلصين وَ خَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ .

«خاب» من الخيبة بمعنى فقدان المطلوب.

و«جبار» بمعنى المتكبر هنا،

ورد في الحديث أنّ امراه جاءت النبي صَلَّى الله عليه و آله و سلم فأمرها بشيء، فلم تطعه فقال النبي: دعوها فإنّها جباره (١).

و تطلق هذه الكلمه أحيانا على الله جلّ و علا- فتعطي معنى آخر، و هو(جبر و إصلاح من هو بحاجة الى الإصلاح)او بمعنى(المتسلط على كل شيء) (٢).

و«العنيد» في الأصل من «العند» على وزن(رند)بمعنى الاتجاه، و جاءت هنا بمعنى الانحراف عن طريق الحق.

و لذلك نقرا

في روايه عن النبي صَلَّى الله عليه و آله و سلم قال: «كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ من ابى ان يقول لا اله الا الله». (٣)

و

عن الامام الباقر عليه السلام قال: «العنيد المعرض عن الحق». (٤)

و من الطريف أنّ «جبار» تشير الى صفه نفسانيه بمعنى روح العصيان، و «عنيد» تشير الى آثار تلك الصفه في افعال الإنسان حيث تصرفه عن طريق الحق. ثم يبين نتيجة عمل الجبارين في الآخرة ضمن آيتين في خمسه مواضع:

ص: ٤٧٩

١-١) تفسير الفخر الرازي ذيل الآيه.

٢-٢) للتوضيح اكثر راجع تفسير الآيه (٤٣) من سوره المائده من تفسيرنا هذا.

٣-٣) نور الثقلين، ج ٢، ص ٥٣٢.

٤-٤) المصدر السابق.

١- على اثر هذه الخيبة، او انّ مثل هذا الشخص: مِنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ .

مع أنّ كلمه «وراء» بمعنى «الخلف» فى مقابل امام، إلا أنّها فى هذه الموارد تعنى نتيجته و عاقبه العمل.

٢- أما فى جهنّم فإنّه وَ يُشْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ .

«الصديد» القيح المتجمّع بين اللحم و الجلد، و هو بيان للماء المتعفن الكريه الذى يسقونه.

٣- فهذا المجرم المذنب عند ما يرى نفسه فى مقابل هذا الشراب يَنْجَرُّعُهُ وَ لَا يَكَادُ يُسَيِّغُهُ يَسِيغُهُ: من اساعه، و هى وضع الشراب فى الحلق.

٤- و وسائل التعذيب كثيره بحيث وَ يَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَ مَا هُوَ بِمَيِّتٍ . حتّى يذوق وبال عمله و سيئاته.

٥- و قد يتصوّر ان ليس هناك عقابا اكثر من ذلك، و لكن وَ مِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ .

و بهذا الترتيب فإنّ كلّ ما يخطر فى ذهن الإنسان و ما لا- يخطر من شدّه العقاب هو فى انتظار هؤلاء الظالمين و الجبارين و المذنبين، أسوأها الشراب المتعفن الكريه، و العقوبات المختلفه من كلّ طرف، و فى نفس الوقت عدم الموت، بل الاستمرار فى الحياه و ادامة العذاب.

و لكن لا- يتصوّر أنّ هذا العقاب غير عادل، لا-نه- و كما قلنا مرارا- النتيجة الطبيعیه لعمل الإنسان، بل تجسيم أفعالهم فى الآخره، فكلّ عمل يجسّم بشكل مناسب، و إذا ما شاهدنا جنایات بعض المجرمين فى عصرنا او فى التاريخ القديم لقلنا: حتّى هذه العقوبات قليله.

## ١- ماذا يعنى مقام الربّ

؟ قرانا فى الآيات أعلاه أنّ النصر على الظالمين و اسكان الأرض للذين يخافون مقام ربّهم، فما هو المقصود من «المقام»؟ هناك عدّه احتمالات:

الف:- المقصود هو مقام الربّ عند الحساب، كما ذكرت بعض الآيات الأخرى وَ أَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَ نَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ... (١) وَ لِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ (٢) .

باء:- المقام بمعنى القيام اى المراقبه، و معناه الشخص الذى يخاف من مراقبه الله له، و يحسّ بالمسؤوليه.

ج:- و المقام بمعنى «القيام لإجراء العدالة و احقاق الحق».

و على ايه حال، فلا مانع ان تكون الآيه الشريفه متضمّنه لكلّ هذه المفاهيم، فالذين يرون مراقبه الله لهم، يخافون من حسابه و اجراء عدالته، خوفا ببناء يجعلهم يحشون بمسؤولياتهم فى كلّ عمل يقومون به، و يبعدهم عن الظلم و الذنوب، فالغلبه و حكمومه الأرض من نصيبهم.

٢- هناك جدل بين المفسّرين حول جمله «و استفتحوا» حيث اعتقد البعض بأنّها بمعنى طلب الفتح و النصر، كما ذكرناه سابقا، و شاهدهم الآيه (١٩) من سوره الأنفال إنّ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ .

و قال بعض آخر: أنّها بمعنى القضاء و الحكمومه، يعنى أنّ الأنبياء طلبوا من الله ان يحكم بينهم و بين الكفّار، و شاهدهم الآيه (٨٩) من سوره الأعراف رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَ بَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَ أَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ .

٣- جاء فى التاريخ و التفسير أنّ الوليد بن يزيد بن عبد الملك الحاكم الاموى

ص: ٤٨١

(١ - ١) النزاعات، ٤٠.

(٢ - ٢) الرحمان، ٤٦.

الجبار تفأل بالقرآن يوماً لكي يرى حظه في المستقبل، فظهرت قوله تعالى وَاشْرِكُوا بِاللَّهِ جِبَارٌ عِندَ فِي بَدَايِهِ  
الصفحة، فاستوحش وأخذته العصبية بحيث مزق القرآن الكريم ثم انشد:

أتوعد كلَّ جبار عنيد؟

فها أنا ذاك جبار عنيد؟

إذا ما جئت ربك يوم حشر

فقل يا ربّ مزقني الوليد

و لكن لم يمض وقت طويل حتى قتل اسوا قتله من قبل أعدائه، و قطعوا رأسه و علّقوه فوق سطح قصره، و من ثمّ نقلوه الى باب  
المدينه (1).

ص: ٤٨٢

(١-١) تفسير القرطبي، ص ٣٥٧٩.

اشاره

مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ  
الْبَعِيدُ (١٨)

التفسير

اشاره

رماد اشتدت به الريح:

ضربت هذه الآيه مثالا واضحا و بليغا لاعمال الكفار، و بذلك تكمل بحث الآيات السابقه في مجال عاقبه أمرهم.

يقول تعالى: مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ فيتناثر الرماد في الريح العاصف بحيث لا يستطيع احد جمعه، كذلك منكرو الحق ليست باستطاعتهم ان يجمعوا ما كسبوا لا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ .

### ١- لماذا شَبَّهت أعمالهم كرماد اشتدَّت به الريح؟ الجواب:

١- التشبيه بالرماد (مع إمكان الاستفادة من التراب و الغبار في ذلك) لانه عبارة عن بقايا الاحتراق، و الآيه توضّح أنّ أعمالهم ظاهرية فقط و ليس لها اى محتوى، فيمكن ان تنمو ورده جميله في حفنه من التراب، و لكن لا- يمكن ان ينمو في الرماد حتّى العلف الردىء.

٢- ان ذرات الرماد غير متلاصقه، و حتّى بمساعده الماء لا يمكن ترابطها فالذرات تنفصل عن بعضها البعض بسرعه، و كأنّ ذلك يشير الى أنّ اعمال الكفّار غير منسجمه و لا موّحده، على العكس من اعمال المؤمنين حيث نراها منسجمه و موّحده و مترابطه و كلّ عمل يكمل العمل الآخر، فروح التوحيد و الوحده لا تقتصر على توحيد الجماعه المؤمنه فى ما بينهم بل تنعكس حتّى فى اعمال الفرد المسلم.

٣- بالرغم من تناثر الرماد فى اشتداد الريح، إلاّ انه يؤكّده فى يوم عاصف، لأنّ الرياح إذا كانت محدوده و آتية فمن الممكن ان ينتقل الرماد من مكان الى مكان ليس بالبعيد، و لكن إذا كان يوم عاصف فمن البديهي ان يتناثر الرماد بشكل واسع، و تنتشر ذرّاته و لا يمكن لايه قدره جمعها.

٤- إذا كانت العاصفه تهبّ على التبن و أوراق الشجر و تنتشرها فى أماكن بعيدة إلاّ انه يمكن تشخيصها، و لكن ذرّات الرماد من الصغر بحيث لو انتشرت لا يبقى لها اى اثر و كأنّ ليس لها وجود سابق.

٥- أنّ الرياح و حتّى العواصف لها فوائد جمّه فى الطبيعه بغضّ النظر عن آثارها المدمّره فى بعض الأحيان، و فوائدّها هي:

الف:- تقوم بنشر بذور النباتات فى كلّ مكان من الكره الارضيّه، كالمزارع

و الفلاح.

ب:- تَلْقَحُ الأشجار بنقل حبوب اللقاح من الذكور الى الإناث.

ج:- تقوم بتحريك السحاب من المحيطات الى الاراضى اليابسه.

د:- تحكّ الجبال العاليه و تحوّلها الى تراب ناعم و مفيد.

ه:- تنقل الهواء من المناطق القطبيه الى المناطق الاستوائيه و بالعكس، حيث تقوم بدور فعال فى تعديل درجات الحراره.

و:- أنّ حركه الرياح تثير البحار فتجعلها متلاطمه و مّواجه كى يدخل فيها الهواء، لأنّها إذا ركبت سوف تتعفن، و هكذا نجد أنّ كلّ ما فى الوجود من الأشجار و الكائنات الحيّه قد استفاد من هبوب الرياح كلّ على قدره.

و لكن «الرماد» الخفيف الوزن و النافه و عديم الفائده و الذى لا- يمكن لاي موجود ان يعيش فيه، هذا الرماد المتناثر يتلاشى بسرعه حينما تهبّ الرياح عليه، و يزول حتّى ظاهره غير المفيد.

## ٢- لماذا فرغت اعمالهم من المحتوى

؟ يجب ان نرى لماذا كانت اعمال الكفّار غير ذات قيمه و غير ثابتة؟ و لماذا لا يستطيع الكفّار الاستفاده من نتائج اعمالهم؟ و يتّضح الجواب على هذا السؤال لو درسنا المسأله من ناحيه النظره التوحيديه للعالم، لأنّ التّيه و الهدف و المنهجيه هى التى تعطى للعمل شكله و مضمونه، فإذا كانت الخطّيه و التّيه و الغايه سالمه و جديره بالاهتمام فسوف يكون العمل كذلك، و لكن لو قمنا بأحسن الأعمال بتّيه غير صادقه و خطّيه سقيمه و هدف شيطاني، فإنّ ذلك العمل يكون ممسوخا و يفقد محتواه و يزول كليّنا كالرماد إذا اشتدّت به الرياح! و لا بأس هنا ان نذكر مثلا حياّ لذلك، نشاهد الآن برامج تحت عنوان

ص: ٤٨٥

حقوق الإنسان في العالم الغربي و من قبل القوى المستكبره،هذه البرامج نفسها كانت تجرى من قبل الأنبياء ايضا،و لكن حصيله الاثنين متفاوتة كما بين الأرض و السماء.فالقوى الاستكباريه عند ما تنادى بحقوق الإنسان فمن المسلم ان اهدافها غير انسانيه و غير أخلاقيه،بل التغطيه على جرائمهم و استعمارهم بشكل اكثر،لذلك و على سبيل المثال لو اعتقل احد جواسيسهم في مكان ما، فسوف يملا- عويلهم و صراخهم الدنيا بالدفاع،عن حقوق الإنسان،و لكن عند ما تلطخت أيديهم بدماء آلاف الناس في فيتنام،و ارتكبوا الفجائع في الدول الاسلاميه،و نسيت فيه حقوق الإنسان،بل أنهم استغلوا حقوق الإنسان لمساعدته الانظمه الجائره و العميله! و لكن الأنبياء عليهم السلام او أوصياءهم ينادون بحقوق البشر لتحرير الإنسان من القيود و الأغلال و الظلم،و عند ما يرون إنسانا مظلوما نراهم يهبون للدفاع عنه بالقول و العمل.

و بهذا النحو يكون الاوّل رماد اشتدّت به الريح،و الثّاني ارض مباركه طيبه لنمو النباتات و الثمار و الأوراد.

و يتّضح من هنا ما دار بين المفسّرين من المقصود من العمل في الآيه أعلاه، و هو أنّ مراد الآيه جميع اعمال الكفّار حتّى اعمالهم الحسنه في الظاهر،الّا أنّها مبطنه بالشرك و الإلحاد.

### ٣-مسأله الإحباط

هناك جدل كبير بين علماء المسلمين في مسأله «حبط الأعمال»فهل معناه ذهاب عمل الخير بسبب عمل الشرّ،او بسبب الكفر و عدم الايمان،و لكن الحقّ ما قلناه في ذيل الآيه(٢١٧)من سوره البقره،من أنّ الإصرار على الكفر و العناد و ايضا بعض الأعمال الاخرى كالحسد و الغيبه و قتل النفس لها آثار سيئه كبيره



بحيث تذهب بأعمال الخير و الحسنات.

و الآيه أعلاه دليل آخر في إمكان حبط الأعمال (١).

#### ٤- هل للمخترعين و المكتشفين ثواب الهى

؟ بالنظر للبحوث الآنفه الذكر يرد سؤال مهم، و هو أننا من خلال مطالعتنا فى تاريخ العلوم و الاختراعات و الاكتشافات نرى أنّ هناك مجموعه من العلماء استطاعوا ان يقدّموا خدمات جليله للبشرية و تحمّلوا فى سبيل خدمه البشريه منتهى الشدّه و الصعوبه ليقدّموا اختراعاتهم و اكتشافاتهم للناس، فعلى سبيل المثال مخترع الكهرباء «اديسون» تحمّل الصعاب و يقال فقد حياته فى هذا الطريق لكنّه أضاء العالم، و حرّك المعامل، و ببركه اختراعه وجدت الآبار العميقه حيث اخضرت الأرض و تغيّرت الدنيا. و «باستور» الذى اكتشف المكروب، و أنقذ ملايين الناس من الموت المحتوم.. فهؤلاء و عشرات مثلهم كيف يجعلهم الله فى جهنّم لكونهم غير مؤمنين؟ مع أنّ هناك افرادا لم يقدّموا ايّه خدمه للانسانيه طول حياتهم، و يدخلون الجنّه! الجواب: أنّ العمل فى حدّ ذاته ليس كافيا من وجهه نظر العقيدته الاسلاميه، بل قيمته فى التّيه و القوى المحرّكه له، فكثيرا ما نشاهد من اعمال الخير كبناء مدرسه او مستشفى او اى عمل آخر و هدف صاحبه فى الظاهر هو خدمه المجتمع الانسانى، إلاّ أنّه تحت هذا الغطاء شىء آخر و ذاك هو حفظ جاهه او ماله او جلب انظار الناس اليه، و تحكيم منافعه الماديه، او حتّى ستر خيانتة بعيدا عن انظار الآخرين! و على العكس، فمن الممكن ان يعمل شخص عملا صغيرا، إلاّ أنّه مخلص فى نيّته صادق، و الآن يجب ان نحقق فى ملفات هؤلاء الرجال العظام من وجهه

ص: ٤٨٧

(١-١) للاطلاع اكثر راجع تفسير الآيه (٢١٧) من سوره البقره من تفسيرنا هذا.

نظر عملهم و كذلك الأسباب و الدوافع، و هي لا تخرج من احد امور:

الف:- يكون الهدف من الاختراع أحيانا عملا- تخريبيًا(كما في اكتشاف الطاقة النوويه حيث كان الهدف الاوّل منها صناعه القنابل النوويه) و يمكن الاستفاده منها لخدمه الإنسان، إلاّ أنّه لم يكن الهدف الاصلى من اختراعها، فقيمه عمل هذه المجموعه من المخترعين واضح تماما.

ب:- و قد يكون هدف المخترع او المكتشف الربح المادى او الشهرة، فحكمه فى الحقيقه-حكم التاجر الذى يقوم بتأسيس الخدمات العامه لكى يحصل على أرباح اكثر، و يقوم بتشغيل العمّال و انتاج المحاصيل الزراعيه للبلد، فالهدف من كلّ ذلك هو الحصول على اكبر وارد ممكن، و لو كان هناك عمل اكثر ربحا لركض وراءه.

بالطبع فإنّ هذه التجاره لو كانت طبقا للموازن الشرعيّه، فإنّها ليست حراما، إلاّ أنّها لا تحتسب عملا مقدّسا و مهّمًا.

و مثل هؤلاء المخترعين و المكتشفين ليسوا قليلين على طول التاريخ، فطريقه تفكيرهم ان يقدّموا العمل الأكثر ربحا-حتّى لو كان مضرًا بالمجتمع- (فمثلا- صناعه الادويه لها من الفوائد ٢٠٪/بينما فى صناعه الهيرئيين ٥٠٪/فهم يرجحون الثّانى على الاوّل)فحكم هذه المجموعه واضح ايضا، حيث لم يطلبوا من الله و لا من الناس اى شىء و جزاؤهم الربح و الشهرة فقط.

ج:-هناك مجموعه ثالثه لا شكّ فى أنّ دوافعها انسانيه، او الهيّيه إذا كانت الجماعه مؤمنه، و أحيانا يمضون سنين طويله فى زوايا المختبرات بكامل الفاقه و الحرمان على امل ان يقدّموا خدمه لبنى جنسهم، او هديّه للعالم، ليحلّوا أغلال المتعبين، و يمسحوا التراب من وجوب المعدّيين. فإذا كان هؤلاء الافراد مؤمنين و دوافعهم الهيّيه فمصيرهم واضح.

و أمّا إذا كانوا غير مؤمنين و دوافعهم انسانيّه، فسوف يحصلون على الجزاء

المناسب من الله بلا- ادنى شكك، هذا الجزاء يمكن ان يكون فى الدنيا او الآخرة، فالله عزّ وجلّ عالم و عادل لا يحرمهم من ذلك، و لكن كيف؟ تفاصيله غير واضحة لنا، و يمكن ان نقول: (انّ الله لا يضيع اجر هؤلاء المحسنين فيما إذا كانوا غير مقصّرين لعدم ايمانهم).

و ليس عندنا اى دليل من انّ الآيه إنّ الله لا- يُضَيِّعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ لا تشمل هؤلاء الافراد، فإطلاق المحسنين فى القرآن ليس خاصًا بالمؤمنين فقط، و لذلك نرى انّ اخوه يوسف لما حضروا عنده و هم لا يعرفوه و يظنون أنّه عزيز مصر قالوا: **إِنَّا تَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ . (١)**

و كذلك الآيه **فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَ مَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ** تشمل هؤلاء الافراد.

عن على بن يقطين عن الامام الكاظم عليه السّلام قال: «كان فى بنى إسرائيل رجل مؤمن و جاره كافر، و كان هذا الجار الكافر يحسن الى جاره المؤمن، فعند ما ارتحل من الدنيا بنى له الله بيتا يمنعه من نار جهنّم. و قيل له: انّ هذا بسبب حسن سيرتك مع جارك المؤمن» **(٢)**.

و

عن النّبى صلّى الله عليه و آله و سلّم قال: «انّ ابن جدعان اقلّ اهل جهنّم عذابا» قالوا: لماذا يا رسول الله؟ قال «انه كان يطعم الطعام» و عبد الله بن جدعان احد مشركى مكّه المعروفين و من زعماء قريش **(٣)**.

و

عن النّبى صلّى الله عليه و آله و سلّم قال لعدى بن حاتم الطائى «رفع عن أبيك العذاب الشديد بسخاء نفسه» **(٤)**.

و

عن الامام الصادق عليه السّلام قال: «أتى رسول الله وفد من اليمن و كان فيهم رجل

ص: ٤٨٩

١-١ (١) يوسف، ٩٠.

٢-٢ (٢) البحار، ج ٣، مطبعه كمباني ص ٣٧٧.

٣-٣ (٣) المصدر السابق، ص ٣٨٢.

٤-٤ (٤) البحار، ج ٢، ص ٦٠٧.

أعظمهم كلاماً و أشدهم في محاجه النبي صلى الله عليه و آله و سلم، فغضب النبي صلى الله عليه و آله و سلم حتى التوى عرق الغضب بين عينيه، و تغير وجهه و اطرق الى الأرض فأتاه جبرئيل فقال:

ربك يقرئك السلام و يقول لك: هذا رجل سخي يطعم الطعام، فسكن عن النبي صلى الله عليه و آله و سلم الغضب و رفع رأسه و قال: لولا- أنّ جبرئيل اخبرني عن الله عزّ و جلّ أنّك سخي تطعم الطعام، لشدوت بك و جعلتك حديثاً لمن خلفك، فقال له الرجل: و أنّ ربك ليحبّ السخاء؟ فقال: نعم، قال: أنّي اشهد ان لا اله الاّ الله و أنّك رسول الله و الذي بعثك بالحق لا رددت عن مالي أحداً» (١).

و هنا يأتي هذا السؤال و الذي يمكن ان نستفيدة من بعض الآيات و كثير من الروايات، و هو: هل أنّ الايمان و الولاية شرط لقبول الأعمال و الدخول الى الجنّة؟ فإذا كان كذلك فإنّ أفضل اعمال الكفّار ليس مقبولاً عند الله.

و يمكن ان نجيب على هذا السؤال بأنّ مسأله «قبول الأعمال» شيء، و «الجزاء المناسب» شيء آخر، فمثلاً- المشهور بين علماء المسلمين أنّ الصلاة بدون حضور القلب او مع ارتكاب بعض الذنوب كالغيبة غير مقبولة عند الله، و نحن نعلم أنّ مثل هذه الصلوات صحيحة شرعاً، و تحتسب طاعه لاوامر الله و تفرغ بها ذمّه المصلّي و الطاعه لا تكون بدون اجر. و لذلك فقبول العمل هو الدرجه العاليه للعمل، و نحن نقول هذا ايضاً: إذا كانت الخدمات الانسانيه مصاحبه للايمان فلها أعلى المضامين، و لكن في غير هذه الصوره لا تكون بدون مضمون و جزاء، و جزاء العمل لا ينحصر بدخول الجنّة. (هذه عصاره الفكره بما يتناسب و هذا التفسير، و تفصيل ذلك في الأبحاث الفقهيّه).

ص: ٤٩٠

اشاره

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنَّ يَشَاءُ يُدْهِبُكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ (١٩) وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ (٢٠)

التفسير

اشاره

الخلق على أساس الحق:

بعد ما بحثنا عن الباطل و أنه كالرماد المتناثر إذا اشتدت به الرياح، نبحت في هذه الآية عن الحق و استقراره. يقول الله تعالى مخاطبا النبي صلى الله عليه و آله و سلم باعتباره الاسوه لكل دعاه الحق أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ .

«الحق» كما يقول الراغب في مفرداته «المطابقه و التنسيق» و له استعمالات اخرى: فتاره يستعمل الحق في العمل الصادر وفقا للحكمه و النظام كما في قوله تعالى: هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَ الْقَمَرَ نُورًا ... مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ . (١)

و تاره يطلق على الشخص الذى قام بهذا العمل المحكم، كما نطلقها على الله

ص: ٤٩١

عَزَّ وَجَلَّ فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ الْحَقُّ . (١)

و تاره اخرى يطلق على الاعتقاد الذى يطابق الواقع كما فى قوله تعالى:

فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ . (٢)

و مره يقال للقول و العمل الذى يتحقق فى الوقت المناسب كما فى قوله تعالى: حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ . (٣)

و على اية الحال فمقابل «الحق» الباطل و الضلال و اللب و أمثالهما.

لكن الآيه التى نحن بصددھا تشير الى المعنى الاول، و هو إنشاء عالم الخلق.

حيث توضح السماء و الأرض ان فى الهدف من خلقها الحكمة و النظام و الحساب. فالله تعالى ليس محتاجا فى خلقها و لا ناقصا لكى يسد نقصه بها، بل هو الغنى عن كل شىء، و هذا العالم الواسع دار لنمو المخلوقات و تكاملها.

ثم يضيف: ان الدليل فى عدم الحاجة إليكم و لا الى ايمانكم هو: **إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ .**

و هذا العمل ليس صعبا عند الله و **مَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ .**

و الشاهد على هذا القول فى سورة النساء و **إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَ مَا فِي الْأَرْضِ وَ كَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا ... إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ وَ كَانَ اللَّهُ عَلَىٰ ذَلِكُمْ قَدِيرًا . (٤)** و هذا التفسير بخصوص الآيه أعلاه منقول عن ابن عباس.

و هناك احتمال آخر، و هو ان الجملة أعلاه تشير الى مسأله المعاد و ان الله قادرا على ان يفنى جميع الناس و يأت بخلق آخر، فهل تشكون فى مسأله المعاد و بعثكم من جديد؟

ص: ٤٩٢

١-١) يونس، ٣٢.

٢-٢) البقره، ٢١٣.

٣-٣) السجده، ١٣.

٤-٤) النساء، ١٣١ الى ١٣٣.

اشاره

وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا مِنَ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ قَالُوا لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهَدَيْنَاكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجْزَعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَحِيصٍ (٢١) وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَ الْحَقُّ وَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٢٢) وَأَدْخِلَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ (٢٣)

التفسير

اشاره

المعادنه الصريحه بين الشيطان و اتباعه:

اشارت الآيات السابقه الى العقاب الشديد للمخالفين و المعاندين

و الكافرين، و هذه الآيات تكمل ذاك البحث.

يقول تعالى أولاً: وَ بَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعاً (١).

و في هذه الأثناء يقول الضعفاء الذين تاهوا في وادى الضلاله للمستكبرين الذين كانوا سبب ضلالهم فقال الضعفاء للذين استكبروا إنا كنا لكم تبعاً فهل أنتم مغنون عنا من عذاب الله من شيء فيجيئونهم بدون توقف قالوا لو هدانا الله لهديناكم .

و لكن للأسف فالمسأله منتهيه سواءً علينا أم جزعنا أم صبرنا ما لنا من محيص .

## ملاحظات

## إشارة

### ١- ما هو المراد من وَ بَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعاً

؟ أول سؤال يطرح بخصوص هذه الآية هو: هل أن الناس في هذه الدنيا غير ظاهرين في علم الله لكي تقول الآية: وَ بَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعاً؟ في الجواب على هذا السؤال قال كثير من المفسرين: إن المقصود عدم احساس الناس بهذا الظهور و البروز امام الله في هذه الدنيا، فيكون احساسهم ظاهراً لهم في الآخرة.

و قال بعض ايضا: المقصود هو البروز و الظهور من القبور في ساحة العدل الالهي للحساب.

هذان التفسيران جيدان و ليس هناك مانع من ان تجمعما في مفهوم الآية.

ص: ٤٩٤

١ - ١) يجب الانتباه الى ان «برزوا» فعل ماضى، إلا أنه جاء هنا بصيغته المستقبل، لأن المسائل المتعلقة بالقيامه قطعته و غير قابله للنقاش، و لذلك وردت في كثير من الآيات بصيغته الماضى.



## ٢- ما هو المقصود من جملة لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهَدَيْنَاكُمْ

؟ يعتقد كثير من المفسرين أنّ المقصود الهدايه عن طريق النجاه من العقاب الالهي في ذلك العالم، لأنّ هذا الحديث قاله المستكبرون لاتباعهم حينما طلبوا منهم ان يغنوا عنهم قسما من العذاب، فالسؤال و الجواب متناسبان و يوحيان أنّ المقصود هو هدايتهم للنجاه من العذاب.

و قد استخدم القرآن هذه الكلمه «الهدايه» بخصوص الوصول الى نعم الجنّه، كما يقول اهل الجنّه: **وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ . (١)**

و هناك احتمال ان «قاده الضلاله» حينما يرون أنفسهم امام طلب اتباعهم، و لكي يتنصّوا من الذنب و يلقوا باللأثمه على الغير، كما هي طريقه كلّ المستكبرين- يقولون بكلّ وقاحه: ماذا نعمل؟ فلو كان الله قد هدانا الى الطريق الصحيح لهديناكم اليه! و معناه أنّنا مجبورون على ذلك و ليست لنا اراده حرّه.

و هذا هو منطق الشيطان بعينه، او ليس هو القائل فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ؟ و لكن يجب ان يعلم المستكبرون أنّهم يتحمّلون مسئوليّه ذنوب اتباعهم شأؤوا ام أبوا، طبقا لصريح القرآن و الروايات، لأنّهم المؤسّسون للانحراف و الضلال دون ان ينقص اى شىء من عذاب اتباعهم.

## ٣- أوضح بيان في ذمّ التقليد الأعمى

يتّضح لنا من الآيه أعلاه ما يلى:

أولا: الأشخاص الذين يضعون زمام أمورهم بيد الآخرين هم ضعفاء الشخصيه، و قد عبّر عنهم القرآن الكريم ب **الضُّعَفَاءُ** .

ثانيا: أنّ مصيرهم و مصير قادتهم واحد، و هؤلاء البؤساء لا يستطيعون حتّى فى احلك الظروف ان يستفيدوا من حمايه قادتهم المضلّين، او ان يخفّفوا عنهم

ص: ٤٩٥

قليلا من العذاب، بل يسخرون منهم و يقولون لهم: لا تجزعوا و لا تفزعوا فلا طريق للخلاص و النجاه من العذاب! ثالثا: «برزوا» فى الأصل من مادّه «البروز» اى الظهور او الخروج من الصفّ فى مقابل الخصم فى ساحه القتال، و تأتى ايضا بمعنى المقاتله.

«المحيص» من «المحص» بمعنى التخلّص من العيوب او الألم.

ثمّ يشير القرآن الكريم الى موقف آخر من مواقف القيامة و العقاب النفسى للجبارين و المذنبين و اتباعهم الشياطين، حيث يقول تعالى: وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَ الْحَقُّ وَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَبِهَذَا التَّرْتِيبَ فَالشَّيْطَانُ وَ جَمِيعَ الْمُسْتَكْبِرِينَ الَّذِينَ هُمْ قَادَةُ طَرِيقِ الضَّلَالِ، أَصْبَحُوا يَلُومُونَ وَ يُوبِّخُونَ تَابِعِيهِمْ الْبُؤْسَاءُ.

ثُمَّ يَضِيفُ وَ مَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي وَ يَسْتَمِرُّ فِي الْقَوْلِ فَلَا تَلُومُونِي وَ لُومُوا أَنْفُسَكُمْ .

أنتم فعلتم فاللعنه عليكم!! و على كلّ حال فلا انا أستطيع انقاذكم من العذاب و لا أنتم تستطيعون انقاذى: مَا أَنَا بِمُضْرِخِكُمْ وَ مَا أَنْتُمْ بِمُضْرِخِيَّ وَ الْآيَةَ أَعْلَمُكُمْ بِأَنِّي أَتَّبِرُ مِنْ شَرِّكُمْ وَ إِطَاعَتِكُمْ لِي إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ فَقَدْ فَهِمْتَ الْآنَ أَنَّ الشَّرْكَ فِي الطَّاعَةِ أَدَّى إِلَى شِقَائِي وَ شِقَائِكُمْ، وَ هَذِهِ التَّعَاسَةُ لَيْسَ لَهَا طَرِيقٌ لِلنَّجَاةِ، وَ اعْلَمُوا أَنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ .

**بحوث**

**اشاره**

**١- جواب الشيطان الحاسم لاتباعه**

مع أنّ كلمه «الشيطان» (١) لها مفهوم واسع و تشمل كلّ الطواغيت و وساوس

ص: ٤٩٦

(١-١) للتوضيح اكثر فى معنى الشيطان فى القرآن راجع تفسير الآيه ٣٦ من سوره البقره من تفسيرنا هذا.

الجنّ و الانس، و لكن فى قراءتنا لهذه الآيه و ما قبلها علمنا أنّ المقصود هنا هو شخص إبليس الذى يعتبر رئيسا للشياطين، و لذلك انتخب جميع المفسرين هذا التفسير ايضا.

و نستفيد بشكل اكيد من هذه الآيه أنّ وساوس الشيطان لا- تسلب الإنسان اختياره و حريه ارادته، بل هى مجرد دعوه ليس اكثر، فالناس هم الذين يلتبون دعوته بإرادتهم، و قد تصل الارضيّه السابقه و الدوام على الخلاف بالإنسان الى حاله من سلب الاختيار فى مقابل وساوسه، كما نشاهد بعض المدمنين على المخدرات، و لكن نعلم أنّ السبب الاوّل كان هو الاختيار. يقول تعالى فى الآيه (١٠٠) من سوره النحل: **إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ** .

و على هذا فالشيطان يجيب بشكل قاطع على الذين يعتبرونه العامل الاوّل فى انحرافهم و ضلالهم، و ما يقوله بعض الجهلاء لتبرئتهم من ذنوبهم، فإنّ السلطان الحقيقى على الإنسان هو ارادته و عمله و لا شىء غيره.

٢- كيف استطاع الشيطان ان يلتقى باتباعه و يلومهم فى ذاك الموقف الكبير؟ الجواب: هو أنّ الله تعالى يمنحه القدره على ذلك، و هذا فى الواقع نوع من العقاب النفسى لاتباع الشيطان، و إنذار لكلّ السائرين فى طريقه فى هذه الدنيا، لكي يعلموا من الآن مصيرهم و مصير قادتهم، و على ايّ حال فالله تعالى بطريقه ما يهيئ و سيله الارتباط بين الشيطان و اتباعه.

و من الطريف أنّ هذه المواجهه غير منحصره بالشيطان و اتباعه، بل أنّ جميع ائمه الضلاله فى هذا العالم لهم نفس البرنامج ايضا، يأخذون بأيدى اتباعهم (بموافقتهم طبعاً) و يذهبون بهم الى أمواج العذاب و البلاء، و حينما يرون الأوضاع سيئه يتركونهم و شأنهم حتّى أنّهم يلومونهم و يوبخونهم فى خسران

٣- «المصرخ» من مادّه «اصراخ» و فى الأصل من مادّه «صرخ»، و هى بمعنى الاغاثه و طلب المساعدة، و لذلك فالمصرخ بمعنى المغيث، و المستصرخ طالب الاستغاثة.

٤- القصد من اتّخاذ الكفّار الشيطان شريكاً فى الآيه أعلاه شرك الطاعه و ليس شرك العباده.

٥- فى أنّ جملة إنّ الظالمين لهم عذابٌ أليمٌ تابعه لحديث الشيطان ام كلام مستقل من الله تعالى، هناك آراء مختلفه عند المفسرين، لكن التفسير الأقرب هو أنّ الجملة مستقله و من كلام الله حيث قالها فى نهايه حديث الشيطان مع اتباعه لتكون درسا تربويًا.

و بعد بيان حال الجبارين و الظالمين و مصيرهم المؤلم، تتطرق الآيه الاخيره من هذا البحث الى حال المؤمنين و عاقبتهم حيث يقول تعالى: وَ أُدْخِلَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ الى آخر الآيه.

«التحيه» فى الأصل «الحياه» و تستعمل لسلامه و حياه الافراد، و تطلق لكلّ تحيّه و سلام و دعاء فى بدايه اللقاء.

قال بعض المفسرين: «التحيه» هنا من الله للمؤمنين قرينه على نعمهم و سلامتهم من كلّ أذى و نزاع (لذلك فتحيّتهم اضافه لمفعول، و فاعله الله).

و قال البعض الآخر: أنّ القصد هو تحيّه المؤمنين فيما بينهم، او تحيّه الملائكه لهم، و على ايّه حال ف«سلام» التى قيلت بشكل مطلق لها من المفهوم الواسع بحيث يشمل كلّ سلامه من اى نوع من انواع العذاب الروحى و الجسمى (١).

ص: ٤٩٨

اشاره

أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا- كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرِهِ طَيِّبِهِ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفُرُوعُهَا فِي السَّمَاءِ (٢٤) تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَ  
يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٢٥) وَ مَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرِهِ خَبِيثَةٍ أُجْتُتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ وَمَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ (٢٦)  
يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ فِي الْآخِرَةِ وَ يُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَ يَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ (٢٧)

التفسير

اشاره

الشجره الطيبه و الشجره الخبيثه

! هنا مشهد آخر فى تجسيم الحق و الباطل، الكفر و الايمان، الطيب و الخبيث ضمن مثال واحد جميل و عميق المعنى... يكمل  
البحوث السابقه فى هذا الباب.

يقول تعالى اولاً: أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا- كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرِهِ طَيِّبِهِ ثُمَّ يَشِيرُ إِلَى خِصَائِصِ هَذِهِ الشَّجَرَةِ الطَّيِّبَةِ فِي جَمِيعِ  
ابعادها ضمن عبارات قصيره.

و لكن قبل ان نستعرض هذه الخصائص يجب ان نعرف ما المقصود من

«الكلمه الطيبه»؟ قال بعض المفسرين: أنها كلمه التوحيد (لا اله الا الله).

و قال آخرون: أنها تشير الى الأوامر الالهيه.

و قال البعض الآخر: أنه الايمان الذى محتواه و مفهومه (لا اله الا الله).

و قال آخرون فى تفسيرها: أنها شخص المؤمن.

و أخيرا قال بعضهم: أنها الطريقه و البرامج العمليه.

و لكن بالنظر الى سعه مفهوم و محتوى الكلمه الطيبه نستطيع ان نقول: أنها تشمل جميع هذه الأقوال، لأن «الكلمه» فى معناها الواسع تشمل جميع الموجودات، و لهذا السبب يقال للمخلوقات «كلمه الله».

و «الطيب» كل طاهر و نظيف، فالنتيجه من هذا المثال أنه يشمل كل سنه و دستور و برنامج و طريقه، و كل عمل، و كل انسان.. و الخلاصه: كل موجود طاهر و نظيف و ذى بركه، و جميعها كشجره طيبه فيها الخصائص التاليه:

١- كائن يمتلك الحرکه و النمو، و ليس جامدا و لا خاملا، بل ثابت و فاعل و مبدع للآخرين و لنفسه (التعبير ب«الشجره» بيان لهذه الحقيقه).

٢- هذه الشجره طيبه، و لكن من اتيه جهه؟ بما أنه لم يذكر لها قسم خاص بها، فإنها طيبه من كل جهه.. منظرها، ثمارها، ازهارها، ظلالها، و نسيمها جميعها طيب و طاهر.

٣- لهذه الشجره نظام دقيق، لها جذور و أغصان، و كل واحد له وظيفته الخاصه، فوجود الأصل و الفرع فيها دليل على سياده النظام الدقيق عليها.

٤- أصلها ثابت محكم بشكل لا يمكن ان يقلعها الطوفان و لا العواصف.

و باستطاعتها ان تحفظ أغصانها العاليه فى الفضاء و تحت نور الشمس، لأن الغصن كلما كان عاليا يحتاج الى جذور قويه أصلها ثابت .

٥- أن أغصان هذه الشجره الطيبه ليست فى محيط ضيق و لا ردىء، بل

مقرّها في عنان السماء، وهذه الاغصان و الفروع تشقّ الهواء و تصعد فيه عالياً وَ فَرَعُهَا فِي السَّمَاءِ .

و من الواضح أنّ الاغصان كلّما كانت عاليه و سامقه تكون بعيده عن التلوّث و الغبار و تصبح ثمارها نظيفه، و تستفيد اكثر من نور الشمس و الهواء الطلق، فتكون ثمارها طيبه جداً (1) .

٦- هذه الشجره كثيره الثمر لا كالأشجار الذابله العديمه الثمر، و لذلك فهي كثيره العطاء تُؤْتِي أُكْلَهَا .

٧- و ثمارها ليست فصليه، بل في كلّ فصل و زمان، فإذا أردنا ان نمدّ يدنا الى أغصانها في اي وقت لم نرجع خائبين كلّ حين .

٨- إنّ إنتاجها من الثمار يكون وفق قوانين الخلقه و السنن الالهيه و ليس بدون حساب بِإِذْنِ رَبِّهَا .

و الآن يجب ان نفتش، اين نجد هذه الخصائص و البركات؟ نجدها بالتأكيد في كلمه التوحيد و محتواها، و في الإنسان الموحد ذى المعرفه، و في البرامج الحيه النظيفه، و جميعها ناميه و متحرّكه و لها اصول ثابتة و محكمه و فروع كثيره و عاليه بعيده عن التلوّث بالادران الجسديّه و الدنيويه، و كلّها مثمره و فياضه.

و ما من احد يأتى إليها و يمدّ يده الى فروعها الآ و يستفيد من ثمارها اللذيذه العطره، و تتحقّق فيه الخصال المذكوره، فعواصف الاحداث الصعبه و المشاكل الكبيره لا تزحزحه من مكانه، و لا يتحدد، و وافق تفكيره في هذه الدنيا الصغيره، بل يشقّ حجب الزمان و المكان و يسير نحو المطلق اللامتناهي.

سلوكهم و برامجهم ليست تابعه للهوى و الهوس، بل طبقاً للأوامر الالهيه

ص: ٥٠١

١- ١) و يظهر هذا الأمر بشكل واضح في ثمار الأشجار، فثمار الاغصان العاليه تكون انضج و أطيب طعماً من ثمار الاغصان الواطئه.

و ياذن ربهم، وهذا هو مصدر الحركة و النمو في حركتهم.

الرجال العظام من المؤمنين هم كلمه الله الطيبه، و حياتهم اصل البركه، دعوتهم توجب الحركة، آثارهم و كلماتهم و أقوالهم و كتبهم و تلاميذهم و تاريخهم.. و حتى قبورهم جميعها ملهمه و حيّه و مربيه.

نعم وَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ .

و هناك سؤال مطروح بين المفيسرين و هو: هل لوجود هذه الشجره و صفاتها واقع خارجي؟ يعتقد البعض بوجودها و هي النخله، و لذلك اضطروا الى ان يفسروا كُلَّ حِينٍ بسّته أشهر.

و لكن لا حاجه الى الإصرار في وجود مثل هذه الشجره، بل هناك تشبيهات كثيره و ليس لها وجود خارجي أصلاً.

و على ايّه حال، فالهدف من التشبيه هو تجسيم الحقائق و المسائل العقليّه و صبّها في قالب الحواس، و هذه الأمثال ليس فيها اي إبهام، بل هي مقبولة و مؤثّره و جذابه.

و في عين الحال هناك أشجارا في هذه الدنيا ثمارها لا تنقطع على طول السنه، و قد رأينا بعض الأشجار في المناطق الحارّه و كانت مثمره و في نفس الوقت لها ازهار جديده للثمار المقبله! و بما أنّ احد أفضل الطرق لتوضيح المسائل هو الاستفاده من طريق المقابله و المقايسه، فقد جعلت النقطه المقابله للشجره الطيبه، الشجره الخبيثه وَ مَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ .

و الكلمه «الخبيثه» هي كلمه الكفر و الشرك، و هي القول السيء و الردىء، و هي البرنامج الضالّ و المنحرف، و الناس الخبيثاء، و الخلاصه: هي كلّ خبيث و نجس.



و من البديهي أنّ مثل هذه الشجره ليس لها اصل، و لا نمو و لا تكامل و لا ثمار و لا ظلّ و لا ثبات و لا استقرار، بل هي قطعه خشبيّه لا تصلح الا للاشتعال...

بل اكثر من ذلك هي قاطعه للطريق و تراحم السائرين و أحيانا تؤذي الناس! و من الطريف أنّ القرآن الكريم فصل الحديث في وصف الشجره الطيبه بينما اكتفى في وصف الشجره الخبيثه بجملة قصيره واحده أُجْتِثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ فَرَارٍ، و هذا نوع من لطافه البيان ان يتابع الإنسان جميع خصوصيات ذكر «المحجوب» بينما يمرّ بسرعه في جملة واحده بذكر «المبغوض»! و مرّه اخرى نجد المفسّرين اختلفوا في تفسير الشجره الخبيثه، و هل لها واقع خارجي؟ قال البعض: أنّها شجره «الحنظل» و التي لها ثمار مرّه و رديئه.

و اعتقد آخرون أنّها «الكشوت» و هي نوع من الاعشاب المعقّده التي تنبت في الصحراء و لها اشواك قصيره تلتفّ حولها و ليس لها جذر و لا أوراق.

و كما قلنا في تفسير الشجره الطيبه، ليس من اللازم ان يكون للشجره الخبيثه وجود خارجي في جميع صفاتها، بل الهدف هو تجسيم الوجه الحقيقي لكلمه الشرك و البرامج المنحرفه و الناس الخبيثاء، و هؤلاء كالشجره الخبيثه ليس لها ثمار و لا فائده... الاّ المتاعب و المشاكل. مضافا الى أنّ الأشجار و النباتات الخبيثه التي قلعها الأعاصير ليست قليله.

و بما أنّ الآيات السابقه جيّدت حال الايمان و الكفر، الطيب و الخبيث من خلال مثالين صريحين، فإنّ الآيه الاخيره تبحث نتيجة عملهم و مصيرهم النهائي، يقول تعالى: يُبَيِّنُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ فِي الْآخِرَةِ لَأَنَّ إِيْمَانَهُمْ لَمْ يَكُنْ إِيْمَانًا سَطْحِيًّا وَ شَخْصِيَّتَهُمْ لَمْ تَكُنْ كَاذِبَةً وَ مَتْلُونَةً، بل كانت شجره طيبه أصلها ثابت و فرعها في السماء، و بما أنّ ليس هناك من لا يحتاج الى اللطف الالهي، و بعبارة اخرى: كلّ المواهب تعود لذاته المقدّسه، فالمؤمنون

المخلصون الثابتون بالاستناد الى اللطف الالهي يستقيمون كالجبال في مقابل آيه حادثه. و الله تعالى يحفظهم من الزلّات التي تعترتهم في حياتهم. و من الشياطين الذين يوسوسون لهم زخرف الحياه ليزلّوهم عن الطريق.

و كذلك فالله تعالى يثبتهم امام القوى الجهنميه للظالمين القساء،الذين يسعون لاختضاعهم بأنواع التهديد و الوعيد.

و من الطريف أنّ هذا الحفظ و التثبيت الإلهيين يستوعبان كلّ حياتهم في هذه الدنيا و في الآخره،فهنا يثبتون بالايمن و يبرؤون من الذنوب،و هناك يخلدون في النعيم المقيم.

ثم يشير الى النقطه المقابله لهم وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ .

قلنا مرارا: أنّ الهدايه و الضلال التي تنسب الى الله عزّ و جلّ لا تتحقّقان إلا بأن يرفع الإنسان القدم الاوّل لها،فالله عزّ و جلّ عند ما يسلب المواهب و النعم من العبد او يمنحها له يكون ذلك بسبب استحقاقه او عدم استحقاقه.

و وصف «الظالمين» بعد جملة «يُضِلُّ اللَّهُ» أفضل قرينه لهذا الموضوع،يعنى ما دام الإنسان غير ملوّث بالظلم لا تسلب الهدايه منه،أما إذا تلوّث بالظلم و عمّت وجوده الذنوب،فسوف يخرج من قلبه نور الهدايه الالهيه،و هذه عين الاراده الحرّه.و بالطبع إذا غيّر مسيره بسرعه فطريق النجاه مفتوح له،و لكن إذا استحکم الذنب فإنّ طريق العوده يكون صعبا جدّا.

## بحوث

## اشاره

### ١- هل القصد من الآخره في الآيه هو القبر

؟ نقرا في روايات متعدده انّ الله يثبت الإنسان على خطّ الايمان عند ما يواجه اسئله الملائكه في القبر،و هذا معنى الآيه يُبَيِّنُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ

و لقد وردت كلمه «القبر» بصراحه فى بعض هذه الروايات (١).

و لكن هناك

روايه شريفه عن الامام الصادق عليه السلام قال: «انّ الشيطان لياتى الرجل من اولياتنا عند موته عن يمينه و عن شماله ليضلّه عمّا هو عليه، فيأبى الله عزّ و جلّ له ذلك، و هو قول الله عزّ و جلّ: يُبَيِّنُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ فِي الْآخِرَةِ (٢).

و اكثر المفسرين يميلون الى هذا التفسير، طبقا لما نقله المفسر الكبير العلامة الطبرسى فى مجمع البيان و لعلّ ذلك يعود الى انّ الآخره ليست محلا للأعمال و لا للانحراف، بل هى محلّ الحصول على النتائج فحسب و لكن عند وقوع الموت و حتّى فى البرزخ (الذى هو عالم بين الدنيا و الآخره) قد تحصل بعض الهفوات، فهنا يكون اللطف الالهى عاملا فى حفظ و ثبات الإنسان.

## ٢- دور الثبات و الاستقامه

من بين جميع الصفات التى ذكرتها الآيات أعلاه للشجره الطيبه و الخبيثه، وردت مسأله الثبات و عدم الثبات بشكل اكثر، و حتّى فى بيان ثمار هذه الشجره يقول تعالى: يُبَيِّنُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَ بهذا الترتيب تتضح لنا اهميه الثبات و دوره فى حياه الإنسان.

فكثير من الأشخاص من ذوى القابليات المتوسطه، إلا أنّهم ينالون انتصارات كبيره فى حياتهم، ثمّ إذا حقّقنا فى الأمر لم نجد دليلا إلا الثبات و الاستقامه لديهم.

و من جهه اجتماعيه لا يتحقّق اى تقدّم فى البرامج إلا فى ظلّ الثبات، و لهذا السبب نجد المخزبين يسعون فى تدمير الاستقامه، و لا نعرف المؤمنين الصادقين

ص: ٥٠٥

١- (١) تفسير نور الثقلين، ج ٢، صفحه ٥٤٠-٥٤١.

٢- (٢) المصدر السابق.

الأمن خلال استقامتهم و ثباتهم في مقابل الحوادث الصعبة.

### ٣- الشجرة الطيبة و الخبيثة في الروايات الاسلاميه

كما قلنا أعلاه فإن كلمة «الطيبة» و «الخبيثة» التي شَبَّهت الشجرتان بها، لها مفهوم واسع بحيث تشمل كل شخص و برنامج و مبدا و فكر و علم و قول و عمل، و لكن وردت في بعض الروايات في موارد خاصه و لكن لا تنحصر بها.

و من جملتها ما

ورد في الكافي عن الامام الصادق عليه السلام في تفسير الآيه كَشَجَرِهِ طَيِّبِهِ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَ فَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ قَالَ: «رسول الله أصلها و امير المؤمنين فرعها، و الائمه من ذريتهما أغصانها، و علم الائمه ثمرها، و شيعتهم المؤمنون ورقها، هل فيها فضل؟» (اي هل يبقى شيء) قال قلت: لا و الله، قال:

«و الله ان المؤمن ليولد فتورق ورقه فيها، و ان المؤمن ليموت فتسقط ورقه منها» (١).

و

عنه ايضا عليه السلام حينما سأله سائل عن معنى الآيه تُؤْتَى أَكْلُهَا كُلِّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا قَالَ: «ذاك علم الائمه يأتيكم كل عام من كل المناطق» (٢).

و

في روايه اخرى: «الشجرة الطيبة رسول الله و علي و فاطمه و بنوها، و الشجرة الخبيثة بنو اميّه» (٣).

و في بعضها الآخر فسرت الشجرة الطيبة بالنخل و الخبيثة بالحنظله.

و على ايه حال ليس هناك من تضاد بين هذه التفاسير، بل بينها و بين ما قلناه أعلاه ترابط و تنسيق، لأنها مصاديقها.

ص: ٥٠٦

١- ١) نور الثقلين، ج ٢، ص ٥٣٥.

٢- ٢) المصدر السابق.

٣- ٣) المصدر السابق.

اشاره

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَدُلُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ (٢٨) جَهَنَّمَ يَصِيلُونَهَا وِبُسِّ الْقِرَارِ (٢٩) وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ (٣٠)

التفسير

اشاره

نهايه كفران النعم:

الخطاب فى هذه الآيات موجه للرسول صلى الله عليه وآله وسلم وهو فى الحقيقه عرض لواحد من موارد «الشجره الخبيثه».

يقول تعالى اولاً: أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَدُلُّوْا... الى نهايه الآيه. هؤلاء هم جذور الشجره الخبيثه وقاده الكفر والانحراف، لديهم أفضل نعمه و هو رسول الله، و باستطاعتهم ان يستفيدوا منه فى الطريق الى السعاده، الا ان تعصيه بهم الأعمى و عنادهم و حقدهم صارت سببا فى تركهم هذه النعمه الكبيره، و لم يقتصروا على تركها فحسب. بل اضلوا قومهم ايضا مما جعلهم يسلكون هذا السلوك.

مع ان بعض المفسرين الكبار عند متابعتهم للروايات الاسلاميه فسروا-

أحيانا-هذه النعمة بوجود النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، و أحيانا أخرى بالأئمة عليهم السَّلَام، و فسَّروا الكافرين بهذه النعمة «بنى اميّه» و «بنى المغيره» مرّه، و مرّه اخرى جميع الكفار الذين عاصروا عهد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، و لكن من المسلم به أنّ للآيه مفهومًا أوسع من هذا، و ليس مختصًا بمجموعه معيّن، بل تشمل جميع الافراد الذين يكفرون بالنعمة الالهيه.

و تثبت الآيه ضمنا هذه الحقيقه، و هي أنّ الاستفادة من وجود القاده العظام تعود لنفس الإنسان، كما أنّ الكفر بهذه النعمة العظيمه يؤدّي الى الهلاك و البوار.

ثمّ إنّ القرآن الكريم يفسّر دار البوار بقوله تعالى: جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَ بئس القُرَارُ (١).

ثمّ يشير فى الآيه الاخرى الى واحده من أسوأ انواع كفران النعم و جَعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ لكى يستفيدوا عدّه ايام من حياتهم الماديه و من رئاستهم و حكومتهم فى ظلّ الشرك و الكفر لإضلال الناس عن طريق الحقّ.

إيها النبي قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ .

فحياتكم هذه شقاء و رئاستكم فاسده، و مع ذلك فإنّها تعدّ حياه لذيذه و سعيده بالنسبه للنهايه التى تنتظرهم، كما نقرا فى آيه اخرى قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ . (٢).

## بحوث

١- يقال فى العبارات الدارجة: إنّ الشخص الفلانى كفر بنعمه الله، و لكن الآيه أعلاه تقول: الَّذِينَ يَدُلُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا إِنَّ هَذَا التّعبير الخاص يدلّ على

ص: ٥٠٨

١- ١) «يصلون» من «الصلى» بمعنى الاشتعال و الاحتراق بالنار.

٢- ٢) الزمر، ٨.

الف: المراد من تبديل «النعمة» إلى «كفران» هو عدم شكرهم لهذه النعم، فبدّلوا الشكر بالكفران (فى الحقيقه كلمه الشكر مقدّره، ففى التقدير: الذين بدّلوا شكر نعمه الله كفرا).

ب: - أنّ المقصود هو تبديلهم نفس «النعمة» «كفرا»، و فى الحقيقه فإنّ النعم الالهيه وسائل، و طريقه استعمالها مرتبطه بإرادته الإنسان، فمثلما يمكن ان نستفيد منها فى طريق السعاده و الايمان و العمل الصالح، يمكن ان نستعملها كذلك فى مسير الكفر و الظلم و الفساد، فهى كالمواد الاوليّه التى يمكن بمساعدتها الحصول على انواع مختلفه من الانتاج، الا أنّها خلقت فى الأصل للخير و السعاده.

٢- ليس «كفران النعم» عدم الشكر اللسانى فقط، بل كلّ استفاده غير صحيحه و منحرفه للنعم، تلك هى حقيقه الكفران، و اما عدم الشكر باللسان ففى الدرجه الثانيه، و كما قلنا سابقا فإنّ شكر النعمه تعنى صرفها فى الهدف الذى خلقت من اجله، و الشكر عليها باللسان يأتى فى الدرجه الثانيه، فإذا قلنا آلاف المرات: الحمد لله، و لكننا اسأنا عمليًا الاستفاده من النعم، فذلك كفران للنعم.

و فى عصرنا الحاضر أفضل نموذج لتبديل النعم بالكفران هو استخدام الإنسان لمواهب الطبيعه بفكره و مهارته التى منحها الله للإنسان لخدمه منافعه الخاصه. فالاكتشافات العلميه و الخبرات الصناعيه غيرت وجه العالم و رفعت عن كاهل الإنسان عبئا ثقيلا و وضعت على عجلات المعامل. فالمواهب و النعم الالهيه اكثر من اى زمن آخر، و وسائل نشر المعارف و انتشار العلوم و معرفه جميع اخبار العالم متوقّره فى ايدى الجميع، فيجب على الناس فى هذا العصر ان يكونوا سعداء من الناحيه الماديّه و المعنويه.

و لكن بسبب تبديل النعم الالهيه الكبيره الى كفران، و صرف القوى الطبيعيه

فى طريق الظلم و الطغيان و استخدام الاختراعات و الاكتشافات فى طريق الاهداف المخربه بحيث انّ كلّ تطور صناعى يستخدم  
اولا فى عمليات التدمير.

و خلاصه القول: انّ عدم الشكر هذا و الذى هو بعيد عن التعاليم الصالحه للأنبياء ادى الى ان يجزّوا قومهم و مجتمعهم الى دار  
البوار.

و دار البوار هذه هى مجموعه من الحروب الاقليميه و العالميه بكلّ آثارها التخريبيه، و كذلك عدم الأمن و الظلم و الفساد و  
الاستعمار حيث يبتلى بها فى النهايه المؤسسون لها ايضا، كما رأينا فى السابق و نراه اليوم.

و ما الطف تصوير القرآن حيث جعل مصير كلّ الأقوام و الأمم التى كفرت بأنعم الله الى دار البوار.

٣- «أنداد» جمع «ند» بمعنى «المثل» و لكن الراغب فى مفرداته و الزبيدى فى تاج العروس قالوا: انّ «الند» يقال للشىء الذى يشابه الشىء  
الآخر جوهريا، و «المثل» يطلق على كلّ شىء شبيه لشيء، و لذلك فالند له معنى اعمق و ادقّ من المثل.

و طبقا لهذا المعنى نستفيد من الآيه أعلاه انّ ائمه الكفر كانوا يسعون لان يجعلوا لله شركاء و يشبهوهم فى جوهر ذاتهم بالله عزّ  
و جلّ، لكى يضلّوا الناس عن عباده الله و يحصلوا على مقاصدهم الشريره.

فتاره يقربون لهؤلاء الشركاء القرابين، و اخرى يجعلون قسما من النعم الالهيه (كبعض الانعام) مخصوصه للأصنام، و يعتقدون أحيانا  
بعبادتها. و اوقع من ذلك كله كانوا يقولون أثناء حجّهم فى عصر الجاهليه: (لبيك لا شريك لك - الا شريك هو لك - تملكه و  
ما ملك) (١).

ص: ٥١٠



اشاره

قُلْ لِّلْعِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خِلَالَ (٣١) اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمْ الْفُلُوكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمْ الَّيَّامَ (٣٢) وَاللَّيْلَ وَالنَّهَارَ (٣٣) وَاتَّأَكُم مِّنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ (٣٤)

التفسير

اشاره

عظمه الإنسان من وجهه نظر القرآن:

تعقبا للآيات السابقة فى الحديث عن برنامج المشركين و الذين كفروا بأنعم الله و كون مصيرهم الى دار البوار، تتحدث هذه الآيات عن برنامج عباد الله المخلصين و النعم النازله عليهم، يقول تعالى: قُلْ لِّلْعِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا

قبل ان يأتى ذلك اليوم الذى لا يستطيع فيه الإنسان من التخلص من العذاب بشراء السعاده و النعيم الخالد، و لا تنفع الصداقه حينئذٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا يَبْعُ فِيهِ وَلَا خِلَالَ .

ثم تتطرق الآيه الى معرفه الله عن طريق نعمه، معرفه تؤدى الى احياء ذكره فى القلوب، و تحث الإنسان على تعظيمه فى مقابل لطفه و قدرته، لأن من الأمور الفطريه ان يشعر الإنسان فى قلبه بالحبّ و الودّ لمن أعانه و احسن اليه.

و يبين هذا الموضوع من خلال عدّه آيات الله الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضَ وَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ .

ثم انه وَ سَخَّرَ لَكُمْ الْفُلُوكَ سواء من جهه موادّها الاوليّه المتوقّره فى الطبيعه، او من جهه القوّه المحرّكه لها و هى الرياح التى تهب على البحار و المحيطات بصوره منتظمه لتسيير هذه السفن فتنقل الإنسان و ما يحتاج اليه من منطقه الى اخرى بيسر و سهوله: لَتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ .

وَ سَخَّرَ لَكُمْ الْأَنْهَارَ

كى تسقوا من مائها زروعكم، و تشربوا أنتم و انعامكم، و فى كثير من الأحيان تكون طريقا للسفن و القوارب، و تستفيدون منها فى صيد الأسماك.

و ليست موجودات الأرض فقط- مسخّره لكم، بل وَ سَخَّرَ لَكُمْ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ دَائِبِينَ (١).

و ليست مخلوقات العالم بذاتها فقط، بل حتّى الحالات العرضيه لها هى فى خدمتكم: وَ سَخَّرَ لَكُمْ اللَّيْلَ وَ النَّهَارَ وَ آتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَادَّةٍ سَيَأْتُمُوهُ مِنْ أَحْتِيَاجَاتِكُمُ الْبَدَنِيَّةِ وَ الْاجْتِمَاعِيَّةِ وَ جَمِيعِ وَسَائِلِ السَّعَادَةِ وَ الرَّفَاهِ وَ إِنْ تَعِدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا لِأَنَّ النِّعْمَ الْمَادِيَّةَ وَ الْمَعْنَوِيَّةَ لِلخَالِقِ شَمِلَتْ جَمِيعَ وَجُودِكُمْ

ص: ٥١٢

١- ١) «دائبين» من مادّه «الدؤوب» بمعنى ادمه العمل طبقا للسنة الثابته، و بما ان الشمس و القمر مستمرّان بشكل ثابت من ملايين السنين، و ما لها من فوائد عظيمة للكائنات، لا نجد هناك عباره لهما أفضل من دائبين.

و هي غير قابله للاحصاء، و علاوه على ذلك فإن ما تعلمونه من النعم بالنسبه لما تجهلونه كقطره في مقابل البحر.

و على الرغم من كل هذه الألفاظ و النعم ف إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ .

فلو كان الإنسان يستفيد من هذه النعم بشكلها الصحيح لاستطاع ان يجعل الدنيا حقيقه غنّاء و لنفد مشروع المدينه الفاضله، و لكن بسبب عدم الاستفاده الصحيحه لها أصبحت حياته مظلمه، و اهدافه غير ساميه، فتراكمت عليه المشاكل و الصعاب و قيّدته بالسلاسل و الأغلال.

## بحوث

## اشاره

### ١- الصله بالخالق و الصله بالخلق

نواجه في هذه الآيات مرّه اخرى و في تنظيم برنامج المؤمنين الصادقين مسأله «الصلاه» و «الإنفاق»، و في البدايه قد يطرح هذا السؤال، و هو: كيف أشار القرآن الكريم لهاتين المسألتين من بين جميع البرامج العمليّه للإسلام؟ العله في ذلك أنّ للإسلام ابعاد مختلفه يمكن تلخيصها في ثلاث نقاط: علاقته الإنسان برّبّه، و علاقته بخلق الله، و علاقته بنفسه، و هذا القسم الأخير في الحقيقه نتيجته للقسم الأوّل و الثاني، فالصلاه و الإنفاق كلّ واحد منهما رمز للعلاقه الاولى و الثانيه.

و الصلاه مظهر لصله الإنسان برّبّه و هذه الصله تظهر في الصلاه بشكل أوضح من اى عمل آخر، و الإنفاق رمز للصله بين المخلوقين، فالرزق في مفهومه الواسع يشمل كلّ نعمه ماديه و معنويه.

و بالنظر الى أنّ هذه السوره مكّيه، و أثناء نزولها لم يكن حكم الزكاه نازلا بعد، لا نستطيع القول: إنّ هذا الإنفاق مرتبط بالزكاه، بل له معنى واسع بحيث

يشمل حتى الزكاه بعد نزولها.

و على اية حال إذا تأصل الايمان فسوف يتجلى بالعمل فيقرب الإنسان الى ربه من جانب،الى عباده من جانب آخر.

## ٢- لماذا السرّ و العلانيه

؟ نقرا مرارا فى آيات القرآن أنّ المؤمنين ينفقون او يتصدّقون فى السرّ و العلانيه،و بهذا الترتيب فإنّه تعالى مع ذكره للإنفاق يذكر كيفيّة الإنفاق،لأنّه يكون مرّه فى السرّ اكثر تأثيرا و كرامه،و يكون مرّه اخرى فى الجهر سببا فى تشجيع الآخرين و اقتدائهم فى اقامه الشعائر الدينيه.

و لو قامت حرب بين دوله اسلاميه و اخرى كافره لرأينا الناس المؤمنين يحملون كلّ يوم مقادير كبيره من التبرعات الى المناطق المنكوبه لمساعدته المتضرّرين بالحرب،او الجرحى و المعوّقين او المقاتلين،و من المعلوم أنّ نشر اخبار هذه التبرعات مفيد جدّا و لتكون دليلا على مواساتهم،و دعمهم لمقاتليهم، و إحياء لروح الانسانيه فى عامه الناس،و تشجيعا للذين تخلّفوا عن هذه القافله لكى يوصلوا أنفسهم بها،و من البديهى أنّ الإنفاق هنا فى العلانيه اكثر تأثيرا.

و يقول بعض المفسّرين: أنّ الفرق بين الانفاقين هو أنّ الإنفاق العلنى مرتبط بالواجبات،فلا يخشى عليه من الرياء،لأن العمل بالواجبات لازم للجميع و لا داعى لاختفائه،و اما الإنفاق المستحبّ-ولأنّه زائد عن الوظيفه الواجبه-فمن الممكن ان تتخلله حاله من التظاهر و الرياء و لذلك كان إخفاؤه أفضل.

و لكن الظاهر أنّ هذا التفسير ليس أصلا كلياً على حده.بل هو فرع من التفسير الأوّل.

### ٣- يوم لا بيع فيه و لا خلال

من المعلوم أنّ يوم القيامة هو يوم استلام النتائج و متابعه جزاء الأعمال، و بهذا الترتيب لا يستطيع احد هناك ان ينجو من العذاب بفديه، حتّى لو افترضنا أنّه ينفق جميع ما فى الأرض فإنّه لا يمكن ان يمحو ذرّه من جزاء اعماله، لأنّ صحيفته فى «دار العمل» اى الدنيا مليئه بالاخطاء و الذنوب و هناك «دار الحساب».

و كذلك لا تستطيع العلاقه الماديه للصدقه مع اى شخص كان ان تنجيه من العذاب، و بعبارة اخرى: إنّ الإنسان غالباً ما يلجأ الى المال او الواسطه (الرشوه، العلاقات) فى نجاته من المصاعب فى هذه الدنيا، فإذا كان تصوّرهم أنّ الآخره كذلك فهذا دليل و هتمهم و جهلهم.

و من هنا يتّضح أنّ نفى وجود الخلّه و الصدقه فى هذه الآيه لا- يتنافى مع صدقه المؤمنين بعضهم لبعض فى الآخره و التى اشارت إليها بعض الآيات، لأنها صدقه مودّه معنويه فى ظلّ الايمان.

و اما مسأله «الشفاعه» فقد قلنا كرارا أنّها تخلو من اى مفهوم مادى، بل بالنظر الى ما صرّحت به بعض الآيات فإنّها فى ظلّ العلاقات المعنويه و صلاحيه البعض بسبب اعمال الخير (و قد شرحنا هذا الموضوع فى ذيل الآيه ٢٥٤ من سوره البقره).

### ٤- كلّ الموجودات تحت امره الإنسان

! نواجه فى هذه الآيات مرّه اخرى تسخير مختلف الموجودات فى الأرض و السّماء للإنسان، و قد قسمت الى ستّه اقسام: تسخير الفلك، و الأنهار، و الشمس، و القمر، و الليل، و النهار. و نرى أنّ قسما من هذه المسخّرات من السّماء، و قسما آخر من الأرض، و قسما ثالثا من الظواهر بين الاثنين (الليل

و النهار).

و قلنا سابقا، و نكرّر هنا للتذكّره: أنّ الإنسان من وجهه نظر القرآن له من العظمه بحيث سخر الله له جميع ما فى الوجود، أمّا ان يكون زمام أمورها بيده او تتحرّك ضمن منافعه، و على أيّ حال فهذه العظمه جعلته من اشرف الموجودات.

«فالشمس»: تسطع له بالنور، و تعطيه الحراره، و تساعد على نمو النباتات له، و تطهّر محيطه من الأمراض، و تخلق له البهجه و السرور، و تعلّمه الحياه.

و أمّا «القمر»: فمصباح فى ليله المظلم، و مفكره طبيعیه دائمه، و من آثاره تتكوّن ظاهره الجزر و المدّ لتحلّ كثيرا من مشاكله، فتسقى الأشجار (بسبب ارتفاع منسوب المياه فى الأنهار المجاوره للبحار) و تتحرّك مياه البحار الراكده كى لا- تتعفن، و ليدخل الاوكسجين فيها بسبب الأمواج ليكون تحت تصرف الكائنات الحيّه.

«الرياح»: تؤدّى الى حركه السفن فى المحيطات حيث تشكّل اكبر واسطه نقل و فى أوسع طريق للإنسان، بحيث تستطيع -أحيانا- ان تدفع سفينه بحجم مدينه صغيره بكامل افرادها و تنقلها فى المحيطات.

«الأنهار»: تجرى فى خدمه الإنسان، تسقى زرعه، و تروى مواشيه، و تجعل محيطه ذا طراوه، و تربّى له الأسماك لتغذيته.

«ظلام الليل»: حيث هو سكن للإنسان، و يمنحه الطمأنينه و الراحة، و يخفّف من حراره الجو الملتهبه فى النهار.

و أخيرا «ضياء النهار»: يدعوه الى الحركه و السعى، و يخلق له الدفء و الحراره.

و الخلاصه: أنّ كلّ ما على الأرض و حولها لنفع الإنسان، و بيان هذه النعم و شرحها يمنح الإنسان شخصيه جديده، و تفهمه عظمه مقامه و تبعث فيه الاحساس بالشكر اكثر.

ص: ٥١٦

و نستفيد ايضا من هذا البيان انّ للتسخير فى لغه القرآن معنيان:

الاول:التسخير لخدمه الإنسان و تحقيق منافعه و مصالحه(كتسخير الشمس و القمر).

و الثانى:التسخير الذى يكون زمام أموره بيد الإنسان(كتسخير الفلك و البحار).

و امّا ما اعتقده البعض من انّ هذه الآيات اشاره الى تسخير الإنسان للقمر و غيره فى عصرنا الحاضر فإننا لا نراه صحيحا،لانّ هناك بعض الآيات تقول:

وَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ

(١)

فلا يستطيع الإنسان ان يصل الى جميع الكرات السماويه بتاتا.

نعم هناك بعض الآيات قد تشير الى هذا النوع من التسخير،و سوف نبحث هذا الموضوع بإذن الله فى تفسير سوره الرحمن(و سبق لنا بحث فى تسخير الموجودات للإنسان فى ذيل الآيه(٢)من سوره الرعد).

## ٥-دائين

قلنا انّ «دائب» من مادّه «الدؤوب»بمعنى استمرار العمل طبقا للعادة و السنّه،فالشمس لا تدور حول الأرض،بل الأرض تدور حول الشمس،و نحن نظنّ انّ الشمس تدور حولنا،و هذه الحركه ليست المقصوده فى معنى «دائب»بل الاستمرار فى انجاز العمل يدخل فى مفهوم الدؤوب،و نحن نعلم انّ الشمس و القمر لهما برنامج فى انبعاث النور و ما يتبعه من توقّف الحياه على الأرض عليه بشكل مستمر و فى غايه من الدقه(و هناك حركات اخرى للشمس كما يقوله العلماء،منها الحركه حول نفسها،و حركتها مع المجموعه الشمسيه).

ص: ٥١٧

## ٦- هل يعطينا الله كل ما نطلب منه

؟ قرانا فى الآيات أعلاه أنّ الله عزّ وجلّ لطف بكم و أعطاكم من كلّ ما سألتموه («من» فى الآيه تبعيضيّه) و ذلك بسبب أنّ كثيرا ممّا يطلبه الإنسان من ربّه قد يعود عليه بالضرر و الهلاك، و لكنّ الله حكيم و عالم و رحيم فلا يستجيب لمثل هذه الطلبات، و فى المقابل نرى فى اكثر الأحيان أنّ الإنسان لا يطلب شيئا بلسانه، و لكن يتمناه بفطرته و وجدانه فيستجيب الله له، و ليس هناك مانع من ان يكون السؤال فى جملة ما سألتموه شاملا للسؤال باللسان و السؤال بالفطره و الوجدان.

## ٧- لماذا لا تحصى نعمائوه

؟ نعم الله- فى الحقيقة- تعمّ كلّ وجودنا، و إذا ما طالعنا الكتب المختلفه فى العلوم الطبيعيه و الانسانيه و النفسيه و أمثالها فسوف نرى الى اى مدى تتسع أطراف هذه النعم، و فى الحقيقة أنّ لكلّ نفس يتنفسه الإنسان نعمتان، و لكلّ نعمه شكر واجب.

و اكثر من ذلك فنحن نعلم بأنّ متوسط عدد الخلايا الحيّه فى جسم الإنسان نحو العشره ملايين ميلارد، و كلّ مجموعه تشكّل قسما فعّالا فى الجسم، و هذا العدد كبير جدّا بحيث لو أردنا إحصاءه نحتاج الى مئات السنين! فهذا قسم من نعمه علينا، و لذلك- حقّا- لا نستطيع عدّ نعمه، و إنّ تعدّوا نعمت الله لا تحصوها .

و يوجد فى دم الإنسان مجموعتان من الكريّات (و هى خلايا صغيره سابحه فى الدم و لها وظائف حياتيه مهمّه) ملايين من «الكريّات الحمراء» وظيفتها إيصال الاوكسجين لأجل الاحتراق و صنع خلايا الجسم، و ملايين من «الكريّات البيض» وظيفتها حفظ سلامه الإنسان مقابل هجوم المكروبات، و العجيب أنّ



هذه الكريات فى حاله حركه مستمره لخدمه الإنسان.

فهل نستطيع فى هذه الأحوال ان نحصى نعمه تعالى غير المتناهيه؟!

## ٨-أسفا..انّ الإنسان ظلوم و كفار

توضّينا فى البحوث السابقه الى هذه الحقيقه، وهى انّ الله سخر للإنسان جميع الموجودات، وهياً له كلّ هذه النعم بحيث سدّ جميع احتياجاته، ولكن الإنسان بسبب ابتعاده عن نور الايمان و التريبه، نراه يخطو فى طريق الظلم و الطغيان و يكفر بالنعم.

و يسعى المحتكرون فى احتكار النعم الالهيه الواسعه و السيطره على منابعها الحياتيه، مع أنّهم لا يستهلكون الاّ الشىء القليل و يحرمون الآخرين منها، و يظهر هذا الظلم بأشكال مختلفه من السيطره على الشعوب الضعيفه و استعمارها و تتجاوز على حقوق الآخرين، فيعرض الإنسان حياتاه الهادئه الى الهلاك، يخلق الحروب، و ينفك الدماء، و يقضى على الأموال و الأنفس.

و فى الحقيقه فإنّ القرآن الكريم يناديه: ايها الإنسان، كلّ شىء بالقدر الكافى تحت تصرّفك، بشرط ان لا تكون ظلوما كفّارا، عليك ان تقنع بحقّك و لا تتجاوز على حقوق الآخرين.

وَ إِذْ قَالَ اِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَ اجْنُبْنِي وَ بَنِيَّ اَنْ نَعْبُدَ الْاَصْنَامَ (٣٥) رَبِّ اِنَّهُمْ اَضَلُّنَّ كَثِيرًا مِنْ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِ فَاِنَّهٗ  
 مِنِّي وَ مَنْ عَصَانِي فَاِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٣٦) رَبَّنَا اِنِّي اَسِيْكَتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ  
 فَاجْعَلْ اَفْتَدَاهُ مِنَ النَّاسِ تَهْوِي اِلَيْهِمْ وَ اَرْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُوْنَ (٣٧) رَبَّنَا اِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَ مَا نُعْلِنُ وَ مَا يَخْفَى  
 عَلٰى اَللّٰهِ مِنْ شَيْءٍ فِى الْاَرْضِ وَ لَا فِى السَّمٰوٰتِ (٣٨) الْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِى وَهَبَ لِيْ عَلٰى الْكِبَرِ اِسْمَاعِيْلَ وَ اِسْحٰقَ اِنَّ رَبِّيْ لَسَمِيْعُ الدُّعٰءِ  
 (٣٩) رَبِّ اجْعَلْنِيْ مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَ مِنْ ذُرِّيَّتِيْ رَبَّنَا وَ تَقَبَّلْ دُعَاى (٤٠) رَبَّنَا اغْفِرْ لِيْ وَ لِوَالِدَيَّ وَ لِلْمُؤْمِنِيْنَ يَوْمَ يَقُوْمُ الْحِسَابُ (٤١)

## دعاء ابراهيم عليه السلام:

لمّا كان الحديث فى الآيات السابقة عن المؤمنين الصادقين و الشاكرين لأنعم الله، عَقَّبَتْ هذه الآيات فى بحث بعض ادعيه و طلبات العبد المجاهد و الشاكر لله ابراهيم عليه السلام ليكون هذا البحث تكمله للبحث السابق و نموذجا حيًا للذين يريدون ان يستفيدوا من النعم الالهيه أفضل استفاده.

يقول تعالى: وَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَ اجْنُبْنِي وَ بَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ لَأنَّه عليه السلام كان يعلم حجم البلاء الكبير الكامن فى عباده الأصنام، و يعلم كثره الذين ذهبوا ضحيه فى هذا الطريق رَبِّ إِنَّهُمْ أَضَلُّوا كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ فَأَيُّ ضَلَالٍ اكبر من هذا الضلال الذى يفقد الإنسان فيه حتّى عقله و حكمته.

الهى ائننى ادعو الى توحيدك، و ادعو الجميع الى عبادتك فَمَنْ تَبِعَنِ فَإِنَّهُ مِنِّي وَ مَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ .

فى الحقيقة ان ابراهيم عليه السلام أراد بهذه العبارة ان يقول لله تعالى: انه حتّى لو انحرف ابنائى عن مسيره التوحيد و اتجهوا الى عباده الأصنام فإنهم ليسوا منى، و لو كان غيرهم فى مسيره التوحيد فهم ابنائى و إخوانى.

انّ تعبير ابراهيم المؤدّب و العطوف جدير بالملاحظه، فهو لم يقل: و من عصانى فإنه ليس منى و سأعاقبه عقابا شديدا، بل يقول: وَ مَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ .

ثمّ يستمر بدعائه و مناجاته رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بُوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ .

و كان ذلك عند ما رزقه الله إسماعيل من جاريته «هاجر» فأثار ذلك حسد زوجته الاولى «ساره» و لم تستطع تحمّل وجود هاجر و ابنها، فطلبت من

ابراهيم ان يذهب بهما الى مكان آخر، فاستجاب لها ابراهيم طبقا للأوامر الالهيه، و جاء ياسماعيل و امه الى صحراء مکه القاحله، ثم ودّعهم و ذهب.

و لم يمض قليل من الوقت حتّى عطشت الامّ و ابنها فى تلك الشمس المحرقة، وسعت هاجر كثيرا فى انقاذ ابنها، و لكنّ الله تعالى أراد ان تكون تلك الأرض قاعده عظيمه للعباده فأظهر عين زمزم، و لم يمض وقت حتّى علمت قبيله «جرهم» البدويه التى كانت قريبه منهم بالأمر، فرحلوا و أقاموا عندهم، فأخذت مکه بالتحضّر شيئا فشيئا.

ثمّ يتابع ابراهيم عليه السّلام دعاءه: الهى، انّ اهلى قد سكنوا فى هذه الصحراء المحرقة احتراما لبيتك المحرّم: فَاجْعَلْ أَفْنِدَهُ مِنْ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَ ارْزُقُهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ .

و من هنا لما كان الإنسان الموحد و العارف يعلم بمحدوديه علمه فى مقابل علم الله، و أنّه يعلم مصلحته الآ الله تعالى، فما اكثر ما يطلب شيئا من الله و ليس فيه صلاحه، او لا- يطلبه و فيه صلاحه، و أحيانا لا يستطيع ان يقوله بلسانه فيضمّره فى اعماق قلبه، و لذلك يعقّب على ما مضى من دعائه و يقول: رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَ مَا نُعْلِنُ وَ مَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَ لَا فِي السَّمَاءِ .

فان كنت مغتّمًا لفراق ابني و زوجتي فأنت تعلم بذلك.. و ترى دموع عيني المنهمله. و ان كان قلبى قد ملأه همّ الفراق، و امتزج بفرح العمل بالتكليف و الطاعة لاوامرك فأنت اعلم بذلك..

و عند ما فارقت زوجتي و قالت لى: «الى من تكلنى» فأنت أدري بها و بمستقبلها و مستقبل هذه الأرض.

ثمّ يشير القرآن الى شكر ابراهيم عليه السّلام لنعمه تعالى و التى هى من اهمّ ما امتاز به عليه السّلام.. شكره على منحه ولدين بارزين إسماعيل و إسحاق و ذلك فى سنّ

الشيخوخه الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ (١) نَعَمْ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ .

ثمّ يستمرّ بدعائه و مناجاته ايضا فيقول: رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَ مِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَ تَقَبَّلْ دُعَاءِ .

ثمّ يختم دعاءه هنا فيقول: رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَ لِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ .

## بحوث

## اشاره

### ١- هل كانت مكه في ذلك الوقت مدينه

؟ رأينا في الآيات السابقه انّ ابراهيم قال: رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ وَ هذه اشاره الى اوّل دخوله ارض مكه و التي كانت غير مزروعه و لا معموره و لا ساكن فيها سوى اسس بيت الله الحرام، و مجموعه من الجبال الجرداء.

و لكننا نعلم أنّها لم تكن رحلته الوحيده الى مكه، بل وطأت قدمه عدّه مرّات تلك الأرض، و في الوقت نفسه كانت مكه تأخذ طابع المدينه، و سكنتها قبيله «جرهم» و بظهور عين زمزم أصبحت صالحه للسكن.

و المعتقد انّ ادعيه ابراهيم هذه كانت في احدى رحلاته، و لذلك عبّر عنها بالبلد، اي المدينه فقال: رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا .

و اما قوله: بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ فقد تكون اشاره الى رحلته الاولى او اشاره

ص: ٥٢٣

١-١) هناك اختلاف بين المفسرين في سنّ ابراهيم عند ولاده إسماعيل و إسحاق، فمنهم من قال: كان عمره عند ولاده إسماعيل ٩٩ عاما و عند ولاده إسحاق ١١٢ عام، و منهم من يقول اكثر من ذلك و اقل، و لكن القدر المسلّم به انّ عمره كان في سن

يصعب ان يولد منه الأبناء.

الى ارض مكّه بعد ان أخذت طابع المدينه،فإنّها لا زالت غير صالحه للزراعه، لأنّها من الناحيه الجغرافيه تقع بين جبال يابسه و قليله المياه.

## ٢-أمان ارض مكّه

من الطريف أنّ أوّل ما سأل ابراهيم من ربّه فى هذه الأرض هو الامان،و هذا يوضّح أنّ نعمه الأمن هى من الشروط الاولى لحياه الإنسان و سكنه فى منطقه ما،فالمكان غير الآمن لا يمكن السكن فيه،حتّى لو اجتمعت كلّ النعم الدنيويّه فيه،و فى الحقيقه اى مدينه او بلد فاقد لنعمه الأمن سوف يفقد جميع النعم! و لا بدّ هنا من الالتفات الى هذه النقطة،و هى أنّ استجابته الله لدعاء ابراهيم بخصوص امن مكّه له جهتان:فمن جهه منحها امنا تكويّتيًا،و لذلك لم تشهد فى تاريخها الاّ-النزر القليل من إخلال الأمن،و من جهه ثانيه منحها الأمن التشريعى، اى أنّ الله اقرّ ان يأمن جميع الناس-و حتّى الحيوانات-فى هذه الأرض.و منع صيد الحيوانات،و عدم متابعه المجرمين الذين يلجأون الى حرم الكعبه، و نستطيع-فقط- ان نمنع عليهم الغذاء لكى يخرجوا،و من ثمّ تطبيق العدله فى حقّهم.

## ٣-دعاء ابراهيم لاجتناب عباده الأصنام

؟ ممّا لا شكّ فيه أنّ ابراهيم عليه السّلام كان نبيًا معصوما،و كذلك ابناه إسماعيل و إسحاق كانا نبيّين معصومين،لأنّهما داخلان فى كلمه «نبيّ»فى الآيه قطعًا،و مع ذلك يدعو الله ان يجنّبهم عباده الأصنام! و هذا دليل فى التأكيد على محاربه عباده الأصنام بحيث كان يطلب هذا الأمر من الله حتّى للأنبيا المعصومون و محطّموا الأصنام،و هذا نظير اهتمام النّبي فى وصايا له لعلّى-او الائمه الآخرين بالنسبه لاوصياهم-فى امر الصلاه،و التى

لا يمكن احتمال تركها من قبلهم ابدًا، بل انّ الصلاه أساسا قامت ببركه سعيهم و جهودهم.

و هنا يطرح هذا السؤال: كيف قال ابراهيم رَبِّ إِنَّهُمْ أَضَلُّوا كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ فِي حِينِ انّ الأصنام ليست سوى أحجارا و خشبا و لا استطاعه لهنّ في إضلال الناس.

و يمكن الجواب على هذا السؤال من جهتين:

أولا: لم تكن الأصنام من الأحجار و الخشب دائما، بل هناك الفراعنه و أمثال نمرود الذين كانوا يدعون الناس لعبادتهم و يسمون أنفسهم بالربّ الأعلى و المحي و المميت.

ثانيا: و أحيانا يكون القائمون بأمر الأصنام مظهرين تعظيمها و تزيينها بالشكل الذي تكون حقًا مضلّة لعوام الناس.

#### ٤- من هم اتباع ابراهيم

؟ قرانا في الآيات انّ ابراهيم قال: فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي فهل انّ اتباع ابراهيم من كان في عصره فقط، ام الذين كانوا على دينه في العصور اللاحقه، او يشمل كلّ الموحدين و المؤمنين في العالم- باعتبار ابراهيم عليه السلام مثلا في التوحيد و محطما للأصنام-؟ نستفيد من الآيات القرآنيه- و من ضمنها الآيه ٧٨ من سوره الحج- انّ دعاء ابراهيم يشمل جميع الموحدين و المجاهدين في طريق التوحيد. و يؤيد هذا التفسير ما ورد عن اهل البيت عليهم السلام ايضا:

فعن الباقر عليه السلام قال «من احبنا فهو منا اهل البيت. قلت، جعلت فداك: منكم؟ قال منا و الله، اما سمعت قول ابراهيم فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي (١) .

ص: ٥٢٥

و يوضح هذا الحديث صيروره الفرد من اهل البيت معنويا ان سار على خطهم و تابع منهمجهم.

و

عن الامام على عليه السلام قال: «نحن آل ابراهيم، أفتترغبون عن مله ابراهيم! وقد قال الله تعالى: فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي .

## ٥- واد غير ذى زرع و الحرم الآمن

الذين سافروا الى مكه يعلمون جيدا انها تقع بين جبال صخريه يابسه لا ماء فيها و لا كلا، و كأَنَّ الصخور وضعت فى افران حارّه ثم صبّت فى أماكنها. و فى نفس الوقت فهى اكبر مركز للعباده و اقدم قاعده للتوحيد على وجه المعموره، و كذلك هى حرم الله الآمن.

و هنا قد يرد هذا السؤال فى أذهان الكثيرين و هو: لماذا جعل الله هذا المركز المهمّ فى مثل هذه الأرض؟ يجيب الامام على عليه السلام على هذا السؤال من خلال أوضح العبارات و أجمل التعابير الفلسفيه خطبته القاصعه حيث

يقول: «وضعه بأوعر بقاع الأرض صخرا و اقلّ نتائق الدنيا مدرا... بين جبال خشنه و رمال دمه... و لو أراد سبحانه ان يضع بيته الحرام و مشاعره العظام بين جنّات و انهار و سهل و قرار، جمّ الأشجار، داني الثمار، ملتفّ البناء، متّصل القوى، بين بزّه سمراء و روضه خضراء، و أرياف محدقه، و عراض مغدقه و رياض ناظره و طرق عامره، لكان قد صغر قدر الجزاء على حسب ضعف البلاء، و لو كان الأساس المحمول عليها و الأحجار المرفوع بها بين زمرده خضراء، و ياقوته حمراء، و نور و ضياء، لخفف ذلك مصارعه الشكّ فى الصدور، و لوضع مجاهده إبليس عن القلوب، و لنفى معتلج الريب من الناس، و لكنّ الله يختبر عباده بأنواع الشدائد، و يتعبدهم بأنواع المجاهد، و يتليهم بضروب المكاره، إخراجا للتكبر من قلوبهم، و إسكانا للتذلل فى نفوسهم و ليجعل

ص: ٥٢٤



ذلك أبوابا فتحا الى فضله، و أسبابا ذللا لعفوه» (١).

## ٦- الدعوات السبعة لإبراهيم

### إشاره

دعا ابراهيم عليه السلام فى هذه الآيات سبع دعوات فى مجال التوحيد و المناجاه و محاربه الأصنام و عبادتها و محاربه الظالمين:

أول هذه الدعوات هو أمان مكه القاعده العظيمه لمجتمع التوحيد(و ما اعتمق مغزى هذا الطلب).

الثانى:دعاؤه فى الاجتناب عن عباده الأصنام و التى هى الأساس و القاعده لجميع العقائد و البرامج الدينيه.

الثالث:دعاؤه فى تمايل قلوب المؤمنين و ارتباطهم العاطفى بالنسبه لأبنائه و التابعين لدينه.

دعاؤه الرابع:ان يرزقهم الله من انواع الثمرات،لتكون عنوانا للشكر و الالتفات بشكل اعتمق لخالق النعم.

الدعاء الخامس:التوفيق لاقامه الصلاه و التى هى أقوى صلته بين الإنسان و ربه،و دعاؤه عليه السلام ليس له فقط،بل حتى لأبنائه.

دعاؤه السادس:قبول دعائه،و نحن نعلم ان الله يقبل الدعاء من مواقع الإخلاص و القلوب الطاهره و الأرواح الساميه،و فى الواقع

ان هذا الطلب من ابراهيم عليه السلام يحتوى ضمنا الحصول على القلب الطاهر و الروح الساميه.

و آخر دعائه عليه السلام:ان يشمله الله بلطفه و رحمته فيما إذا صدر منه ذنب او خطيئه،و ان يرحم امه و أباه و جميع المؤمنين

فى يوم القيامه.

و بهذا الترتيب فإن دعواته تبدا بالأمن و تنتهى بالعفو و الغفران،و من الطريف أنه لم يطلبها لنفسه فقط،بل للآخرين كذلك،لأن

عباد الرحمن ليسوا انانيين!

ص: ٥٢٧

## هل يدعو ابراهيم لأبيه

؟ ممّا لا شكّ فيه أنّ «آزر» كان يعبد الأصنام، و كما يشير اليه القرآن فإنّ ابراهيم سعى جاهدا لان يهديه لكن خاب سعيه، و إذا سلّمنا أنّ آزر كان أبا لإبراهيم، فلما ذا يدعو ابراهيم ان يغفر الله له فى الوقت الذى نرى أنّ القرآن يقول:

﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أَوْلَىٰ قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ . (١) ﴾

و من هنا يتّضح أنّ آزر لم يكن أبا لإبراهيم، و أنّ كلمه أب تطلق أحيانا على العمّ، و كثيرا ما يستعملها العرب كذلك، بينما (الوالد) خاصّه بالأب الحقيقى و التى جاءت فى الآيات أعلاه. أمّا كلمه أب و التى وردت بخصوص آزر فمن الممكن أنّ المراد بها العمّ.

و نستنتج من الآيات أعلاه و ممّا ورد فى سورة التوبه من النهى عن الاستغفار للمشركين أنّ «آزر» لم يكن أبا لإبراهيم حتما. (و للتوضيح اكثر راجع تفسير الآيه ٧٤ من سورة الانعام و ٣٦ من سورة الأعراف فى تفسيرنا هذا).

ص: ٥٢٨

اشاره

وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ (٤٢) مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُؤْسِهِمْ لَا يَزِيدُ إِلَيْهِمْ طَوْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ (٤٣) وَ أَنْذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخْرْنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُبِغْ دَعْوَتَكَ وَ نَتَّبِعِ الرَّسِيلَ أَوْ لَمْ تَكُونُوا أَقْسَىٰ مِنْكُمْ مِنْ قَبْلِ مَا لَكُمْ مِنْ زَوَالٍ (٤٤) وَ سَيَكُنَّ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَ تَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَ ضَرَبْنَا لَكُمْ الْأَمْثَالَ (٤٥)

التفسير

اشاره

اليوم الذي تشخص فيه الأبصار

! كان الحديث في الآيات السابقة عن يوم الحساب، و بهذه المناسبه تجسم هذه الآيات حال الظالمين و المتجبرين في ذلك اليوم، ثم تبين المسائل المتعلقة بالمعاد و تكمل الحديث السابق حول التوحيد و تبدا في تهديد الظالمين: وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ .

و هذا فى الواقع جواب لأولئك الذين يقولون: إذا كان لهذا العالم اله عادل فلما ذا يترك الظالمين و حالهم؟ هل هو غافل عنهم ام لا- يستطيع ان يمنعمهم و هو يعلم بظلمهم؟ فيجيب القرآن الكريم على ذلك بأن الله ليس غافلا عنهم ابدا، لأن عدم عقابهم مباشره هو ان هذا العالم محل الامتحان و الاختبار و تربيته الناس، و هذا لا يتم الا فى ظل الحريره، و سوف يأتى يوم حسابهم إنما يُؤخَرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ مُهْطِعِينَ مُقْنَعِي رُؤُسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْتَدَتْهُمْ هَوَاءٌ .

«تشخص» من مادّه «الشخص» بمعنى توقّف العين عن الحركة و النظر الى نقطه بدهشه.

«مهطعين» من مادّه «إهطاع» بمعنى رفع الرقبه، و يعتقد البعض أنّها بمعنى «السرعه» و قال آخرون: تعنى «النظر بذله و خشوع». و لكن بالنظر الى الجمل الاخرى يكون المعنى الاول اقرب الى الصّحّه.

«مقنعي» من مادّه «الاقناع» بمعنى رفع الراس عاليا.

و مفهوم جملة لا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ لا يقدرّون على ان يطفروا من شدّه الهول، و كأنّ أعينهم كأعين الأموات عاطله عن العمل! و جملة أفتدتهم هواءً بمعنى قلوبهم خاليه و مضطربه بحيث ينسون كلّ شىء حتى أنفسهم و فقدت قلوبهم و أنفسهم كلّ ادراك و علم، و فقدوا كلّ قواهم.

انّ بيان هذه الصفات الخمس: تشخص الأبصار، مهطعين، مقنعي رؤوسهم، لا يرتدّ إليهم طرفهم، افتدتهم هواء، صورته بليغه لهول و شدّه ذلك اليوم على الظالمين الذين كانوا يستهزئون بكلّ شىء، و أصبحوا فى هذا اليوم لا يستطيعون حتى تحريك أجفان أعينهم.

و لكى لا- يشاهدوا هذه المناظر المفجعه ينظرون الى الأعلى فقط، فهؤلاء كانوا يعتقدون بكمال عقولهم و يعدّون الآخرين من الحمقى، فأصبحوا اليوم

مدهوشين لدرجه ان نظهرهم نظر المجانين. بل الأموات نظر جاف عديم الروح و ملئ بالرب و الفزع..

نعم، عند ما يريد القرآن الكريم ان يصوّر منظرا او يجسّم موقفا يستخدم اقصر العبارات فى أكمل بيان كما فى الآيه أعلاه.

و لكى لا يعتقد احد ان هذه المجازات تتعلّق بمجموعه معينه، يقول تعالى لنبيّه الكريم: **وَ أَنْذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخْرِزْنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ حَتَّىٰ نَسْتَفِيدَ مِنْ هَذِهِ الْفُرْصَةِ ثُمَّ نَجِبْ دَعْوَتَكَ وَ نَتَّبِعِ الرَّسُولَ وَ لَكِن هِيَ هَاتِ انْ ذَلِكْ مَحَالٌ أَوْ لَمْ تَكُونُوا أَفْسَؤْتُمْ مِنْ قَبْلِ مَا لَكُمْ مِنْ زَوَالٍ وَ سَيَكُنْتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَ تَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَ ضَرَبْنَا لَكُمْ الْأَمْثَالَ فَكُلَّ هَذِهِ الدُّرُوسِ لَمْ تَوْثُرْ بِكُمْ وَ أَدْمَتُمْ ظَلْمَكُمْ وَ جُورَكُمْ، وَ الْآنَ وَ بَعْدَ انْ وَقَعْتُمْ فِي يَدِ الْعَدَالَةِ تَطْلُبُونَ تَمْدِيدَ الْمَدَّةِ، اى مَدَّة؟ لَقَدْ انْتَهَى كُلُّ شَيْءٍ!**

## بحوث

## اشاره

### ١- لماذا وجه الخطاب هنا الى الرسول الأكرم

؟ ممّا لا شك فيه انّ النبي صلى الله عليه و آله و سلم لا يتصوّر ابدا انّ الله غافلا عن الظالمين، و مع ذلك نرى الآيات أعلاه توجه خطابها الى النبي و تقول له: **وَ لَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ .**

أنه- فى الواقع- إيصال الخطاب بشكل غير مباشر الى الآخرين، و الذى هو احد فنون الفصاحة، كما نقول: **إياك اعنى و اسمعى يا جاره.**

و بالاضافه الى ذلك فإنّ هذا التعبير كناية عن التهديد، كما نقول فى بعض الأحيان للشخص المقصير: **«لا تعتقد أننا غافلون عن افعالك»** يعنى سوف نحاسبك على ما فعلت!

و على اى حال فأساس الحياه يقوم على إعطاء المهله الكافيه للافراد حتى ينفقوا ممّا عندهم، و لكى لا يبقى عذر لأحد تعطى المهله الكافيه قبل ساعه الامتحان، و إعطاء المهله الكافيه للرجوع و الإصلاح للجميع.

## ٢- ما هو المقصود من يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ

؟ لقد امر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ ان يندر الناس بهذا اليوم الذى ينزل عليهم فيه العذاب الالهى، و لكن اى يوم هذا؟ ذكر المفسرون له ثلاث احتمالات:

الأول: يوم القيامة.

الثانى: يوم وقوع الموت، حيث تبدأ مقدمه العذاب الالهى للظالمين.

الثالث: المقصود هو نزول جزء من العذاب و البلاء الدنيوى، كعذاب قوم لوط و عاد و ثمود و قوم نوح و فرعون، و الذى تم من خلال الطوفان او الزلازل و العواطف و الريح و غيرها.

و مع ان كثير من المفسرين رجحوا التفسير الاول، الا ان الآيات التى تليها تشير الى قوه الاحتمال الثالث، و التى توضح ان المقصود هو العقاب الدنيوى لاننا نقرا بعد هذه الآيه رَبَّنَا أَخْرْنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ نَجِبْ دَعْوَتَكَ .

فالتعبير «أخرنا» قرينه واضح فى الطلب لاستمرار الحياه فى الدنيا، لأنه لو كان فى الآخره لقالوا: رَبَّنَا ارْجِعْنَا إِلَى الدنیا، كما نقرا فى الآيه (٢٧) من سوره الانعام وَ لَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقَفُوا عَلَى الدَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَ لَا نُكَذِّبُ بِآيَاتِ رَبَّنَا وَ نَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ حيث يرد عليهم القرآن الكريم و يقول: وَ لَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ .

و قد يسأل سائل: إذا كانت هذه الآيه تشير الى عذاب الدنيا، و الآيه ما قبلها وَ لَا تَحْصِبَنَّ اللَّهُ غَافِلًا تشير الى عذاب الآخره، فكيف يمكن ان تتوافق هاتان الآيتان، بالنظر الى ان كلمه «انما» داله على عقابهم فى الآخره فقط و ليس فى

و يتّضح الجواب بملاحظه أنّ العقاب الاخرى الذى يشمل جميع الظالمين، ليس له اى تبديل و تغيير،بينما الجزاء الدنيوى- بالاضافه الى أنّه غير شامل- فهو قابل للتبديل.

و لا بدّ من ذكر هذه النقطة ايضا و هو أنّ العقاب الدنيوى-كعقاب قوم نوح و فرعون و أمثالهم-إذا حلّ بهم سوف تغلق أبواب التوبه كلياً و ليس لهم طريق للرجوع و التوبه،لانّ أغلب المذنبين عند ما يرون العذاب يندمون على ما فعلوا، و هذا الندم اضطرارى و ليس له اى قيمه،و لذلك يجب عليهم ان يتوبوا قبل نزول العذاب (١).

### ٣- لماذا لا تقبل المهله

؟ نقرأ فى آيات مختلفه من القرآن الكريم أنّ الظالمين و المذنبين فى مواقف متعدده، يطلبون الرجوع الى الحياه لتصحيح مسيرتهم،فبعض هذه المواقف مرتبط بيوم القيامه كما أشرنا فى الآيه (٢٨) من سوره الانعام،و بعض آخر مرتبط بساعه الموت كما تشير اليه الآيه (٩٩) من سوره المؤمنون حتّى إذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون لعلّى أعمل صالحاً فيما تركت و البعض الآخر يطلب الرجوع عند نزول العذاب المهلك- كما فى هذه الآيه- حيث يقول الظالمون عند رؤيتهم للعذاب ربنا أخرجنا إلى أجل قريب نجب دعوتك و من الطريف أنّ الجواب فى جميع هذه المواقف يكون بالنفى.

و دليله واضح،لانّ اى واحد من هذه الامنيات لا يمثّل حقيقه واقعيه و لا جديّه،و رجاؤهم هذا هو حاله اضطراريه تظهر حتّى عند أسوأ الأشخاص، و ليست حاله دالّه على التغير الذاتى و التصميم الواقعى الصادق لتصحيح مسيره

ص: ٥٣٣

حياتهم، كالمشركين عند ما يأخذهم الطوفان يسألون الله النجاه، و عند ما ينجيهم الى الساحل ينكثون عهودهم كأن لم يكن يحدث شىء إطلاقاً.

و لذلك يقول القرآن الكريم فى بعض آياته- كما أشرنا اليه أعلاه- وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ .

ص: ٥٣٤



اشاره

وَ قَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ (٤٦) فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخَلَّفًا وَعْدهِ رُسُلَهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ (٤٧) يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ (٤٨) وَ تَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ (٤٩) سَرَّابِلُهُمْ مِنْ قَطْرَانٍ وَ تَغْشَى وُجُوهُهُمُ النَّارُ (٥٠) لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (٥١) هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذِرُوا بِهِ وَ لِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَ لِيَذْكُرُوا الْأَنْبِيَاءَ (٥٢)

التفسير

اشاره

لا فائده من مكرهم

! اشارت الآيات السابقه الى نوع من عقاب الظالمين، و في هذه الآيات ايضا اشارت -أولا- الى جزء من أفعالهم، و من ثم الى قسم آخر من جزائهم الشديد و عقابهم الأليم.

تقول الآية الاولى: وَقَدْ مَكَرُوا مَكَرَهُمْ .

لقد عملوا كل ما بوسعهم من اجل طمس حقائق الإسلام، بدء من الترغيب و التهديد و حتى الأذى و محاولات القتل و الاغتيال و بث الشائعات، و مع كل ذلك فإن الله مطلع على جميع مؤامراتهم و قد احصى اعمالهم: وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ و على اى حال فلا تقلق فانهم لا يستطيعون بمكرهم هذا ان يصيبوك بسوء حتى و ان كان مَكْرُهُمْ لَتُرْوَلَ مِنْهُ الْجِبَالُ .

«المكر»-و كما أشرنا اليه سابقا-بمعنى الاحتيال، فمَرَّه يلازمه الفساد و مَرَّه اخرى لا يلازمه، و فى تفسير جملة وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ رأيان:

يقول البعض و من جملتهم العلامة الطباطبائى فى تفسير الميزان: المراد بكون مكرهم عند الله احاطته تعالى به بعلمه و قدرته.

و يقول البعض الآخر، كالعلامة الطبرسى فى مجمع البيان: ان المراد هو ثبوت جزاء مكرهم عند الله تعالى (و على هذا التفسير يكون تقدير الآية: عند الله جزاء مكرهم) فكلمه الجزاء محذوفه.

و مما لا شك فيه ان التفسير الاول اقرب الى الصحة، لانه يوافق ظاهر الآية و لا يحتاج الى الحذف و التقدير، و تؤيده جملة و ان كان مَكْرُهُمْ لَتُرْوَلَ مِنْهُ الْجِبَالُ اى ان مكرهم مهما كان قويا. و مهما كانت لديهم قدره على المؤامرة، فإن الله اعلم بهم و اقدر عليهم و سيدمر كل ما مكروا.

ثم يتوعّد الله الظالمين و المسيئين مرّة اخرى من خلال مخاطبه النبي صلى الله عليه و آله و سلم فلا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلَفًا وَغَدِهِ رُسُلُهُ لَانَّ الْأَخْلَافَ يَصْدُرُ مِنَ الَّذِي لَيْسَتْ لَهُ قُدْرَةٌ وَ اسْتَطَاعَةٌ، و لكن: إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ .

و هذه الآية-فى الواقع-مكمّله للآية التى قبلها و لا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ .

و تعنى ان المهله التى أعطيت للظالمين ليست بسبب ان الله غافل عنهم و عن

اعمالهم و لا مخلف لوعده، بل سينتقم منهم فى اليوم المعلوم. و الانتقام لا يراد به ما كان مصحوبا بالحقد و الثأر كما يستخدم عادة فى اعمال البشر، بل هو الجزاء و العقاب و اقامه العدالة بحق الظالمين، بل أنها نتيجة عمل الإنسان نفسه، و لا حاجه الى القول بأن الله تعالى لو لم ينتقم من الظالمين لكان ذلك خلافا لعدله و حكمته.

ثم يضيف تعالى يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَ السَّمَاوَاتُ و سوف يتجدد كل شىء بعد الدمار، و يبعث الإنسان فى خلق جديد و عالم جديد يختلف فى كل شىء عن هذا العالم، فى سعته، فى نعيمه و عقابه و سيظهر الإنسان بكل وجوده لله تعالى: وَ بَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ .

و«البروز» من مادّه «البراز» على وزن «فراز» بمعنى الفضاء و المحلّ الواسع، و غالبا ما تأتي بمعنى الظهور، لأنّ وجود الشىء فى الفضاء الواسع بمعنى ظهوره، و هناك آراء مختلفه للمفسرين فى معنى بروز الناس لله تعالى، الكثير يرى أنها تعنى الخروج من القبر.

و يحتمل ان يكون المعنى انكشاف بواطن و ظواهر جميع الناس فى يوم المحشر، كما نقرا فى الآيه (١٦) من سوره غافر يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ لَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ و كذلك الآيه (٩) من سوره الطارق يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ و على اى حال فوصفه بالقهّار دليل على تسلطه على كل الأشياء و سيطرته على ظاهرها و باطنها.

و هنا يأتي هذا السؤال، و هو: هل ان شيئا خفى على الله فى هذه الدنيا لكى يظهر فى الآخرة؟ ام ان الله لا يعلم بما فى القبور و لا يعلم بأسرار الناس؟ و يتضح الجواب من الالتفات الى هذه النقطة، و هى ان لنا ظاهرا و باطنا فى هذه الدنيا، و قد يشتهه على البعض -بسبب علمنا المحدود- ان الله لا يرى باطنا، و لكن سوف يظهر كل شىء فى الآخرة و لا وجود للظاهر و الباطن هناك، و بعبارة

اخرى فالظهور بالقياس الى علمنا و ليس الى علم الله المطلق.

و تصوّر الآيه التاليه كيفيه بروزهم الى الله فنقول: وَ تَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقْرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ .

«الأصفاذ» جمع «صفاذ» بمعنى الغلّ، و قال البعض هو الغلّ و السلاسل التي تجمع اليد الى العنق.

«مقرنين» من مادّه «القرن و الاقتران» و هي بنفس المعنى، لكن لو استخدمت من باب التفعيل يستفاد منها الكثير، و على ذلك فكلّمه مقرّنين بمعنى الأشخاص المتقاربين مع بعضهم البعض.

و للمفسرين ثلاث آراء حول المقصود من هذه الكلمه:

الاول: هو تقييد المجرمين بالسلاسل و الأغلال بعضهم مع البعض الآخر و ظهورهم بهذه الصوره فى يوم القيامه، أنّ هذا الغل هو عباره عن تجسيد للروابط العمليه و الفكرية بين المجرمين فى هذه الدنيا، حيث كان يساعد بعضهم البعض على الظلم و الفساد، و تتجسّد هذه العلاقه فى الآخره بصوره سلاسل تربطهم فيما بينهم.

الثانى: أنّ المجرمين يقرون مع الشياطين بالسلاسل فى يوم القيامه بسبب علاقتهم الباطنيه معهم فى هذه الدنيا.

الثالث: ان تقييد أيديهم برقابهم فى الآخره.

و لا مانع هناك من ان تجمع هذه الصفات للمجرمين، لكن المعنى الاول الذى ذكرناه يوافق ظاهر الآيه.

ثم يتطرّق القرآن الكريم الى لباسهم و الذى هو احد افراد المجازاه الشديده سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطْرَانٍ وَ تَعْشَىٰ وَجُوهَهُمُ النَّارُ .

«سراويل» جمع (سربال) على وزن (مثقال) بمعنى القميص من اى قماش كان، و يقول البعض بأنّه كلّ انواع اللباس، لكن الاول اقرب الى المعنى.

«قطران» بفتح القاف و سكون الطاء او بكسر القاف و سكون الطاء، و هي مادّه تؤخذ من شجره الأبهل ثم تغلى فتسخن و تطلى بها الإبل عند اصابتها بمرض الجرب، و كانوا يعتقدون أنّ المرض يزول بسبب وجود الحرقه فى هذه المادّه، و على اى حال فهى مادّه سوداء نتنه و قابله للاشتغال (١).

فيكون معنى الجملة سِرّاً يبلّهُم مِّنْ قَطْرَانٍ أَنَّهُمْ يلبسون ثيابا من مادّه سوداء و نتنه و قابله للاشتغال، حيث تمثّل اسوا الالبسه لما كانوا يعملونه فى هذه الدنيا من ارتكاب الذنوب و الفواحش. و سوادها يشير إلى أنّ الذنوب تؤدّى إلى ان يكون الإنسان مسودّ الوجه امام ربّه، و تعفنها يشير الى تلوث المجتمع بهم و مساعدتهم على إشعال نار الفساد، و كأنّ القطران تجسيد لاعمالهم فى الدنيا.

وَ تَعَشَىٰ وُجُوهُهُمُ النَّارُ

بسبب لباسهم الذى هو من قطران، لأنّه عند اشتعاله لا يحرق جسمهم فقط، بل يصل لهيبه الى وجوههم. كلّ ذلك لأجل ليّجزى الله كلّ نفسٍ ما كَسَبَتْ .

و من الطريف أنّه لم يقل أنّ الجزاء بما كسبت أنفسهم، بل يقول: «ما كسبت» ليكون تجسيديا حيّا لاعمالهم، و هذه الآيه بهذا التعبير الخاص دليل آخر على تجسّم الأشياء.

و فى الختام يقول تعالى: إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ و هذا واضح تماما لأنّ كلّ انسان حسابه معه! و نقرا فى بعض الروايات: إنّ الله تعالى يحاسب الخلائق كلّهم فى مقدار لمح البصر. و لا- ريب أنّ الله تعالى لا يحتاج الى وقت لمحاسبه الافراد، و ما جاء فى الروايه أعلاه اشاره الى اقصر الفترات. (للتوضيح اكثر راجع تفسير الآيه ٢٠٢ من سوره البقره من تفسيرنا هذا).

ص: ٥٣٩

١- ١) يقول فريد وجدى فى دائره المعارف فى مادّه (القطران) مائع ناتج من تقطير الفحم الحجرى، و القطران النباتى يتمّ الحصول عليه من بعض الأشجار.

و بما أنّ آيات هذه السوره-و كذلك جميع الآيات-لها جانب الدعوه الى التوحيد و إبلاغ الأحكام الالهيه الى الناس و إنذارهم، يقول تعالى فى آخر آيه من هذه السوره: هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ

بحوث

اشاره

## ١-تبديل الأرض غير الأرض و السماوات

قرانا فى الآيات أعلاه أنّ فى يوم القيامة تبدل الأرض غير هذه الأرض و كذلك السماوات، فهل التبديل تبدل ذاتي، اى ان تفنى هذه الأرض و تخلق مكانها ارض اخرى للقيامه؟ ام المقصود هو تبدل الصفات، يعنى دمار ما فى الأرض و السماوات و خلق ارض و سماوات جديده على انقاضها؟ حيث تكون النسبه بينهما أنّ الثانيه أكمل من الاولى.

الظاهر فى كثير من الآيات القرآنيه أنّها تشير الى المعنى الثاني، ففى الآيه (٢١) من سوره الفجر يقول تعالى: كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا وَ فِي الْآيَةِ الْاُولَى مِنْ سوره الزلزال يقول تعالى: إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا وَ أَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا وَ فِي الْآيَةِ (١٥) مِنْ سوره الحاقه وَ حُمِلَتِ الْأَرْضُ وَ الْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ وَ قَوْلُهُ تَعَالَى: وَ يَسْئَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا- لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَ لَا أَمْتًا- يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ وَ خَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا، (١) و قوله تعالى: إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ وَ إِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ وَ إِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ وَ قَوْلُهُ تَعَالَى فِي سوره الانفطار

ص :٥٤٠

إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ .

يستفاد من مجموع هذه الآيات والآيات الأخرى التي تتحدث عن بعث الناس من القبور، أنّ النظام الحالى للعالم لا يبقى بهذه الصورة التى هو عليها، ولا- يفنى فناء تاماً، بل تتغير صورته العالم و تعود الأرض مسطحه مستويه و يبعث الناس فى ارض جديده(بالطبع تكون الأرض اكثر كمالاً لأن الآخره كل ما فيها أوسع و أكمل).

و من الطبيعى أنّ عالمنا اليوم ليس له الاستعداد لتقبيل مشاهد الآخره، و هو محدود المجال بالنسبه لحياتنا الأخرويه و كما قلنا مراراً: أنّ نسبه عالم الآخره الى عالم الدنيا كنسبه عالم الجنين فى الرحم الى الدنيا.

و الآيات التى تقول: **يَوْمَ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ** دليل واضح على هذه الحقيقه.

من الطبيعى أننا لا- نستطيع ان نصور الآخره و خصائصها بشكل دقيق- كما هو حال الجنين فى بطن امه لو افترضنا أنّ له عقلاً كاملاً، فإنه لا يستطيع ان يتصور عالم الدنيا- إلا أننا نعلم أنه سوف يحدث تغيير عظيم لهذا العالم، حيث يتم تدميره و تبديله بعالم جديد، و من الطريف ما ورد فى الروايات من أنّ الأرض تبدل بخبز نقيّه بيضاء يأكل الناس منها حتى يفرغ من الحساب.

و قد وردت هذه الروايات بطرق مختلفه فى تفسير نور الثقلين، و أشار إليها القرطبي فى تفسيره كذلك.

و ليس من المستبعد ان يكون المقصود من هذه الروايات أنّ الأرض سوف تغطيها مادّه غذائيه يمكن للإنسان ان يستعملها بسهولة، و وصفها بالخبز لأنه الأكثر احتواء لهذه المادّه الغذائيه.

و كما رأينا فإنَّ سوره ابراهيم ابتدأت في بيان دور القرآن الكريم في إخراج الناس من الظلمات الى نور العلم و التوحيد، و انتهت في بيان دور القرآن في إنذار الناس و تعليمهم التوحيد.

إنَّ هذه البدايه و النهايه تبين هذه الحقيقه، و هو أنَّ كلَّ ما نحتاجه موجود في هذا القرآن، حيث

يقول الامام على عليه السَّلام: «فيه ربيع القلوب و ينابيع العلم، فاستشفوه من أدوائكم» و هذا البيان دليل على خلاف ما يراه بعض المسلمين من أنَّ القرآن الكريم كتاب مقدَّس يقتصر وجوده في ترتب الثواب لقارئه. بل هو كتاب شامل لجميع مراحل الحياه الانسانيه.

كتاب رشد و هدايه و دستور للعمل، فهو يذكر العالم و يستلهم منه عموم الناس.

إنَّ مثل هذا الكتاب يجب ان يأخذ موقعه في قلوب المسلمين، و يشكّل قانونا و نظاما اساسيا في حياتهم، و يجب عليهم ان يطالعوه و يبحثوا مضامينه بدقّه في تطبيقاتهم العمليه.

إنَّ هجران القرآن الكريم و اتّخاذ المبادئ المنحرفه الشرقيه منها و الغريبه، احد العوامل المهمه في تأخر المسلمين.

و ما أروع ما

قاله الامام على عليه السَّلام «و اعلموا أنّه ليس على احد بعد القرآن من فاقه، و لا لأحد قبل القرآن من غنى». (١)

و ما اشدّ مصيبتنا في غربتنا عن القرآن، و معرفه الغرباء به! و من المؤلم ان تكون وسيله السعاده في دارنا و نحن نبحت عنها في دور الناس! و ما أعظم المصاب حين نكون الى جانب نبع ماء الحياه، عطاشى، ظمأى،

ص: ٥٤٢



او نهرول فى الصحارى حفاه وراء السراب! اللهم ارزقنا العقل و الهدايه و الايمان حتى لا نفقد وسيله السعاده هذه،التي هى من ثمار دمء الشهداء فى سبيلك! و الطف علينا بالجدّ حتى نعلم ضالّتنا فى هذا الكتاب العظيم و لا نمدّ أيدينا الى الآخرين.

### ٣- التوحيد هو البدايه و النهايه

الفائده الاخرى التى علمتنا اياها الآيه أعلاه،هى التأكيد على التوحيد بعنوان الحديث الأخير،و على اولى الأبواب بعنوان التذكّر الأخير.

نعم،فالتوحيد اعمق اصل اسلامى حيث تنتهى اليه جميع خطوط التربيه و التعليم فى الإسلام،و يجب ان نبتدى به و ننتهى اليه لانه العمود الفقرى للإسلام. و ليس توحيد الله فى العباده فقط،بل التوحيد فى الهدف،و التوحيد فى صفوف القتال،و التوحيد فى البرامج العمليه و التنفيذيه،فكلّها توضّح الأركان الاصليه للدين،و سبب وجود المشاكل الكثيره فى مجتمعاتنا الاسلاميه هو حذف التوحيد من واقعنا العملى.

و مع الأسف الشديد نلاحظ أنّ الدول العربيه و التى هى مهد الإسلام قد اقترنت برامجها و اهدافها بالشرك و القوميه و تكالبت خلف أمجاد العروبه و عظمه العرب و أمثال ذلك من الاهداف و الغايات الوهميه،و اتّخذت الدول الاخرى لها أصناما من هذا القبيل،و بذلك قطعوا أواصر التوحيد الاسلامى التى كانت تربط فى ما مضى شرق العالم و غربه،و تغرّبوا عن مبادئهم السماويه الى درجه أنّ الحرب و الاقتتال فيما بينهم اكثر و اشدّ من حربهم مع أعدائهم!!

مع أنّ سورة ابراهيم هى السوره الوحيدة فى القرآن سمّيت بهذا الاسم، رأينا من المناسب ان نفهرس حياه هذا الرجل العظيم و محطّم الأصنام فى نهايتها-مع العلم أنّها لا- تذكر حالات ابراهيم الاخرى التى وردت فى آيات اخرى من القرآن-لكى يكون القارئ العزيز على علم كاف بحياه هذا الرجل العظيم التى تذكرها الآيات الاخرى ان شاء تعالى.

و نستطيع ان نقسّم مراحل حياته الشريفه الى ثلاث فترات:

١-فتره ما قبل النبوه.

٢-فتره نبوته و محاربتة للأصنام فى بابل.

٣-فتره الهجره من بابل و تجواله فى ارض مصر و فلسطين و مكّه.

### ولادته و طفولته

ولد ابراهيم عليه السّلام فى ارض «بابل» التى كانت من بلدان العالم المهمّه، و تحكّمها حكومه قويّه و جائره، و فتح عينيه على العالم فى الوقت الذى كان نمرود بن كنعان الملك الجبار الظالم يحكم ارض بابل و يعتبر نفسه الربّ الأعلى (١).

بالطبع لم يكن للناس فى ذلك الوقت هذا الصنم فقط، بل كانت لهم أصنام مختلفه يعبدونها و يتقرّبون إليها. و الدوله فى ذلك الوقت كانت تدافع بقوّه عن الأصنام، لأنها الوسيله المؤثّره فى تخدير و تسخيف المجتمع، بحيث لو صدرت اى اهانته من احد تجاهها يعتبرونها خيانه عظمى.

ص: ٥٤٤

(١-١) ذكر بعض المؤرّخين أنّ ولادته عليه السّلام-فى مدينه (اور)التابعه لدوله بابل.

و قد نقل المؤرّخون قصّه عجيبه حول ولاده ابراهيم عليه السّلام و خلاصتها هي:

توقّع المنجّمون أنّه سوف يولد شخص و يحارب نمرود بكلّ قوّه، و لذلك فقد سعى جاهدا لان يوقف ولاده هذا الشخص او ان يقتله حين ولادته، الاّ أنّه لم يتمكّن من ذلك و ولد المولود.

و استطاعت امّه ان تحفظه عبر تربيته فى زوايا الغار القريب من مولده، بالشكل الذى امضى ثلاثه عشر عاما هناك.

و فى النهايه و بعد ان ترعرع فى مخفاه بعيدا عن انظار شرطه نمرود، و وصل الى سنّ الشباب، صمّم على الخروج منه و التّزول الى المجتمع ليشرح لهم دروس التوحيد التى استلهمها من دخيله نفسه و تأملاته الفكرية.

### محاربته للمجاميع المختلفه من الوثنيين

و فى هذه الأثناء التى كان يعبد فيها شعب بابل-بالاضافه الى الأصنام- الموجودات السّماويه كالشمس و القمر و النّجوم، صمّم ابراهيم عليه السّلام على ان يوقظ وجدانهم عن طريق المنطق و الادلّه الواضحه، و يزيل عن فطرتهم النقيّه ستار الظّلمات حتّى يشعّ فى نفوسهم نور الفطره و يسلكوا فى طريق التوحيد.

و كان يتفكّر فى خلق السّماوات و الأرض حتّى شعّ نور اليقين فى قلبه [٧٥-الانعام]

### الجهاد المنطقى مع الوثنيين

واجه ابراهيم أوّلا- عبّاد النّجوم و وقف مع مجموعه ممّن يعبدون الزهره، التى تظهر بعد غروب الشمس مباشرة، حيث كانوا منشغلين فى عبادتها، نادى ابراهيم-أما من باب الاستفهام الانكارى، او من باب التنسيق مع الطرف المقابل بعنوان المقدمه، لاثبات اشتباههم- هذا ربّي فلما أفلّ قال لا أحبّ

فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا وَبَدَأَ عِبْدَهُ الْقَمَرَ مَرَّاسِمَ دَعَائِهِمْ قَالَ هَذَا رَبِّي ؟ فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ .

فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً وَبَدَأَ نَشْرَتِ اشْعَثَهَا الذَّهَبِيَّةَ عَلَى السُّهُولِ الْخَضْرَاءِ، وَبَدَأَ عِبَادَ الشَّمْسِ تَضَرَّعَهُمْ وَعِبَادَتَهُمْ لَهَا قَالَ إِبْرَاهِيمُ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ (١). إِنَّ هَذِهِ الْآلِهَةَ دَائِمَةُ الْأَفْوَالِ وَالْغُرُوبِ، فَلَا اخْتِيَارَ لَهَا إِطْلَاقًا، بَلْ هِيَ اسْمِيرَةُ الْقَوَانِينِ الطَّبِيعِيَّةِ فَكَيْفَ تَكُونُ خَالِقَةً لِلْكَوْنِ؟ وَانْهَى عَلَيْهِ السَّلَامُ هَذِهِ الْفِتْرَةَ مَعَ الْوَثْنِيِّينَ عَلَى أَفْضَلِ صُورِهِ وَاسْتَطَاعَ أَنْ يُوقِظَ جَمَاعَةً مِنْهُمْ وَيَجْعَلَ مَجْمُوعَةً أُخْرَى تَشْكُ فِي عَقِيدَتِهَا.

و لم يمض وقت طويل حتى شاع صيته.. هذا الشاب الذي أنار قلوب الناس بمنطقه و بيانه البليغين!

### الحديث مع آزر

و فِي مَرَحَلَةٍ أُخْرَى بَدَأَ حَدِيثَهُ مَعَ عَمِّهِ آزَرَ بِعِبَارَاتٍ مُحْكَمَةٍ جَدًّا وَوَاضِحَةٍ مُقْتَرَنَةٍ بِالْمَحَبَّةِ، وَأَحْيَانًا يُؤَبِّخُهُ وَيُنذِرُهُ مِنْ مَغْبَةِ عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ وَ يَقُولُ لَهُ: لِمَاذَا تَعْبُدُ شَيْئًا لَا يَسْمَعُ وَلَا يَرَى وَلَا يَغْنَى عَنْكَ شَيْئًا؟ فَاتَّبَعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا، إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا إِلَّا أَنْ عَمَّهُ لَمْ يَسْتَجِبْ لَهُ وَهَدَّاهُ بِالرَّجْمِ إِذَا لَمْ يَرْجِعْ عَنْ مَسَارِهِ هَذَا، لَكِنْ إِبْرَاهِيمُ بِقَلْبِهِ الْوَاسِعِ قَالَ: سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي ٤٧-مريم.

ص: ٥٤٦

## نبوه ابراهيم عليه السلام

ليس عندنا دليل واضح على عمر ابراهيم عليه السلام حينما تقلد مقام النبوه، و لكن نستفيد من الآيات فى سورة مريم، أنه أثناء محاورته لعمه كان من الأنبياء، حيث يقول تعالى: وَ اذْكُرْ فِي الْكِتَابِ اِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا اِذْ قَالَ لِابِيهِ يَا اَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا .

و نعلم ان هذه الحادته كانت قبل القائه فى النار، و إذا ما أخذنا بنظر الاعتبار ما قاله بعض المؤرخين من ان عمره أثناء القائه فى النار كان ١٦ عاما سوف يثبت لدينا أنه تحمّل اعباء الرساله منذ صباه.

## الجهاد العملى مع الوثنيين

على أى حال ازداد صدامه مع الوثنيين يوما بعد يوم حتّى انتهى إلى قيامه بكسر الأصنام فى معبد بابل (الأ كبيرهم) بالاستفاده من الفرصه الملائمه!

## الحديث مع الحاكم المتجبر!

لقد وصلت هذه الاحداث الى اسماع نمرود فأمر بإحضاره ليظفئ هذا الثور من خلال النصيحه و التهديد. و كان ماهرا فى الدجل، فسأل ابراهيم: إذا كنت لا تعبد الأصنام، فمن هو إلهك؟ قال: ربى الذى يحيى و يميت.

قال: انا احبى و أميت، الا- ترى انى اطلق سراح المحكوم بالاعدام، و اعدم من أريد اعدامه؟ فأجابه ابراهيم عليه السلام بكلام حاسم و قاطع: فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ . (١)

ص: ٥٤٧

وَمِمَّا لَا شَكَّ فِيهِ أَنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ يَعْلَمُ أَنَّ نَمْرُودَ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَحْيِيَ الْمَوْتَى، وَ لَكِنْ مَهَارَتُهُ فِي الدَّجْلِ جَعَلَتْ إِبْرَاهِيمَ يَأْتِيهِ بِسْؤَالٍ لَا قَدْرَهُ لَهُ عَلَى جَوَابِهِ.

### هجره ابراهيم

لقد احسّت حكومه نمرود الجبّاره بخطر هذا الشاب على دولته و أنّ من الممكن ان يسبّب يقظه الشعب الرازح تحت ظلمه، و ان يحطّم القيود الاستعماريه المتسلّطه على رقاب الشعب، فصمّم على الإيقاع بإبراهيم من خلال إحراقه بالنّار التي أججها جهل الناس و إرهاب النظام الحاكم.

و حينما أصبحت النّار بردا و سلاما بأمر من الله تعالى و خرج ابراهيم سالما منها، أصابت نمرود و حكومته الدهشه، و فقدوا معنوياتهم لأنّهم كانوا يصوّرون ابراهيم على أنّه شاب مغامر يريد تفرقه الناس، لكنّه ظهر قائدا الهيا و بطلا شجاعا يستطيع ان يقارع الجبّارين لوحده.

و لهذا السبب صمّم نمرود و أعوانه-الذين كانوا يمتصّون قوتهم من دماء الناس البؤساء-على ان يقفوا بوجه ابراهيم بكلّ قواهم. و من جهه اخرى فإنّ ابراهيم قد ادى دوره في هذا المجتمع، حيث جعل القلوب المستعدّه تميل اليه و تؤمن بدعوته، و لذلك رأى من الأفضل ان يترك ارض بابل هو و التابعون له، و لأجل نشر دعوته سافر الى بلاد الشام و فلسطين و مصر، و استطاع هناك ان يدعو كثيرا من الناس الى التوحيد و عباده الواحد القهار.

### المرحله الاخير له للرساله

امضى ابراهيم عليه السّلام عمره في جهاد الوثنيين و خصوصا صنميه الإنسان، و استطاع ان ينير قلوب المؤمنين بنور التوحيد، و يبعث فيهم روحا جديده،

و يحزّر مجاميع اخرى من قيود المتسلطين.

و الآن يجب ان يصل الى ذروه عبوديته لله و يبذل كل ما عنده فى هذا الطريق بإخلاص، و يصل الى مرحله الامامه بقفزه روحيه كبيره من خلال الامتحانات الالهيه الكثيره، و فى نفس الوقت يقوم ببناء القواعد للكعبه حتى تكون اكبر قاعده للعباده التوحيديه، و يدعو جميع المؤمنين لهذا المؤتمر العظيم الى جانب هذا البيت الكريم.

و قد ادى حسد ساره زوجته الاولى لهاجر التى كانت جاريه و اختارها زوجه له و ولدت له إسماعيل.. ادى الى ان يأتى بها من فلسطين بأمر الله الى مكه و يتركها و ابنها بين الصحارى و الجبال اليابسه، بدون مأوى و لا قطره ماء، و يعود ثانيه الى فلسطين.

انّ ظهور عين زمزم و مجيء قبيله جرهم و السماح لها بالسكن كل ذلك ادى لان تعمّر هذه الأرض. رَبَّنَا إِنِّي أَسِيَّكْتُ مِنْ دُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْتِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَ ارزُقُهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ .

و من الطريف ان يقول بعض المؤرخين: حينما وضع ابراهيم زوجته هاجر و ابنه الرضيع إسماعيل فى مكه و أراد الرجوع، نادته: يا ابراهيم، من أمرك ان تضعنا فى ارض قاحله لا نبات فيها و لا ماء و لا انسان؟ فأجابها بجمله قصيره:

ربى امرنى بذلك، قالت: ما دام كذلك فإن الله لا يتركنا.

و قد سافر إبراهيم عليه السلام مرارا الى مكه بقصد زياره ابنه إسماعيل، و فى واحده من هذه السفرات ادى مراسم الحج، و جاء بإسماعيل الذى كان شابا قويا و مؤمنا صادقا الى المذبح ليفتدى به بأمر من الله و عند ما لئى امر ربه و خرج من هذا الامتحان العظيم بأفضل صورته، قبل الله سبحانه و تعالى فديته، و حفظ له إسماعيل، و بعث له كبشا ليفتدى به.

و فى النهايه و بعد ان ابلى بلاء حسنا نال كبير درجه من المقامات التى يمكن للإنسان ان يصل إليها حيث يقول القرآن الكريم:  
وَ إِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ .

## منزله عليه السلام فى القرآن

توضّح الآيات القرآنيه أنّ الله سبحانه و تعالى اعطى لإبراهيم مقاما لم يعطه لأحد من الأنبياء من قبله، و يمكن ترتيب الآيات كما يلى:

١- أنّ الله تعالى ذكره بعنوان «أمه»: إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَ لَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١) .

٢-مقام الخله وَ اتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا . (٢)

و قد جاء فى بعض الروايات:(أما اتخذ الله ابراهيم خليلا لأنه لم يردّ أحدا و لم يسأل أحدا قط غير الله تعالى) (٣) .

٣-و كان من الْمُضَيِّطِينَ الْأَخْيَارِ (٤) ، وَ لِمَنِ الضَّالِحِينَ (٥) ، وَ الْقَانِتِينَ (٦) ، وَ الصَّادِقِينَ (٧) ، وَ كَانَ لَأَوَّاهٍ حَلِيمٍ (٨) ، وَ مِنَ الْمُؤَفِّونَ بِعَهْدِهِمْ (٩) .

٤-انّ ابراهيم كان محبّا للضيوف، و قد ورد فى بعض الروايات أنّه كان

ص : ٥٥٠

١- (١) النحل، ١٢٠.

٢- (٢) النساء، ١٢٥.

٣- (٣) سفينه البحار، ج ١، ص ٧٤.

٤- (٤) سوره ص، ٤٧.

٥- (٥) النحل، ١٢٢.

٦- (٦) النحل، ١٢٠.

٧- (٧) مريم، ٤١.

٨- (٨) التوبه، ١١٤.

٩- (٩) النجم، ٣٧.



٥- وكان من المتوكلين على الله، ولا يطلب حاحه الآمنه، وقد ورد في التاريخ أنه كان معلقا بين السماء والأرض أثناء قذفه بالمنجنيق سأله جبرئيل:

هل لك حاحه؟ قال: نعم، ولكن ليست منك بل من الله! (٢).

٦- وكان شجاعا مقداما حيث وقف وحيدا بوجه التعصبات الوثنيه، ولم يظهر اى خوف فى مقابلتهم، كسر أصنامهم وجعلها ركاما، وتحديث مع نمرود وأعوانه بكل شجاعه.

٧- كان لإبراهيم عليه السلام منطق قوى واستطاع من خلال عباراته وجمله القصيره المحكمه ان يبطل اقوال المضلين. ولم يثنه بأسهم عن مواصلة الطريق، بل كان يواجه الأمور بالصبر والحلم المعبرين عن روحه الكبيره، كما جاء فى حاجته مع نمرود ومع عمه آزر ومع القضاة أثناء محاكمته حيث قالوا له: أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِالْهَيْتَانِ يَا إِبْرَاهِيمَ، قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَسْتَلُواهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ لَقَدْ اسْتَطَاعَ مِنْ خِلَالِ هَذِهِ الْجُمْلَةِ أَنْ يَفْهَمَهُمْ وَيَسُدَّ عَلَيْهِمْ طَرِيقَ الرَّدِّ عَلَيْهِ، فَإِذَا قَالُوا: آلِهَتُنَا لَا تَسْمَعُ وَلَا تَنْطِقُ. فَتَبَا لِهَذِهِ الْآلِهَةِ! وَإِذَا قَالُوا: تَنْطِقُ.

فلما ذا لا يتكلمون؟! فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمْ الظَّالِمُونَ اى قالت لهم أنفسهم: أنكم ظالمون، وعلى اى حال كان عليهم ان يجيبوا ثم نكسوا على رؤسهم لقد علمت ما هؤلاء ينطقون هكذا كان جواب ابراهيم كالصاعقه على رؤوسهم أف لكم ولما تعبذون من دون الله أفلا تعقلون .

و عند ما رأوا أنهم لا يستطيعون مقاومه هذا المنطق الرصين قالوا حرقوه وانصروا آلهم إن كنتم فاعلين .

هذا نموذج من المنطق الواضح المبيّن و الذي كان ابراهيم فيه هو الفائز.

٨- لقد عدّ القرآن الكريم الحنيفيّة الابراهيميّة واحده من مفاخر المسلمين (١) و انه هو الذي سَمَّاكُمْ الْمُسْلِمِينَ (٢).

٩- وضع مناسك الحجّ بأمر من الله، و لذلك امتزج اسمه في جميع مراسيم الحجّ، حيث يتذكّر كلّ مسلم أثناء ادائه للفرائض هذه الشخصيّة العظيمة و يحسّ بعظمه نبوّته في قلبه، أنّ أداء فريضه الحجّ بدون ذكر ابراهيم تصبح خاويه المعنى.

١٠- لقد حاولت كلّ المذاهب ان تنسب ابراهيم لنفسها، فاليهوديه و النصرانيه تؤكّدان على صلتها به بسبب شخصيته الكبيره، و لكن القرآن الكريم ينفي هذه الصله حيث يقول تعالى: مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (٣) آمين ربّ العالمين نهايه المجلد السابع

ص: ٥٥٢

---

١- ١) سورة الأنبياء، ٧٦٣-٦، و سورة الحجّ، ٧٨ مَلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ .

٢- ٢) الممتحنه، ٤.

٣- ٣) آل عمران، ٦٧.













































بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ

الزمر: ٩

المقدمة:

تأسس مركز القائمية للدراسات الكمبيوترية في أصفهان بإشراف آية الله الحاج السيد حسن فقيه الإمامي عام ١٤٢٦ الهجرى في المجالات الدينية والثقافية والعلمية معتمداً على النشاطات الخالصة والدؤوبة لجمع من الإخصائين والمثقفين في الجامعات والحوزات العلمية.

إجراءات المؤسسة:

نظراً لقلّة المراكز القائمية بتوفير المصادر في العلوم الإسلامية وتبعثها في أنحاء البلاد وصعوبة الحصول على مصادرها أحياناً، تهدف مؤسسة القائمية للدراسات الكمبيوترية في أصفهان إلى التوفير الأسهل والأسرع للمعلومات ووصولها إلى الباحثين في العلوم الإسلامية وتقديم المؤسسة مجاناً مجموعةً إلكترونيةً من الكتب والمقالات العلمية والدراسات المفيدة وهي منظمة في برامج إلكترونية وجاهزة في مختلف اللغات عرضاً للباحثين والمثقفين والراغبين فيها. وتحاول المؤسسة تقديم الخدمة معتمدةً على النظرة العلمية البحتة البعيدة من التعصبات الشخصية والاجتماعية والسياسية والقومية وعلى أساس خطة تنوى تنظيم الأعمال والمنشورات الصادرة من جميع مراكز الشيعة.

الأهداف:

نشر الثقافة الإسلامية وتعاليم القرآن وآل بيت النبي عليهم السلام  
تحفيز الناس خصوصاً الشباب على دراسة أدق في المسائل الدينية  
تنزيل البرامج المفيدة في الهواتف والحاسوبات واللابتوب  
الخدمة للباحثين والمحققين في الحوزات العلمية والجامعات  
توسيع عام لفكرة المطالعة  
تهميد الأرضية لتحريض المنشورات والكتّاب على تقديم آثارهم لتنظيمها في ملفات إلكترونية

السياسات:

مراعاة القوانين والعمل حسب المعايير القانونية  
إنشاء العلاقات المترابطة مع المراكز المرتبطة  
الاجتناب عن الروتين وتكرار المحاولات السابقة  
العرض العلمي البحت للمصادر والمعلومات

الالتزام بذكر المصادر والمآخذ في نشر المعلومات  
من الواضح أن يتحمل المؤلف مسؤولية العمل.

نشاطات المؤسسة:

طبع الكتب والملزمات والدوريات

إقامة المسابقات في مطالعة الكتب

إقامة المعارض الالكترونية: المعارض الثلاثية الأبعاد، أفلام بانوراما في الأمكنة الدينية والسياحية

إنتاج الأفلام الكرتونية والألعاب الكمبيوترية

افتتاح موقع القائمة الانترنتى بعنوان : [www.ghaemiyeh.com](http://www.ghaemiyeh.com)

إنتاج الأفلام الثقافية وأقراص المحاضرات و...

الإطلاق والدعم العلمى لنظام استلام الأسئلة والاستفسارات الدينية والأخلاقية والاعتقادية والردّ عليها

تصميم الأجهزة الخاصة بالمحاسبة، الجوال، بلوتوث Bluetooth، ويب كيوسك kiosk، الرسالة القصيرة ( sms)

إقامة الدورات التعليمية الالكترونية لعموم الناس

إقامة الدورات الالكترونية لتدريب المعلمين

إنتاج آلاف برامج فى البحث والدراسة وتطبيقها فى أنواع من اللابتوب والحاسوب والهاتف ويمكن تحميلها على ٨ أنظمة؛

JAVA.١

ANDROID.٢

EPUB.٣

CHM.٤

PDF.٥

HTML.٦

CHM.٧

GHB.٨

إعداد ٤ الأسواق الإلكترونية للكتاب على موقع القائمة ويمكن تحميلها على الأنظمة التالية

ANDROID.١

IOS.٢

WINDOWS PHONE.٣

WINDOWS.٤

وتقدّم مجاناً فى الموقع بثلاث اللغات منها العربية والانجليزية والفارسية

الكلمة الأخيرة



نتقدم بكلمة الشكر والتقدير إلى مكاتب مراجع التقليد منظمات والمراكز، المنشورات، المؤسسات، الكتاب وكل من قدم لنا المساعدة في تحقيق أهدافنا وعرض المعلومات علينا.

عنوان المكتب المركزي

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباده اي، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلي، الرقم ١٢٩، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع : : [www.ghbook.ir](http://www.ghbook.ir)

البريد الإلكتروني : [Info@ghbook.ir](mailto:Info@ghbook.ir)

هاتف المكتب المركزي ٠٣١٣٤٤٩٠١٢٥

هاتف المكتب في طهران ٠٢١ - ٨٨٣١٨٧٢٢

قسم البيع ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩ شؤون المستخدمين ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩.

مركز  
للبحوث والتحريرات الكمبيوترية  
الغمامة اصحمان



للحصول على المكتبات الخاصة الاخرى  
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم

**www.Ghaemiyeh.com**

www.Ghaemiyeh.net

www.Ghaemiyeh.org

www.Ghaemiyeh.ir

و للايحاء من فضلكم

٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٥٩